

وقفية الأمير غازي القفاري

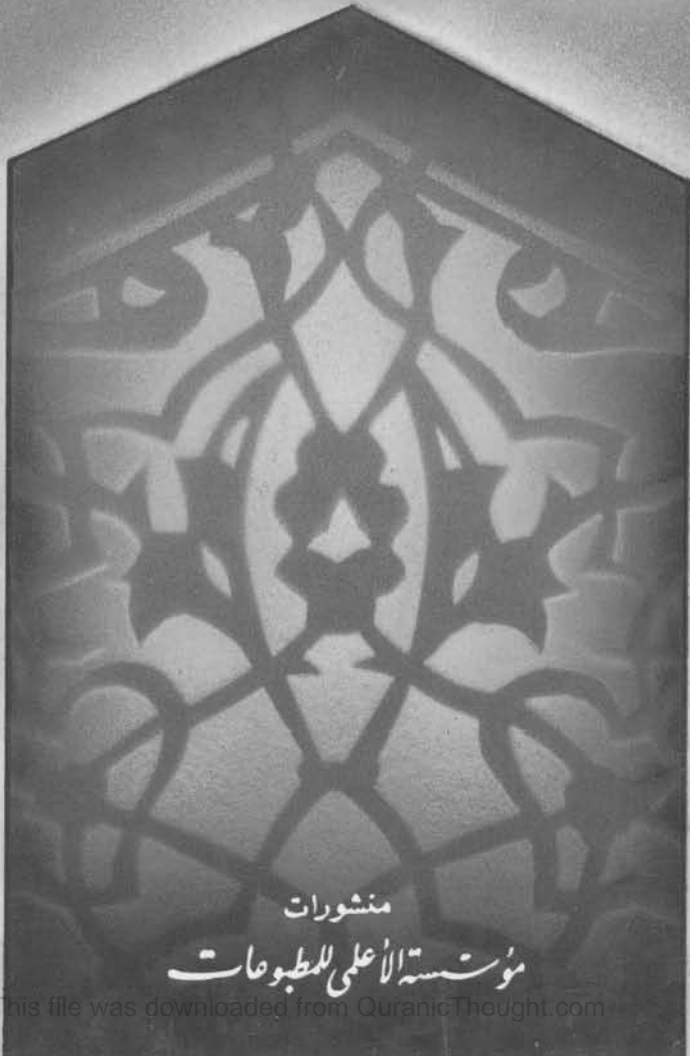
THE PRINCE GHAZI TRUST  
FOR QURANIC THOUGHT



# الإشهاد على ربك

بين الحق كائنه والباطل

هاشم عثمان



منشورات

مؤسسة الأعلی للطبوعات

20





# الْأَشْمَاءُ عَلَيْهِمُ بَيْنَ الْحَقَائِقِ وَاللُّبَابِ

تقديم

الدكتور عارف تامر

منشورات

مؤسسة الأهل للطبومات

بيروت - لبنان

ص.ب. ٧١٢٠

جميع الحقوق محفوظة ومسجلة للناسخ

الطبعة الأولى

١٤١٩ هـ - ١٩٩٨ م

PUBLISHED BY

***Al Alami Library***

BEIRUT - LEBANON  
P.O. BOX 7120

مؤسسة الأعلمي للمطبوعات:

بيروت - شارع المطار - قرب كلية الهندسة.

ملك الاعلي - ص.ب. ٧١٢٠  
الهاتف : ٨٣٣٤٤٧ - ٨٣٣٤٥٣

## بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

### «مقدمة في رسالة»

صديقي العزيز الأديب الأستاذ هاشم عثمان المحترم

لا بدّ لي قبل كل شيء من كلمة شكر أوجهها إليك، بعد أن وقع اختيارك عليّ لكتابة مقدمة كتابك «الاسماعيلية بين الحقائق والأباطيل». فأنا عندما أُلّي طلبك، وأستجيب إلى دعوتك أشعر أنني أؤدي خدمة أدبية لباحث درس موضوع الاسماعيلية دراسة عميقة، ولمنصف استهوته نصره الحق والصدق، فكرّس نفسه لخدمتها، ولمحاربة الجهل والباطل والتعصب الديني البغيض الذي تغلغل في النفوس منذ القديم وما زال يفتك في المجتمعات الإسلامية، وينفث السموم، ويهدد الإنسانية بالشرور والحروب.

الاسماعيلية... ولا أشك أنك تعلم عنها أكثر ممّا أعلمه.. هذه الاسماعيلية لا تخرج عن كونها نظاماً فكرياً فلسفياً تأويلياً صاغ قواعده ومراده الأئمة الكرام الذين ورثوا العلوم والمعرفة من الرسل النطقاء أصحاب الكتب السماوية المبشرين والمعلمين، كما أنها خلاصة الفكر الإنساني العرفاني، وزبدة الدين، والمدرسة التي أقامها من شهد لهم العالم بالتفوق في خدمة الإنسانية المتطلعة، وتهذيب الأجيال، وزعزعة الكفر والإلحاد والتخلف والفساد. فهذه الدعوة في كافة أدوارها وعهودها كانت أممية ذات شمول



ومنهاج يدعو إلى العالمية وعدم الانتماء إلى قومية واحدة، أو عرق معروف، وإنما إلى قوميات وعروق وأجناس مختلفة انتشروا في كافة الأقطار والبلدان، ثم اجتمعوا تحت ظل عقيدة آمنوا بها، وأخيراً اندمجوا وتكاثروا واتحدوا تحت قيادة «معلم» حكيم، قادهم في سبيل الخير والمعرفة والفلاح. ويجب أن لا يغرب عن البال أنها المجموعة التي نمت وترعرعت في رحاب الرسول الكريم محمد، واستجابت إلى الوصي العظيم علي. فكانت مع الرسول المبعوث في شريعته وقرآنه وتنزيله وظاهره، ومع الوصي المعلم في بلاغته وتأويله وباطنه وحكمته.

نحن... ولا فخر أصل الإسلام، وحماة الشريعة، وأساطين الفلسفة، وفرسان التشيع، وعلماء الظاهر والباطن، والذائدون عن حرمة الإسلام الصحيح، والجاعلون الإمامة شعاراً وقدوة ورمزاً يقود إلى عالم الجنان، وإلى رحاب المبدع الخالق... أجل... لقد عرفنا وتعلمنا كيف نفرق بين الجواهر والحصى، وكيف نغزل الصواب عن الخطأ، والحق عن الباطل. فليس إسحق عندنا كإسماعيل، ولا يحيى كخزيمة، ولا جرجس كعمران، ولا المهدي كالمعز، ولا الحسن كالحسين، ولا الكاظم كمحمد بن إسماعيل.

إن النكبة التي أصابت الاسماعيلية في صميمها لم تأت من أعدائها الذين ناصبوا العداة وعملوا على التشنيع بها وتسويد صحيفتها، ولكنها جاءت من بعض الاسماعيليين الذين اعتنقوا المبادئ الهدامة، واستجابوا، وانحرفوا ولم يقرأوا أو يدرسوا ما تركه لنا الأجداد من مؤلفات ورسائل وينايع طافحة بالحكمة والفلسفة والعلوم. وأني لا أدري ماذا أقول لهم بعد ابتعادهم، وتركهم ما جاء به النعمان، والمؤيد، والكرماني، والسجستاني، والرازي، وابن سينا، والطوسي، وإخوان الصفاء وغيرهم من الدعاة والحجج، وهكذا ضاعوا في دنيا من الأوهام والأساطير، وسطروا في التاريخ سطوراً لا شبه لها إلا سطور الخوارج.

بعد هذا... اسمح لي أن أنتقل إلى موضوع كتابك، ولا أخفي عليك بأني فضلت الإيجاز المعبر على التطويل الممل، وكان عليّ أن أقول وأقول

ولكني أرجأت كل قول وبيان حتى لا أنهم بأني أدعو إلي الفرقة، وأنت تعلم أنني ما كنت يوماً من الأيام إلا من دعاة الوحدة «الشيعية» خاصة. ولكن ما حيلتي وأنا لا أرى على الساحة من العقلاء من يساعدني على اجتياز العقبات. ولا أدري فيما إذا كنا جميعنا قد تحولنا في نهاية المطاف إلى مجانيين ودعاة تفرقة وأغبياء؟

### أيها الصديق.

كتابك نال إعجابي فلا تخف. لقد قرأته بإمعان فلمست فيه الجهد والتنسيق والمعرفة، والاطلاع الواسع، واستيعاب الموضوع، مما يجعلني أقول بأنه جدير بالاعتبار والتقدير، ودون مبالغة هو أطروحة أكاديمية أو مجموعة مصادر لا غنى لكل باحث وطالب عن قرائتها والتزود منها والاعتماد عليها.

في نهاية المطاف.. أدعوك إلى المزيد من الكتابة عن الاسماعيلية، وعن الباطنية خاصة مما يعزز القراة، ويمهد للإخاء وللمحبة. وختاماً:  
عوفيت وطبت وسلمت.

للمخلص

د. عارف تامر

سلمية - سورية ١٥ / ٨ / ١٩٩٧





## كلمة تمهيدية

لم يبق من الفرق الإسلامية الكثيرة، التي ظهرت إلى الوجود، خلال العصور الإسلامية المتتابة، من العصر الأول إلى اليوم، غير عدد قليل جداً منها: العلويون، والاسماعيلية، والموحدون (الدروز)، واليزيدية، والإباضية. وفي المقابل، ظهرت في العصور الحديثة، فرق جديدة هي: البابية، والبهائية، والقاديانية، والوهابية. ولكل من هذه الفرق أتباع ومريدون في العديد من البلاد الإسلامية والعربية، ولها نفوذها في بعض هذه البلاد. وجود هذه الفرق بين ظهرانينا، يفرض علينا الاهتمام بها، ودراستها دراسة دقيقة، شاملة.

وكانت خطوتنا الأولى، في هذه السبيل، دراستنا [العلويون بين الأسطورة والحقيقة]، ثم [الوهابيون وأسلافهم في التاريخ]<sup>(١)</sup> وها نحن اليوم، نتحدث عن الاسماعيلية. وفي الجعبة دراسات مماثلة عن الموحدين (الدروز)، واليزيدية، والبابية، والبهائية، والإباضية، بحيث يشكل مجموع هذه الدراسات موسوعة عن الفرق الدينية المعاصرة، تضع القارئ أمام حقيقة كل منها.

وخلافاً للعلويين، والموحدين (الدروز)، واليزيديين، فإن الحديث عن الاسماعيلية يسير في خطين يكمل أحدهما الآخر.

الخط الأول: تاريخي، يتضمن بداية الدعوة، وانتشارها في اليمن

(١) قيد الطبع، سيظهر قريباً بإذن الله (يطبع على نفقة المؤلف).

والمغرب، وتأسس الدولة الفاطمية التي ضمت جميع بلاد المغرب ومصر وبلاد الشام واليمن والحجاز، ثم الدولة الاسماعيلية في قلعة (ألموت) وغيرها من القلاع ببلاد فارس<sup>(١)</sup> والدولة الاسماعيلية في (مصياف) بزعامه سنان راشد الدين .

الخط الثاني: ديني، يدور حول العقيدة الاسماعيلية .

ومن غير الممكن، الحديث عن العقيدة الاسماعيلية من دون أن يكون الباحث ملماً إماماً تاماً بما يلي :

أولاً: مرتكزات الفكر الشيعي عموماً، وخاصة نظرتة إلى النبوة والإمامة والوصاية وولاية آل البيت عليهم السلام، والتأويل والتنزيل . لأن الاسماعيلية، فرع من فروع الشيعة الإمامية .

ثانياً: معرفة قواعد الصوفية، بدءاً من مرحلة اختيار المرید وتلقيه آداب السلوك، ثم التدرج به حتى الوصول إلى المعرفة . فطريقة تلقين المرید واحدة عند الصوفية، والإسماعيلية .

ثالثاً: معرفة الفلسفات اليونانية - الفيشاغورية، والأفلاطونية، والأفلاطونية الجديدة - والهندية . وكذلك البوذية، والزرادشتية والمانوية .

رابعاً: التعمق في علم الباطن، ومعرفة دقائقه ورموزه ومصطلحاته، لأن العقيدة الإسماعيلية تقوم على ركيزتين أساسيتين هما: الظاهر والباطن .

خامساً: دراسة فلسفة وتاريخ كل إقليم من الأقاليم التي وجدت فيها الإسماعيلية «فالإسماعيلية في اليمن بعباداتها وتقاليدها ونظمها الاجتماعية وتأثير البيئة، غير الإسماعيلية في سورية . وفي سوريا غيرها في إيران وهلم جرا...»<sup>(٢)</sup> .

(١) هذه القلاع هي: ألموت، شركوه، شهرک، نوزرشاه، لمبسر، قسطين لار، ميمون دج، قلا دوش هند، بازركاه، سيوهين، كياكلا قلعة، كياندشت .

(٢) عارف تامر: مع كتاب منتخبات اسماعيلية، مجلة معهد المخطوطات العربية، المجلد (٦) ج ١ و ٢ .

من ذلك يتبين أن دراسة الإسماعيلية، ليست سهلة. ويزيد من صعوبتها التداخل الكبير بين عقائدها وعقائد الموحدين (الدروز). لأن عقيدة الموحدين خرجت من رحم العقيدة الإسماعيلية.

هذا التداخل، أوقع في الزلل العديد من المؤرخين، منهم على سبيل المثال، المؤرخ العراقي المعروف عبد الحميد الدجيلي، الذي نشر مقالاً، على حلقتين، بعنوان «رسائل إسماعيلية قديمة نادرة»<sup>(١)</sup> استعرض فيه عدداً من الرسائل التي عثر عليها أثناء تصفحه كتب الأب انستاس ماري الكرمللي ضمنها ست مجموعات خطية، هي: كشف الحقائق، رسالة التنزيه لجماعة المؤمنين، ميثاق النساء، رسالة الرضى والتسليم إلى كافة الموحدين وإلى جميع من شك في مولانا - جل ذكره - وفي وليه قائم الزمان، من عبد مولانا - سبحان قدرة مولانا وتعالى لاهوته، رسالة الرشد والهداية، رسائل التأويل، رسالة بدء التوحيد لدعوة الحق، الرسالة الواعظة، رسالة البلاغ والنهاية في التوحيد إلى كافة الموحدين المتبرئين من التلحيد، رسالة السيرة المستقيمة، الرسالة الدامغة في الرد على الفاسق النصيري، رسالة النساء الكبرى، رسالة الصيحة الكائنة، رسالة تقليد الرضي سفير القدرة، رسالة مكاتبة إلى أهل الكدية البيضاء، رسالة الإنضاء، رسالة شرط الإمام صاحب الكشف، رسالة التحذير والتنبيه، رسالة الغيبة، رسالة الزناد، رسالة الشمعة..

وجميعها من رسائل الموحدين (الدروز) لا علاقة للإسماعيلية بها. وينبغي القول: إن تجربتنا في الكتابة عن العلويين، دلت لنا كثيراً من الصعاب. ونبهتنا إلى نقاط مشتركة بين جميع الفرق التي اصطاح على تسميتها باطنية.

أما بالنسبة إلى دراستنا هذه فهي من قسمين:

القسم الأول: (الإسماعيلية) وتتفرع عن هذا العنوان الفصول التالية:

(١) مجلة المجمع العلمي العراقي المجلد (٣) جزء ٢ لعام ١٩٥٥ ص ٤٠٥ والمجلد ٤ جزء ١ لعام ١٩٥٦ ص ٢٥٠.

- \* أصل التسمية .
- \* تاريخ ظهور الإسماعيلية .
- \* موطن الإسماعيلية .
- \* عقائد الإسماعيلية .
- عقائد الإسماعيلية كما تحدث عنها المؤرخون القدماء .
- عقائد الإسماعيلية كما تحدث عنها المؤرخون المحدثون .
- \* الإسماعيلية من خلال آثارهم .

القسم الثاني : (الدولة الفاطمية) ويتضمن هذا القسم العناوين التالية :

- \* مرحلة التكوين والنشوء .
- \* مرحلة الانتشار والسيطرة .
- \* الدولة الإسماعيلية في اليمن .
- \* الدولة الإسماعيلية في مصر .
- \* الدولة الإسماعيلية في بلاد فارس .
- \* الدولة الإسماعيلية في مصيف .

وبهذا التقسيم نكون قد أحطنا بالموضوع من جميع جنباته التاريخية والعقائدية، وقدمنا الإسماعيلية للقارئ بأكمل مظهر.

بقيت كلمة أخيرة هي أن هذه الدراسة تعنى بالخطوط العامة من دون الخوض في الجزئيات .

## القسم الأول

- \* أصل التسمية
- \* تاريخ ظهور الإسماعيلية
- \* موطن الإسماعيلية
- \* فرق الإسماعيلية
- \* عقائد الإسماعيلية
- \* عقائد الإسماعيلية عند المؤرخين القدماء.
- \* عقائد الإسماعيلية عند المؤرخين المحدثين  
والمعاصرين.
- \* الإسماعيليون في دوائر المعارف العربية.
- \* الإسماعيليون من خلال آثارهم.



## أصل التسمية

أول ما يلاحظه الباحث، وهو يستعرض الكتب التي تتحدث عن الفرق الدينية، أن أصحاب هذه الكتب يطلقون أكثر من اسم على الفرقة الواحدة. وكان قصدهم من ذلك، على ما يبدو، أن يصلوا بالعدد إلى /٧٣/ حيث نقل عن سيدنا محمد ﷺ أنه قال: «افتقرت أمة موسى على إحدى وسبعين فرقة، فرقة ناجية والباقون في النار، وافتقرت أمة عيسى على اثنتين وسبعين فرقة، فرقة ناجية والباقون في النار، وستفترق أمتي على ثلاث وسبعين فرقة، واحدة ناجية والباقون في النار...»... فهم مثلاً، أطلقوا على الشيعة كثيراً من الأسماء، منها: الرافضة، الإمامية، الاثنى عشرية، المتأولة، العلوية، الظنية، الجعفرية، و... .

وحملت الإسماعيلية ما يقرب من /٢٦/ اسماً منها:

- \* العلويون: نسبة إلى أمير المؤمنين علي عليه السلام (١).
- \* الفاطميون: نسبة إلى فاطمة بنت رسول الله ﷺ (٢).
- \* المصريون: نسبة إلى استقرارهم بمصر (٣).
- \* أصحاب الدعوة الهادية (٤).

(١) الفلقشندي - مآثر الاناقة، ج ٢، ص ٢٤٨.

(٢) المرجع السابق.

(٣) المرجع السابق.

(٤) الفلقشندي - صحح الأعشى، ج ٤، ص ١٤٦.



- \* القصاد: كما جاء اسمهم في ديوان الإنشاء بمصر<sup>(١)</sup>.
- \* الفداوية: لأنهم يفادون بالمال على من يقتلونه<sup>(٢)</sup>.
- \* السبعية: نسبة إلى سبعة ناطقين بالشرائع، أي الرسل السبعة<sup>(٣)</sup>.
- أو لأنهم زعموا أن الكواكب السبعة مدبرة العالم السفلي<sup>(٤)</sup>.
- \* الحشاشون: بزعم تخدير أتباعهم بالحشيش.
- \* الإسماعيلية: لأنهم ينسبون أئمتهم المستورين إلى إسماعيل بن جعفر الصادق عليه السلام<sup>(٥)</sup>.
- \* العبيدية: نسبة إلى عبيدالله بن ميمون القداح<sup>(٦)</sup>.
- \* المفتدون: وهو الاسم الذي يعرفون به في أفغانستان<sup>(٧)</sup>.
- \* الميمونية: نسبة إلى ميمون القداح<sup>(٨)</sup>.
- \* الخرمية والبابكية: نسبة إلى بابك الخرمي<sup>(٩)</sup>.
- \* المحمرة: لأنهم صبغوا ثيابهم بالحمرة أيام بابك الخرمي وكانت شعارهم.
- \* الأساسية أو الأساسين: لأنهم يسمون وحي الإمام أساس<sup>(١٠)</sup>.
- \* وقالوا أيضاً: إن اسم الإسماعيلية يختلف من بلد إلى آخر. ففي العراق

---

(١) المرجع السابق.  
(٢) المرجع السابق ج ١، ص ١٢٠.  
(٣) تاريخ جودت.  
(٤) ابن الجوزي - المنتظم في تاريخ الملوك والأمم ق ٢ ج ٥ ص ١١٠.  
(٥) عبد الواسع اليمني - تاريخ اليمن ص ١٥٩.  
(٦) المرجع السابق.  
(٧) دائرة المعارف الإسلامية، مادة اسماعيلية.  
(٨) محمد زاهد الكوثري - مقدمة كتاب كشف أسرار الباطنية وأخبار القرامطة ص ٨.  
(٩) ابن كثير - البداية والنهاية ج ١١، ص ٦١.  
(١٠) الدكتور محمد جواد مشكور - موسوعة الفرق الإسلامية ص ١٠٧.

يعرفون بالباطنية، لحكمهم بأن لكل ظاهر باطناً ولكل تنزِيل تأويلاً .  
والقرامطة، والمزدكية<sup>(١)</sup> .

وفي خراسان التعليمية والملاحدة<sup>(٢)</sup> .

ولدينا قول آخر مفاده أن الذين بالشام منهم يقال لهم الحشيشية، ومن كان بآلموت يقال لهم الباطنية والملاحدة، ومن كان بخراسان يقال لهم التعليمية وكلهم إسماعيلية<sup>(٣)</sup> .

وهناك من أطلق على الإسماعيلية، أسماء فرق، وطرق صوفية، معروفة لا تربطها بالإسماعيلية أية رابطة . من هؤلاء الشيخ محمد زاهد الكوثري، كتب يقول: «... ويدعون... في الشام بالنصيرية والدروز والتيامنة . وفي فلسطين بالبهائية . وفي الهند بالهيرة والإسماعيلية . وفي اليمن باليامية نسبة إلى القبيلة المعروفة . وفي بلاد الأكراد بالعلوية حيث يقولون علي هو الله . وفي الأتراك بالبكداشية والقزلباشية على اختلاف منازلهم . وفي بلاد العجم بالباية ولهم فروع إلى يومنا هذا تلبس لكل قرن لبوسه وتظهر لكل قوم بمظهر تقضي به البيئة . وقد ماؤهم كانوا يسمون أنفسهم بالإسماعيلية»<sup>(٤)</sup> .

وهذا الكلام غريب في بابه ويدل على جهل بمعرفة الفرق وأصولها ومعتقداتها . فالإسماعيلية، فرقة مستقلة تختلف عن النصيرية وعن الدروز .  
والتيامنة هو الإسم الذي أطلقه المؤرخون على سكان وادي التيم بلبنان، وهم خليط من الدروز والنصيرية والقرامطة والمجوس .

والباية أتباع علي محمد الشيرازي (١٢٣٦هـ - ١٢٦٤هـ - ١٨٢٠م - ١٨٤٨م) الذي ظهر في شيراز، وادعى أنه الباب فعرف أصحابه بالباية<sup>(٥)</sup> .

(١) الشهرستاني - الملل والنحل ج١، ص ٤٢١ .

(٢) المرجع السابق .

(٣) ابن ميسر - أخبار مصر، ص ٤٠٧ .

(٤) محمد زاهد الكوثري - مقدمة كتاب كشف أسرار الباطنية وأخبار القرامطة ص ٨ .

(٥) الدكتور محمد جواد مشكور - موسوعة الفرق الإسلامية ص ١٤١ .

والبهائيون، فرع من البابية، وهم أتباع ميرزا حسين علي، المعروف ببهاء الله، شقيق صبح الأزل، خليفة الباب.

والبكداشية، فرقة صوفية تنتسب إلى حاج بكتاش المتوفى سنة ٧٣٨ هـ - ١٣٣٧ م وشاعت خلال القرن السادس عشر الميلادي في الأناضول.

والقزلباش، هو الاسم الذي أطلقه العثمانيون على أتباع التنظيم الصوفي، الذي أنشأه حيدر بن الجنيد. وتعني كلمة قزلباش، الرؤوس الحمراء، ويرمز صاحب الطريقة باستحداث لباس جديد للرأس يعرف باسم تاج حيدر ذي الاثنتي عشرة ذؤابة، إشارة إلى الاثني عشر إماماً<sup>(١)</sup>.

وفي مملكة التورانيين، وبلاد الهند، يسمى كل شيعي، وكل إيراني قزلباش<sup>(٢)</sup>.

جميع هذه الأسماء، والألقاب أصبحت، اليوم، في ذمة التاريخ. ولم يبق منها غير اسم الإسماعيلية.

(١) محسن الأمين - أعيان الشيعة المجلد ١، ص ٢٠.  
(٢) ابن الحنبلي - در الحبيب في تاريخ أعيان حلب، ج ١، ق ١، ص ١٠٦.

## تاريخ ظهور الإسماعيلية

ليس من السهل تحديد تاريخ ظهور الدعوة الإسماعيلية على وجه الدقة، بحيث يقال إنها ظهرت في يوم كذا من شهر كذا من عام كذا. والسبب في صعوبة ذلك، أنها ابتدأت سرية، ثم إن الأقوال حول تاريخ ظهورها، متضاربة ومتباعدة تباعداً كبيراً.

ويمكن حصر هذه الأقوال على الشكل التالي:

هناك من قال: إن أول دعوة إسماعيلية كانت في اليمن سنة ٢٦٨ هـ - ٨٨١ م<sup>(١)</sup>.

وهناك من قال: إن أمر الإسماعيلية ابتدأ عام ٢٨٨ هـ - ٨٩٠ م<sup>(٢)</sup> وهذا التاريخ قريب جداً من تاريخ ظهور القرامطة.

وهناك من قال: إن دعوة الباطنية ظهرت، أولاً، في زمن المأمون وانتشرت في زمن المعتصم<sup>(٣)</sup>.

والمأمون، كما نعرف، بويع بالخلافة سنة ١٩٨ هـ - ٨١٣ م وتوفي سنة ٢١٨ هـ - ٨٣٣ م وبويع المعتصم بالخلافة سنة ٢١٨ هـ وتوفي سنة ٢٢٧ هـ - ٨١٣ - ٨٤١ م. فيكون ظهور الدعوة والحالة هذه، محصوراً بين عامي ١٩٨ و ٢٢٧ هـ - ٨١٣ و ٨٤١ م ثمة من قال: إن مبدأ أمرهم أن المكتفي بالله طلب

(١) الدكتور محمد جواد مشكور - موسوعة الفرق الإسلامية ص ١٠٥.

(٢) عبد الواسع اليمني - تاريخ اليمن، ص ١٥٩.

(٣) البغدادي - الفرق بين الفرق، ص ٢٦٩.

عبيدالله لأمر بلغه عنه ففر من الشام إلى العراق ثم لحق بمصر في جماعة من خاصته، ولحق بأفريقية من بلاد المغرب<sup>(١)</sup>.

والمكتفي، كما تحدثنا كتب التاريخ، حكم بين ٢٨٩ - ٢٩٥ هـ - ٩٠١ م / ٩٠٧ م أي أن حكمه بدأ بعد سنة واحدة من تاريخ ظهور أبي عبدالله الشيعي بالمغرب سنة ٢٨٨ هـ - ٩٠٠ م.

رأي رابع مفاده أن الإسماعيلية هم الخطابية، أصحاب أبي الخطاب محمد بن زينب الأسدي الأجدع<sup>(٢)</sup> وأن أبا الخطاب من مؤسسي المذهب الإسماعيلي<sup>(٣)</sup>.

وأبو الخطاب مات قتلاً سنة ١٣٨ هـ - ٧٥٥ م.

من الأقوال أيضاً، أن الإسماعيلية كانوا قديماً يسمون قرامطة، وأن مذهبهم هو مذهب القرامطة<sup>(٤)</sup>.

ومن الثابت تاريخياً أن بداية تحرك القرامطة، كان بسواد الكوفة، سنة ٢٧٨ هـ<sup>(٥)</sup>.

بعد غربلة هذه التواريخ المختلفة، يبقى أمامنا تاريخان لبداية ظهور الإسماعيلية، هما الأولى بالاعتبار.

فنحن إذا اعتبرنا أن أبا الخطاب من مؤسسي المذهب الإسماعيلي، فإن معنى ذلك أن بداية ظهور الإسماعيلية هي الفترة التي سبقت وفاة أبي الخطاب سنة ١٣٨ هـ - ٧٥٥ م وإذا اعتبرنا أن الإسماعيلية، هم القرامطة، فيكون ظهور الإسماعيلية، هو نفس تاريخ ظهور حركة القرامطة، أي سنة ٢٧٨ هـ - ٨٩١ م.

(١) القلقشندي - مآثر الانافة ج ٢، ص ٢٤٨.

(٢) النوبختي - فرق الشيعة ص ٦٨.

(٣) أبو حاتم الرازي - كتاب الزينة.

(٤) تاريخ ابن خلدون - مجلد ٤ ق ١ ص ٢٠٠.

(٥) ابن الأثير - الكامل، أخبار سنة ٢٧٨ هـ وغيره من كتب التاريخ.

وبين هذين التاريخين، كما هو واضح، مدى زمني شاسع يبلغ ١٤٠ سنة.

ونحن نميل إلى القول: أن تاريخ ظهور الإسماعيلية، كان في الفترة التي سبقت وفاة أبي الخطاب.

وسبب أخذنا بهذا التاريخ، هو أن الإسماعيلية تقول إن الإمام بعد جعفر عليه السلام ابنه إسماعيل. وإسماعيل توفي عام ١٤٥ هـ - ٧٥٧ م قبل وفاة والده بأربع سنوات.

والمدة الفاصلة بين وفاة إسماعيل ووفاة أبي الخطاب قصيرة جداً جداً. سنتان فقط. وهذا التاريخ، يضعنا أمام حقيقة لا تقبل الجدل أو المناقشة هي أن الإسماعيلية أسبق في الظهور من العلويين (النصيرية)، والموحدين (الدروز) واليزيديين.

## موطن الإسماعيلية

انتشر المذهب الإسماعيلي في مدن وبلدان وأقاليم عديدة، تمتد من المغرب الأقصى إلى آسية الوسطى، وتشمل بلاد المغرب الأقصى وأفريقية ومصر والشام واليمن والعراق وفارس و... و...

وما أن بدأ الضعف يدب في أوصال الدولة الفاطمية، حتى أخذت أعداد الإسماعيليين تتناقص شيئاً فشيئاً نتيجة أعمال القتل والمذابح التي تعرضت لها هذه الفرقة بسبب معتقداتها الدينية. والنظرة التي كان ينظرها جمهور أهل السنة إليهم، وهي أنهم «زنادقة على دين المجوس»، «يبتنون الكفر»، «فتنتهم على المسلمين شر من فتنة الدجال»... فكان أن انقضوا من كثير من البلدان. ونقصت أعدادهم إلى درجة كبيرة في بلدان أخرى.

في بلاد الشام، كان لهم وجود كبير في حلب ودمشق وفي قلاع الدعوة، بمنطقة مصياف، وما جاورها.

بلغ تواجدهم في حلب ذروته زمن رضوان بن تنشى، الذي حكم في الفترة ما بين ٤٨٨هـ - ١٠٩٥م و ٥٠٧هـ - ١١١٣م. وكان رضوان قد مال إليهم وشايعهم، وحفظ جانبهم، وصار لهم في حلب بفضل جه عظيم وقدرة زائدة، مما جعل الناس يتبعون مذهب الإسماعيلية طلباً لجاههم. وكان هذا سبباً في انتشار مذهب الإسماعيلية في حلب، حيث كان لهم فيها دار دعوة<sup>(١)</sup>، وفي

(١) ابن شداد - الأعلام الخطيرة ج ١، ص ٦٥.

مناطقها كسرمين والجوز وجبل السماق وبني عليم وبزاعة والباب واعزاز وأفامية<sup>(١)</sup> ولما ملك شمس الملوك ألب أرسلان حلب سنة ٥٠٧ هـ - ١١١٣ م، أخرجهم من حلب بعد أن قتل منهم ٣٠٠ نفساً وأسر ٢٠٠، وطيف برؤوسهم في البلد.

وبعد ١١ سنة على هذه النكبة، نزلت بهم نكبة مماثلة، على يد بلك ابن بهرام بن أرتق، وذلك في عام ٥١٨ هـ - ١١٢٤ م، حيث قبض بلك على نائب بهرام داعي الإسماعيلية، بحلب، وأمر بإخراجهم منها، فباعوا أموالهم ورحالهم وخرجوا<sup>(٢)</sup>.

والمصير نفسه لاقاه الإسماعيليون في بزاعة، الواقعة في وادي بطنان بين منبج وحلب، وكان عددهم فيها كبيراً ثم ثار عليهم أهل البلاد المجاورة ووضعوا السيوف فيهم واستأصلوهم عن آخرهم<sup>(٣)</sup>.

وفي عام ٦٦٥ هـ - ١٢٦٦ م قضى السلطان الملك الظاهر على وجودهم في سرمين، من أعمال حلب<sup>(٤)</sup>. وفي دمشق، قتل تاج الملوك بدري نحو ستة آلاف شخص منهم في سنة ٥٢٣ هـ - ١١٢٨ م<sup>(٥)</sup> فقضي عليهم في دمشق، وتفرقوا في البلاد واليوم يوجد الإسماعيلية في قرى الخوابي وسلمية ومصيف والقدموس والجدالية (التابعة لقضاء أنطاكية) وأدار (التابعة لقضاء جسر الشفور) ودلين والشبرونية (التابعتين لقضاء الحصن)، وقسم قليل منهم يقطن في مدينة دمشق<sup>(٦)</sup>.

وفي لبنان توجد أقلية منهم في نفيشة وكوشة والشيخ محمد (التابعين لقضاء عكار)<sup>(٧)</sup> وكان في مصر أعداد كبيرة من الإسماعيلية. وفي سنة ٦٠٤ هـ - ١٢٠٧ م توفي الأمير داود بن العاضد في محبسه، فاستأذن أصحابه الملك

(١) ابن العديم - زبدة الحلب ج ٢، ص ١٤٧.

(٢) ابن القلانسي - ذيل تاريخ دمشق ص ١٩٠.

(٣) رحلة ابن جبیر ص ٢٢٤.

(٤) ابن شداد - الأعلام الخطيرة ج ٢ ص ٤٨.

(٥) ابن الأثير - الكامل في التاريخ، أخبار سنة ٥٢٣ هـ.

(٦) عبد الله بن المرتضى - الفلك الدوار ص ٢٧٠.

(٧) المرجع السابق.



الكامل أن ينوحوا عليه ويندبوه فأذن لهم. واجتمع معهم من كان مستتراً من دعائهم. فلما تكامل جمعهم أرسل الكامل إليهم طائفة من الأجناد نهبوا ما عليهم وقبضوا على المعروفين منهم، ففر من بقي وزال من ذلك الحين أمرهم من ديار مصر ولم يجسر أحد بعدها أن يتظاهر بمذهبهم<sup>(١)</sup>.

لكن بالرغم من ذلك بقيت طائفة منهم في أصفون بالصعيد الأعلى<sup>(٢)</sup>.

وكان الإسماعيليون ينتشرون في أغلب مدن اليمن: عدن لاعة، ويافع، وزبيد، ولحج، والمذيخرة، وحصن كوكبان، وحبابه، ومطرف، وذبي جيلة، والحيمة، وحراز، وبيت ردم، وخريز<sup>(٣)</sup>.

ويوجدون، اليوم، في مطرح قرب مسقط<sup>(٤)</sup>.

وفي بلاد فارس كانت لهم مدن وقلاع كثيرة. ومن أماكن تواجدهم في بلاد فارس: طريث وبيهق (من أعمال نيسابور)، وطبس (مدينة في برية بين نيسابور وأصفهان)، وزوزن (كورة بين نيسابور وهراة)، وفي خراسان، وأصبهان، وما يجاور قزوین.

ومن قلاعهم المشهورة في بلاد فارس: قلعة أصفهان، المعروفة بشاه ذر، وألموت، وسنكوه (قرب أبهر)، وخالنجان (قرب أصفهان)، واستوناوند (بين الري وآمد)، وأردهن، وكردكوه، والناظر (بأرجان)، والطنبور (قرب أرجان)، وقلعة كلام، وقلعة بيرة بجوار قزوین، وقلعة خلادخان (بين فارس وخوزستان)، ولمبسر (بالقرب من قرية رازميان مركز رودبار شهرستان)، وشيركوه، وشهرک، ونويزرشاه، وقسطين لار، وميمون دج، وقلادوش هند، وبازركاه، وسيوهين، وكياكلا قلعة، وكياندشت، وهامون ذر.

وبقيت هذه القلاع بأيديهم إلى أن سقطت بيد هولاء سنة ٦٥٤ هـ -

(١) المقرئزي - كتاب السلوك ج ١، ص ١٦٩.

(٢) شيخ الربوة - نخب الدهر في عجائب البر والبحر ص ٢٠٣.

(٣) عبد الواسع يحيى الواسعي اليمني - تاريخ اليمن ص ١٥٩ و ٢٥١.

(٤) في جربه بتونس يوجد أعداد كبيرة من القرامطة.

١٢٥٦م ويتواجد الإسماعيلية في إيران، اليوم، في مناطق كهك، ومحلات، وبيرجند، وقاين. وفي أفغانستان في مناطق بلخ وبدخشان وكافرستان ووادي جلال آباد وكمر<sup>(١)</sup>.

وفي آسيا الوسطى في خوقند، وقره تكين، وفي الولايات الواقعة في حوض نهر جيحون الأعلى (ساري گل، وخوان، وياسين)<sup>(٢)</sup>.

وفي الهند في أقاليم أجمير، ومرداره، وراجبوتانا، والبنجاب، وكشمير، وبومباي، وبروده، وكورك، وكجرات<sup>(٣)</sup>.

وتعتبر كراتشي، اليوم، مركز قيادة الإسماعيلية الرئيسي في العالم. ويوجد أعداد من الإسماعيلية في زنجبار، وتنزانيا، وتنجانيقا، ومدغشقر، وجنوب أفريقية، ودار السلام، ونيروبي، وكمبالا. . . فهم أوسع انتشاراً، في العالم، من النصيرية والدروز والإباضية واليزيدية والوهابية، وأكثر عدداً.

(١) الدكتور محمد جواد مشكور - موسوعة الفرق الإسلامية، ص ١٠٦.  
 (٢) المرجع السابق.  
 (٣) المرجع السابق.

## فرق الإسماعيلية

كان الإسماعيليون فرقة واحدة، ثم انقسموا بسبب الخلاف على الإمامة إلى فرقتين. مستعلية أو مستعلوية، ونزارية.

حصل ذلك بعد موت المستنصر بالله أبي تميم معد، سنة ٤٨٧هـ - ١٠٩٤م، وكان المستنصر عهد في حياته، بالخلافة، لابنه نزار فخلفه أمير الجيوش الأفضل بدر الجمالي، وبإيع المستعلي بالله أحمد أبو القاسم. وسبب ذلك أن الأفضل ركب مرة أيام المستنصر ودخل دهليز القصر من باب الذهب راكباً ونزار خارج، والدهليز مظلم فلم يره الأفضل فصاح به نزار إنزل يا أرمني كلب عن الفرس ما أقل أدبك. فحقد الأفضل عليه، فلما مات المستنصر، قام الأفضل بخلع نزار خوفاً منه وبإيع المستعلي، فاضطر نزار إلى ترك القاهرة والتوجه إلى الاسكندرية عند ناصر الدولة أفتكين، والقاضي جلال الدين ابن عمار، فتبعه الأفضل بالعساكر، وجرت بين الطرفين، معارك انتهت بتغلب الأفضل، والقبض على أفتكين والقاضي جلال الدين بن عمار وقتلها<sup>(١)</sup> وأخذ الأفضل نزار وسلمه للمستعلي فبنى عليه جداراً كان سبباً في موته.

لكن أتباع نزار يقولون إنه لم يقتل، ولكنه خرج من الاسكندرية حملاً في بطن جارية تقية على نفسه، وخاض بلاد الأعداء إلى ألموت<sup>(٢)</sup> حيث أسس الدولة النزارية.

(١) ابن الأثير - الكامل في التاريخ، ج ٨، ص ١٧٢.

(٢) القلقشندي - صبح الأعشى ج ٥، ص ٦٥.

ومن يومها انقسم الإسماعيليون إلى فرقتين: مستعلية ونزارية.

يقول المستعلية إن الإمامة انتقلت بعد المستنصر إلى ابنه المستعلي بالله، أبي القاسم أحمد، ثم إلى ابنه الأمر بأحكام الله أبي علي المنصور، ثم إلى ابنه الحافظ لدين الله أبي الميمون عبد المجيد، ثم إلى ابنه الظافر بأمر الله أبي المنصور اسماعيل، ثم إلى ابنه الفائز بنصر الله أبي القاسم عيسى، ثم إلى العاضد لدين الله أبي محمد عبدالله بن يوسف بن الحافظ، وهو آخرهم<sup>(١)</sup>.

بينما يقول النزارية، إن الإمامة انتقلت بعد المستنصر إلى ابنه نزار بالنص من أبيه ويستندون في ذلك إلى أن الحسن بن الصباح حينما التحق بالمستنصر في مصر، بتوجيه من الداعي ابن عطاش أكرمه وأمره بدعاية الناس إلى إمامته فقال له ابن الصباح: من الإمام بعدك؟ فقال له: ابني نزار فعاد ابن الصباح من مصر إلى الشام والجزيرة وديار بكر ودخل خراسان وعبر إلى ما وراء النهر، يدعو إلى إمامة المستنصر وابنه نزار من بعده.

رد المستعلية على هذا الكلام بالقول: إن ابن الصباح سأله من صاحب الأمر؟ فقال: أبو المنصور فظن أنه يعني نزاراً في حين أنه يعني أبا المنصور أحمد أبا القاسم المستعلي بالله<sup>(٢)</sup>.

عاشت كل فرقة من فرقتي الإسماعيلية، في بلد مستقل عن الآخر.

المستعلية في مصر واليمن والهند.

والنزارية في بلاد فارس والشام.

والإسماعيلية اليوم طائفتان: الآغاخانية والبحرة.

الآغاخانية أو الخوجات، كما يطلق عليهم في الهند، هم من النزاريين وينتسبون إلى آغاخان المحلاتي<sup>(٣)</sup>.

(١) المرجع السابق.

(٢) الداعي ادريس عماد الدين القرشي - كتاب زهر المعاني ص ٢٥٦.

(٣) الدكتور محمد جواد مشكور - موسوعة الفرق الإسلامية ص ٢٤٠.

أما البهرة أو البوهران، فهو الاسم الذي عرف به المستعلية في اليمن والهند<sup>(١)</sup> وتعني كلمة بهرة، التاجر في اللغة الكجراتية.

وذكر بعض المؤرخين، أن البهرة من الإسماعيليين الذين هاجروا من مصر واليمن وبعض الأقطار العربية، إلى الهند، واختاروا السكن هناك سنة ٤٦٠هـ/ (٢) وكان رئيس هذه الفرقة يعيش في اليمن حتى العام ٩٤٦هـ - ١٥٣٩م. وكان البهرة يدفعون له ضريبة العشر والزكاة. إلى أن هاجر يوسف بن سليمان من اليمن إلى الهند سنة ٩٤٦هـ - ١٥٣٩م وسكن في سدهيور.

وبعد وفاة رئيسهم، صار داود بن عجب شاه رئيساً لهم.

وفي سنة ١٥٨٨م انتخب البهرة في گجرات داود بن قطب رئيساً لهم. ولكن البهرة في اليمن لم يبايعوه، وانتخبوا رجلاً يدعى سليمان لإمامتهم. فعرفوا باسم السليمانية<sup>(٣)</sup> وهكذا انقسمت البهرة إلى فرقتين: الداودية والسليمانية.

وتنقسم الداودية إلى قسمين هما: البهرة العلوية والبهرة الناكوشية<sup>(٤)</sup>.

في القرن الحادي عشر الهجري، أصاب إسماعيليّ سوريا خلل في شؤونهم الدينية والاجتماعية. وكان محمد الملقب بسويدان شيخاً عليهم. فلم يستطع إصلاح شؤونهم، فبعث الإمام المعصوم الحاج خضر مصلحاً ومرشداً وزوده بكتاب موجه إلى الإسماعيليين بلزوم طاعته. لكن سويدان وأتباعه رفضوا الانصياع له، وانشقوا عنه فسميت الفرقة التي تبعته السويدانية. أما بقية الإسماعيليين فتبعوا الحاج خضر فسموا الحجاوية نسبة إليه<sup>(٥)</sup>.

(١) المرجع السابق ص ٢٦٢.

(٢) المرجع السابق.

(٣) المرجع السابق ص ١٦٢.

(٤) المرجع السابق.

(٥) عبد الله بن المرتضى - الفلك الدوار في سماء الأئمة الأطهار ص ٢٤٤.

## البهرة

قليلة هي الدراسات التي ظهرت بالعربية عن الطائفة الإسماعيلية المسماة بالبهرة. وكل ما ذكر عنها، عبارة عن تلميحات في معرض الحديث عن فرق الاسماعيلية، لا تفقع غليلاً. ولا تكفي لتكوين فكرة كافية عن هذه الفرقة التي يعتبر تاريخها جزءاً من تاريخ اليمن والهند.

وعلى الرغم من أن البهرة هم أحفاد رجال الإسماعيلية المستعلية أو الطيبية، الذين هاجروا إلى الهند من مصر واليمن بصورة خاصة بعد القضاء على الدولة الفاطمية في مصر، الصليحية في اليمن. إلا أنهم اشتهروا باسم البهرة، نسبة إلى أعمال التجارة التي يتعاطاها أفراد هذه الطائفة. لأن كلمة بهرة تعني التاجر باللغة الكجراتية. والبهرة هم الفرع الثاني من الإسماعيلية بعد انشقاقها إلى فرعين: نزارية ومستعلية أو طيبية.

وتاريخ البهرة هو تاريخ الإشهاد الستة وهم: نزار بن معد (العزير بالله) والحسن بن نزار (الحاكم بأمر الله) وعلي ابن الحسين (الظاهر لإعزاز دين الله) ومعد بن علي (المستنصر بالله) وأحمد بن معد (المستعلي) والمنصور بن أحمد (الأمير بأحكام الله) الذي قتل سنة ٥٢٦هـ / ١١٣١م على يد جماعة من النزارية وكان قبل أن يلفظ أنفاسه الأخيرة دعا حججه وأبوابه والخلصاء من دعائه وأوليائه وأصحابه وجدد أمامهم النص علي ولده الإمام الطيب أبي القاسم وأخذ البيعة له..

وهكذا انقسم الإسماعيلية إلى قسمين: نزارية ومستعلية أو طيبية.

وكان الموطن الأساسي للمستعلية اليمن ومن أشهر ملوكهم الملكة الحرة

الصليحية . . وكان لهم في اليمن نفوذهم القوي ورجالانهم العظام .

ولما انقرضت الدولة الصليحية سنة ٥١١هـ / ١١١٧م تخلى رجال الإسماعيلية المستعلية عن كل نشاط سياسي لهم وانصرفوا إلى التجارة متخذين التقية لباساً لهم .

وقد هيأت التجارة بين اليمن والهند فرصة لنشر الدعوة الإسماعيلية الطيبية في الهند، ولا سيما في ولاية جوجرات جنوب بمباي، وأقبل جماعة من الهندوس على اعتناق هذه الدعوة وكثر عددهم وباعتبارهم كانوا من التجار، عرفت الدعوة في الهند باسم البهرة . وكان أول إمام لهم نشر دعوته في الهند عادة عبد الله اليمني . ثم جاء بعده شخص يدعى محمد علي سنة ٥٣٢هـ / ١١٣٧م وسرعان ما توفي في الهند ودفن في كامباي وقبره مشهور يزار .

وكان رئيس هذه الفرقة يعيش في اليمن حتى سنة ٩٤٦هـ / ١٥٥١م وكان البهرة يدفعون له ضريبة العشر والزكاة إلى أن هاجر يوسف بن سليمان إلى الهند في السنة نفسها، وأقام في سدهمپور . وبعد وفاة يوسف انتقلت الرئاسة إلى داود بن عجب شاه .

في عام ١٥٨٨ انتخب البهرة في كجرات داود بن قطب رئيساً لهم، ولكن بهرة اليمن لم يرضوا به وانتخبوا لرئاستهم شخصاً يدعى سليمان وهكذا انقسمت البهرة إلى قسمين :

داودية : أتباع داود بن عجب .

سليمانية : أتباع سليمان .

وبعد ذلك جاء سليمان إلى كجرات ومات في أحمد آباد ودفن هناك، ويعتبر قبره مزاراً لأتباع طائفته .

وتجدر الإشارة إلى أن البهرة الداودية تنقسم بدورها إلى قسمين هما : البهرة العلية والبهرة الناكوشية . وهذه الأخيرة متأثرة بالعقائد الهندوسية وهناك فرقة ثالثة تدعى البهرة الجعفرية نسبة إلى جعفر الشيرازي . ومما يسجل للبهرة

الداودية بالهند، أنهم أنشأوا لهم في مدينة سورات مدرسة لتدريس اللغة العربية والعقائد الإسماعيلية، وأطلقوا عليها اسم الجامعة السيفية<sup>(١)</sup>.

وقد اعتاد طاهر سيف الدين داعي البهرة الداودية أن يلقي بنفسه محاضرات على أتباعه في شهر رمضان من كل عام باللغة العربية.

وإلى جانب ذلك حافظ البهرة على تقاليدهم القديمة، كما حافظوا على التقاليد الإسماعيلية واستطاع دعائهم أن ينفذوا من الضياع عدداً كبيراً من مؤلفاتهم الدينية والأدبية التي صنفها دعاة الإسماعيلية في مصر واليمن وفارس.

ومما يمتاز به البهرة التعاطف الشديد بينهم مما جعلهم في حالة مالية يحسداهم عليها الكثيرون. فلا تجد بينهم فقيراً أو محتاجاً وهم يقدسون أعمالهم وداعتهم المطلق ويطيعونه طاعة عمياء.

يرتبط البهرة بمصر ارتباطاً روحياً لأنها تمثل القاعدة الفاطمية، وبها أضرحة الفاطميين وآثارهم. ونظراً لهذا المقام الروحي الذي تمثله مصر، جاء إلى القاهرة في السبعينيات والثمانينيات جماعات من البهرة واتجهوا فور وصولهم إليها للبحث عن مرافد وآثار الأئمة الفاطميين والعمل على بعثها وتجديدها. ومن أشهر الآثار الفاطمية التي قاموا بتجديدها مسجد الحاكم بأمر الله المسمى بالجامع الأنور الملاصق لسور القاهرة من الجهة الشمالية. وهم يقيمون، اليوم، حوله وعلى مقربة منه ويمارسون طقوس عبادتهم فيه.

وهم يعتقدون أن الحاكم بأمر الله حي وغائب لم يمت وهذا ما جعلهم يهتمون بمسجده<sup>(٢)</sup>.

(١) الدكتور محمد كامل حسين - طائفة الإسماعيلية، ص ٤٨.

(٢) مجلة الشباب - القاهرة - تحقيق عن البهرة بمصر - العدد ٢٤٨ مارس ١٩٩٨.



## عقائد الإسماعيلية

على الباحث، قبل الشروع في دراسة عقائد الإسماعيلية، أن يضع نصب عينيه، النقاط التالية:

أولاً: إن للإسماعيلية دعوة في كل زمان، ومقالة جديدة بكل لسان<sup>(١)</sup>. وهذا يعني أن الدعوة الإسماعيلية مرت بمراحل زمنية متعددة، كانت خلالها تتطور من زمن إلى زمن تبعاً للظروف والأحوال.

ثانياً: إن دراسة الإسماعيلية، مرتبطة أشد الارتباط بدراسة فلسفة وتاريخ كل إقليم على حدة. فالإسماعيلية في اليمن، بعباداتها وتقاليدها ونظمها الاجتماعية وتأثير البيئة والمجتمع على أفكار وعقائد معتنقيها غير الإسماعيلية في سوريا. وفي سوريا غيرها في إيران وهلم جراً... ومن هنا يمكن القول إن دراسة الإسماعيلية في اليمن تحتاج إلى دراسة الزيدية وأثرها في الإسماعيلية، وأثر الإسماعيلية فيها، كما أن دراسة الإسماعيلية في إيران تحتاج إلى دراسة الزرادشتية والمانوية وأثرها في الفلسفة الإسماعيلية في إيران وبالعكس، وفي سوريا تحتاج إلى دراسة الصوفية والخطابية العلوية، وفي الهند إلى دراسة البوذية وما يتفرع عنها...<sup>(٢)</sup>.

ثالثاً: بما أن الإسماعيلية هم الخطابية، أصحاب أبي الخطاب محمد ابن زينب الأسدي الأجدع، وأن أبا الخطاب من مؤسسي المذهب الإسماعيلي،

(١) الشهرستاني - الملل والنحل ص ٤٢١.

(٢) عارف تامر - مع كتاب منتخبات اسماعيلية مجلة معهد المخطوطات العربية مج ٦ ج ١ و ٢.



وأن الإسماعيلية كانوا قديماً، يسمون قرامطة، فلا بد، والحال هذه، من الرجوع إلى مقالة كل من الخطابية والقرامطة، ودراستها دراسة وافية للوقوف على التطورات التي لحقت بالعتيدة الإسماعيلية، عبر العصور، حتى وصلت إلى ما هي عليه اليوم.

رابعاً: إن أقوال المؤرخين، حول عتيدة الإسماعيلية، سارت صعوداً وهبوطاً، وفي منحنيات ومنعطفات كثيرة. وكلما تقدمنا في الزمن وجدنا هذه الأقوال تتبدل وتتغير من واحد إلى واحد، ومن عصر إلى عصر.

وهذه الملاحظة نفسها، سبق أن لفتت انتباهنا، ونحن نتحدث عن عقائد العلويين<sup>(١)</sup> مما يدل على أن لدى كتاب الفرق، والمؤرخين، مقولة واحدة تجاه جميع الفرق، التي اصطلح على تسميتها باطنية. وهذا ما يدعونا إلى غربلة هذه الأقوال وتمحيصها، ومناقشتها مناقشة واعية.

خامساً: لا بد عند البحث، في عتيدة الإسماعيلية، من التمييز بين كتابات المؤرخين القدماء، وكتابات المؤرخين المحدثين والمعاصرين، والموازنة بينها، وإظهار ما فيها من تقارب وتباعد.

ومن دون مراعاة هذه النقاط تكون كل دراسة عن عقائد الإسماعيلية ناقصة. وها نحن نبدأ بكتابات المؤرخين القدماء.

### (أ) عقائد الإسماعيلية عند المؤرخين القدماء

تحدث المؤرخون القدماء، عن عقائد الإسماعيلية، تحت عناوين مختلفة:

\* العنوان الأول: الخطابية.

\* العنوان الثاني: الباطنية + القرامطة.

\* العنوان الثالث: الإسماعيلية.

(١) راجع كتابنا العلويون بين الأسطورة والحقيقة.

## الخطابية:

سنقطع في حديثنا عن الخطابية، مدة زمنية مقدارها ٢٣٩ سنة، نصاحب خلالها أربعة من أهم كتاب الفرق، عاشوا في فترات زمنية متباعدة، هم علي التوالي: النوبختي (ت: ٢٢٨/هـ)، الأشعري (ت: ٣٣٠/هـ - ٩٤١/م)، البغدادي (ت: ٤٢٩/هـ - ١٠٣٧/م)، الشهرستاني (ت: ٤٦٧/هـ - ١٠٧٤/م)<sup>(١)</sup>.

تتلخص أقوال الخطابية، كما سجلها النوبختي، أن الإمام بعد جعفر بن محمد عليه السلام، ابنه إسماعيل. وأن محمد بن إسماعيل، من أولي العزم. وأولو العزم عندهم سبعة: نوح، وإبراهيم، وموسى، وعيسى، ومحمد عليه السلام وعلي عليه السلام ومحمد بن إسماعيل.

وأن الله تبارك وتعالى جعل لمحمد بن إسماعيل جنة آدم. ومعناها عندهم الإباحة للمحارم، وجميع ما خلق في الدنيا... وزعموا أن محمد بن إسماعيل هو خاتم النبيين، الذي حكاه الله عز وجل في كتابه. وأن الدنيا ١٢ جزيرة. في كل جزيرة حجة. وأن الحجج ١٢. ولكل حجة داعية، ولكل داعية، يد، أي رجل له دلائل وبراهين يقيمها ويسمون الحججة (الأب) والداعية (الأم) واليد (الابن).

وقالوا: إن جميع الأشياء المفروضة في القرآن والسنة لها ظاهر وباطن. وإن جميع ما استعبد الله به العباد في الظاهر من الكتاب والسنة، أمثال مضروبة وتحتها معان هي بطونها، وعليها العمل وفيها النجاة. وإن ما ظهر منها في استعماله الهلاك والشقاء، وهي جزء من العقاب الأدنى<sup>(٢)</sup>. وللأشعري، المناصر للنوبختي، كلام آخر، هو: يزعمون أن الأئمة أنبياء محدثون، ورسل الله وحججه على خلقه لا يزال منه رسولان: واحد ناطق، والآخر صامت.

(١) لم نذكر فخر الدين الرازي لأن أقواله عن الخطابية لا تخرج في مضمونها عما قاله هؤلاء الثلاثة.

(٢) النوبختي - فرق الشيعة ص ٦٨.

فالنطق محمد ﷺ ، والصامت علي بن أبي طالب ﷺ . يعلمون ما كان وما هو كائن، وطاعتهم مفترضة على جميع الخلق. وأن أبا الخطاب نبي. وأن أولئك الرسل فرضوا عليهم طاعة أبي الخطاب. وقالوا: الأئمة آلهة وولد الحسين أبناء الله وأحباؤه. ثم قالوا ذلك في أنفسهم، وتأولوا قول الله تعالى: ﴿فإذا سويته ونفخت فيه من روحي فقعوا له ساجدين﴾ قالوا: فهو آدم ونحن ولده. وعبدوا أبا الخطاب، وزعموا أنه إله. وأنه أعظم من علي ﷺ ، ومن جعفر بن محمد الذي هو إله أيضاً<sup>(١)</sup>.

إننا هنا أمام قولين مختلفين، لشخصين متعاصرين، يتحدثان عن موضوع واحد. يدعوننا سياق الحديث إلى التساؤل: أيهما الصحيح؟!

ومن نصدق منهما. النوبختي أم الأشعري؟!

وما هو سبب هذا الاختلاف في القولين؟!

وهل أقوال الخطائية مختلفة إلى هذا الحد، أم أن النوبختي والأشعري كتبا ما شاء لهما الهوى، وأرخصي كل منهما عنان قلمه فجمع هذا الجموح الغريب؟؟

ومع ذلك، فإننا إذا انتقلنا إلى البغدادي، الذي جاء بعد / ٢٠١ / سنة من النوبختي، و/ ٩٩ / سنة من الأشعري، وجدنا عنده، أقوالاً جديدة مفادها أن الخطابية حلولية يدعون حلول روح الإله في جعفر الصادق وبعده في أبي الخطاب<sup>(٢)</sup>. وأنهم يقولون: بتناسخ روح الإله في الأئمة ﷺ ، كما يقولون بقدوم العالم.

البغدادي في كلامه يناقض نفسه بنفسه فهو يقول: إن الخطابية ينكرون الرسل والشرائع كلها. ثم إذا به يقول: قالوا: إن النبي هو الناطق. وتأولوا أركان الشريعة. قولهم النبي هو الناطق، يعني أنهم يعترفون بالرسول. لأن النبي رسول.

(١) الأشعري - مقالات الإسلاميين واختلاف المصلين ج ١، ص ٧٥.

(٢) البغدادي - الفرق بين الفرق ص ٢٤٢.

وقوله إنهم تأولوا أركان الشريعة، يعني أنهم يعترفون بالشريعة لكنهم يؤولونها بما يتناسب وقواعد مذهبهم.

ومن جهة أخرى، قول البغدادي «ينكرون الرسل» يتناقض مع ما ذكره النوبختي «زعموا أن محمد بن إسماعيل هو خاتم النبيين» كما يتناقض، أيضاً، مع ما ذكره الأشعري «يزعمون أن الأئمة أنبياء محدثون، ورسَل الله وحججه على خلقه».

وقول البغدادي إنهم يدعون حلول روح الإله في جعفر الصادق وبعده في أبي الخطاب هو قول فخر الدين الرازي في [اعتقادات فرق المسلمين والمشركين] للشهرستاني، المعاصر للبغدادي، كلام عن الخطابية لا يخرج في مضمونه عما قاله الأشعري. قال عن أبي الخطاب: «زعم أن الأئمة أنبياء ثم آلهة. وقال: بإلهية جعفر بن محمد، وإلهية آبائه رضي الله عنهم، وهم أبناء الله وأحباؤه».

لكن الجديد، الذي أضافه الشهرستاني على الأقوال السابقة، هو «الإلهية نور في النبوة، والنبوة نور في الإمامة ولا يخلو العالم من هذه الآثار والأنوار... وزعم أن جعفرأ هو الإله في زمانه وليس هو المحسوس الذي يروونه ولكن لما نزل إلى هذا العالم لبس تلك الصورة فرآه الناس فيها»<sup>(١)</sup>.

وكما يلاحظ، أن عبارة «لا يخلو العالم من هذه الآثار والأنوار» غامضة أشد الغموض. لم يبين الشهرستاني المقصود منها. فهل المقصود، يا ترى، أن النبوة متصلة، وأن الأرض لا تخلو من إمام. أم لها معنى آخر؟!

ولدينا عن الخطابية قول خامس يخالف الأقوال السابقة كلها هو قول الملطي في «التنبيه والرد» مفاده أن الخطابية يزعمون أن أبا بكر وعمر العجبت والطاغوت، وكذلك الخمر والميسر... وقد فسروا في كتاب الله أشياء كثيرة بما يشبه هذا.

(١) الشهرستاني - الملل والنحل ج١، ص ١٧٩.

ولم يقتصر الأمر عند المؤرخين القدماء على الاختلاف في الأقوال حول الخطابية، وإنما تعدى ذلك إلى تقسيمها إلى فرق عديدة منها:

\* البريغية: أتباع بزيع بن موسى الحائك الكوفي<sup>(١)</sup>.

\* الغرابية: سمووا بهذا الاسم لقولهم إن محمداً ﷺ كان أشبه بعلي عليه السلام من الغراب بالغراب والذباب بالذباب<sup>(٢)</sup>.

\* الخمسة: سمووا خمسة لقولهم إن الله عز وجل هو محمد ﷺ ظهر في خمسة أشباح، وخمس صور مختلفة. ظهر في صورة محمد وعلي وفاطمة والحسن والحسين<sup>(٣)</sup>.

\* المفضلية: أتباع مفضل الصيرفي. كانوا يقولون بربوبية جعفر الصادق عليه السلام<sup>(٤)</sup>.

### القرامطة:

أطلق المؤرخون، وكتاب الفرق، على الإسماعيلية عدداً من الأسماء والألقاب منها... القرامطة.

وجاء حديثهم عن مذهب القرامطة، متناقضاً، لا ينطبق فيه قول مع آخر.

منهم من قال: إنهم خوارج زنادقة مارقة من الدين<sup>(٥)</sup> ولم يزد.

ومنهم من قال إنهم فرقة من الزنادقة والملاحدة أتباع الفلاسفة من الفرس الذين يعتقدون نبوة زرادشت وفردك، وكانا يبيحان الحرمات<sup>(٦)</sup>.

(١) الدكتور محمد جواد مشكور - موسوعة الفرق الإسلامية ص ١٥٤.

(٢) المرجع السابق ص ٣٩٧.

(٣) المرجع السابق ص ٤٥٨.

(٤) المرجع السابق ص ٤٨٢.

(٥) الذهبي - العبر في خبر من غبر، والياضي اليمني - مرآة الجنان وغيرهما، أخبار سنة ٢٧٨هـ.

(٦) ابن كثير - البداية والنهاية، أخبار سنة ٢٧٨هـ.

فريق ثالث بنى حديثه عن مذهبهم على كتاب شخص مجهول لا نعرف  
محلّه من الإعراب، يدعى الفرّج بن عثمان، جاء فيه :

### بسم الله الرحمن الرحيم

يقول الفرّج بن عثمان، وهو من قرية يقال لها نصرانة، داعية إلى  
المسيح، وهو عيسى، وهو الكلمة، وهو المهدي، وهو أحمد بن محمد ابن  
الحنفية، وهو جبريل. وذكر أن المسيح تصور له في جسم إنسان، وقال له :  
إنك الداعية، وإنك الحجة، وإنك الناقة، وإنك الدابة، وإنك روح القدس،  
وأنك يحيى بن زكريا، وعرفه أن الصلاة أربع ركعات. ركعتان قبل طلوع  
الشمس وركعتان قبل غروبها. وأن الأذان في كل صلاة أن يقول: الله أكبر، الله  
أكبر، الله أكبر، الله أكبر، أشهد أن لا إله إلا الله، مرتين. أشهد أن آدم رسول  
الله، أشهد أن نوحاً رسول الله، أشهد أن إبراهيم رسول الله، أشهد أن موسى  
رسول الله، أشهد أن عيسى رسول الله، وأشهد أن محمداً رسول الله، وأشهد أن  
أحمد بن محمد بن الحنفية رسول الله. وأن يقرأ في كل ركعة الاستفتاح وهي  
من المنزل على أحمد بن محمد بن الحنفية. والقبلة إلى بيت المقدس، والحج  
إلى بيت المقدس. ويوم الجمعة يوم الاثنين لا يعمل فيه شيء، والسورة الحمد  
لله بكلمة، وتعالى باسمه، المتخذ لأوليائه بأوليائه. قل إن الأهلة مواقيت  
للناس، ظاهرها ليعلم عدد السنين والحساب والشهور والأيام، وباطنها أوليائي  
الذين عرّفوا عبادي سيّلي. اتقوني يا أولي الألباب، وأنا الذي لا أسأل عما  
أفعل، وأنا العليم الحكيم. وأنا الذي أبلو عبادي، وأمتحن خلقي، فمن صبر  
على بلائي ومحتي واختباري ألقيته في جنتي، وأخلدته في نعمتي، ومن زال  
عن أمري، وكذب رسلي، أخلدته مهاناً في عذابي، وأتممت أجلي، وأظهرت  
أمري، على السنة رسلي، وأنا الذي لم يصل علي جبار إلا وضعته، ولا عزيز  
إلا أذلته، وليس الذي أصر على أمره وداوم على جهالته، وقالوا: لن نبرح  
عليه عاكفين، وبه مؤمنين، أولئك هم الكافرون. ثم يركع ويقول في ركوعه  
سبحان ربي رب العزة وتعالى عما يصف الظالمون! يقولها مرتين. فإذا سجد  
قال: الله أعلى، الله أعلى، الله أعظم، الله أعظم.

ومن شرائعه أن الصوم يومان في السنة، وهما المهرجان والنوروز. وأن النيذ حرام والخمر حلال، ولا غسل من جنابة إلا الوضوء كوضوء الصلاة. وأن من حاربه وجب قتله، ومن لم يحاربه ممن خالفه أخذت منه الجزية. ولا يؤكل كل ذي ناب، ولا كل ذي مخلب»<sup>(١)</sup>.

أول ما يستوقفنا في هذا الكلام، أن قائله يعتبر أحمد بن محمد ابن الحنفية رسول الله. والخطابية، كما رأينا، تقول بإمامة محمد بن إسماعيل. وليس في أقوالهم أي ذكر لأحمد بن محمد بن الحنفية. ومع ذلك، ولنفترض أن هذا الكلام صحيح مئة في المئة، فإننا إذا وضعناه إلى جانب كلام الخطابية، وقارنا ما بينهما، وجدنا كلا من القولين يسير في اتجاه مغاير للآخر. مما يبعث، في نفسنا، الشك بصحة القولين كليهما.

وتزداد حيرتنا، ويزداد شكنا أكثر عندما نقرأ، عن مذهب القرامطة، كلاماً مختلفاً جداً، حدثنا به ابن الجوزي، يدور، في مجمله، حول فكرتين رئيسيتين، الأولى: عصمة الأنبياء، والثانية: تأويل التكاليف الشرعية.

لنستمع إلى كلامه:

«... إن مذهبهم ظاهره الرفض، وباطنه الكفر ومفتتحة حصر مدارك العلوم في قول الإمام المعصوم. والمعصوم يطلع من جهة الله تعالى على جميع أسرار الشرائع. ولا بد في كل زمان من إمام معصوم يرجع إليه. وهم يقولون بالهين قديمين لا أول لوجودهما من حيث الزمان أحدهما علة لوجود الثاني. واسم العلة السابق واسم المعلول التالي. وإن السابق خلق العالم بواسطة التالي لا بنفسه. وقد يسمون الأول عقلاً والثاني نفساً. والأول تاماً والثاني ناقصاً. والأول لا يوصف بوجود ولا عدم ولا موصوف ولا غير موصوف... والنبي، برأيهم، عبارة عن شخص فاضت عليه من السابق بقوة التالي قوة قدسية صافية. وإن جبريل عبارة عن العقل الفائض عليه إلا أنه شخص. وإن القرآن هو تعبير محمد عن المعارف التي فاضت عليه من العقل فسمي كلام الله مجازاً لأنه

(١) تاريخ الطبري ج ١٠، ص ٢٥، وراجع أيضاً ابن الأثير - الكامل ج ٦، ص ٦٩ وغيره.



مركب من جهته، وهذه القوة الفائضة على النبي تترى كنفطة، واتفقوا على أنه لا بد في كل عصر من إمام معصوم قائم بالحق يرجع إليه في تأويل الظواهر وحل الإشكال في القرآن والأخبار، وأنه يساوي النبي في العصمة. ولا يتصور في زمان واحد إمامان بل يستظهر الإمام بالدعاة وهم الحجج. ولا بد للإمام من اثنتي عشرة حجة أربعة منهم لا يفارقونه. وكلهم أنكروا القيامة. وقالوا: هذا النظام وتعاقب الليل والنهار، وتولد الحيوانات لا ينقضي أبداً. وأولوا القيامة بأنها رمز إلى خروج الإمام ولم يثبتوا الحشر ولا النسر. ولا الجنة ولا النار. ومعنى المعاد عندهم عود كل شيء إلى أصله..

.... وأكثر مذاهبهم يوافق الثنوية والفلاسفة من الباطن والروافض في الظاهر.... ثم إنهم يعتقدون استباحة المحظورات ورفع الحجر....

وقالوا: كل ما ذكر من التكاليف فرموز إلى باطن. فمعنى الجنابة مبادرة المستحب بإفشاء سر إليه. قبل أن ينال رتبة الاستحقاق لذلك، ومعنى الغسل تجديد العهد على من فعل ذلك، والزنا إلقاء نطفة العلم الباطن إلى نفس من لم يسبق معه عقد العهد. والاختلاف أن يسبق الإنسان إلى إفشاء السر في غير محله. والصيام الإمساك عن كشف السر، والحرمان عبارة عن ذوي السر، والبعث عندهم الاهتداء إلى مذهبهم.

ويقولون: ﴿لِلذِّكْرِ مِثْلُ حَظِّ الْأُنثَىٰ﴾ الذكر الإمام والحجة الأئمة.

وقالوا: ﴿يَوْمَ يَأْتِي تَأْوِيلَهُ﴾ أي يظهر محمد بن إسماعيل.

وفي قوله: ﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةُ﴾ قالوا: الميتة الحامل على الظاهر الذي لا يلتفت إلى التأويل. وقالوا: إن النساء والبقر هم الذين حضروا محاربة الأنبياء والأئمة. يترددون في هذه الصور ويجب على الذابح أن يقول عند الذبح: «اللهم إني أبرأ إليك من روحه وبدنه وأشهد له بالضلالة اللهم لا تجعلني من المذبوحين»<sup>(١)</sup>.

والقول بعصمة الإمام هو قول الشيعة عموماً.

(١) ابن الجوزي - المتظم في تاريخ الملوك والأمم ق٢، ج٥، ص ١١٥.

فإنهم يرون وجوب العصمة في الإمام. لأنه إذا كان غير معصوم، لا يطمئن إليه في تبليغ الأحكام، مضافاً إلى إمكانية اتخاذه سلوكاً مخالفاً للعدالة في إمامة المسلمين وزعامتهم.

ويعتبرون الأئمة ملهمين من قبل الله كالنبي ﷺ .

ويقولون إن للإمام رئاسة عامة، ومنزلة فوق منزلة البشر .

وبما أن الإمام معصوم، فيجب على الله أن يظهره للناس، ولهذا قالوا: إنه لا بد في كل زمان من إمام معصوم .

وما دمننا بصدد الحديث عن القرامطة، فلا يغيب عن البال ما كتبه، محمد ابن مالك بن أبي الفضائل الحمادي اليماني، عن مذهبهم، وكان زعم أنه دخل في المذهب ليقف على حقيقتهم وحقيقة معتقدهم .

يفهم من كلامه أن الزكاة مفروضة في كل عام مرة وكذلك الصلاة من صلاها مرة في السنة فقد أقام الصلاة والصلاة والزكاة لهما باطن لأن الصلاة صلاتان والزكاة زكاتان والصوم صومان والحج حجان وما خلق الله سبحانه من ظاهر إلا وله باطن يدل على ذلك . فالظاهر من تساوى به الناس وعرفه الخاص والعام . وأما الباطن فقصر علم الناس به عن العلم به فلا يعرفه إلا القليل .

والصلاة والزكاة سبعة أحرف دليل على محمد وعلي صلى الله عليهما لأنهما سبعة أحرف فالمعني بالصلاة والزكاة ولاية محمد وعلي فمن تولاهما فقد أقام الصلاة وآتى الزكاة .

والخمر والميسر اللذان نهى الله تعالى عنهما أبو بكر وعمر لمخالفتهما علي وأخذهما الخلافة دونه فأما ما يعمل من العنب والزبيب والحنطة وغير ذلك فليس بحرام لأنه مما أنبتت الأرض .

والصوم الكتمان، كتمان الأئمة في وقت استتارهم خوفاً من الظالمين .

والطهارة طهارة القلب وأن المؤمن طاهر بذاته والكافر نجس لا يطهره الماء ولا غيره . وأن الجنابة هي موالة الأضداد . أضداد الأنبياء والأئمة .

ويفسرون الآية ﴿وإن كنتم جنبا فاطهروا﴾<sup>(١)</sup> معناه إن كنتم جهلة بالعلم الباطن فتعلموا واعرفوا العلم الذي هو حياة الأرواح .

والزينة في الآية ﴿قل من حرم زينة الله التي أخرج لعباده والطيبات من الرزق﴾ هي ما خفي على الناس من أسرار النساء التي لا يطلع عليها إلا المخصوصون بذلك .

ومن لم ينل الجنة في الدنيا لم ينلها في الآخرة لأن الجنة مخصوص بها ذوو الأبواب وأهل العقول دون الجهال لأن المستحسن من الأشياء ما خفي . ولذلك سميت الجنة جنة لأنها مشجنة . وسميت الجن جنأ لاختفائهم عن الناس .

هذه هي الدرجات التي يعلمها الداعي من يدخل في الدعوة . ومتى عرفها سقطت عنه الفرائض من صلاة وصوم وحج وزكاة . . .<sup>(١)</sup> .

بهذا الكلام، صار لدينا، عن مذهب القرامطة، ثلاثة أقوال لا وجه للشبه بينها، وتناقضها مع بعضها البعض يجعلنا نشك في صدقها .

وعن مذهب القرامطة نقل لنا المعري ما سمعه عنهم وهو: «حكى لي أن للقرامطة بالأحساء بيتاً يزعمون أن إمامهم يخرج منه، وقيمون على باب ذلك البيت فرساً بسرج ولجام، ويقولون للهمج والطغام: «هذا الفرس لركاب المهدي، يركبه متى ظهر» .

ومن أعجب ما سمعت أن بعض رؤساء القرامطة في الدهر القديم، لما حضرته المنية، جمع أصحابه، وجعل يقول لهم لما أحس بالموت «إني قد عزمت على النقلة، وقد كنت بعثت موسى وعيسى ومحمداً، ولا بد لي أن أبعث غير هؤلاء . . .»<sup>(٢)</sup> .

تذكرنا حكاية انتظار القرامطة للمهدي، بحكاية مماثلة رواها ياقوت

(١) محمد بن مالك الحمادي اليماني - كشف أسرار الباطنية وأخبار القرامطة ص ١١ .

(٢) المعري - رسالة الغفران ص ٤٣٤ .

الحموي عن أهل قاشان وهي «قرأت في كتاب ألفه أبو العباس أحمد بن علي ابن بابيه القاشي في فرق الشيعة، إلى أن انتهى إل ذكر المنتظر فقال: ومن عجائب ما يذكر ما شاهدته في بلادنا قوم من العلوية من أصحاب التنايات يعتقدون هذا المذهب فينتظرون صباح كل يوم طلوع القائم عليهم»<sup>(١)</sup>.

وتجدر الإشارة إلى أن المؤرخين وقفوا، من القرامطة، نفس الموقف الذي وقفوه من الخطابية وهو تقسيمها إلى فرق هي:

\* البقلية: ظهوروا سنة ٢٩٥هـ/ وزعيمهم يدعى أبو حاتم الذي حرم على أتباعه أكل القرع واللفت، وأمرهم بالاكْتفاء بأكل الخضروات، ومنعهم من ذبح الحيوانات وأكل لحومها<sup>(٢)</sup>.

\* العقدانية: سموا عقدية لأن الحل والعقد في أمورهم بأيديهم. وهؤلاء كانوا من عرب البادية<sup>(٣)</sup>.

\* الأبو سعيدية: أتباع الحسن بن بهرام الجنابي، المكنى بأبي سعيد<sup>(٤)</sup>.

## الباطنية

بعض المؤرخين، تحدثوا عن الإسماعيلية، تحت عنوان الباطنية. على اعتبار أن من ألقاب الإسماعيلية المشهورة، الباطنية.

ولدينا بهذا الخصوص، ثلاثة أقوال لثلاثة أشخاص متعاصرين: البغدادي (ت: ٤٢٩هـ - ١٠٣٧م)، الشهرستاني (ت: ٤٦٧هـ - ١٠٧٤م)، الإسفرايني (ت: ٤٧١هـ - ١٠٧٨م).

عن الباطنية، قال البغدادي: إنهم دهرية زنادقة، يقولون بقدم العالم وينكرون الرسل والشرائع كلها لميلها إلى استباحة كل ما يميل إليه الطبع.

(١) ياقوت الحموي - معجم البلدان/ مادة قاشان.

(٢) الدكتور محمد جواد مشكور - موسوعة الفرق الإسلامية ص ١٥٨.

(٣) المرجع السابق ص ٣٨٩.

(٤) المرجع السابق ص ٧١.

وأنهم يرفضون المعجزات. وينكرون نزول الملائكة من السماء بالوحي والأمر والنهي. بل ينكرون أن في السماء ملكاً، وإنما يتأولون الملائكة على دعواتهم إلى بدعتهم ويتأولون الشياطين والأبالسة على مخالفيتهم.

ويزعمون أن الأنبياء «قوم أحبوا الزعامة فساسوا العامة بالنواميس والحيل طلباً للزعامة بدعوى النبوة والإمامة».

وكل واحد منهم صاحب دور مسبق إذا انقضى دوره سبعة تبعهم في دور آخر. وإذا ذكروا النبي والوصي قالوا إن النبي هو الناطق والوصي أساسه الفاتق. وإلى الفاتق تأويل نطق الناطق.

ثم تأولوا لكل ركن من أركان الشريعة تأويلاً فزعموا أن معنى الصلاة موالاة إمامهم. والحج زيارته وإدمان خدمته. والمراد بالصوم الإمساك عن إفشاء سر الإمام، والزنا إفشاء سرهم بغير عهد وميثاق.

وزعموا أن من عرف معنى العبادة سقط عنه فرضها، وتأولوا ذلك بقوله ﴿واعبد ربك حتى يأتيك اليقين﴾ وحملوا اليقين على معرفة التأويل<sup>(١)</sup>.

الشهرستاني، في حديثه عن الباطنية، فرّق بين الباطنية القديمة، وأصحاب الدعوة الجديدة - دعوة الحسن بن الصباح -.

عن الباطنية القديمة، قال: «خلطوا كلامهم ببعض كلام الفلاسفة، وصنفوا كتبهم على هذا المنهاج» لكنه لم يذكر لنا اسم أي كتاب من كتبهم. مخالفاً بذلك الشرط الذي أخذه على نفسه «وشرطي على نفسي أن أورد مذهب كل فرقة على ما وجدته في كتبهم» أما في حديثه عن الدعوة الجديدة، فقد ذكر الفصول الأربعة التي ابتدأ بها الحسن بن الصباح دعوته وتجاهل مؤلفات الإسماعيليين الذين ظهروا قبل الحسن بن الصباح بعشرات السنين، كأبي يعقوب السجستاني المتوفى سنة ٣٣١/هـ - ٩٤٢/م وأبي حاتم الرازي المتوفى بنفس الفترة تقريباً. كما تجاهل مؤلفات الإسماعيليين المعاصرين له ومنهم شيخ فلاسفة الإسماعيليين أحمد حميد الدين الكرمانى المتوفى بحوالي عام

(١) البغدادي - الفرق بين الفرق ص ٢٦٩.

٤١١/هـ - ١٠٢٠م وله ما يقرب من ٣٢ كتاباً، وداعي الدعاة المؤيد في الدين هبة الله الشيرازي المتوفى عام ٤٧٠/هـ - ١٠٧٧م... وهذه أمور تستلفت النظر، وتشير علامات استفهام كثيرة.

ذكر الشهرستاني عن الباطنية القديمة: «... قالوا في الباري تعالى: إنا لا نقول هو موجود، ولا لا موجود، ولا عالم ولا جاهل، ولا قادر ولا عاجز»، وكذلك في جميع الصفات، فإن الإثبات الحقيقي يقضي شركة بينه وبين سائر الموجودات في الجهة التي أطلقنا عليها، وذلك تشبيهه، فلم يكن الحكم بالإثبات المطلق والنفي المطلق، بل هو إله المتقابلين، وخالق المتخاصمين والحاكم بين المتضادين..

فقل فيهم أنهم نفاة الصفات حقيقة، معطلة الذات من جميع الصفات. قالوا: وكذلك نقول في القدم. إنه ليس بقديم ولا محدث، بل القديم أمره، وكلمته، والمحدث، خلقه وفطرته.

أبدع بالأمر العقل الأول الذي هو تام بالفعل، ثم بتوسطه أبدع النفس التالي الذي هو غير تام. قالوا: ولما اشتاقت النفس إلى كمال العقل احتاجت إلى حركة من النقص إلى الكمال، واحتاجت الحركة إلى آلة الحركة، فحدثت الأفلاك السماوية، وتحركت حركة استقامة بتدبير النفس أيضاً فتركبت المركبات من المعادن، والنبات، والحيوان، والإنسان واتصلت النفوس الجزئية بالأبدان، وكان نوع الإنسان متميزاً عن سائر الموجودات بالاستعداد الخاص لفيض تلك الأنوار، وكان عالمه في مقابلة العالم كله.

وفي العالم العلوي عقل، ونفس كلي. فوجب أن يكون في هذا العالم عقل مشخص هو كل.. ويسمونه الناطق، وهو النبي، ونفس مشخصة، وهي كل أيضاً، ويسمونه الأساس، وهو الوصي.

وقالوا: تحركت النفوس والأشخاص بالشرائع بتحريك النبي والوحي في كل زمان دائراً على سبعة سبعة حتى ينتهي إلى الدور الأخير، ويدخل زمان القيامة، وترتفع التكليف، وتضمحل السنن والشرائع.

وإنما هذه الحركات الفلكية والسنن الشرعية تبلغ النفس إلى حال كمالها، وكمالها بلوغها إلى درجة العقل واتحاده بها ووصولها إلى مرتبته فعلاً، وذلك هو القيامة الكبرى فتتحل تراكيب الأفلاك والعناصر والمركبات، وتنشق السماء وتتأثر الكواكب، وتبدل الأرض غير الأرض وتطوى السماء كطي السجل للكتاب المرقوم، وفيه يحاسب الخلق ويتميز الخير عن الشر، والمطيع عن العاصي، وتتصل جزئيات الحق بالنفس الكلي وجزئيات الباطل بالشیطان المضل المبطل. فمن وقت الحركة إلى وقت السكون هو المبدأ ومن وقت السكون إلى ما لا نهاية هو الكمال.

ثم قالوا: ما من فريضة وسنة وحكم من الأحكام الشرعية إلا وله وزان من العالم. عدد في مقابل عدد. وحكم في مطابقة حكم، فإن الشرائع عوالم روحانية أمرية. والعالم شرائع جسمانية خلقية وكذلك التركيبات في الحروف والكلمات على وزان التركيبات في الصور والأجسام والحروف المفردة نسبتها إلى المركبات من الكلمات كالبسائط المجردة إلى المركبات من الأجسام. ولكل حرف وزان في العالم، وطبيعته يخصها وتأثير من حيث تلك الخاصية في النفوس فعن هذا صارت العلوم المستفادة من الكلمات التعليمية غذاء للنفوس، كما صارت الأغذية المستفادة من الطبائع الخلقية غذاء للأبدان. وقد قدر الله تعالى أن يكون غذاء كل موجود مما خلق منه. فعلى هذا الوزان صاروا إلى ذكر أعداد الكلمات والآيات، وأن التسمية مركبة من سبعة واثنتي عشرة وأن التهليل مركب من أربع كلمات في إحدى الشهادات وثلاث كلمات في الشهادة الثانية وسبع قطع في الأولى وست في الثانية، واثني عشر حرفاً في الأولى، واثني عشر حرفاً في الثانية. وكذلك في كل آية أمكنهم استخراج ذلك مما لا يعمل العاقل فكرته فيه إلا ويعجز عن ذلك خوفاً من مقابلته بضده. وهذه المقابلات كانت طريقة أسلافهم، قد صنفوا فيها كتباً، ودعوا الناس إلى إمام في كل زمان يعرف موازنات هذه العلوم، ويهتدي إلى مدارج هذه الأوضاع والرسوم<sup>(١)</sup>. وإذا كان كلام الشهرستاني يبتعد كثيراً عن كلام البغدادي، فإن كلام الأسفرايني

(١) الشهرستاني - الملل والنحل ج ١، ص ١٩١.

عن مذهب الباطنية، يشبه في بعض فقراته كلام البغدادي.

ونص ما ذكره الأسفرايني هو: ... قالوا: إن الله تعالى خلق النفس. وكان الله هو الأول، والنفس هو الثاني. وربما قالوا: العقل هو الأول، والنفس هو الثاني. وزعموا أن هذين يديران العالم بتدبير الكواكب السبعة والطبائع الأربعة... وأباحوا لأتباعهم اللذات والشهوات ونكاح البنات والأخوات، وأسقطوا عنهم فرائض العبادات، وتأولوا أركان الشريعة. فقالوا: معنى الفرائض موالاة زعمائهم وأئمتهم. ومعنى المحرمات تحريم موالاة أبي بكر وعمر وكل من خالف مذهب الباطنية.

وكانوا يؤولون الملائكة على دعواتهم وقالوا: إن الشياطين هم الذين لا يكونون على مذهبهم.

وسموا موافقيهم المؤمنين، ومخالفهم الحمير والظاهرة. وكانوا يقولون: إن المراد بإثبات الذات يرجع إلى نفسك. ويؤولون عليه قوله تعالى: ﴿فليعبدوا رب هذا البيت﴾ ويقولون الرب هو الروح، والبيت هو البدن، يمهدون بكلامهم هذا أن لا إله ولا نبي سوى هذا البدن الذي لا تكليف عليه<sup>(١)</sup>.

كلام الأسفرايني متناقض مع بعضه البعض.

ونرى هذا التناقض جلياً واضحاً في العبارتين التاليتين: «الرب هو الروح، والبيت هو البدن، يمهدون بكلامهم هذا أن لا إله ولا نبي سوى هذا البدن» و«قالوا: إن الله تعالى خلق النفس وكان الله هو الأول...»  
..... فكيف ينسجم القول: لا إله ولا نبي سوى هذا البدن مع القول: إن الله تعالى هو الأول؟!

## الإسماعيلية

ما كتب عن عقائد الإسماعيلية تحت عنوان «الإسماعيلية» لا يخرج في

(١) الأسفرايني - التبصير في الدين وتمييز الفرقة الناجية عن الفرق الهالكين ص ٨٣.



مضمونه، عما قرأناه عن الخطابية والباطنية والقرامطة، مع إضافة نقاط جديدة.

ولكي لا يتشعب الحديث، ويطول، نكتفي بما كتبه نشوان الحميري (ت: ٥٧٣هـ - ١١٧٧م) والقلقشندي (ت: ٧٦٦هـ - ١٣٦٤م)، مع ملاحظة الفارق الزمني بين الاثنين. قال نشوان الحميري: «... وقالت الإسماعيلية عن الجعفرية: أن الله لا شيء، ولا لا شيء، لأن من قال: إنه شيء فقد شبهه، ومن قال إنه لا شيء فقد نفاه، فقالوا فيه بالنفي والإثبات جميعاً»<sup>(١)</sup>.

وهذا الكلام، يشبه قول الباطنية القديمة الذي حدثنا به الشهرستاني «إننا لا نقول هو موجود، ولا لا موجود... فلم يكن الحكم بالإثبات المطلق والنفي المطلق، بل هو إله المتقابلين وخالق المتخاصمين والحاكم بين المتضادين»<sup>(٢)</sup>.

القلقشندي قد أخذ أقواله، عن مذهب الإسماعيلية، من ثلاثة مصادر هي:

(١) = التعريف بالمصطلح الشريف.

(٢) = مسالك الأبصار.

(٣) = الصبر.

والأفكار الرئيسية، التي يدور حولها كلامه هي:

- الإسماعيلية طائفة كافرة يعتقدون بالتناسخ والحلول...

- يرون أن الأرواح مسجونة في هذه الأجسام المكلفة بطاعة الإمام المطهر. فإذا انتقلت على الطاعة تخلصت وانتقلت للأنوار العلوية، وإن انتقلت على العصيان هوت في الظلمات السفلية.

- منهم من يدعي ألوهية الإمام بنوع الحلول. ومنهم من يدعي رجعة من مات من الأئمة بنوع من التناسخ والرجعة.

(١) نشوان الحميري - الحور العين ص ٢٠.

(٢) الشهرستاني - الملل والنحل ج ١، ص ١٩١.

- من معتقدهم أن من مات ولم يعرف إمام زمانه، أو لم يكن في عنقه بيعة إمام، مات ميتة جاهلية.

- يرون أن العلم لا يكون إلا بالتعليم من الأئمة خاصة.

- للأئمة أدوار. في كل دور منها سبعة أئمة ظاهرين أو مستورين. فإن كان أهل الدور ظاهرين يسمى الدور دور الكشف، وإن كانوا مستورين يسمى دور الستر.

- يقولون بوجوب موالاته أهل البيت وتبرؤون ممن خالفهم، وينسبونهم إلى الأخذ بالباطل، والوقوع في الضلال.

- من أكبر الكبائر عندهم رمي الأئمة من آل البيت عليهم السلام بكبيرة، أو موالاته أعدائهم، أو معاداة ولي... (١)

وكما قسم المؤرخون، وكتاب الفرق، الخطابية والقرامطة إلى فرق عديدة، قسموا الإسماعيلية إلى فرق منها:

\* الخلطية (٢).

\* الخنفرية: أصحاب علي بن فضل الخنفرى، الداعية الإسماعيلية في اليمن (٣).

\* البرقية: أتباع محمد بن علي البرقي، الذي خرج في الأهواز سنة ٢٥٥ هـ (٤).

\* السنانية: أتباع سنان راشد الدين (٥).

\* الصباحية: أتباع الحسن بن الصباح (٦).

(١) القلقشندي - صبح الأعشى ج ٣، ص ٢٣٥.

(٢) الدكتور محمد جواد مشكور - موسوعة الفرق الإسلامية ص ٢٣٦.

(٣) المرجع السابق ص ٢٣٨.

(٤) المرجع السابق ص ١٥٤.

(٥) المرجع السابق ص ٢٨٩.

(٦) المرجع السابق ص ٣٤٩.

\* المباركية: أتباع رجل يدعى مبارك كان مولى لإسماعيل ابن الإمام الصادق<sup>(١)</sup>.

\* الناصرية: أتباع حميد الدين ناصر خسرو القبادياني، داعية المذهب الإسماعيلي في خراسان<sup>(٢)</sup>.

هذه هي مجمل أقوال المؤرخين القدماء، عن الإسماعيلية، والمآخذ عليها كثيرة نختصرها بما يلي:

أولاً: الزعم بأن الإسماعيلية هم الخطابية، أصحاب أبي الخطاب محمد بن زينب الأسدي، وأن أبا الخطاب من مؤسسي المذهب الإسماعيلي، وهذا غير صحيح.

ورجالات الإسماعيلية يلعنون، في كتبهم، هذا الشخص.

لنقرأ ما كتبه الداعي إدريس عماد الدين القرشي عن أبي الخطاب: «وكان من الغلاة اللعناء في زمان الإمام الصادق عليه السلام . . . الخطاب محمد بن أبي زينب الأجدع الأسدي في عصر الإمام أبي عبدالله الصادق عليه السلام من أجل دعائه، فاستغواه الشيطان وأضله عن سبيل الإيمان وأصابه ما أصاب المغيرة ابن سعيد لعنهما الله، فكفر وادعى النبوة، وزعم أن الصادق جعفر بن محمد عليه السلام إله تعالى الله عز وجل عن قوله وبهتان، واستحل المحارم كلها ورخص فيها . . .»<sup>(٣)</sup>.

وتابع الداعي إدريس قوله: «فبلغ أمره الإمام جعفر بن محمد عليه السلام فلم يقدر عليه بأكثر أن لعنه وتبرأ منه، وجمع أصحابه فعرفهم ذلك، وكتب إلى شيعته في البلدان بالبراءة منه، واللعنة عليه . . .»<sup>(٤)</sup>.

(١) المرجع السابق ص ٤٤٣ .

(٢) المرجع السابق ص ٤٩٥ .

(٣) ادريس عماد الدين القرشي - عيون الأخبار وفنون الآثار ص ٢٨٧ .

(٤) المرجع السابق .

ثانياً: اتهام الإسماعيلية بالقول بالحلول والتناسخ وإباحة الحرمات وقدم العالم و... و... و... ليس جديداً علينا.

وقد طالت هذه الاتهامات فرقاً كثيرة غير الإسماعيلية كالنصيرية<sup>(١)</sup>، وغيرها...

وكنا فصلنا هذه النقطة تفصيلاً وافياً في كتابنا [العلويون بين الأسطورة والحقيقة]<sup>(٢)</sup>.

فلا موجب لإعادة الكلام، هنا.

ثالثاً: وجد في زمن المؤرخين القدماء، عدد كبير من علماء الإسماعيلية ومفكرهم، خلفوا لنا كمأ ضخماً من المؤلفات. من هؤلاء على سبيل المثال، لا الحصر..

\* عبدان وهو من أكثرهم كتباً وتصنيفاً<sup>(٣)</sup> من كتبه: كتاب الرحا والدولاب - كتاب الحدود والإسناد - كتاب اللامع - كتاب الزاهر - كتاب الميدان - كتاب النيران - كتاب الملاحم - كتاب المقصد.

\* عبدالله بن أحمد النسفي البردغي (ت: ٣٣١ هـ - ٩٤٢ م) وله من الكتب: كتاب عنوان الدين - كتاب أحوال الشرع<sup>(٤)</sup>.

\* أبو يعقوب السجستاني المتوفى بحدود سنة ٣٣١ هـ - ٩٤٢ م وله من المؤلفات: أساس الدعوة - كشف المحجوب - تأويل الشريعة - أسس البقاء - الافتخار - إثبات النبوة - تحفة المستجيبين - الينابيع - سلم النجاة - المحصول - المقاليد في منال الأمر - مسليات الأحزان - الوعظ - خزانة الأدلة - الكتاب القريب في منال الكثير - تألف الأحزان.

\* أبو حاتم الرازي المتوفى بحدود ٣٣١ هـ - ٩٤٢ م وقيل سنة

(١) هاشم عثمان - العلويون بين الاسطورة والحقيقة.

(٢) صدر الكتاب عن مؤسسة الأعلمي للطباعة والنشر - بيروت.

(٣) ابن النديم - الفهرست ص ٢٦٤.

(٤) المرجع السابق.

٣٢٤/هـ - ٩٣٥/م وله من الكتب: كتاب الزينة - أعلام النبوة - الإصلاح - الجامع .

\* القاضي النعمان المتوفى سنة ٣٦٣/هـ - ٩٧٣/م وله ما يزيد على ٤٧ مؤلفاً منها: كتاب التوحيد والإمامة - منهاج الفرائض - دعائم الإسلام - تأويل الشريعة - إثبات الحقائق في معرفة توحيد الخالق - حدود المعرفة في تفسير القرآن والتنبيه والتأويل - نهج السبيل في معرفة علم التأويل - كيفية الصلاة على النبي .

\* ابن كلثوم المتوفى سنة ٣٨٠/هـ - ٩٩٠/م ومن مؤلفاته: كتاب الفقه - الرسالة الوزيرية - كتاب في آداب الرسول - كتاب القراءات - كتاب علم الأبدان وصلاحتها .

\* الكرمانى المتوفى سنة ٤١٢/هـ - ١٠٢١/م وله ما يصل إلى ٣٣ كتاباً منها: كتاب المعاد - كتاب تنبيه الهادي والمستهدي - التوحيد في المعاد - رسالة المقادير والحقائق - الوديعة - فصل الخطاب وإبانة الحق المتجلي عن الارتباب - كتاب الإصابة في تفضيل علي على الصحابة - راحة العقل... وغيرها .

\* المؤيد في الدين هبة الله الشيرازي المتوفى سنة ٤٧٠/هـ - ١٠٧٧/م من مؤلفاته: المجالس المؤيدية - شرح المعاد - الإيضاح والتبصير في فضل يوم الغدير - الابتداء والانتها - تأويل الأرواح - نهج العبادة وغيرها... .

\* الداعي ابراهيم الحامدي المتوفى سنة ٥٥٧/هـ - ١١٦١/م ومن مؤلفاته: كنز الولد .

\* الداعي محمد بن طاهر بن ابراهيم الحارثي المتوفى سنة ٥٨٤/هـ - ١١٨٨/م ومن مؤلفاته: كتاب الأنوار اللطيفة .

\* بنو حماد أصحاب الدعوة بالجزيرة وما والاها، وصنفوا كتباً كثيرة منها: كتاب الحق النير - كتاب الحق المبين - كتاب بسم الله الرحمن

الرحيم<sup>(١)</sup> وغيرهم . . . . وغيرهم . . .

لم نجد من المؤرخين من اهتم بهذه المؤلفات وعرض ما فيها من أقوال وأفكار وناقشها. وبدلاً من ذلك وجدناهم يستخدمون في كتاباتهم، عبارات مضللة مثل «قالوا» و«زعموا» و«يزعمون» و«في كتبهم» . . من دون أن نعرف شخص القائل، أو اسم كتاب من «كتبهم» حتى نتأكد من صحة هذه الأقوال. وهذا الأسلوب نفسه واجهنا في كتابات المؤرخين القدماء عن النصرية.

رابعاً: قسم المؤرخون القدماء الإسماعيلية، بأسمائها وألقابها المختلفة، إلى فرق كثيرة منها: البزيعية والغرابية والمخمسة والمفضلية والبقلية والعقدانية والأبوسعيدية والسبعية والخلطية والخنفرية والبرقعية والسنانية والصباحية والمباركية والناصرية . . . . و . . .

تختلف أقوال كل فرقة منها عن الأخرى.

والسؤال الذي يطرح نفسه علينا هو: أية فرقة من هذه الفرق صاحبة الأقوال التي عرضها لنا المؤرخون؟! لأنه من غير الجائز التعميم في معرض التخصيص. بأن نقول هذه الأقوال هي للإسماعيلية، والإسماعيلية، فرق متعددة لكل فرقة مقولتها الخاصة.

خامساً: وضعنا المؤرخون القدماء، في أقوالهم المشار إليها، وجهاً لوجه أمام عبارات غامضة تحتاج إلى توضيح. منها قول الشهرستاني «الإلهية نور في النبوة والنبوة نور في الإمامة. ولا يخلو العالم من هذه الآثار والأنوار» ولم نعلم ما هو المقصود من عبارة «ولا يخلو العالم من هذه الآثار والأنوار».

وقوله أيضاً: «إن الأئمة تدور أحكامهم على سبعة سبعة كأيام الأسبوع والسماوات السبع والكواكب السبع» من دون أن نعرف ما هي هذه الأحكام.

ومنها قول البغدادي عن الأنبياء «كل واحد منهم صاحب دور مسبع إذا انقضى دوره سبعة تبعهم في دور آخر . . .».

(١) ابن النديم - الفهرست ص ٢٦٤.

فما هو هذا الدور المسبب؟؟ وما هي مدته؟؟

سادساً: في أقوال هؤلاء المؤرخين تناقضات كثيرة، تثير في الذهن أكثر من علامة استفهام، منها على سبيل المثال:

\* قال البغدادي: إنهم ينكرون الرسل... .

في حين قال الأشعري: إن الأئمة أنبياء محدثون ورسول الله وحججه على خلقه. وذكر شيخ الربوة على لسان الإسماعيلية، أن الرسل أولي العزم سبعة سابعهم خاتمهم.

\* ومن ذلك أيضاً:

يقول الأسفرايني: إنهم أسقطوا فرائض العبادات.

في حين ذكر الطبري، أن الصلاة أربع ركعات... . والحج إلى بيت المقدس والصوم يومان في السنة.

\* ومن ذلك أيضاً:

قال الاسفرايني: أنهم تأولوا أركان الشريعة. ومثل ذلك قال البغدادي.

بينما ذكر، شيخ الربوة، أن لهم تأويلات واستنباطات من الحروف المقطعة في أوائل سور من القرآن ومن آيات منه وقلب معانيها وتأويلها إلى أشخاص وأشياء يرونها.

\* ومن ذلك أيضاً:

ما قاله البغدادي عن تأويل الزنا. إفشاء سرهم بغير عهد وميثاق. بينما قال ابن الجوزي: إن الزنا إلقاء نطفة العلم الباطن إلى من لم يسبق معه عقد العهد.

\* ومن ذلك أيضاً:

قال الشهرستاني: إن الأئمة.. آلهة. وقالوا بالهية جعفر بن محمد.

وقال الأشعري: الأئمة آلهة.

أما ابن الجوزي فقال: يقولون بإلهين قديمين.. العلة (السابق) المعلول (التالي).

\* ذكر الأسفرائيني، أنهم يقولون بقديم العالم.

في حين ذكر الشهرستاني أنهم قالوا: نقول في القدم إنه ليس بقديم ولا محدث بل القديم أمره وكلمته، والحديث خلقه وفطرته.

\* ظهرت تناقضاتهم بأجلى مظاهرها عند حديثهم عن العدد /٧/ وفيما يلي أقوالهم:

- الشهرستاني: تحركت النفوس والأشخاص بالشرائع بتحريك النبي والوصي في كل زمان دائراً على سبعة سبعة...

- الأسفرائيني: العقل (الله) والنفس يديران العالم بتدبير الكواكب السبعة.

- النوبختي: إن للأئمة أدواراً في كل دور منها سبعة أئمة ظاهرين أو مستورين.

- البغدادي، عن الأنبياء: وكل واحد منهم صاحب دور مسبق إذا انقضى دوره سبعة تبعهم في دور آخر.

ونكتفي بهذا القدر من التناقضات لكي لا يطول بنا الحديث.

سابعاً: ما نسبته المؤرخون إلى الإسماعيلية، من أقوال، يشبه إلى حد كبير ما وجه إلى الشيعة عموماً منذ بدء تكون نواة التشيع وحتى نهاية الخلافة العباسية. فمن المعلوم، أن معاوية بن أبي سفيان نال الخلافة بالخديعة والمكر، وشن من موقعه كحاكم حرباً إعلامية مسعورة سارت في اتجاهين:

الأول: شتم أمير المؤمنين علي عليه السلام على المنابر لزرع بغضه في قلوب الناس.

الثاني: حمل صنائعه بالمغريات المادية على وضع الأخبار... وهكذا فتح باب الدس والاختلاق على مصراعيه.



ولم يكتف صنائع معاوية باختلاق الأفاويل، بل تعدوا ذلك إلى اختلاق الشخصيات والروايات.

ولما دالت دولة الأمويين، وجاء العباسيون، لم تتغير النظرة إلى الشيعة. ذلك لأن الشيعة أصبحت، في العهد العباسي، قوة كبيرة يحسب لها ألف حساب، وقوتها أزقت مضاجع الخلفاء العباسيين، وخاصة بعدما لمسوا التفاف الناس حول العلويين في الثورات التي قاموا بها، أو التي قامت باسمهم.

وإزداد الأمر سوءاً بعد ظهور الدولة الفاطمية على مسرح الأحداث، وميل عواطف الناس، في المشرق، إليها.

ولهذا فلا عجب إن رأينا خلفاء بني العباس قد سلكوا نفس المسلك الذي سلكه، من قبلهم، الأمويون، وهو اللجوء إلى سلاح الدس والاختلاق.

فالخليفة المهدي - حكم من ١٥٨ إلى ١٦٩ هـ - أمر المتكلمين أن يضعوا الكتب على أهل الإلحاد. والمقصود بهم الشيعة والإسماعيلية والمعتزلة. والخليفة القادر - حكم من ٣٨١ إلى ٤٢٢ هـ - أمر بكتابة محضر يتضمن الطعن في نسب العلويين خلفاء مصر<sup>(١)</sup>.

كما وضع كتاباً بمذاهب أهل السنة، وكفر كل من يقول بخلافه<sup>(٢)</sup>. وبموجب هذا الاعتقاد القادري أصبحت الشيعة، وكل من لف لفها، وتفرع عنها، فرقة كافرة أفتى الفقهاء بقتلهم وقطعهم ونفيهم<sup>(٣)</sup>.

هذا على الصعيد الرسمي.

أما على الصعيد العام، فكان الشعور ضد الشيعة في أعلى درجات الاحتقان والتهيج. ونتيجة لهذا الشعور العدائي، كانت الاعتداءات عليهم تترى وتلقى التأييد من الحكام. وكما دخلت إلى قاموس السياسة، في زمن

(١) ابن الجوزي - المنتظم في تاريخ الملوك والأمم ج٧، ص ٢٥٨.

(٢) المرجع السابق ج٨، ص ١٠٩.

(٣) المرجع السابق ج٨، ص ٣٨.

الأمويين، تهمة السبئية لأصحاب علي وشيعته، حلت في العهد العباسي تهمة الزندقة والقرمطة .

وكما قالوا عن عبد الله بن سبأ إنه من أصل يهودي، قالوا عن ميمون القداح أنه كان يهودياً ديصانياً.

وصارت تهمة الدعاية للمذهب القرمطي تطال كل شيعة<sup>(١)</sup> وقد عبر الحسين بن حمدان الخصيبي، عن ذلك بقوله:

صرت أدعى ومذهب الحق ديني قرمطياً وصرت أعزى بدخله  
حسبي الله والنبوي وخمس بعد سبع منهم مناهج سبله  
وسلامي على تقي نقي . . . . . يتولاهم بصالح عقله

وهكذا جعلوا الشيعة = السبئية + القرمطية + المجوسية + الدهرية + الباطنية + الحلولية .

وعليه تكون التهم التي وجهت إلى الشيعة عموماً، منذ بدء تكون نواة التشيع إلى نهاية الخلافة العباسية، هي:

\* الإلحاد: ويعني الكفر بالله ورسوله وكتبه ورسله واليوم الآخر .

\* الغلو: ويعني تأليه علي عليه السلام والأئمة من بعده .

\* الرفض: ويعني شتم الصحابة .

\* إباحة المحارم .

\* التناسخ: ويعني إنكار البعث والنشور والجنة والنار .

\* الجهل

\* شرب الخمر

\* ترك الصلاة

(١) المرجع السابق ج ١، ص ٢١٠ .

وباعتبار أن الإسماعيلية، خرجت من جلابب الشيعة، فقد حملت كل هذه التهم، مثلها مثل النصيرية.

ثامناً: يفهم من كتابات المؤرخين القدماء، أن الإسماعيلية تيارات مختلفة، واتجاهات مختلفة، منهم الغلاة، ومنهم المعتدلون. وأن مبارك ابن علوان يمثل اتجاهاً، والفرج بن عثمان يمثل اتجاهاً آخر، وأحمد الكيال اتجاهاً ثالثاً، والحسن بن الصباح اتجاهاً رابعاً... وهكذا... مع الإشارة إلى أن أقوال الواحد منهم لا تمثل آراء الإسماعيلية بعامة. لكن المؤرخين، كما لاحظنا، أخذوا أقوال بعض غلاة الإسماعيلية، وحرفوها وأضافوا إليها ونمقوها وزخرفوها، ثم عرضوها علينا على أنها أقوال الإسماعيلية. وهذا غير صحيح. وصار علينا والحال هذه أن نستعمل ميزاناً في غاية الحساسية والدقة لتمييز الأقوال الصحيحة من الأقوال الباطلة، والحقيقية من المختلقة والمدسوسة.

فمن ذا الذي يستطيع أن يقنعا أن للإسماعيلية يمينا كهذه: «إني والله والله الواحد الأحد، الفرد الصمد، القادر القاهر، الذي لا إله إلا هو، وحق أئمة الحق، وهداة الخلق، علي وبنيه أئمة الظهور والخفاء، وإلا برئت من صحيح الولاء، وصدقت أهل الأباطيل، وقمت مع فرقة الضلال، وانتصبت مع النواصب في تقرير المحال، ولم أقل بانتقال الإمامة إلى السيد الحسين، ثم إلى بنيه بالنص الجلي، موصولة إلى جعفر الصادق، ثم إلى ابنه إسماعيل صاحب الدعوة الهادية، والأثرة الباقية، وإلا قدحت في القداح، وأثمت الداعي الأول، وسعيت في اختلاف الناس عليه، ومالأت على السيد المهدي، وخذلت الناس عن القائم، ونقضت الدولة على المعز، وأنكرت أن يوم غدیر خم لا يعد في الأعياد، وقلت: إن لا علم للأئمة بما يكون، وخالفت من ادعى لهم العلم بالحدثان، ورميت آل بيت محمد بالعظائم، وقلت فيهم بالكبائر، وواليت أعداءهم، وعاديت أولياءهم»<sup>(١)</sup>. وليست صيغة اليمين هي التي استوقفتنا، وإنما وجود يمين ثانية عباراتها مغايرة تماماً واليمين الثانية وصلتنا بصيغتين مختلفتين.

(١) القلقشندي - صبح الأعشى ج ٢، ص ٢٤٦، نقلاً عن التعريف.

## الأولى:

### ذكرها البغدادي ونصها:

«جعلت على نفسك عهد الله وميثاقه وذمته وذمة رسله وما أخذ الله تعالى من النبيين من عهد وميثاق أنك تستر ما تسمعه مني وما تعلمه من أمري ومن أمر الإمام الذي هو صاحب زمانك وأمر أشياعه وأتباعه في هذا البلد وفي سائر البلدان وأمر المطيعين له من الذكور والإناث. فلا تظهر من ذلك قليلاً ولا كثيراً ولا تظهر شيئاً يدل عليه من كتابه أو إشارة إلا ما أذن لك فيه الإمام صاحب الزمان أو أذن لك في إظهاره المأذون له في دعوته فتعمل في ذلك حينئذ بمقدار ما يؤذن لك فيه. وقد جعلت على نفسك الوفاء بذلك وألزمته نفسك في حالتي الرخاء والغضب، والرغبة والرغبة. قال: نعم. فإذا قال نعم - قال له: وجعلت على نفسك أن تمنعني وجميع من أسمىه لك مما تمنع منه نفسك بعهد الله تعالى وميثاقه عليك وذمته وذمة رسله وتنصحهم نصحاً ظاهراً وباطناً. وألا تخون الإمام وأولياءه وأهل دعوته في أنفسهم ولا في أمور لهم. وأنك لا تتأول في هذه الإيمان تأويلاً ولا تعتقد ما يحلها وأنك إن فعلت شيئاً من ذلك فأنت بريء من الله ورسله وملائكته ومن جميع ما أنزل الله تعالى من كتبه وأنك إن خالفت في شيء مما ذكرناه لك فالله عليك أن تحجج إلى بيته مائة حجة ماشياً نذراً واجباً. وكل ما تملكه في الوقت الذي أنت فيه صدقة على الفقراء والمساكين. وكل مملوك يكون في ملكك يوم تخالف فيه أو بعده يكون حراً. وكل امرأة لك الآن أو يوم مخالفتك أو تتزوجها بعد ذلك تكون طالقاً منك ثلاث طلاقات والله تعالى الشاهد على نيتك وعقد ضميرك فيما حلفت به. فإذا قال نعم قال له كفى بالله شهيداً بيننا وبينك»<sup>(١)</sup>.

(١) البغدادي - الفرق بين الفرق ص ٢٨٨. وهناك يمين ثلاثة ذكرها النويري في «نهاية الأرب». راجع مذهب الإسلاميين للدكتور عبد الرحمن بدوي ج ٢، ص ١٥٨.

الثانية :

ذكرها الغزالي . ونصها :

يقول الداعي للمستجيب « جعلت على نفسك عهد الله وميثاقه وذمة رسوله ﷺ ، وما أخذ الله على النبيين من عهد وميثاق ، أنك تستر ما سمعته مني وتسمعه ، وعلمته وتعلمه من أمري وأمر المقيم بهذه البلدة لصاحب الحق الإمام المهدي ، وأمور إخوانه وأصحابه وولده وأهل بيته ، وأمور المطيعين له على هذا الدين ، ومخالصة المهدي ومخالصة شيعته من الذكور والإناث ، والصغار والكبار ، ولا تظهر من ذلك قليلاً ولا كثيراً تدل به عليه ، إلا ما أطلقت لك أن تتكلم به أو أطلق لك صاحب الأمر المقيم في هذا البلد أو في غيره ، فتعمل حينئذ بمقدار ما نرسمه لك ولا تتعداه . جعلت على نفسك الوفاء بما ذكرته لك وألزمته نفسك في حال الرغبة والرغبة والغضب والرجاء ، وجعلت على نفسك عهد الله وميثاقه أن تتبعني وجميع من أسميه لك وأبينه عندك مما تمنع عنه نفسك ، وأن تنصح لنا وللإمام ولي الله نصحاً ظاهراً وباطناً ، وألا تخون الله ولا وليه ولا أحد من إخوانه وأوليائه ومن يكون منه ومنا بسبب من أهل ومال ونعمة ، وأنه لا رأي ولا عهد تتناول على هذا العهد بما يبطله . فإن فعلت شيئاً من ذلك وأنت تعلم أنك قد خالفته ، فأنت بريء من الله ورسوله الأولين والآخرين ، ومن ملائكته المقربين ، ومن جميع ما أنزل من كتبه على أنبيائه السابقين ، وأنت خارج من كل دين ، وخارج من حزب الله وحزب أوليائه ، وداخل في حزب الشيطان وحزب أوليائه ، وخذلك الله خذلاناً بيناً يعمل لك بذلك النعمة والعقوبة إن خالفت شيئاً مما حلفتك عليه بتأويل أو بغير تأويل ، فإن خالفت شيئاً من ذلك فله عليك أن تحجج إلى بيته ثلاثين حجة نذراً واجباً ، ماشياً ، حافياً ، وإن خالفت ذلك فكل ما تملكه في الوقت الذي تحلف فيه صدقة على الفقراء والمساكين الذي لا رحم بينك وبينهم . وكل مملوك يكون لك في ملكك يوم تخالف فيه فهم أحرار ، وكل امرأة تكون لك أو تزوجها في قابل فهي طالق ثلاثاً بته إن خالفت شيئاً من ذلك . وإن نويت أو

أضمرت في يميني هذه خلاف ما قصدت فهذه اليمين من أولها إلى آخرها لازمة لك. والله الشاهد على صدق نيتك وعقد ضميرك. وكفى بالله شهيداً بيني وبينك»<sup>(١)</sup>.

تاسعاً: بالرغم من التناقض في كتابات المؤرخين القدماء، حول الإسماعيلية، هناك بعض النقاط المشتركة تلتقي عندها هذه الأقوال، منها: القول بأن كل ما في القرآن والسنة له ظاهر وباطن. والقول بأنهم تأولوا أركان الشريعة.

صفوة القول: إن الإتهامات التي وجهها المؤرخون القدماء، إلى الشيعة وفروعها - العلويين (النصيرية) والإسماعيلية واحدة تقريباً، مع أن هذه الفرق الثلاث تقترب من بعضها في نقاط، وتبتعد عن بعضها في نقاط.

### (ب) عقائد الإسماعيلية عند المؤرخين المحدثين والمعاصرين

نقصد بالمؤرخين المحدثين، المؤرخين الذين ظهوروا في النصف الأخير من العهد العثماني. وهؤلاء قلة قليلة، وصل إلينا من آثارهم، الكتب التالية:<sup>(٢)</sup>

\* سوسنة سليمان في أصول العقائد والأديان - بيروت / ١٨٦٢م.

\* تاريخ جودت - بيروت ١٣٠٨هـ - (١٨٠٩م).

\* ولاية بيروت - بيروت ١٣٣٥هـ - (١٩١٦م).

### سوسنة سليمان في أصول العقائد والأديان:

مؤلف هذا الكتاب، المفكر اللبناني نوفل نوفل، أحد رجال النهضة

(١) الغزالي - فضائح الباطنية ص ٢٨.

(٢) لم نذكر دائرة المعارف لبطرس البستاني، لأننا تحدثنا عنها في فصل خاص بعنوان «الإسماعيليون في دوائر المعارف العربية».

الأدبية. كان مؤرخاً معروفاً، غزير الإنتاج. قدم للمكتبة العربية العديد من المؤلفات منها: زبدة الصحائف في أصول المعارف - زبدة الصحائف في سياحة المعارف - صناجة الطرب في تاريخ العرب - أصل معتقدات الأمة الشركسية - دستور الدولة العلية - حقوق الأمم - سوسنة سليمان في أصول العقائد والأديان.

تحدث نوفل نوفل في [السوسنة] عن أديان الناس الوثنية والمجوسية إلى الأديان الإلهية<sup>(١)</sup>. وفي السياق تحدث عن الاسماعيلية تحت عنوانين: الخطابية والقرامطة.

قال عن الخطابية: إنهم فرقة من فرق الروافض الغلاة، أتباع أبي الخطاب محمد بن أبي ثور ومذهبه الغلو في جعفر بن محمد الصادق، وأتباعه خمسون فرقة وكلهم متفقون على أن الأئمة أنبياء وأن لا بد من رسولين، لكل أمة، أحدهما ناطق والآخر صامت. فكان محمد ناطقاً وعلي صامتاً. وأن جعفر ابن محمد كان نبياً ثم انتقلت النبوة إلى أبي الخطاب الأجدع.

وخلاصة ما قاله عن القرامطة، أن ميمون القداح بن ربطان النوبي كان يدعو إلى الإمام محمد بن إسماعيل، وأنه رتب مذهباً جعله على تسع درجات، وأن الداعي يأخذ على من يريد الدخول في الدعوة العهد التالي:

جعلت على نفسك عهد الله وميثاقه وذمة رسوله وأنبيائه وملائكته وكتبه ورسله وما أخذه على النبيين من عقد وعهد وميثاق أنك تستر جميع ما تسمعه وسمعته وعلمته وتعلمه وعرفته وتعرفه من أمري وأمر المقيم بهذا البلد لصاحب الحق الإمام الذي عرفت إقراراً له ونصحي لمن عقد ذمته، وأمر إخوانه وأصحابه وولده وأهل بيته المطيعين له على هذا الدين ومخالصته له من الذكور والإناث والصغار والكبار فلا تظهر من ذلك شيئاً قليلاً ولا كثيراً ولا شيئاً يدل عليه ما أطلقت لك أن تتكلم به أو أطلقه لك صاحب الأمر المقيم بهذا البلد فتعمل في ذلك بأمرنا ولا تتعداه ولا تزيد عليه وليكن ما تعمل عليه قبل العهد

(١) عبد الله نوفل - تراجم علماء طرابلس وأدبائها ص ٧٧.

وبعده بقولك وفعلك أن تشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وتشهد أن محمداً عبده ورسوله وتشهد أن الجنة حق وأن النار حق وأن الموت حق وأن البعث حق وأن الساعة آتية لا ريب فيها وأن الله يبعث من في القبور وتقيم الصلاة لوقتها وتؤتي الزكاة لحقها وتصوم رمضان وتحج البيت الحرام وتجاهد في سبيل الله حق جهاده على ما أمر الله به ورسوله وتوالي أولياء الله وتعادي أعداء الله وتقوم بفرائض الله وسننه وسنن رسول الله ظاهراً وباطناً وعلانية سرّاً وجهرّاً فإن ذلك يؤكد العهد ولا يهدمه ويثبته ولا يزيله ويقربه ولا يباعده ويشده ولا يضعفه ويوجب ذلك ولا يبطله ويوضحه ولا يعميه كذلك هو الظاهر والباطن وسائر ما جاء به النبيون من ربهم على الشرائط المبينة في هذا العهد جعلت على نفسك الوفاء بذلك قل نعم . فيقول المدعو نعم .

ثم يقول الداعي له : والصيانة له بذلك وأداء الأمانة على أن لا تظهر شيئاً أُخذ عليك في هذا العهد في حياتنا ولا بعد وفاتنا لا في غضب ولا على حال رضى ولا على رغبة ولا في حال رهبة ولا عند شدة ولا في حال رخاء ولا على طمع ولا على حرمان تلقى الله على الستر لذلك والصيانة له على الشرائط المبينة في هذا العهد .

وجعلت على نفسك عهد الله وميثاقه وذمته وذمة رسوله أن تمنعني وجميع من أسمىه لك وأثبتته عندك مما تمنع منه نفسك وتنصح لنا ولوليك ولي الله نصحاً ظاهراً وباطناً فلا تخن الله ووليه ولا أحداً من اخواننا وأوليائنا ومن تعلم أنه منا بسبب في أهل ولا في مال ولا رأي ولا عهد ولا عقد تتأول عليه بما يبطله فإن فعلت شيئاً من ذلك وأنت تعلم أنك قد خالفته وأنت على ذكر منه فأنت بريء من الله خالق السماوات والأرض الذي سوى خلقك وألّف تركيبك وأحسن إليك في دينك ودنياك وآخرتك وتبرأ من رسله الأولين والآخرين وملائكته المقربين الكروبيين والروحانيين والكلمات التامات والسبع والمثاني والقرآن وتبرأ من التوراة والإنجيل والزبور والذكر الحكيم ومن كل دين ارتضاه الله في مقدم الدار الآخرة ومن كل عبد رضي الله عنه وأنت خارج من حزب الله وحزب أوليائه وخذلك الله خذلاناً بيناً يعجل لك بذلك النعمة والعقوبة والمصير



إلى نار جهنم التي ليس الله فيها رحمة وأنت بريء من حول الله وقوته مُلجأ إلى حول نفسك وقوتك وعليك لعنة الله التي لعن بها إبليس وحرّم عليه بها الجنة وخلده في النار إن خالفت شيئاً من ذلك ولقيت الله يوم تلقاه وهو عليك غضبان والله عليك أن تحجج إلى بيته الحرام ثلاثين حجة حجاً واجباً ماشياً حافياً لا يقبل الله منك إلا الوفاء بذلك وكل ما تملك في الوقت الذي تخالفه فهو صدقة على الفقراء والمساكين الذين لا رحم بينك وبينهم لا يأجرك الله عليه ولا يدخل عليك بذلك منفعة وكل مملوك لك من ذكر وأنثى في ملكك أو تستفيده إلى وقت وفاتك إن خالفت شيئاً من ذلك فهم أحرار لوجه الله وكل امرأة لك أو تتزوجها إلى وقت وفاتك إن خالفت شيئاً من ذلك فهن طوالق ثلاثاً بته طلاق الحرج لا مثوبة لك ولا خيار ولا رجعة ولا مشيئة وكل ما كان لك من أهل ومال وغيرهما فهو عليك حرام وكل ظهار فهو لازم لك وأنا المستحلف لك لإمامك وحجتك وأنت الحالف لهما وإن نويت أو عقدت أو أضمرت خلاف ما أحملك عليه وأحلفك به فهذه اليمين من أولها إلى آخرها مجددة عليك لازمة لك لا يقبل الله منك إلا الوفاء بها والقيام بما عاهدت بيني وبينك . قل نعم .

فيقول نعم<sup>(١)</sup> .

\* \* \*

وبعد أن يحلف الطالب هذه اليمين، يكشف له الداعي أسرار الدعوة شيئاً فشيئاً ودرجة درجة، إلى تمام الدرجة التاسعة .

وذلك على التسلسل التالي :

الدعوة الأولى: يسأل الداعي من يدعوّه إلى مذهبه عن مشكلات وتأويلات ومعاني أمور شرعية وشيء من الطبيعيات والأمور الغامضة مثل: ما معنى رمي الجمار، والعدو بين الصفا والمروة، ولم كانت الحائض تقضي الصوم ولا تقضي الصلاة، وما أبواب النار، وما ثمانية أبواب الجنة... الخ . فإن لم يعرف الإجابة عنها تركه وتفكيره فإذا طلب الجواب عنها أفهمه الداعي

(١) نوفل نوفل - سوسة سليمان ص ١٧٣ .

أنه لا يجوز إطلاعه على أجوبة هذه الأمور قبل أخذ العهد عليه .

**الدعوة الثانية:** بعد أخذ العهد يقول الداعي للمدعو إن إقامة الحق وأخذ ما شرعه الله لعباده لا يكون إلا عن طريق الأئمة الذين نصبهم الله تعالى للناس وأقامهم لحفظ شريعته .

**الدعوة الثالثة:** يقول الداعي لمن يدعوه إن الأئمة سبعة بعدد الكواكب السيارة والسموات والأرضين و... وهؤلاء الأئمة هم: علي والحسن والحسين وعلي زين العابدين ومحمد بن علي وجعفر بن محمد الصادق والسابع هو القائم صاحب الزمان .

وإن عند محمد بن إسماعيل علم المستورات وبواطن المعلومات وعلم التأويل ومعرفة تفسير ظاهر الأمور وسر الله تعالى . وإن دعواته هم الوارثون لذلك كله .

**الدعوة الرابعة:** يخبره أن عدد الأنبياء الناسخين للشرائع المبديلين لأحكامها أصحاب الأدوار وتقلب الأحوال الناطقين بالأمور سبعة فقط كعدد الأئمة . ولكل واحد من الأنبياء صاحب يأخذ عنه دعوته ويحفظها على أمته . ويكون معه ظهيراً له في حياته وخليفة له بعد وفاته . ولكل مستخلف خليفة إلى أن يأتي منهم على تلك الشريعة سبعة أشخاص يقال لهم الصامتون يسمى أول هؤلاء السوس . ولا بد عند انقضاء هؤلاء السبعة ونفاد دورهم من استفتاح دور ثانٍ يظهر فيه نبي ينسخ شرع من مضى قبله وتكون الخلفاء من بعده أمورهم تجري كأمر من كان قبلهم ثم يكون من بعدهم نبي ناسخ يقوم من بعده سبعة صمت أبداً وهكذا حتى يقوم النبي السابع من النطقاء فينسخ جميع الشرائع التي كانت قبله ويكون صاحب الزمان الأخير .

فكان أول هؤلاء الأنبياء النطقاء آدم وكان صاحبه وسوسه ابنه شيث .

الثاني من الأنبياء النطقاء نوح وكان صاحبه وسوسه ابنه سام .

الثالث من الأنبياء النطقاء ابراهيم الخليل وكان صاحبه وسوسه ابنه

إسماعيل .

الرابع من الأنبياء النطقاء موسى بن عمران وكان صاحبه وسوسه أخوه هارون ولما مات هارون في حياة موسى قام من بعد موسى يوشع بن نون.

الخامس من الأنبياء النطقاء المسيح عيسى بن مريم وكان صاحبه وسوسه شمعون الصفا.

السادس من الأنبياء النطقاء محمد وسوسه علي بن أبي طالب.

ثم من بعد علي ستة صمتوا على الشريعة المحمدية وقاموا بميراث أسرارهم وهم: الحسن ثم الحسين ثم علي زين العابدين ثم محمد بن علي ثم جعفر ابن محمد ثم إسماعيل بن جعفر وهو آخر الصمت من الأئمة المستورين والسابع من النطقاء هو صاحب الزمان محمد بن اسماعيل بن جعفر الذي انتهى إليه علم الأولين وقام بعلم بواطن الأمور.

الدعوة الخامسة: القول إنه لا بد مع كل إمام قائم في كل عصر ما، حجج متفرون في جميع الأرض عددهم (١٢) رجلاً في كل زمان.

الدعوة السادسة: تفسير معاني شرائع الإسلام من صلاة وصوم وحج وزكاة وطهارة وغير ذلك، حتى يعتقد المدعو أن أحكام الشريعة كلها وضعت على سبيل الرمز لسياسة العامة.

الدعوة السابعة: يقول الداعي للمدعو إنه لا بد لصاحب الدلالة والناصب للشريعة من صاحب معه يعبر عنه، وهذا هو إشارة العالم السفلي لما يحويه العالم العلوي. فإن مدبر العالم في أصل الترتيب وقوام النظام صدر عنه أول موجود بغير واسطة ولا سبب نشأ عنه.

الدعوة الثامنة: إن مدبر الوجود والصادر عنه إنما تقدم السابق على اللاحق تقدم العلة على المعلول فكانت الأعيان كلها ناشئة وكائنة عدد الصادر الثاني بترتيب معروف في بعضهم.

والتالي يدأب في أعماله حتى يلحق بمنزلة السابق وإن الصامت في الأرض يدأب في أعماله حتى يصير بمنزلة الناطق سواء وإن الداعي يدأب في أعماله حتى يبلغ منزلة السوس وحاله سواء. وهكذا تجري أمور العالم في



أكواره وأدواره وإن معجزة النبي الصادق الناطق ليست غير أشياء ينتظم بها سياسة الجمهور وتشمل الثامنة مصلحتها بترتيب من الحكمة تحوي معاني فلسفية تنبئ عن حقيقة آلية السماء والأرض وما يشتمل العالم عليه من الجواهر والأعراض فتارة برموز يعقلها العالمون وتارة بإفصاح يعرفه كل أحد.

الدعوة التاسعة: إن ما ذكر من الحدوث والأصول رموز إلى معاني المبادئ وتقلب الجواهر وإن الوحي هو صفاء النفس؛ فيجد النبي في فهم ما يلقي إليه ويتنزل عليه فيبرزه إلى الناس ويعبر عنه بكلام الله الذي ينظم به الله شريعته بحسب ما يراه من المصلحة في سياسة الجميع ولا يجب حينئذ العمل بها إلا بحسب الحاجة من رعاية مصالح الدهماء بخلاف العارف فإنه لا يلزمه العمل بها ويكفيه معرفته. ومن جملة المعرفة عندهم أن الأنبياء النطقاء أصحاب الشرائع إنما هم السياسة العامة، وأن الفلاسفة أنبياء.

وما عدا المعرفة من سائر المشروعات فإنما هي أثقال وآصار حملها الكفار أهل الجهالة لمعرفة الأمراض والأسباب<sup>(١)</sup>.

وأول ما يلاحظه الباحث المدقق، أن نوفل نوفل استند في حديثه عن الخطابية والقرامطة، إلى مصدرين لم يشر إليهما، هما [مقالات الإسلاميين واختلاف المصلين] للأشعري، و[فضائح الباطنية] للغزالي.

نقل عن الأشعري ما قاله عن الخطابية.

ونقل عن الغزالي، الحديث عن القرامطة.

لكنه حرّف الكلم عن مواضعه، وأضاف إلى النصوص الأصلية التي نقلها، عبارات وجملاً من نسج خياله مثال ذلك:

(أ) قال عن أبي الخطاب إنه محمد بن أبي ثور.

واسمه عند أكثر المؤرخين محمد بن أبي زينب الأسدي الأجدع.

(ب) وقال عن ميمون القداح إنه ابن ربصان النوبي.

(١) نوفل نوفل - سوسنة سليمان ص ١٧١.

(ج) نقل صورة العهد الذي يحلفه المستجيب، عن المقرئزي<sup>(١)</sup> من دون الإشارة الى المصدر.

ثم إنه بدافع التعصب الديني حذف عبارة «صلى الله عليه وسلم وعلى آله الطاهرين» التي وردت بعد جملة «سنن رسول الله».

وحذف أيضاً عبارة «صلوات الله عليهم أجمعين» بعد «ما جاء به النبيون من ربهم».

وكذلك حذف عبارة «صلى الله عليه وسلم» التي وردت بعد قول: رسوله..

ثانياً: ونقل عن المقرئزي أيضاً، الدرجات التسع التي يلقتها الداعي لطالب الدخول في الدعوة. لكنه لم يلاحظ الاختلافات ما بينها وبين ما جاء في [الفرق بين الفرق] للبعدي و[فضائح الباطنية] للغزالي و[كشف أسرار الباطنية وأخبار القرامطة] لمحمد بن مالك بن أبي الفضائل الحمادي اليماني.

وما في أقوالهم من تضارب وتناقض.

ثالثاً: ذكر نوفل نوفل أن لكل نبي من الأنبياء النطقاء سوساً.

وسوس إبراهيم الخليل ابنه اسمعيل.

وعند الغزالي سوس إبراهيم هو إسحق.

رابعاً: قال نوفل نوفل إن أتباع أبي الخطاب خمسون فرقة... ولم يسم هذه الفرق. ولا ندري من أين جاء بهذا العدد الضخم. لأن فرق الخطابية، كما ذكر المؤرخون، لا تتجاوز عدد أصابع اليد الواحدة وهم، حسبما ذكر الشهرستاني، وهو من أشهر كتاب الفرق، المعمرية، والبزيفية، والعجيلية، والعميرية، والمفضلية. ومجموع عدد الفرق عند المؤرخين / ٧٣ / فرقة موزعة على الشكل التالي: ٢٠ روافض، و ٢٠ خوارج، و ٢٠ قدرية، و ١٠ مرجئة، و ٣

(١) المقرئزي - المواعظ والاعتبار ج ١، ص ٣٩١، طبعة بولاق عام ١٢٧٠هـ.

نجارية وبكرية وضرارية وجهمية وكرامية<sup>(١)</sup>.

فإذا أضفنا إلى هذا العدد أتباع أبي الخطاب وهم ٥٠ فرقة، صار لدينا /١٢٣/ فرقة. وهذا يتناقض مع ما جاء في الحديث: ستفترق أمتي إلى ثلاث وسبعين فرقة... إذا كان هذا الحديث صحيحاً.

## تاريخ جودت

كتبه بالتركية الوزير أحمد جودت باشا، وترجمه إلى العربية عبد القادر الدنار رئيس محكمة تجارة بيروت.

اشتمل الكتاب على الكثير من وقائع الزمان والحوادث، وأخبار الدولة العلية العثمانية. ومن بين فصوله فصل خاص، عن البلاد العربية - مصر والعراق ولبنان - وتحت عنوان، إدارة جبل لبنان، وفي الصفحات الخاصة بعادات الدروز وعقائدهم، تطرق إلى ذكر عقائد الإسماعيلية، في فقرة عدتها ١٦ سطراً، يفهم منها أن الاسماعيلية تدعى السبعية نسبة لسبعة رسل أو ناطقين هم: آدم ونوح وإبراهيم وموسى وعيسى ومحمد والإمام محمد المهدي.

ويقولون بثبوت سبعة أئمة عليهم مدار الاقتداء والاهتداء، هم الإمام وذو المصبة وأكبر الداعين وأخذ العهد والمكلم والمنيب، وبأنهم أولوا الوضوء بمحبة الإمام والتيمم بأخذ الإنابة من المأذون في غياب الإمام<sup>(٢)</sup>.

كلام جودت، عن الاسماعيلية، هو نفس كلام بطرس البستاني، في دائرة معارفه مع خلاف بسيط هو أن جودت ذكر بين الأئمة السبعة الذين عليهم مدار الاقتداء، المنيب، في حين سماه بطرس البستاني المؤمن<sup>(٣)</sup>.

(١) البغدادي - الفرق بين الفرق ص ١٩.

(٢) تاريخ جودت ج ١، ص ٣٦٣.

(٣) دائرة معارف بطرس البستاني ج ٣، ص ٦٢٧.

## ولاية بيروت

صدر هذا الكتاب بطبعتين، واحدة باللغة التركية وأخرى بالعربية، متضمناً «المشاهدات والمباحث، عن طبقات الأمم، وطبقات الأرض والجغرافية، والتاريخ والآثار العتيقة، والأحوال الروحية، والأخلاقية، والاجتماعية والصحية، والدين، واللغات والآداب، والصنائع النفيسة، والمعارف والزراعة، والتجارة، والطرق، والصنائع» في ولاية بيروت بقسميها الجنوبي (ألوية بيروت وعكا ونابلس) والشمالى (طرابلس الشام واللاذقية).

جاء الحديث عن الإسماعيلية، في القسم الشمالى من الكتاب، تحت عنوان «فصل الأديان والمذاهب» ص ٦١.

وكذلك عند الحديث عن قضاء المرقب (لواء اللاذقية) ص ٣٩٥.

في فصل الأديان والمذاهب، قسم المؤلفان حديثهما عن الاسماعيلية إلى العناوين التالية:

### \* كيفية ظهور الاسماعيلية وانتشارهم

\* ملخص تاريخ الإسماعيليين (١) - الدولة العبيدية ٢ - حكومة القرامطة ٣ -  
الدولة الإسماعيلية الشرقية ٤ - مؤسسات حسن الصباح السياسية ٥ - ملكشاه  
والإسماعيليون ٦ - بركيارون والإسماعيليون ٧ - محمد السلجوقي  
والإسماعيليون ٨ - سنجر والإسماعيليون ٩ - الإسماعيليون في سورية ١٠ -  
أيام محمد الثانى والإسماعيليين ١١ - صلاح الدين الأيوبي والإسماعيليون ١٢ -  
آخر أيام الإسماعيليين).

\* دعوة الإسماعيليين وتعاليمهم الدينية.

\* أسس الإسماعيليين الفلسفية.

ويهما من هذه العناوين، الأول والأخير فقط. واستبعدنا ما جاء تحت عنوان «دعوة الإسماعيليين وتعاليمهم الدينية» لأنه منقول بالحرف عن [سوسنة

سليمان]، وقد تحدثنا عن [السوسنة] في الصفحات السابقة فلا موجب لتكرار الكلام.

خلاصة ما جاء في [ولاية بيروت] عن الإسماعيليين أنهم استحالوا إلى الباطنية أولاً ثم إلى القرامطة وأنهم عمدوا لنشر دينهم في العراقين وإيران بواسطة الباطنية والقرامطة<sup>(١)</sup> وأن الحسن بن الصباح رتب الدعوات الإسماعيلية ومراتب تعليمها ونظمها وجعلها قانوناً متحتم الرعاية على الدعاة وهذه المراتب هي: الذوق، التأنيس، التشكيك، الربط، التدليس، التأسيس، الخلع، السلخ<sup>(٢)</sup>.

ويعتقد الإسماعيليون أن عدد الأئمة سبعة كعدد أيام الأسبوع، وعدد السموات والكواكب، وعدد الرسل الناطقة سبعة أيضاً.

ويقولون بوجود سبعة أئمة بين كل رسولين ناطقين لأجل إتمام الشريعة. وكل ناطق ينسخ شريعة الناطق السابق، ثم يأتي الأئمة السبعة فيتمون هذه الشريعة. ويسمون الأئمة السبعة بالأئمة (المستترة). وما عدا هؤلاء لا بد من وجود سبعة أشخاص يقتدى بهم في كل زمان هم:

- ١ - الإمام: يستمد فيوضه من الله.
- ٢ - الحجة: يستمد من الإمام ويكون حجة لوجوده.
- ٣ - ذو المصبة: يأخذ العلم، ويمتصه من الحجة.
- ٤ - الداعي الأكبر: وهو أعظم المؤمنين.
- ٥ - الداعي المأذون: يأخذ العهد ممن يشاء أن يدخل في الدين من أهل الظاهر ويدخله في ذمة الإمام، ويؤذن ليفتح لهم باب العلم والمعرفة.
- ٦ - المكلب: من علت مرتبته في الدين، ولم يؤذن للدعوة، وهو يعاون الداعي.

(١) محمد بهجت ورفيق التميمي - ولاية بيروت، القسم الشمالي (٢) ص ٦٧.  
 (٢) المرجع السابق ص ٩٤.



٧ - المؤمن: من اتبع الداعي، وأمن بالعهد واستيقن به ودخل في ذمة الداعي وحزبه أي فرقته<sup>(١)</sup>.

والديانة الإسماعيلية، تحيل جميع الحوادث الكونية الى أصل واحد، إلى سبب أول وهذه العلة الأولى تسمى الله وهو منزه عن كل وصف<sup>(٢)</sup>.

ويقولون إن القوة المدركة عاجزة عن الإحاطة بالخالق، ولذلك لا يقال عنه: موجود ولا غير موجود ولا عالم ولا جاهل ولا قادر ولا عاجز ولا يستطيع وصفه بهكذا أوصاف<sup>(٣)</sup>.

والله هو إله المتقابلين وخالق الخصمين وحاكم بين المتضادين. ويقولون: إن الإله الذي تجب معرفته على هذه الصفة لم يخلق الدنيا<sup>(٤)</sup>.

ويقولون: إن الله فطر العقل أو عقل الكل قبل كل شيء واختلط في العقل الأول فتجلى بحال إله خارجي يفهمه الإنسان ويتجه إليه في عبادته. وأوجد بواسطة العقل الأول النفس الثانية أو روح الكل. وبهذا يتكون تثليث الإسماعيليين<sup>(٥)</sup>.

وعن كيفية الخلق يقول الإسماعيليون: لما تآقت النفس إلى جمال العقل، احتاجت الى الحركة من النقص الى الكمال. واحتاجت الحركة إلى آلة الحركة أيضاً، وبهذا وجدت الأفلاك السماوية. ودارت بتدبير النفس بحركة دورية، ثم حدثت حركة أخرى، بتدبير النفس أيضاً كان منها المعدن والنبات والحيوان، وغيرهم من المركبات. ثم اتصلت النفوس الجزئية بالأبدان، وامتاز الإنسان بما لديه من القدرة الخاصة على تلقي النور وأخذه. فكان عالمه مقابلاً للعالم الكلي.

(١) محمد رفيق بك ومحمد بهجت بك - ولاية بيروت، القسم الشمالي (٢) ص ٩٨.

(٢) المرجع السابق.

(٣) المرجع السابق.

(٤) المرجع السابق.

(٥) المرجع السابق.

وهم يؤمنون بأن العقل العلوي تجسّد في العالم السفلي وأوجد النبي أو الناطق. وأن النفس الكلية تجسدت في العالم السفلي فأوجدت الأساس أو الأس، الوحي<sup>(١)</sup>.

ويقولون: إن الناس تحركت بالشرائع، وذلك بتحريك النبي والأساس كما تحركت الأفلاك بتحريك العقل والنفس. لأن سلامة العقل البشري في العالم السفلي لا تحصل إلا بكسب العلوم التي وضعها النبي المجسد من عقل الكل<sup>(٢)</sup>.

ويقول الإسماعيليون: إن الشريعة التي يؤسسها الأنبياء قطعية. ولهذه الشرائع معنى ظاهر ومعنى باطن، فالعارف يطلع على المعنى الباطن، أما الجهلاء فيستسلمون للمعاني الظاهرة من حقائق الكون<sup>(٣)</sup>.

ويقولون: إن النساء والمال سبب القتال والتناحر بين الناس لذلك يجب تحليل النساء، وإباحة الأموال، وبهذا ينقطع الشقاق وينعم عيش الإنسانية<sup>(٤)</sup>.

وخلص المؤلفان الى القول: اتبع الإسماعيليون هذه التلقينات وبلغوا ذروة الإلحاد بمروقهم عن الدين وتملصهم من ربة قيوده<sup>(٥)</sup>.

في الفصل المخصص لقضاء المرقب تحدث المؤلفان عن الاسماعيلية تحت عنوان أصلي هو «البحث المحلي عن الإسماعيليين» وعدة عناوين فرعية هي:

إسماعيليو بيروت

أسس الإسماعيليين الحالية

شكل الإسماعيلية اليوم: (١) - استمالة الاسماعيلية ٢ - عبادة الإسماعيليين

(١) محمد رفيق بك ومحمد بهجت بك - ولاية بيروت، القسم الشمالي (٢) ص ١٠١.

(٢) المرجع السابق.

(٣) المرجع السابق.

(٤) المرجع السابق.

(٥) المرجع السابق.

وأدعيتهم ٣ - التظاهرات الدينية ٤ - الطعن في الإسماعيليين وقذعهم).

### الأحوال الاجتماعية في الإسماعيليين:

يتوزع اسماعيليو قضاء المرقب في ناحيتي القدموس والخوابي.

يشغلون في القدموس مركز الناحية و١٢ قرية أهمها الشعرة، لصوراته، كاف الحمام، عقر زيتي، قدموس، زريقة، قلعة العليقة، حماسة القبيلة.

ويشغل الذين يسكنون الخوابي ١٧ قرية هي: عورو، بطاحية، خوابي، بري كيه، بيت ديه، عقر زيتي<sup>(١)</sup> جمعاشية، راس تركن، خربة الفرس، بيت سلهب، مازوغا، بيت قاسم، بحوه، بيت الأسمر، برمانه رعد، البلوعة، النعامات، العليبة.

وهم ينقسمون الى فرقتين كبيرتين:

- الحجاويون يسكنون نواحي الخوابي.

- السويدانيون يقيمون في ناحية القدموس.

كان الإسماعيليون بدون إمام. وفي عام ١٢٨٣ سمعوا بنخب شخص يدعى محمد الحسن الحسين ادعى الإمامة في بومباي بالهند، فقصدته وفد منهم ولما تأكدا من توافر شروط الإمامة فيه بايعوه، وأخذوا يرسلون إليه زكاتهم. وفي عام ١٢٨٨ توفي محمد الحسين فخلفه ابنه علي شاه ثم توفي علي شاه سنة ١٣٠٨ فخلفه ابنه محمد شاه.

الحجاويون هم وحدهم الذين قالوا بإمامة محمد علي شاه. أما السويدانيون فلا يعترفون بإمامته بحجة عدم توافر شروط الإمامة فيه. وحسماً للخلاف بين الفرقتين جرى الاتفاق على تشكيل هيئة منهما مهمتها تحري حقيقة محمد علي شاه. وتوجهت هذه الهيئة الى الهند سنة ١٣٢٢. وبعد هذه الزيارة

(١) تكرر اسم عقر زيتي مرتين مرة في قرى القدموس ومرة في قرى الخوابي.

قبل بعض السويدانيين بإمامة محمد علي شاه بينما رفضها البعض الآخر<sup>(١)</sup>.

وفوض محمد علي شاه، الشيخ أحمد محمد، أحد أعضاء الهيئة، رتبة مكة) أي الداعي، وعززه بشخصين أحدهما (كامريا) أي وزير الميمنة أو قابض المال، والآخر (باهي) أي وزير الميسرة<sup>(٢)</sup>.

ساعد الشيخ أحمد في نشر الدعوة أخوه اسماعيل الذي أطلق عليه اسم (سيف الدعوة) وأخذ الشيخ أحمد وشقيقه اسماعيل يشيدان المعابد ويعلمان الناس كيفية عبادة صورة محمد علي شاه التي أحضرها الشيخ أحمد معه من الهند.

وقد لفت نشاطهما نظر الحكومة فألقت القبض عليهما وعلى شقيقهما نصر وعدة أشخاص آخرين وأودعتهم سجن الشام. وفي السجن مات الشيخ أحمد وشقيقه، وأطلقت الحكومة سراح الباقيين ومنهم نصر شقيق الشيخ أحمد. وبعد إطلاق سراحه بمدة قصيرة سافر إلى الهند وحصل على المشيخة ثم رجع إلى بلده<sup>(٣)</sup> وتوفي عام ١٩١٥ ولم يخلفه أحد<sup>(٤)</sup>.

وتحت عنوان «عبادة الإسماعيليين وأدعيتهم» قال المؤلفان: إنه بالرغم من قيام الإسماعيليين ببعض العبادات الإسلامية بالظاهر، فإنهم في الحقيقة يعبدون محمد علي شاه الذي يعتقدون بربوبيته.

وإن لهم صلاتين في كل يوم، الأولى وقت الفجر، والثانية وقت العشاء وتمتد كل واحدة منهما ساعتين. ويؤدون هذه الصلوات في محل يسمونه (المعبد)، وهو عبارة عن غرفة صغيرة لها بابان متقابلان، مبيض داخلها بالكلس. معلقة صورة محمد علي شاه في أنسب موقع فيها. في منتصف الغرفة مائدة من الخشب طولها متران وعرضها نصف متر وارتفاعها ٣٠ - ٤٠ سنتمترًا وفي كل قرية من قرى الإسماعيلية معبد.

(١) رفيق التميمي ومحمد بهجت - ولاية بيروت، القسم الشمالي (٢) ص ٣٩٥.

(٢) المرجع السابق.

(٣) رفيق التميمي ومحمد بهجت - ولاية بيروت، القسم الشمالي (٢) ص ٣٩٨.

(٤) المرجع السابق.

يدخل الاسماعيليون هذه المعابد في أوقات الصلاة، ويؤلفون حلقة حول المائدة، وتوجد نساء في آخر حلقة. ولا بد من وجود الشيخ، أو وكيل الشيخ في تلك الصلاة<sup>(١)</sup>.

وقبل الشروع بالصلاة يأتون بصورة محمد شاه ويضعونها على المائدة، ويصرخ الشيخ السلطان محمد علي شاه، ثم يشرعون في العبادة ويسجدون. وبعد السجود يقول الشيخ على الله فيجاوبه الحاضرون بصوت واحد صحيح الله. وهكذا يتمون الدعاء ويؤدون الصلاة. ويكون ركوعهم أو سجودهم أثناء الصلاة عبارة عن إخفاض رؤوسهم تجاه الصورة، ويتلون كلمات [كار، كرم، رك، شرم] أثناء الصلاة ويشيرون بأيديهم الى رؤوسهم ويمين صدورهم ويسارها على وجه التصليب. وبعد انتهاء الصلاة يضعون نقوداً في أنقاب المائدة<sup>(٢)</sup>.

### وكيفية الصلاة هي :

[بمعنوان مولا هم الهندي]، [شيخ أحمد محمد]، [قايض مال شيخ نصر]، [وزير الميسرة]  
الله مريا مكة دعا برو كامريا دعا برو باهي دعا برو

### جمله جوى دعا برو سلامة مولانا

سلطان محمد شاه علي (ويسجدون وعند القيام من السجود يقول الشيخ) على الله (يجيبوه الجماعة) صحيح الله مولانا سلطان محمد شاه حاضر إمام حق نام پيرشاه (عدد ١٠٠) شاه جى قبول كرى مولانا سلطان محمد شاه علي (ويسجدون وعند الرفع يقولون كما مر والبسملة والحمد لله ولا إله إلا الله) رحيم قسيم كريم خداوند حضرت بزرگ باق پرور دغار ديلم ديس مان حاويسى بجهم ديسى خندراق سرى مولانا سلطان محمد شاه علي (ويسجدون ويتكلمون الألفاظ كما سبق) حق يا شاه حضرت عاد ابيافت وسرى مشى قورب اكرى سن وسرى فريش رام ترسن بو دشيت سلم بسلام ملكان اسلام حاران

(١) المرجع السابق.

(٢) المرجع السابق ص ٤٠١.

سامان ساقان عدنان معد نزار مضر الياس مدركه خذيمة كنانه نضر مالك فهر  
 لؤي قبيرك مرى قلا بره ك قصي عبد مناف هاشم عبد المطلب أبو طالب وبي  
 سري حق مولانا مرتضى علي حق مولانا شاه حسين حق مولانا شاه زين  
 العابدين حق مولانا شاه محمد الباقر حق مولانا شاه جعفر الصادق حق مولانا  
 شاه اسماعيل حق مولانا شاه محمد اسماعيل حق مولانا شاه وفي أحمد حق  
 مولانا شاه تقى محمد حق مولانا شاه رضى الدين عبد الله حق مولانا شاه محمد  
 المهدي حق مولانا شاه قايم حق مولانا شاه منصور حق مولانا شاه معز حق  
 مولانا شاه عزيز حق مولانا شاه حاكم حق مولانا شاه ظاهر حق مولانا شاه  
 مستنصر بالله حق مولانا شاه نزار حق مولانا شاه هادي حق مولانا شاه مهدي  
 حق مولانا شاه قاهر حق مولانا شاه علا ذكريا غلام حق مولانا شاه جلال الدين  
 حسن حق مولانا شاه علاء الدين محمد حق مولانا شاه ركن الدين خير شا حق  
 مولانا شاه شمس الدين محمد حق مولانا شاه قاسم شاه حق مولانا شاه إسلام  
 شاه حق مولانا شاه سلام شاه حق مولانا شاه مستنصر بالله حق مولانا شاه عبد  
 السلام حق مولانا شاه غريب ميرزا حق مولانا شاه أبو النور علي حق مولانا شاه  
 مراد ميرزا حق مولانا شاه ذو الفقار حق مولانا شاه نور الدين علي حق مولانا  
 شاه خليل الله علي حق مولانا شاه نزار علي حق مولانا شاه سيد علي حق مولانا  
 شاه حسن علي حق مولانا شاه قاسم علي حق مولانا شاه خليل الله علي حق  
 مولانا شاه حسن علي حق مولانا شاه علي شاه حق مولانا شاه سلطان محمد  
 شاه صاحب الأمر والزمان روح الوجود وحي معبود (والسجدة) اللهم يا مولانا  
 أنت السلام ومنك السلام وإليك يرجع السلام وعليك ألف سلام أحيانا ربنا  
 بسلام وأدخلنا دار السلام تباركت وتعاليت يا ذا الجلال والإكرام بفضلكم  
 ورحمتكم يا مولانا (عدد ٥) بلطفك وكرمك يا مولانا (عدد ٥) لا حول ولا قوة  
 إلا بالله يا مولانا (عدد ٥) ذود ذود فرياط پدمي يا مولانا اللهم يا سيدي منك  
 مددي وعليك معتمدي إياك نعبد وإياك نستعين يا أبا الغوث أغثنني يا علي  
 أدركني بلطفك الخفي توأبي رحمتي مرحمتي سبحو محمد مربي علي محمد يك  
 خدا حق شناس دفع بلا لا إله إلا الله محمد رسول الله مولانا أمير المؤمنين علي  
 صحيح الله حسبنا الله ونعم الوكيل نعم المولى ونعم النصير غفرانك ربنا وإليك

المصير دعا پنج یا جیجہ ونیتی شاہ جی درغامہ قبول کری مولانا سلطان محمد شاہ (ویضعوا أيديهم اليمين على الأرض ثم يرفعوهم الى التصليب ويقولوا) کار کرم رک شرم (وتم يضعون أيديهم بأيدي بعضهم ويقولوا لبعضهم) شاہ دیدار (ويسجدون ثم يرفعون ويقولوا) مولانا سلطان محمد شاہ حاضر امام حق نام پیرشاہ (عدد حب المسبحة) یا شاہ بفصل دھیک درغایک عمر دارک ایشی کداریک بنج باھیک دیدار حوقیب کریم چیریکئی چوطفی موبکی موکدی مولانا سلطان محمد شاہ علی علی اللہ (سجدة وحالة السجود) بر وکیل جملہ معدر قدرخیش خشندر خبده مرده بندہ سرتابہ غنا غار یا شاہ تونخیش بخشى ہار مشکل وإحسان مولانا سلطان محمد شاہ علی (ويرفعون من السجود البسملة) لا إله إلا الله الحي القيوم ملك الحق المبين لا إله إلا الله الملك الحق اليقين مالك يوم الدين العلي العظيم لا إله إلا الله الحليم الكريم لا إله إلا الله محمد رسول الله مولانا أمير المؤمنين صحيح الله حقاً حقاً (يجابوه) صدقاً صدقاً استغفر الله العظيم وبحمده لا إله إلا أنت سبحانك إني كنت من الظالمين لا فتى إلا علي لا سيف إلا ذو الفقار نادي مولانا علي مظهر العجائب تجده عوناً لنا في النوائب كل هم وغم سينجلي بولايتك يا علي يا علي (وينفخوا على أكتافهم وصدورهم) على الله صحيح الله .

(وبالصبح تسبيح) نجيتنا في حضرة محمد المصطفى صلى الله عليه وسلم  
 حضرة مولانا مرتضى علي حضرة فاطمة الزهراء حضرة إمام حسن حضرة إمام حسين يا مولانا سلطان محمد شاہ علي (سجدة) على الله پیرجی پیرنجی پیر اول نبی بر محمد المصطفى صلى الله عليه وسلم پیر إمام حسن پیر شاہ قاسم پیر جعفر شاہ پیر زين العابدين پیر أمير أحمد پیر سدکور تور پیر نور الدين پیر محمد المنصور پیر غالب الدين پیر عبد المجيد پیر مستنصر بالله پیر أحمد هادي پیر هاشم شاہ پیر محمد شاہ پیر محمود شاہ پیر محب الدين پیر خالق الدين پیر عبد المؤمنین پیر إسلام الدين پیر صالح الدين پیر صلاح الدين پیر شمس الدين پیر نصير الدين پیر شهاب الدين پیر حيدر الدين پیر حسن كبير الدين پیر تاج الدين پیر بنديادی مردی جوامردی پیر حيدر علي پیر علاء الدين پیر بابا آغا هاشم شاہ پیر محمد زمان پیر آغا عزيز پیر آغا مهرب بيغ پیر آغا علي أكبر بيغ

پير آغا علي أصغر بيغ پير امرزا شاه علي پير مولانا سلطان محمد شاه علي صاحب الأمر حاضر جوق يا رب بحق اونده قوله قول سن بتول بخشی همراه بفاطمه تحت الرسول «سى» غزه شهيدہ اوليا أنبيا سنته صوصو حسين بك لك توبى هزار پير پيغمبر يا مولانا سلطان محمد شاه علي (سجدة) نبجستنباغ قى وياغ فنا دشمان دين خانبجتنباغ حق نام پير شاه (عدد المسبحة وسجدة) دعا نيت خير لاهى خير عاقبت خير همتان خير يا علي حو خير أول خير آخر خير باطن خير ظاهر خير حقيقة خير كريم يا مولاي علي رسمى شر ظالمك شهدكى شر شيطان شهدكى كريم يا مولاي يا علي كريم خير ويانتى خيرجى شاه جى درغام قبول كرى مولانا سلطان محمد شاه على الله ميريا على محمد كت جمله جى مشكل إحسان كرى صاحب ستجوكان قول قبول كرى صاحب راجيه دركا بيد درشاه دیدار نصيب كرى صاحب شهيدہ ياركورجى أولادجى كلام ميهر سكسه وجى صاحب اون بانيجي ميين بهندار مين ير كته وجى وصاحب قرينينه وزلايى قرخيچنو اكار سادكرى صاحب جاخ صاحب كت جمله جى وان مرا دون حاصل كرى صاحب سكو سو رى كرى خير بيداكرى الله ميريا على محمد كت جمله جى ونيتى قبول كرى مشكل احسان مولانا سلطان محمد شاه علي آلاهي آمين شاه غريب منده بفضلكم مولانا سلطان محمد شاه حق نام پير شاه (تسيح بعد قلب المسبحة السجدة) فرمان حقم يا مولانا يا علي (عدد ۱۳ صلاة) اللهم صلي على محمد وآل محمد (عدد ۱۳ ويسجدوا) دعا نيت خير لاهى خير عاقبت خير همتا خير يا علي صو خير أول خير آخر خير باطن خير ظاهر كريم يا مولاي علي كريم خير ويانتى خيرجى [سجدة وحالة السجود يقولوا] شاه جى درغامه قبول كرى مولانا السلطان محمد شاه العلي (ثم يقول الشيخ) على الله (يقولون الجماعة) صحيح الله. بسم الله الرحمن الرحيم مدد علي شفاعت رسول اطاعت خدا حضرة قبول بر سدكور تور نيفرياد برشى شوتنى نيفرياد بر آغا علي أكبر بيغ نيفرياد بر علي أصغر نيفرياد بر مزار محمد الباقر بيع نيفرياد وبرى كال معطى سلامة نيفرياد بر مولانا شاه حسن علي نيفرياد بر مولانا شاه علي شاه نيفرياد بر مولانا شاه خليل الله علي نيفرياد بر مولانا شاه حسن علي نيفرياد بر مولانا سلطان محمد شاه



علي نيفرياد اين اينني كلمى كلمى باق لا إله إلا الله محمد رسول الله مولانا أمير المؤمنين علي صحيح الله حي حيزه قايم (على كتف اليمين وعلى الشمال) شاه جى ودغامه قبول كرى مولانا سلطان محمد شاه علي له سجودنا وهو معبودنا<sup>(١)</sup>.

ويروى عنهم أنهم لا يصومون في رمضان، ولا يعثر بينهم على شخص حج البيت الحرام، ويؤثر عنهم أنهم يعتبرون زيارة محمد علي شاه في بومباي تنوب مكان الحج.

وكلمة الشهادة محرّفة عندهم. ويروى عنهم أنهم يقولون (لا إله محمد رسول الله).

وهم يهتمون اهتماماً عظيماً بقراءة القرآن العظيم، وتعليمه. ولا بد من وجود المصاحف في منازل أكثرهم. ومع هذا فقد يؤثر عنهم أنهم يهتمون بمعاني القرآن الباطنية ولا يعاؤون بمدلوله الظاهري<sup>(٢)</sup>.

بعد أن انتهينا من استعراض ما جاء في [ولاية بيروت] ننتقل إلى بيان ملاحظتنا ونجملها بما يلي:

أولاً: القول بأن الإسماعيليين عمدوا لنشر دينهم... بواسطة الباطنية والقرامطة بعيد عن الصواب. لأن الباطنية والقرامطة من أسماء وألقاب الاسماعيلية.

ثم إن الإسماعيليين لم يتحولوا الى الباطنية أولاً، كما ذكر المؤلفان الفاضلان، وإنما سموا بالباطنية لحكمهم بأن لكل ظاهر باطناً، ولكل تنزيل تأويلاً.

ثانياً: أغلب الأفكار التي عرضت تحت عنوان «أسس الاسماعيليين الفلسفية» منقولة حرفياً عن [الملل والنحل] للشهرستاني، من دون الإشارة الى هذا المصدر.

(١) محمد بهجت ورفيق التميمي - ولاية بيروت، القسم الشمالي (٢) ص ٤٠٢.

(٢) محمد بهجت ورفيق التميمي - ولاية بيروت، القسم الشمالي (٢) ص ٤٠٦.

ثالثاً: لم نجد من المؤرخين، أو كتاب الفرق، من قال: إن الحسن ابن الصباح هو الذي رتب الدعوات الاسماعيلية ومراتب تعليمها ونظمها وجعلها قانوناً «متحتم الرعاية». الذي نعلمه أن الحسن بن الصباح هو صاحب الدعوة الجديدة. وقد نقل الشهرستاني في [الملل والنحل]، الفصول الأربعة التي ابتدأ بها دعوته، وليس فيها أي مراتب، وهي بعيدة كل البعد عما جاء في [ولاية بيروت].

ومن جهة أخرى، إن جميع الذين تصدوا للرد على الباطنية، وعلى رأسهم البغدادي والغزالي، لم يذكروا اسم الحسن بن الصباح. وحديثهم دار حول الباطنية.

رابعاً: مراتب الدعوة كما قرأناها في [ولاية بيروت] هي: الذوق، والتأنيس، والتشكيك، والربط، والتدليس، والتأسيس، والخلع، والسلخ.

ومراتبها عند البغدادي: التفرس، والتأنيس، والتشكيك، والتعليق، والربط، والتدليس، والتأسيس، والمواثيق بالأيمان والعهود، والخلع، والسلخ.

ومراتبها عند الغزالي: الزرق والتفرس، ثم التأنيس، ثم التشكيك، ثم التعليق، ثم الربط، ثم التدليس، ثم التلبس، ثم الخلع، ثم السلخ. وبمقارنة هذه الأقوال مع بعضها البعض يتبين لنا ما يلي:

(أ) عدد مراتب الدعوة عند محمد بهجت ورفيق التميمي (٨)، بينما هي عند البغدادي والغزالي (١٠).

(ب) أول مراتب الدعوة في «ولاية بيروت» الذوق. وعند البغدادي التفرس. وعند الغزالي الزرق والتفرس.

(ج) من مراتب الدعوة عند البغدادي المواثيق بالأيمان والعهود وهي غير موجودة عند الغزالي ومحمد بهجت ورفيق التميمي.

ومن مراتب الدعوة عند البغدادي والغزالي، التعليق. ولا وجود لها في

(د) من مراتب الدعوة عند البغدادي ومؤلفي [ولاية بيروت] التأسيس . وهي غير موجودة عند الغزالي . وفي مقابلها مرحلة التلبس عند الغزالي وهي غير موجودة عند البغدادي ومؤلفي [ولاية بيروت] .

هذا الاختلاف في أسماء المراتب يولد لدينا القناعة بأنها موضوعة .

خامساً: ثمة نقطة شدد انتباهنا في [ولاية بيروت]، هي حديث المؤلفين عن تثليث الاسماعيليين، الذي يتكون من اختلاط عقل الكل في العقل الأول فتجلى مجال إله خارجي . . . وأوجد بواسطة العقل الأول النفس الثانية أو روح الكل .

وكنا وجدنا إشارة إلى التثليث عند الاسماعيلية وردت على لسان النوبختي هي: «إن الحجج (١٢) ولكل حجة داعية ولكل داعية يد أي رجل له دلائل وبراهين يقيمها . ويسمون الحججة الأب والداعية الأم واليد الابن»<sup>(١)</sup> .

وعلى فرض صحة هذا الكلام فلا وجه للشبه بينه وبين كلام مؤلفي [ولاية بيروت] .

سادساً: ليس صحيحاً أن الإسماعيليين يصلون ويسجدون لصورة محمد علي شاه . وهذا الكلام من الافتراءات الكاذبة . وما أكثر ما افتري عليهم وعلى غيرهم من الفرق .

وكذلك ليس صحيحاً أنهم يقرؤون الدعاء الذي أورده المؤلفان في كتابهما، لسبب بسيط هو أنه لا يوجد بينهم من يعرف الأوردية أو الفارسية فكيف يتلون دعاء بلغة يجهلونها؟! .

سابعاً: زعم المؤلفان أن الاسماعيلية يحرفون الشهادة فيقولون (لا إله محمد رسول الله) .

والمضحك أنه في نص الدعاء الذي زعم المؤلفان أن الاسماعيلية يتلونه،

(١) النوبختي - فرق الشيعة ص ٦٨ .

وردت العبارات التالية:

- الحمد لله ولا إله إلا الله .

- لا إله إلا الله محمد رسول الله مولانا أمير المؤمنين علي صحيح الله .

- لا إله إلا الله الحي القيوم ملك الحق المبين لا إله إلا الله الملك الحق  
اليقين مالك يوم الدين العلي العظيم لا إله إلا الله الحليم الكريم لا إله إلا الله  
محمد رسول الله .

ثامناً: جاء في [ولاية بيروت] أن للاسماعيليين صلاتين في كل يوم .  
الأولى وقت الفجر، والثانية وقت العشاء . . . .

. . . . ويروى عنهم أنهم لا يصومون رمضان، ولا يعثر بينهم على شخص  
حج البيت الحرام . . . .

كيف لنا أن نصدق ذلك إذا كان من شروط قبول الدخول في الدعوة .  
بحسب نص اليمين التي يأخذها الداعي على طالب الدخول في الدعوة، إقامة  
الصلاة لوقتها، وإيتاء الزكاة لحقتها، وصوم رمضان، وحج البيت الحرام،  
والجهاد في سبيل الله .

والعجب كل العجب أن المؤلفين عرضا صيغة هذه اليمين بنصها في  
كتابهما ص (٨٨)<sup>(١)</sup> .

تاسعاً: ذكر المؤلفان أنه لا بد من وجود سبعة أشخاص يقتدى بهم في  
كل زمان هم: الإمام، الحجة، ذو المصبة، الداعي الأكبر، الداعي المأذون،  
المكلب، المؤمن .

وذكر جودت، في تاريخه، أسماء هؤلاء السبعة كما يلي: الإمام،  
الحجة، ذو المصبة، أكبر الداعين، الذي يأخذ العهد، المكلب، المنيب<sup>(٢)</sup> .

(١) نقل المؤلفان صيغة هذه اليمين عن «سوسنة سليمان» مع مراتب الدعوة، تحت عنوان  
«دعوة الاسماعيليين وتعاليمهم الدينية» وكنا أشرنا إلى أننا استبعدنا هذا العنوان من  
دراستنا لكي لا يتكرر الكلام باعتبار أننا تحدثنا عن السوسنة في فقرة خاصة .

(٢) تاريخ جودت ص ٣٦٣ .

الذي يأخذ العهد عند جودت، هو نفسه الداعي المأذون. لأنه يأخذ العهد من الطالبين ويكون مأذوناً في إدخالهم مع جماعة الإمام. من ذلك يتبين أن الخلاف بين الاثنين في التسمية فقط.

أما المؤمن في [ولاية بيروت] فهو من اتبع الداعي، وأمن بالعهد واستيقن به ودخل في ذمة الداعي وحزبه..

جودت في تاريخه لم يذكر المؤمن. ذكر شخصاً يدعى المنيب وهو الطالب الذي يكون دخليلاً لجماعة الإمام بالاتباع والإنابة لصاحب الدعوة.

فأي القولين هو الصحيح؟؟ وعلام يدل هذا الاختلاف بينهما؟؟

هذا ما يتعلق بأقوال المؤرخين المحدثين.

فإذا انتقلنا الى المؤرخين المعاصرين. وهم الجيل التالي للمؤرخين المحدثين، وجدنا أقوالهم تسير في ثلاثة اتجاهات:

الاتجاه الأول: أصحابه لم يذكروا اسم المصادر التي استندوا إليها في حديثهم عن الاسماعيلية.

من هؤلاء: العلامة عبد الواسع يحيى الواسعي اليمني، وفيليب حتي، والشيخ محمد أبو زهرة.

● عبد الواسع اليمني: اتهم الاسماعيلية بأنهم ينكرون القرآن، والنبوة، والجنة، والنار، وقال: «لولا أن حياتهم معلومة عندهم، مرتبة بينهم، لأنكروها. وعلى الجملة فدينهم النجوم، وظواهرهم التخوم، ولا يكادون يظهرون مذهبهم لأتباعهم إلا عند رسخ دينهم في قلبه»<sup>(١)</sup>.

سؤالنا هو إذا كانوا يتشددون كل هذا التشدد في إظهار مذهبهم، فكيف اطلع عليه وقال عنهم ما قال ولهجة خطابه لا تدل على أنه منهم؟!

● فيليب حتي قال: إن النظام الاسماعيلي يشبه الفيشاغورية القديمة من

(١) عبد الواسع يحيى الواسعي اليمني - تاريخ اليمن ص ١٥٩.

حيث اعتبار العدد (٧) مقدساً. وقد جعلت السبعية النظام الكوني والحوادث التاريخية أمراً مرتباً على هذا العدد. وهم يتبعون في حدوث الكائنات فلسفة غنوستية مبنية الى حد على الافلاطونية الجديدة. ويجعلون التجليات سبعة هي: الله، العقل، النفس، المادة الأصلية، الفضاء، الزمن، عالم الأرضين والبشر.

ولهذا العالم سبعة أنبياء مشترعين يسمى كل واحد منهم الناطق وهم: آدم ونوح وإبراهيم وموسى وعيسى ومحمد ثم محمد التام ابن اسماعيل. وبين كل نبين ناطقين سبعة أنبياء صامتين أولهم الأساس. ومن جملة الصامتين اسماعيل وهارون وبطرس وعلي.

ويوازي الصامتين طبقة أدنى منهم وهي مرتبة على أساس السبعة أو الاثني عشر وهم من زعماء الدعاية ويعرف واحدهم بالحجة ثم المبشرون العاديون ويعرفون بالدعاة<sup>(١)</sup>.

في معرض تعليقنا على هذا الكلام نقول:

١ - القول بأن النظام الاسماعيلي يشبه الفيثاغورية القديمة من حيث اعتبار العدد (٧) مقدساً، وأن الاسماعيلية يتبعون في حدوث الكائنات فلسفة غنوستية مبنية الى حد ما على الافلاطونية الجديدة. هو قول المستشرقين الذين يحاولون، دائماً، ربط أصول الفكر الإسلامي بجذور يهودية ويونانية لإظهاره بمظهر الفكر المتلقي، وليس المبدع.

٢ - قوله إن للعالم سبعة أنبياء مشترعين يسمى كل منهم الناطق. . ليس جديداً علينا. الجديد قوله: إن الاسماعيليين يجعلون التجليات سبعة هي: الله، العقل، النفس، المادة الأصلية، الفضاء، الزمن، عالم الأرضين والبشر. ولم نجد لهذا القول مثيلاً في كتابات المؤرخين القدماء، وأصحاب الفرق.

(١) فيليب حتي - تاريخ العرب المطول ج٢، ص ٥٣٢.

● الشيخ محمد أبو زهرة: تدور أقواله عن الاسماعيلية، حول فكرتين:

الأولى: مفادها أن ثمة طوائف كثيرة حملت اسم الاسماعيلية. بعضهم لم يخرجوا عن دائرة الإسلام، وبعضهم انحرفوا بما انتحلوا من نحل لا يتفق ما اشتملت عليه مع المقرر الثابت من الأحكام الإسلامية<sup>(١)</sup>.

الثانية: مفادها أن الآراء التي يعتنقها المعتدلة منهم على ثلاث شعب:

أولها: الفيض الإلهي من المعرفة التي أفاضها الله على الأئمة فجعلهم فوق الناس قدراً وعلماً، وهم يعلمون علوماً لا يعرفها غيرهم.

الثانية: أن الإمام إما أن يكون ظاهراً مكشوفاً أو باطناً مستوراً وهو واجب الطاعة.

الثالثة: عصمة الأئمة<sup>(٢)</sup>.

مآخذنا على شيخنا الجليل أنه لم يذكر أسماء الطوائف «الكثيرة» التي حملت اسم الاسماعيلية، وتلك التي خرجت عن دائرة الإسلام. فاختلط علينا الأمر وبتنا لا نعرف الفرقة المهتدية من الفرقة الضالة.

والقول بالإمامة هو قول الشيعة عامة. والإمامة عندهم ضرورية من ضروريات الحكمة، وواجب من واجبات الفرض المقصود من إيجاد هذا الخلق، فهي والنبوة في ذلك سواء<sup>(٣)</sup>.

والنبي هو الذي يرفع لواء الإمامة، وهو الذي يعقد على أفراد الأمة عهداً وعقدها والإمام هو الذي يفسر للأمة ما بلغه النبي، وهو الذي يقيم قناة العدل والدين فيها بعد نبيها، ويجب دوام الأئمة بدوام الأمة، وإلا اختل النظام، وبطلت الحكمة وفسدت المصلحة، وانتقض الفرض، ومنع اللطف، واستحكم العبث وترك الخلق سدى.

(١) الشيخ محمد أبو زهرة - المذاهب الإسلامية ص ٨٩.

(٢) المرجع السابق.

(٣) الشيخ حبيب آل إبراهيم - المطالب المهمة ص ١٥٦.



والإمامة التي يقول بها الشيعة، ويذهبون إلى أنها بيد الله لا بيد عباده،  
وأنها وظيفة إلهية كوظيفة النبوة ومنصب كمنصب الرسالة، وأنها من أعظم  
أركان الإسلام وأكبر أصوله بعد الشهادتين<sup>(١)</sup>.

وفي حديث كميل بن زياد النخعي عن أمير المؤمنين عليه السلام «يا  
كميل مات خزان الأموال والعلماء باقون ما بقي الدهر . . . . . اللهم بلى، لا  
تخلو الأرض من قائم لله بحجة، ظاهراً مشهوراً، أو مستتراً مغموراً لثلاث تبطل  
حجج الله وبياناته . . . . .»<sup>(٢)</sup>.

والأئمة معصومون، ودليل عصمتهم الآية الكريمة ﴿إنما يريد الله ليذهب  
عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيراً﴾ [سورة الأحزاب: ٣٣].

فهذه الآية تدل على عصمتهم عن الذنوب، وطهارتهم من المعصية<sup>(٣)</sup>.

الاتجاه الثاني: أصحابه أخذوا أقوالهم من أكثر من مصدر، منها مصادر  
قديمة، ومصادر حديثة، وكتابات لبعض المستشرقين.

من هؤلاء: محمد كرد علي في [خطط الشام]، وكامل القزبي في [نهر  
الذهب في تاريخ حلب]، ومحمود البشبيشي في [الفرق الإسلامية]، وعلي  
سامي النشار في [نشأة الفكر الفلسفي الإسلامي]، ومصطفى الشكعة في [إسلام  
بلا مذاهب]، ومحمد عزة دروزة في [العرب والعروبة]، وعبد الرحمن بدوي  
في [مذاهب الإسلاميين] . . . . .

وغيرهم . . . . .

وغيرهم . . . . .

\* محمد كرد علي: استند في حديثه عن الاسماعيلية، إلى ثلاثة مصادر  
هي: [صبح الأعشى] للقلقشندي، وابن ساعد، و[المعلمة الإسلامية] للفرنسي  
كليمان هوار. وكلام كليمان هوار هو نفس ما جاء في [دائرة المعارف

(١) المرجع السابق ص ١٥٧.

(٢) المرجع السابق.

(٣) صدر المتألهين - تفسير القرآن الكريم ج ٦، ص ٢٩٩.



الإسلامية] وخلاصة ما قاله: الإسماعيلية يرون أن الأرواح مسجونة في الأجسام المكلفة بطاعة الإمام المطهر، فإذا انتقلت على الطاعة تكون قد تخلصت وانتقلت للأنوار العلوية، وإن انتقلت على العصيان هوت في الظلمات السفلية<sup>(١)</sup>.

ومنهم من يدعي الألوهية بنوع من الحلول.. ومنهم من يدعي رجعة الأئمة بنوع من التناسخ<sup>(٢)</sup>.

وهم يقولون بسبعة أئمة، في كل دور سبعة أئمة إما ظاهرون (دور الكشف) أو مختفون (دور الستر).

وهم يقولون إن الله لا صفات له ولا تدركه العقول ولا تفهمه الأبواب ولم يخلق العالم مباشرة، بل تجلت إرادته في أمره وهو العقل العام وفيه تختفي جميع الخصائص الإلهية وهو الله المتجلي.

والعقل هو معبود الاسماعيلية ويطلق على العقل أسماء الحجاب والمكان والأزل والأول. والعقل يخلق الروح العام... وهناك كائنان ضروريان وأصليان هما الأمد والزمان. والكواكب والعناصر نتيجة لازمة من عمل هذه المخلوقات الخمسة مشتركة...

ويفسر ظهور الإنسان بالضرورة التي يشعر بها الروح العام في إحراز العلم الكامل حتى يرقى الى طبيعة العقل العام.

ولللخلاص يجب على المرء تحصيل العلم وذلك من تجسد العقل على هذه الأرض. ويتجسد ذلك في الرسول وخلفائه والأئمة. ويسمى العقل المتجسد (الناطق) والروح المتجسد (الأساس). والأول هو الرسول الذي يتجلى فيه الكلام الموحى، والثاني هو ترجمان هذا الكلام. والناطق هو محمد والأساس علي.

(١) محمد كرد علي - خطط الشام ج٦، ص ٢٥٤.

(٢) المرجع السابق.

والجنة معناها مجازاً حالة النفس الواصلة إلى العلم الكامل. وجهنم معناها الجهل. وأن النفس غير خالدة في النار بل تعود إلى الأرض بالتناسخ حتى تعرف إمام الزمان وتأخذ عنه علوم الدين. والشر لا بد من زواله يوماً بتمثل الموجودات في العقل العام تمثلاً تدريجياً<sup>(١)</sup>.

أول ما نبدأ ونقول: إن محمد كرد علي، الأب الروحي للمجمع العلمي العربي بدمشق، ومؤسسه، يجهل المصطلحات الفلسفية التي استعملها الفلاسفة المسلمون في كتاباتهم، لذلك رأيناه في نقله عن [المعلمة الإسلامية] لا يتقيد باستعمال المصطلحات فأضاع بذلك المعنى. مثال ذلك: عبارة «النفس الكلية» تحولت على يديه إلى «الروح العام» وعبارة «العقل أبدع النفس الكلية» صارت عنده «العقل يخلق الروح العام».

وعبارة «هناك كائنان واجبان المكان والزمان» نقلها بالصيغة التالية «هناك كائنان ضروريان وأصليان هما الأمن والزمان»:

وعبارة «لبلوغ السعادة يجب على الإنسان تحصيل العلم ولا يمكن أن يتأتى له ذلك إلا بحلول العقل الكلي في إنسان هو النبي والأئمة من بعده» قرأناها عنده كما يلي: «وللخلاص يجب على المرء تحصيل العلم الذي لا يتأتى إلا عن تجسد العقل في هذه الأرض». وعبارة «الجنة في معتقد الاسماعيلية رمز إلى حالة النفس التي حصلت العلم الكامل» جاءت بالصورة التالية: «والجنة بمعناها مجازاً حال النفس الواصلة إلى كامل العلم».

الخ . . . . الخ . . . . الخ

\* كامل القرظي في [نهر الذهب في تاريخ حلب] نقل عن دائرة معارف بطرس البستاني نقلاً حرفياً. قال عن الاسماعيلية: إن الأرض لا تخلو عندهم من إمام إما ظاهر بذاته أو مستور، ولا بد له من ظهور حجة ودعاة. ويدور عدد الأئمة على سبعة عدد الأسبوع والسماوات والكواكب ولذلك سموا بالسبعية، أو لزعمهم أن النطقاء بالشرعية أي الرسل سبعة آدم ونوح وإبراهيم وموسى وعيسى

(١) المرجع السابق.

ومحمد واسماعيل بن محمد. وبين كل اثنين من النطقاء سبعة أئمة يتممون الشريعة. فكل ناطق يغير شريعة من قبله ولا بد في كل شريعة من سبعة يقتدى بهم وهم الإمام والحجة وذو المصبة والأبواب وهم الدعاة منهم داع أكبر وداع مآذون والمكلب والمؤمن.

ولطالب الدخول في عقيدتهم تسع مراتب يختبرون بها علمه فلا يبيحون له بمنتهى التعاليم إلا بعد أن يبلغ الرتبة الثامنة<sup>(١)</sup>.

لكن القزوي، مثله مثل البستاني، لم يذكر لنا المراتب التسع التي يختبرون بها طالب الدخول في عقيدتهم. علماً أن البغدادي، تحدث عنها، وذكرها بأسمائها وهي: التفرس، والتأسيس، والتشكيك، والتعليق، والربط، والتدليس، والتأنيس، والمواثيق بالأيمان والعهود، وآخرها الخلع والسلخ<sup>(٢)</sup>.

\* محمود البشبيشي في كتابه [الفرق الإسلامية] نقل عن الأسفرايني. ونص كلامه هو: «هم يتأولون آيات القرآن على أهوائهم فيزعمون أن الملائكة هم دعاتهم والشياطين مخالفوهم والصلاة موالاة إمامهم والحج زيارته والصوم الإمساك عن إفشاء سره وأن من عرف الله سقطت عنه العبادة.

ويقولون إن الإله خلق النفس (فهو الأول والنفس هي الثاني) والاثنان مدبران للعالم وسموهما (الأول والثاني) أو العقل والنفس.

وأباحوا نكاح الأخوات والبنات وشرب الخمر وسائر الملهذات»<sup>(٣)</sup>.

\* الدكتور علي سامي النشار: اعتمد على مصدرين رئيسيين، [الملل والنحل] للشهرستاني، و[الفرق بين الفرق] للبغدادي. وكان اعتماده على الشهرستاني أكبر.

قال: الإسماعيلية تؤمن بالعصمة اللامتناهية للإمام. وتعتقد أن الإمامة

(١) كامل الغزي - نهر الذهب في تاريخ حلب ج ١، ص ٢٠٩.

(٢) البغدادي - الفرق بين الفرق ص ٢٦٩.

(٣) محمود البشبيشي - الفرق الإسلامية ص ٥٩، والاسفرايني - التبصير في الدين وتمييز الفرق الناجية عن الفرق الهالكين ص ٨٣.

لطف من الله . . . وتعتقد أيضاً بغيبية الإمام ثم برجعته . . . كما تعتقد بوجود هذا النور الأول الأزلي الذي انتقل من نبي الى نبي، ومن إمام لإمام . . .

وتقوم دعوى الإسماعيلية على وجود سبعة من مظاهر تجلي العقل الكلي في سبعة من الروحانيين، وقد ختم محمد ﷺ دور الأنبياء، فاختمت دورة من دورات تجلي العقل الكلي في الروحانيين من البشر وبدأت الدورة الثانية مبتدئة بمحمد نفسه، وهو آخر السبعة الروحانيين، ثم انتهت في الإمام السابع . . . ثم انتهى دور هؤلاء السبعة وبدأ دور السبعة المستورين . . .

وقد تأثر النشار بكتابات المستشرقين حول عقيدة الاسماعيلية . وذلك بحديثه عن فكرة الفيض التي أطلق عليها اسم الفيض الافلاطوني وذلك بهدف ربط أصول الفكر الاسماعيلي بجذور يونانية . وهذه مقولة المستشرقين .

ومما قاله أيضاً: إنه يتحكم في الكون سبعة من الناطقين: آدم، ونوح، وموسى، وعيسى، ومحمد، وعلي، ومحمد بن اسماعيل . . . فيهم أعظم مظاهر تجلي العقل الكلي . . . وكل قائم من هؤلاء القائمين فيفيض عليه ما فاض على من سبقه، فهو المظهر الأكمل لكل رسالة سبقته، أو نبوة أو علم . وكل ناطق يحمل كل ما حملة من قبله من ناطقين وقائمين حتى يصل إلى أكمل الصور الكونية . وتوقفت الدائرة الأخيرة عند محمد بن اسماعيل توفيقاً موقفاً والعالم الآن يتحكم فيه السبعة القائمون<sup>(١)</sup> .

ثمة ملاحظة، لا بد منها هي أن الحديث عن الناطقين السبعة تكرر أكثر من مرة على لسان المؤرخين القدماء وأصحاب الفرق . لكن هناك خلاف في أسمائهم .

ذكر النوبختي أنهم: نوح و ابراهيم وموسى وعيسى ومحمد ﷺ وعلي ومحمد بن إسماعيل<sup>(٢)</sup> في حين ذكر غيره أنهم: آدم ونوح و ابراهيم وموسى

(١) الدكتور علي شامي النشار - نشأة الفكر الفلسفي في الإسلام ص ١٧٩ .

(٢) النوبختي - فرق الشيعة ص ٦٨ .

وعيسى ومحمد واسماعيل<sup>(١)</sup>.

ملاحظة ثانية هي أن الدكتور النشار اعتبر الباطنية فرعاً من فروع الاسماعيلية، في حين أن الباطنية، اسم من أسماء الاسماعيلية.

ثم إنه تحدث عن عقائد الاسماعيلية من خلال أقوال أحمد الكيال، مع أن أحمد الكيال كان في أول أمره داعياً اسماعيلياً ثم غير المذهب ودعا لنفسه، وإذن فلا يجوز بحال من الأحوال أن نعتبر أقواله هي أقوال الاسماعيلية. لأنه لا يمثل إلا نفسه.

\* محمد عزة دروزة في كتابه [العرب والعروبة] نقل عن [ولاية بيروت] نقلاً حرفياً، وباعتبار أننا تكلمنا عن معتقدات الاسماعيلية في هذا الكتاب، فلا ضرورة للتكرار.

\* الدكتور مصطفى الشكعة في [إسلام بلا مذاهب] نقل عن [الملل والنحل] للشهرستاني و[دائرة المعارف الإسلامية] و[طائفة الاسماعيلية] للدكتور محمد كامل حسين..

لكن اعتماده الكبير كان على كتاب الدكتور محمد كامل حسين.

وباعتبار أننا سنقف وقفة خاصة عند ما قاله الدكتور محمد كامل حسين في كتابه الفذ [طائفة الاسماعيلية] لذلك فإننا سنكتفي بإبداء ملاحظتنا. على ما كتبه الشكعة، وهي:

(أ) قال الشكعة: إن الاسماعيلية واحدة من الفرق الشيعية التي جنحت إلى الغلو أكثر من ميلها إلى الاعتدال<sup>(٢)</sup>.

وهذا القول غير سديد. لأن الاسماعيلية تيارات مختلفة، واتجاهات مختلفة فيها الغلاة. وفيها المعتدلون. ومن غير الجائر التعميم.

(ب) برأيه أن سبب انتظام الاسماعيلية في الفرق الغالية، هو قولهم إن

(١) شيخ الربوة - نخب الدهر في عجائب البر والبحر ص ٢٠٣.

(٢) الدكتور مصطفى الشكعة - إسلام بلا مذاهب ص ٢٢٥.

الأرض لا تخلو من إمام . . . وإن من مات ولم يعرف إمام زمانه مات ميتة جاهلية<sup>(١)</sup>.

والغرابية أن الشكعة في حديثه عن أحمد بن حنبل قال ما حرفيته: «وابن حنبل يتمسك بالإمامة تمسكاً كاملاً ويقول: من مات ورقبته عرية من اعتقاد الإمامة فميتته جاهلية . . .»<sup>(٢)</sup>.

فهل كان ابن حنبل من الغلاة؟! عجباً!!

(ج) لاحظنا أن الشكعة، في نقله عن الدكتور محمد كامل حسين، كان يجتزئ الكلام، مما أفسد المعنى.

مثال ذلك:

- قال الدكتور محمد كامل حسين في [طائفة الاسماعيلية]: «وأخذ الإسماعيلية رأي الافلاطونية الحديثة في الإبداع وظهور النفس الكلية في العقل الكلي». هذا الكلام، نقله الشكعة بالصورة الثانية: «أخذ الاسماعيلية عن الافلاطونية الحديثة رأيهم في الإبداع . . .».

- وذكر محمد كامل حسين ما نصه: «ثم جاء الداعي أبو يعقوب السجستاني وكان ببخارى وقتل سنة ٣٣١هـ وألف كتاب (النصرة في شرح ما قاله الشيخ الحامد في كتاب المحصول) انتصر فيه للداعي النخشي، وخالف زميله أبا حاتم الرازي». عند الشكعة: «ثم جاء داع ثالث معاصر لهما أيضاً هو أبو يعقوب السجستاني فألف كتابه (النصرة) انتصر فيه للداعي النخشي فأتى بكلام جديد لم يقله هذا ولا ذاك».

- وكتب محمد كامل حسين ما نصه: «كان ذلك كله أمام جمهرة الناس، أما بين الخاصة من الدعاة وكبار رجال الدولة وممن يأكلون على كل الموائد فكان لهم أن يستمعوا إلى هذه الآراء السرية التي كان يلقيها داعي الدعاة، وفيها مثل هذه العقائد التي تجعل من الأئمة شبه آلهة، وهذه المجالس التي كان

(١) المرجع السابق ص ٢٤٧.

(٢) المرجع السابق ص ٤٦٧.



يلقيها داعي الدعاة هي التي تضم العبادة العلمية أي علم الباطن، فقد ذهب الاسماعيلية إلى أن لكل شيء ظاهر محسوس تأويلاً باطنياً لا يعرفه إلا الراسخون في العلم وهم الأئمة، وهؤلاء الأئمة يودعون هذا العالم الباطن لكبار الدعاة بقدر مخصوص، بل ذهب الإسماعيلية إلى أبعد من ذلك فقالوا إن التأويل الباطن من عند الله خص به علي بن أبي طالب، فكما أن الرسول ﷺ خص بالتنزيل كذلك علي بن أبي طالب خص بالتأويل، ومن ذلك المشاركة بين النبي وعلي، فقالوا إذن بوجود التأويل الباطن وضرورته واستدلوا على ذلك بقصة نبي الله موسى ﷺ مع الرجل الصالح المذكورة في سورة الكهف، وكيف أن موسى ﷺ وهو نبي مرسل من أولي العزم لم يمنحه الله علم الباطن بينما منح هذا العلم إلى الرجل الصالح وهو ليس نبياً مرسلًا وليس من أولي العزم...».

تحول هذا الكلام على يد الشكعة إلى الصيغة التالية: «هذا من الظاهر الذي يقرؤه عامة الناس. أما الخاصة فكانوا يسمعون آراء سرية يلقيها عليهم داعي الدعاة يضيفي فيها على الإمام صفات ما يشبه الإله، من ذلك قولهم إن التأويل الباطن هو من عند الله خص به علي بن أبي طالب، وقالوا بالمشاركة بين النبي وعلي، وذهبوا إلى أن علياً قد أورث الأئمة من أعقابه هذا التأويل الباطن الذي خص به دون النبي، وعلى ذلك فالأئمة وحدهم ودون غيرهم هم الذين يدلون الناس على أسرار الدين. وقد استشهد الاسماعيلية بقصة موسى مع الخضر في القرآن حينما خص الله الخضر بعلم الباطن مع كونه نبياً وعدم معرفة موسى بذلك مع كونه نبياً، استدلوا بذلك على أنه من المقبول في نظرهم ألا يعلم النبي علم الباطن وأن يعلمه علي...».

ونفس الشيء فعله وهو ينقل عن [دائرة المعارف الإسلامية] إذ نقل عنها نقلاً مجتزئاً. من ذلك مثلاً، قال: إنه - أي الله - لم يخلق العالم خلقاً مباشراً بل أبداع العقل الكلي بعمل من أعمال الإرادة.

فحذف عبارة «وهو الأمر» بعد كلمة أعمال الإرادة كما جاء في [دائرة المعارف الإسلامية].



ومن ذلك أيضاً ما قاله: فإن الاسماعيلية يسمون العقل الحجاب أو المحل أو الصلة وهذا الكلام ورد في [دائرة المعارف الإسلامية] بالصورة التالية: «يسمي الاسماعيلية العقل أو الحجاب أو المحل أو الصلة أو النفس أو الأول...».

\* الدكتور عبد الرحمن بدوي: اسم ضخم في عالم الثقافة والفكر، قدم للمكتبة العربية، العديد من المؤلفات منها كتابه [مذاهب الإسلاميين] الذي صدر بجزئين كبيرين، خصص الجزء الثاني منه للحديث عن ثلاث فرق دينية هي الاسماعيلية والنصيرية والدروز... وكان نصيب الاسماعيلية من الكتاب (٣٣٥) صفحة هي الصفحات من ٨٧ إلى ٤٢٢.

قسم الدكتور دراسته إلى العناوين التالية:

- الاسماعيلية.

- نشأتها.

- القرامطة.

- الأهداف السياسية والاجتماعية لحركة القرامطة: تحدثت تحت هذا العنوان عن المواضيع التالية: أبو سعيد الجنابي في البحرين - القرامطة في سواد الكوفة - القرامطة في الشام - قرامطة البحرين - مهاجمة مكة وأخذ الحجر الأسود - رد الحجر الأسود - وقوع الخلاف بين القرامطة بعضهم ببعض - وفاة أبي طاهر القرمطي - استيلاء القرامطة على دمشق مرة أخرى - أفول نجم القرامطة.

\* مذهب القرامطة: تحدثت، تحت هذا العنوان عن المواضيع التالية: كيفية الدعوة - صفة الدعوة الأولى - صفة الدعوة الثانية - صفة الدعوة الثالثة - صفة الدعوة الرابعة - صفة الدعوة الخامسة - صفة الدعوة السادسة - صفة الدعوة السابعة - صفة الدعوة الثامنة - صفة الدعوة التاسعة - ذكر العهد الذي يؤخذ للمخدوعين في أول الدعوة الخبيثة - كيفية الدخول على أصحاب الديانات المختلفة - القرامطة والشعبوية - من هو الشريف أبو الحسين.



\* مؤلفات الإسماعيلية: (مؤلفات عبدان، ومؤلفات أحمد بن الكيال الخصيبي).

\* أعلام الفكر الاسماعيلي: (أبو حاتم الرازي - أبو يعقوب السجستاني - حميد الدين أحمد الكرمانى - القاضي النعمان - أبو القاسم رستم بن الحسن بن فرج بن حوشب - داعي الدعاة هبة الله بن موسى بن داود الشيرازي - ناصر خسرو - جعفر بن منصور اليمن - علي بن محمد بن الوليد - إبراهيم الحسين الحامدي - محمد بن طاهر الحارثي - الداعي حاتم بن إبراهيم - الداعي علي بن الحسين بن حظلة - عماد الدين إدريس بن الحسن - حسن بن نوح) . . .  
مكتفياً بذكر أسماء الأعلام، وأسماء بعض مؤلفاتهم.

\* آراء الاسماعيلية: تنضوي تحت هذا العنوان، الفقرات التالية:

- باب الإلهيات: (التوحيد - في بطلان أنه تعالى آيسا - في نفي الصفات عنه - في أنه تعالى لا حد له ولا مثل - في الإبداع).

- في الموجودات عن المبدع الأول (النفس الكلية وهي المنبعث الأول - المنبعث الثاني وهو الهيولى المسمى في السنة الإلهية باللوح - العلاقة بين الأنفس الناطقة الإنسانية وبين النفس الكلية - البشر الإنسانية - ثمرة العالم - الحدود العلوية - الحدود الجسمانية - الطبيعة والأفلاك - النفس الناطقة - بقاء النفس الناطقة).

- عالم الدين (الوحي - النبوة والرسالة والولاية - الولاية - النطقاء).

- الواجبات نحو الأئمة (الوفاء بعهود الأئمة - توقير الأئمة - إخبارهم بأحوال أنفسهم وسؤالهم والاستغفار لهم - الصبر على ما يمتحن به الأئمة أتباعهم - الشكر لما يولون من نعم - الجهاد مع الأئمة - التسليم في جميع الأمور إلى الأئمة - الخوف من الأئمة والحذر من عقوبتهم وسقوط المنزلة عندهم - تولي من والى الأئمة وعداوة من عاداهم - تحري ما وافق الأئمة والنهي عن إتيان ما خالفهم - التجرد عن الحسد والبغض والشره والحقد وسوء الظن - وضع الخمس من الكسوب إلى الأئمة).

- الأخرويات (التناسخ - إنكار التناسخ - البعث - الحساب - الجنة والنار).

- اسماعيلية ألموت .

دولة ألموت بعد وفاة الحسن بن الصباح .

النزارية المستعلية .

الاسماعيلية النزارية في الشام .

عودة إلى نزارية ألموت .

أئمة الستر ونقض القيامة .

نصير الدين الطوسي والاسماعيلية .

المصادر التي اعتمدها الدكتور عبد الرحمن بدوي في دراسته هي :

[الفرق بين الفرق] للبغدادى و[فضائح الباطنية] للغزالي و[المقالات والفرق]

لسعد بن عبد الله القمي و[الفهرست] لابن النديم و[فرق الشيعة] للنوبختي ،

و[الملل والنحل] للشهرستاني . . . وجميعهم من غير الإسماعيلية . . .

ومن المصادر الاسماعيلية [راحة العقل] لأحمد حميد الدين الكرمانى .

نقل عن البغدادى والغزالي والقمي بعض الفقرات المتعلقة بالقرامطة .

ونقل عن النوبختي ، قوله عن القرامطة : زعموا أن الله سبحانه وتعالى

جعل لمحمد بن اسماعيل جنة آدم ، أي إباحة المحارم ، وجميع ما خلقه في

الدنيا . وأن محمد ابن اسماعيل خاتم النبيين ، وأن الدنيا ١٢ جزيرة في كل

جزيرة حجة وأن الحجج ١٢ ولكل داعية يد أي رجل له دلائل وبراهين ، وأن

جميع ما فرضه الله على عباده له ظاهر وباطن (ص ٩٢) من مذاهب

الإسلاميين .

ونقل عن ابن النديم أسماء كتب عبدان وأحمد الكيال الخصيبي .

ونقل عن الشهرستاني حديثه عن الدعوة الجديدة - دعوة الحسن ابن

الصباح .

ونقل عن الكرمانى ، آراء الإسماعيلية ، حول الإلهيات والموجودات

وهو عند حديثه عن مذهب القرامطة. نقل فقرة «كيفية الدعوة» من النويري. وقال: «خير مصدر لنا عنه هو ما كتبه الشريف أبو الحسين محمد ابن علي. ونقله إلينا النويري في [نهاية الأرب] وهو مما لم ينشر بعد من هذه الموسوعة العظيمة ولهذا سنورده هنا بتمامه...» ص ١٥٢ من مذهب الإسلاميين.

ملاحظتنا على الدكتور عبد الرحمن بدوي أنه نقل عن المصادر التي أشرنا إليها، نقلاً حرفياً من دون مناقشة أو تعليق.

ومن دون أن تستلفت نظره تناقضات كتابات الأقدمين عن القرامطة أو الاسماعيلية. ثم أنه اعتبر ما كتبه الشريف أبو الحسين محمد بن علي، خير مصدر عن مذهب القرامطة. وهذا مثير للدهشة، لأن الشريف ليس من رجالات القرامطة بل من خصومهم.

والملاحظة نفسها واجهتنا عند مطالعة ما كتبه عن النصيرية، إذ هو اعتبر نص السؤال الموجه إلى ابن تيمية، وجواب ابن تيمية عليه من النصوص المفيدة في معرفة مذهب النصيرية.

أي أنه أخذ أقوال كل فرقة من خصومها.

أما ما نقله عن النويري وقال: «إنه مما لم ينشر بعد من هذه الموسوعة العظيمة» فلا يختلف في مضمونه عما كتبه المقرئ في [المواعظ والاعتبار] والبغدادي في [الفرق بين الفرق] والغزالي في [فضائح الباطنية].

ثانياً: من مصادر الدكتور بدوي في دراسته عن الاسماعيلية كتاب [الفرق بين الفرق] للبغدادي. وفي هذا الكتاب، تحدث البغدادي عن كيفية الدعوة، واليمين التي تؤخذ من المرید قبل تلقيه مبادئ الدعوة. وما كتبه البغدادي بهذا الخصوص، يتناقض مع ما نقله النويري عن الشريف أبي الحسين محمد ابن علي. فكيف لم ينتبه الدكتور البدوي إلى ذلك؟!

ثالثاً: غاب عن دراسة الدكتور البدوي مصادر كثيرة تحدثت عن القرامطة

والاسماعيلية، منها على سبيل المثال لا الحصر: [مقالات الإسلاميين واختلاف المصلين] للأشعري، و[التنبيه والرد على أهل الأهواء والبدع] للملطي، و[المنتظم في تاريخ الملوك والأمم] لابن الجوزي، و[كشف أسرار الباطنية وأخبار القرامطة] لمحمد بن مالك الحمادي اليماني، و[التبصير في الدين وتمييز الفرقة الناجية من الفرق الهالكين] للأسفرايني، و[صبح الأعشى] للقلقشندي وغيرها... وغيرها...

وهي لا تقل أهمية عن المصادر التي اعتمدها في دراسته.

ولو أن الدكتور عبد الرحمن بدوي انتبه إلى هذه المصادر، ودرسها دراسة دقيقة متأنية. وقارن ما بينها لتبين له، بصورة لا مجال معها للشك، أن أغلب ما قيل عن الفرق الدينية، موضوع ومدسوس.

رابعاً: بالنسبة إلى المصادر الاسماعيلية، اكتفى استاذنا بكتاب [راحة العقل] للكرماني، وحده دون غيره من المصادر الاسماعيلية الكثيرة التي نشرها ايفانوف والدكتور محمد كامل حسين والدكتور عارف تامر والدكتور مصطفى غالب وغيرهم... وغيرهم... وهي متوافرة للدارسين.

ولئن كان الكرماني من كبار الدعاة الاسماعيليين، إلا أن كتابه وحده، لا يغني عن بقية كتب الدعاة الاسماعيليين، وخاصة بالنسبة إلى من يقوم بدراسة مفصلة عن الاسماعيلية، كدراسة الدكتور عبد الرحمن بدوي.

خلاصة القول: إن ما كتبه الدكتور عبد الرحمن بدوي عن الاسماعيلية، لا يتناسب أخلاقياً مع اسمه الضخم ومقامه العلمي الكبير.

الاتجاه الثالث: أصحاب هذا الاتجاه درسوا عقائد الاسماعيلية من خلال كتبهم ومؤلفاتهم. وأبرز ممثلي هذا الاتجاه، الدكتور محمد كامل حسين. وهو أول عربي نظر إلى الاسماعيلية نظرة عقلانية متفهمة. وكتب عنها بروح منصفة، في كتابين، من أبرز كتبه، هما: طائفة الاسماعيلية (١٩٥٩)، وفي أدب مصر الفاطمية (١٩٧٠).

وتعتبر كتاباته بمثابة رد واع على كتابات المؤرخين القدماء، فدحضها

فهو أولاً نفى عن الإسماعيلية، اسم الباطنية، وقال: إنهم يقولون بالباطن والظاهر وأوجبوا الاعتقاد بالظاهر والباطن معاً، بل كفروا من اعتقد بالباطن من دون الظاهر أو بالظاهر من دون الباطن<sup>(١)</sup>.

كما أنه برأ الفاطميين من كل ما اتهمهم به المؤرخون القدماء من إباحتهم وقول بالتناسخ والحلول وغير ذلك...<sup>(٢)</sup>.

عن عقائد الاسماعيلية قال: إن الإمامة هي المحور الذي تدور عليه كل العقائد الاسماعيلية والفلسفة الاسماعيلية، لأنهم جعلوا ولاية الإمام الركن الأساسي لجميع أركان الدين، بل لا يستقيم الدين إلا بها. والولاية طاعة الإمام ومعرفته. وأسبغوا على الأئمة صفات باطنية تجعلهم لا يمتون إلى البشرية بصلة.

وقالوا: بضرورة وجود إمام معصوم منصوص عليه من نسل محمد ابن إسماعيل بن جعفر. والنص على الإمام يكون من الإمام الذي سبقه. والإمام حجة الله على عباده وهاديهم إلى الطريق القويم<sup>(٣)</sup>.

وقالوا: إن لكل نبي وصياً. وإن الله تعالى هو الذي يوحى إلى نبيه بإعلان من اختاره الله وصياً لنبيه، وخليفة له. فكان وصي آدم هابيل، ووصي نوح ابنه سام، ووصي إبراهيم ابنه اسماعيل، وكان وصي موسى أخاه هرون، ووصي عيسى بن مريم حواريه شمعون الصفا، فوجب أن يكون لمحمد ﷺ وصي شأنه شأن الأنبياء السابقين، وأن الله تعالى اختار علياً بن أبي طالب لمرتبة الوصاية<sup>(٤)</sup>.

والاسماعيلية، نسبوا أسماء الله الحسنى إلى العقل الكلي الذي أطلقوا

(١) الدكتور محمد كامل حسين - طائفة الاسماعيلية ص ١٤٨ .

(٢) الدكتور محمد كامل حسين - في أدب مصر الفاطمية ص ٣٣ .

(٣) المرجع السابق ص ٢٢ .

(٤) المرجع السابق ص ٢٤ .

عليه اسم (المبدع الأول) أو ما رمز إليه الله تعالى بالقلم. والعقل الكلي أبداع النفس الكلية أو المبدع الثاني، أو ما رمز إليه القرآن الكريم باللوح المحفوظ.

ولأن العقل الكلي أسبق من النفس الكلية وأفضل، سمي بالسابق، وسميت النفس الكلية بالتالي وبواسطة العقل الكلي والنفس الكلية وجدت جميع المبدعات الروحانية والمخلوقات الجسمانية<sup>(١)</sup> والعقل الكلي في العالم العلوي، يقابله الإمام في العالم الجسماني<sup>(٢)</sup>.

وذهبوا إلى أن لكل شيء ظاهر محسوس تأويلاً باطنياً لا يعرفه إلا الراسخون في العلم وهم الأئمة الذين يودعونهم لكبار الدعاة بقدر مخصوص... وأن علي عليه السلام خص بالتأويل كما خص سيدنا محمد صلى الله عليه وآله بالتنزيل.

وأولوا فرائض الدين تأويلاً باطنياً، فالصلاة هي دعوة الحق، والصيام عدم الحديث، والجنة طاعة الإمام، والنار الخروج عن طاعته.

ومن عقائدهم، نظرية الدور التي تقول إن الحياة تتجدد وهي مقسمة إلى ست فترات، على رأس كل فترة نبي، وبين كل نبي وآخر أئمة يخلفون النبي في شؤون دينهم. وإن ما يحدث في فترة من هذه الفترات يحدث ما يشابهه تماماً في الفترات الأخرى.

وقسموا مراتب الدعوة بحسب دورة الفلك، وتقسيم السنة إلى شهور وأيام وساعات. فالسنة ١٢ شهراً والشهر ٣٠ يوماً واليوم ٢٤ ساعة.. فكذاك مراتب الدعوة. فالسنة التي تجمع الشهور والأيام مثل على النبي في عصره، أو الإمام الذي يجمع جميع الدعوات. والشهور الاثنا عشر مثل رؤساء الدعوة في الجزائر (حجج الجزائر)، ولكل من هؤلاء ثلاثون داعياً أو نقيباً يقومون بهداية الناس وبث الدعوة في نفوس المستجيبين، وهم الذين يفتاحون الذين دخلوا في الدعوة بالعلم بعد أن يأخذوا عليهم العهد والميثاق وهم الذين يجمعون النجوى

(١) الدكتور محمد كامل حسين - طائفة الاسماعيلية ص ١٥٨.

(٢) المرجع السابق.

لهم<sup>(١)</sup>. وبالجملة، فإن الاسماعيلية يعتقدون بكل ما يعتقد به غيرهم من المسلمين من موت وحياة وبعث ونشور وثواب وعقاب ويقومون بفرائض الدين ويحرمون ما حرمه الله ولا يقولون بالتعطيل أو الإباحة ولم يعتنقوا التناسخ أو الحلول أو التلاشي غير أنهم يقولون بأدوار الأنبياء، فلكل نبي دوره، ويأتي النبي الذي بعده يستنسخ شرع النبي قبله<sup>(٢)</sup>.

وممن سار في هذا الاتجاه أيضاً، حسن إبراهيم حسن وطفه أحمد شرف، في كتابيهما [عبيد الله المهدي] و[المعز لدين الله] حيث ضمنا كل كتاب من هذين الكتابين، عدداً من الملاحق المأخوذة من كتب الاسماعيلية. مثل كتاب [المجالس والمسائرات] للقاضي النعمان، و[أسرار النطقاء] لجعفر بن منصور اليمن، و[زهر المعاني] لإدريس عماد الدين وغيرها...

تضمن كتاب [عبيد الله المهدي] الملاحق التالية:

الملحق الأول: نهاية الإمام اسماعيل بن جعفر وإمامته (من كتاب أسرار النطقاء لجعفر بن منصور اليمن).

الملحق الثاني: في إمامة محمد بن إسماعيل (من كتاب زهر المعاني).

الملحق الثالث: ظهور المهدي (من كتاب زهر المعاني).

الملحق الرابع: انتقال الإمامة إلى المهدي والطيب بن الأمر (من كتاب غاية المواليين لابي الخطاب الداعي).

الملحق الخامس: الواجب على الأمة للأئمة (النعمان - المجالس والمسائرات).

الملحق السادس: في محاولة عبيد الله فتح مصر (النعمان - المجالس والمسائرات).

(١) الدكتور محمد كامل حسين - في أدب مصر الفاطمية ص ٣٨.

(٢) المرجع السابق ص ٣٩.

الملحق السابع: في فضل كتامة على الفاطميين (النعمان - المجالس والمسائرات).

الملحق الثامن: عبيد الله والزعامة في الرملة (سيرة جعفر الحاجب لمحمد بن محمد اليماني).

الملحق التاسع: عبيد الله في مصر (سيرة جعفر الحاجب)

الملحق العاشر: الأمن في عهد أبي عبد الله الشيعي (سيرة جعفر الحاجب).

الملحق الحادي عشر: المناظرة بين أبي عثمان سعيد بن محمد ابن الحداد وأبي العباس أبي عبد الله الشيعي (كتاب طبقات علماء افريقيا لابن يعرب محمد التميمي).

الملحق الثاني عشر: المناظرة الثانية بين أبي عثمان وأبي العباس (المرجع السابق).

الملحق الثالث عشر: المناظرة الثالثة بين أبي عثمان وأبي العباس (المرجع السابق).

الملحق الرابع عشر: المناظرة الرابعة بين أبي عثمان وأبي العباس (المرجع السابق).

وتضمن كتاب [المعز لدين الله] الملاحق التالية:

الملحق الأول: رسالة المعز إلى أبي الحسن علي الأخشيد (من كتاب المجالس والمسائرات للقاضي النعمان).

الملحق الثاني: عهد جوهر الصقلي إلى المصريين (اتعاظ الحنفا - المقريري).

الملحق الثالث: رسالة المعز إلى الحسن الأعظم القرمطي (اتعاظ الحنفا - المقريري).

الملحق الرابع: موقف المعز من أهل سلجلماسة (المجالس والمسائرات - النعمان).



- الملحق الخامس: نصيحة المعز لعامل سلجلماسة (المصدر السابق).
- الملحق السادس: تهديد المعز امبراطورية الدولة البيزية (المرجع السابق).
- الملحق السابع: كلام في مجلس خوطب به رسول الأموي (المصدر السابق).
- الملحق الثامن: رد المعز على عبد الرحمن الناصر الأموي (النعمان - المجالس والمسائرات).
- الملحق التاسع: نقض المعز لكتاب الناصر (النعمان - المجالس والمسائرات).
- الملحق العاشر: بعض الأحكام الشرعية الاسماعيلية في عهد المعز لدين الله (المجالس المستنصرية).
- الملحق الحادي عشر: ما ينبغي أن يستعمله الدعاة إلى الأئمة صلوات الله عليهم في دعائهم (النعمان - في آداب اتباع الأئمة).
- الملحق الثاني عشر: في الحث على طاعة الفاطميين (النعمان - المجالس والمسائرات).
- الملحق الثالث عشر: مدح المعز كتامة.
- الملحق الرابع عشر: اشتغال الأئمة في صلاح الأئمة (المصدر السابق).
- الملحق الخامس عشر: توقيع في ذكرى عاشوراء (المصدر السابق).
- الملحق السادس عشر: النهي عن الغلو في أولياء الله (المصدر السابق).
- الملحق السابع عشر: نصيحة المعز لعماله (المصدر السابق).
- الملحق الثامن عشر: نصيحة المعز لأحد العمال (المصدر السابق).
- الملحق التاسع عشر: في ترتيب استعمال العمال على العمل (المصدر السابق).

## الإسماعيليون في دوائر المعارف العربية

لم يعرف العرب، ما اصطلاح على تسميته «انسيكلوبيديا»، أي دائرة معارف، إلا في العصر الحديث.

وكان اللغوي اللبناني المشهور، بطرس البستاني (١٨١٩ - ١٨٨٣) أول من أصدر دائرة معارف باللغة العربية، ثم تبعه آخرون حتى صار لدينا أكثر من دائرة معارف، أشهرها:

\* كتاب دائرة المعارف: بطرس البستاني - بيروت /١٨٧٨/ م

\* دائرة المعارف الإسلامية: - القاهرة /١٩٣٣/ م

\* دائرة معارف القرن العشرين: محمد فريد وجدي القاهرة /١٩٣٧/ م

\* الموسوعة العربية الميسرة: بإشراف محمد شفيق غربال - القاهرة

/١٩٦٥/ م.

... و... و...

### كتاب دائرة معارف البستاني

تحدث بطرس البستاني، في دائرة معارفه، عن الإسماعيلية، حديثاً مطولاً، يغلب عليه الجانب التاريخي. يهمننا منه، بالنسبة إلى موضوعنا، الفقرات التي تتعلق بعقائد الإسماعيلية. وخلاصة ما قاله: إنها فرقة من غلاة الشيعة. وهم جمعية سرية سياسية أصلهم من بلاد فارس ظهوروا سنة ٨٤٠ للميلاد. ثم انتشروا في بلاد العرب وسورية وأفريقية وديانتهم مؤلفة من الوثنية

واليهودية والمسيحية والإسلامية . . .

ولا تخلو الأرض عندهم من إمام إما ظاهر بذاته أو مستور فلا بد من ظهور حجته ودعائه ويدور عدد الأئمة عندهم على سبعة عدد الأسبوع والسماوات والكواكب ولذلك سموا بالسبعية أو لزعمهم أن النطقاء بالشرعية أي الرسل سبعة، آدم ونوح وإبراهيم وموسى وعيسى وإسماعيل بن جعفر . . . وبين كل اثنين من النطقاء سبعة أئمة يتممون شريعته. فكل من النطقاء يغير شريعة من قبله فيتم شريعته سبعة أئمة بعده يسمون بالمستورين .

ولا بد في كل شريعة من سبعة يقتدى بهم وهم الإمام وهو يؤدي عن الله، والحجة وهو يؤدي عن الإمام، وذو المصبة وهو يأخذ العلم عن الحجة، والأبواب وهم الدعاة منهم داع أكبر لرفع درجات المؤمنين، وداع مآذون لأخذ العهد على الطالبين من أهل الظاهر فيدخلهم في ذمة الإمام، والمكلب الذي يحتج ويرغب إلى الداعي، ومؤمن وهو يتبع الداعي وقد أخذ عليه العهد وآمن وأيقن بالعهد ودخل في ذمته<sup>(١)</sup>.

ملاحظتنا على هذا الكلام، نجملها بما يلي:

(أ) القول إن الإسماعيلية فرقة من غلاة الشيعة غير سديد، لأن الإسماعيلية، ككل طائفة من الطوائف، وكل فرقة من الفرق التي ظهرت في التاريخ، تضم تيارات مختلفة واتجاهات مختلفة، فيها الغلاة وفيها المعتدلون . . وما دام الأمر كذلك فلا يجوز التعميم .

(ب) ليس صحيحاً أن أصل الإسماعيلية من بلاد فارس . لأن أئمة الإسماعيلية من سلمية في بلاد الشام، ومبدأ افتتاح الدعوة كان في اليمن ثم في المغرب الأقصى وأفريقية .

(ج) القول بأنهم ظهروا سنة ٨٤٠ للميلاد، غير صحيح . وقد عرضنا في الفصل الخاص بتاريخ ظهور الإسماعيلية، مختلف الأقوال حول بداية ظهور هذه الطائفة، وقلنا إن التاريخ الأولي بالاعتبار، لظهورها، هو الفترة التي

(١) كتاب دائرة المعارف ج ٣، ص ٦٢٧ .

سبقت وفاة أبي الخطاب سنة ١٣٨هـ - ٧٥٥م.

(د) قال البستاني، إن النطقاء بالشرعية، أي الرسل، سبعة. لكنه عدّ ستة فقط. آدم، ونوح، وإبراهيم، وموسى، وعيسى، وإسماعيل بن جعفر.

ثم هو ذكر بين النطقاء إسماعيل بن جعفر، في حين ذكر النوبختي، وهو من أوائل من كتبوا عن الفرق، أن السابع هو محمد بن إسماعيل.

يضاف إلى ذلك، أن البستاني في حديثه عن السبعة الذين يقتدى بهم عدّ ستة: الإمام والحجة وذو المصبة والأبواب (الدعاة) والمكلب والمؤمن.

وعن الأبواب قال: منهم داع أكبر، وداع مأذون. فإذا كان هذان الداعيان، هما المقصودان بعبارته «الأبواب» صار المجموع سبعة. لكن لفظة الأبواب جاءت بصيغة الجمع، والجمع لغة ما زاد على الثلاثة. فكيف يخطئ من هو حجة في اللغة؟!

(هـ) قال إن ديانة الإسماعيلية مؤلفة من الوثنية واليهودية والمسيحية والإسلامية، من دون أن يقدم أي دليل على ذلك، ومن دون أن يبين ماذا أخذت الإسماعيلية من هذه الأديان والمذاهب.

### دائرة المعارف الإسلامية

أصدرها بالإنكليزية والفرنسية والألمانية أئمة المستشرقين في العالم ويشرف على تحريرها تحت رعاية الاتحاد الدولي للمجامع العلمية: هوتسما وفنسنك وكب وهفننك وليفي بروفنسال وشاده وباسيه وهارتمان وأرنولد وباور ولويس وبلا وشاخت.

والنسخة العربية من إعداد وتحرير إبراهيم زكي خورشيد وأحمد الشتاوي والدكتور عبد الحميد يونس.

تحدثت دائرة المعارف الإسلامية، عن عقيدة الإسماعيلية، تحت عناوين مختلفة: عقيدة الإسماعيلية، المذهب الرسمي الفاطمي، هيكل المذهب.

خلاصة ما جاء فيها عن عقيدة الإسماعيلية، أنهم ينكرون إنكاراً تاماً صفات الله، ويقولون إنه فوق متناول العقل، وإن العقل عاجز عن إدراك كنهه... وإن الله أبدع العقل الكلي بالأمر، والعقل الكلي محل لجميع الصفات الإلهية، وهو الإله ممثلاً في مظاهره الخارجية. وهم يسمون العقل الحجاب أو المحل أو الصلة أو النفس أو الأول.

والعقل أبدع النفس الكلية. وعن النفس صدرت المادة الأولى، وإن المثل توجد في العقل وإن هناك كائنين واجبين هما المكان والزمان. ومن اتحاد الوجودات الخمسة في العقل تحدث حركات الأفلاك والطباع، وهم يعللون ظهور الإنسان بحاجة النفس الكلية إلى بلوغ العلم الكامل حتى تسمو إلى مرتبة العقل الكلي. وإذا ما بلغت هذه المرتبة تبطل كل حركة.

ولبلوغ السعادة يجب على الإنسان تحصيل العلم وذلك بحلول العقل الكلي في إنسان هو النبي وفي الأئمة الذين يخلفونه.

والعقل الحال يسمى (ناطقاً) وتسمى النفس الحالة (أساساً) والناطق هو النبي محمد ﷺ وهو الذي يبلغ الكلام المنزل. والأساس هو علي وهو الذي يفسر الكلام معتمداً على التأويل وأركان الإسماعيلية الثلاثة الأخيرة هي: الإمام والحجة ثم الداعي.

والجنة رمز إلى حالة النفس التي حصلت العلم الكامل.  
والجحيم رمز إلى حالة الجهالة.

والنفس تعود ثانية إلى الأرض بالتناسخ إلى أن تعرف إمام العصر الذي عادت فيه إلى الأرض، وتأخذ منه المعارف الدينية.  
أما المذهب الرسمي للفاطميين فيقوم على ظاهر، وهو الشريعة، وباطن.  
ولا باطن بلا ظاهر.

والظاهر يشبه من وجوه كثيرة شعائر الاثني عشرية، ويتفق في بعض المسائل مع مذهب أهل السنة.



أما الباطن، فيقوم على تأويل آيات من القرآن وبعض الأحاديث، وعلى أحكام دينية قصد بها إثبات الأصل الإلهي للإمامة، واقتصار حق القيام بها على الفاطميين. هيكل المذهب، يقوم على أن الواحد أبدع بأمر من مشيئته الأزلية أول (سابق) أو (عقل الكل). وعن السابق صدر (النفس الكل).

عقل الكل هو الرسول، النبي محمد ﷺ، ونفس الكل هو الوصي، علي عليه السلام.

والأئمة الموكلون بهذا العالم هم أقانيم العقل الأخير.

والنفس، من حيث هي صورة الإنسان، تنتمي إلى العالم الروحي الأعلى. وتستطيع بمشاركتها الإمام، وهو أقرب جوهر علوي، أن تصعد وتعود إلى مصدرها الأصلي فتبلغ منتهى الخلاص. والطريق إلى هذه المشاركة هي تحصيل العلم (العبادة العلمية) الذي كشف عنه، الأئمة، وطاعة أوامرهم، ومن هنا يمكن القول إن من يمت دون أن يعرف إمام زمانه مات كافراً. وتوجد في العقيدة الإسماعيلية مراتب رئيسية هي:

- المستجيب (الملقن)

- المأذون (المجاز للتدريس)

- الداعي (الواعظ)

- الحجة

- الجزيرة.

أما الرقم ٧ فهو من الأرقام الخفية. وهناك دورات من سبعة أئمة، وكذلك دورات الأنبياء الكبار لكل سبعة آلاف سنة (آدم، نوح، إبراهيم، موسى، عيسى، محمد) ولكل منهم وحي، أما السابع فهو القائم المنتظر<sup>(١)</sup>.

أول ما ينبغي قوله إن [دائرة المعارف الإسلامية]، تمثل وجهة نظر المستشرقين الغربيين. وهؤلاء أكثر عقلانية، وإنصافاً، وفهماً لحقيقة مقولات

(١) دائرة المعارف الإسلامية - كتاب الشعب، المجلد ٢١ و ٢٢ الصفحات / ٣٨٠ و ٣٨٩ و ٣٩١.

الفرق الباطنية، ومنها الإسماعيلية، من مؤرخينا القدماء، وكتاب الفرق، الذين هم في معظمهم من كتاب السلاطين.

ثانياً: يفهم من مجمل الكلام عن عقيدة الإسماعيلية، أنها تقوم على نظريتي الفيض أو الصدور، فيض الكائنات عن الخالق جل وعلا، ونظرية الإنسان الكامل. «الإنسان الحادث الأزلي، والنشء الدائم الأبدي، والكلمة الفاحلة الجامعة»<sup>(١)</sup> والذي هو سبب إيجاد العالم وبقائه أولاً وأبداً، ودنيا وآخرة<sup>(٢)</sup>.

ثالثاً: جاء في سياق الحديث، إن الإسماعيلية، يسمون العقل الحجاب أو النفس أو... بمعنى أن النفس اسم من أسماء العقل. فهي والعقل شيء واحد.

ثم قرأنا أن «العقل أبدع النفس الكلية» و «أن المادة الأولى صدرت عن النفس» بحيث يفهم من هذين القولين أن النفس غير العقل، وهذا ما يتناقض مع القول السابق إن العقل هو الحجاب أو... النفس.

رابعاً: ليس في [دائرة المعارف الإسلامية] ما يشير إلى أن عقيدة الإسماعيلية مؤلفة من الوثنية واليهودية، كما جاء في كتاب دائرة معارف البستاني.

خامساً: هناك خلاف واضح بين دائرة معارف البستاني، ودائرة المعارف الإسلامية، فيما يتعلق بالمراتب الرئيسية عند الإسماعيلية.

فهي في دائرة معارف البستاني: الإمام، والحجة، وذو المصبة، والأبواب، والمكلب، والمؤمن.

بينما هي، في دائرة المعارف الإسلامية، المستجيب، والمأذون، والداعي، والحجة، والجزيرة.

(١) ملا صدرا الشيرازي - شرح القرآن الكريم ج٤، ص ٣٥٠.

(٢) المصدر السابق.

سادساً: أهم فقرة قرأتها في دائرة المعارف الإسلامية هي أن الإسماعيليين متمسكون بالصلاة والصوم، وكل ما قضت به الشريعة. وأن كل من أرخوا للبدع أغفلوا هذه الناحية من المذهب الإسماعيلي كل الإغفال... وهذا يعني، بصريح العبارة، أن كلام المؤرخين القدماء، عن عقيدة الإسماعيلية، كان مختلفاً، إن لم يكن بمعظمه ففي قسم كبير منه.

سابعاً: أصبحت [دائرة المعارف الإسلامية] من يوم صدورها المرجع الأساسي، لجميع الباحثين، فنقلوا عنها من دون الإشارة إلى المصدر. وممن نقلوا عنها الموسوعة العربية الميسرة.

\* \* \*



## دائرة معارف القرن العشرين

مؤلفها: محمد فريد وجدي .

وفيها عن، معتقدات الإسماعيلية، ما يخالف الأقوال التي قرأنا في دائرتي معارف البستاني، والإسلامية .

الأفكار الرئيسية لعقائد الإسماعيلية في [دائرة معارف القرن العشرين]

هي :

(أ) إن الأرض لن تخلو من إمام . إما ظاهر مكشوف أو باطن مستور فإذا كان ظاهراً يجوز أن يكون حجته مستوراً، وإن كان مستوراً فلا بد أن يكون حجته ودعائه ظاهرين .

(ب) من مات ولم يعرف إمام زمانه مات ميتة جاهلية . وكذلك من مات ولم يكن في عنقه بيعة إمام .

(ج) إن عبد الله بن ميمون أسس بين الإسماعيلية جمعية سرية مرتبة على تسعة رتب، لا يرقى أحد من رتبة إلى ما فوقها إلا بالاستعداد والأهلية .

لكن محمد فريد وجدي، لم يذكر من هذه الرتب غير ستة فقط هي :

الدرجة الأولى: تشكيك الناس عن طريق طرح أسئلة تثير في الذهن

تساؤلات .

الدرجة الثانية: يكشفون للمستعدين للترقي من أهل الدرجة الأولى أن

الإمام هو الواجب التقليد .

الدرجة الثالثة: يعلنون أن الأئمة سبعة والإمام الحاكم هو السابع وهو

الدرجة الرابعة: يقولون للمستعدين إن الأئمة سبعة، وكذلك عدد الرسل الذين جاؤوا بشرائع ناسخة. ولكل من الأئمة مساعد، ولمساعدهم مساعد إلى سبعة. وكل من هؤلاء السبعة المساعدين يدعى الصامت. وأما مؤسس الأديان فيدعى كل منهم الناطق وعددهم سبعة وهم:

آدم (وشيث صامت ومعه ستة)

نوح (وسام صامت ومعه ستة)

ابراهيم (واسماعيل صامت ومعه ستة)

موسى (وهرون صامت معه ستة)

عيسى (وبطرس صامت ومعه ستة)

محمد (علي ومحمد ستة)

إمام الوقت عبد الله . . .

الدرجة الخامسة: يقولون للمريد إن شريعة محمد ستنسخ.

الدرجة السادسة: يزينون للمريد عدم وجوب العبادات . . .

أخذ محمد فريد وجدي الفكرتين الأولى والثانية من الشهرستاني، والفكرة الثالثة من البغدادي الذي قال إن الإسماعيلية لهم في دعوتهم إلى بدعتهم حيل على مراتب سموها التفرس، والتأنيس، والتشكيك، والتعليق، والربط، والتدليس، والتأسيس، والمواثيق بالآيمان والعهود، وآخرها الخلع والسلخ . . .

### الموسوعة العربية الميسرة

ما ذكرته هذه الموسوعة، عن الإسماعيلية، عبارة عن معلومة موجزة جداً لا تخرج في مضمونها عما جاء في [دائرة المعارف الإسلامية].

## الإسماعيليون من خلال آثارهم

قدم الإسماعيليون للفكر الإنساني تراثاً ضخماً، يتصف بالعمق والأصالة، أنتجته عقول مبدعة، شمل مختلف أنواع العلوم والمعارف من فقه، ودين، وفلسفة، وعلوم طبيعية، وتاريخ، وسير وأخبار، ومعارف إلهية، وعبادات، ووعظ وإرشاد و... و... لكن هذا التراث، تبدد وذهب هدرأً، بالنكبات التي نزلت بهم في مركزين من أهم مراكز وجودهم. مصر وبلاد فارس.

فعندما قضى صلاح الدين الأيوبي على الدولة الفاطمية بمصر سنة ٥٦٧هـ - ١١٧١م، قام ببيع خزانة كتب القصر الفاطمي، وكانت من عجائب الدنيا، لا يوجد في بلاد الإسلام ما يماثلها، وكانت تحتوي على ألفي ألف كتاب<sup>(١)</sup> أي مليوني كتاب بحساب اليوم.

وإذا كان صلاح الدين، اكتفى ببيع الكتب، فإن هولاء، عندما اجتاح بجحافلهم قلاع الإسماعيلية وحصونهم، ببلاد فارس، سنة ٦٥٤هـ نهبها وأحرق محتوياتها، وبهذه الصورة لم يسلم من التراث الإسماعيلي الضخم إلا نزر يسير وهذا النزر، بقي طي الخفاء مئات السنين، لم يبدأ بالكشف عنه إلا حديثاً على يد بعض رجال المذهب كالدكتور عارف تامر والدكتور مصطفى غالب، ومن غير رجال المذهب، من الأساتذة الجامعيين كالدكتور محمد كامل حسين... وغيرهم... وبفضلهم، صار، بين أيدينا، مجموعة من كنوز الفكر

(١) أبو شامة - كتاب الروضتين في أخبار الدولتين، أخبار سنة ٥٦٧هـ.

الفاطمي، تكفي لتقديم صورة واضحة تماماً، عن عقائد الإسماعيلية، ودراستها دراسة دقيقة وافية بالغرض. وفي هذه الكتب ما يشير صراحة إلى أصول وفروع العقائد الإسماعيلية وعلى رأسها:

- (١) توحيد الله تعالى وتنزيهه عن كل شيء ونفي الإشراف به والقرناء.
  - (٢) الاعتراف بالأنبياء والرسل، وأنهم معصومون من كل خطأ، وأن محمداً ﷺ خاتم الأنبياء والمرسلين، ووجوب طاعته واتباع ما شرعه.
  - (٣) التصديق بما جاء به القرآن الكريم، والعمل به ظاهراً وباطناً.
- وهذا ما ينفي عن الإسماعيلية كل الاتهامات التي اتهمهم بها المؤرخون القدماء.

وتضعنا كتب الإسماعيلية، أمام حقيقة ناصعة، هي أنهم يؤمنون بالله وكتبه ورسله وينطقون بالشهادتين.

فكمال الإيمان عندهم «معرفة الخالق الحكيم، والباري القديم، والمصور العليم، من حيث دل على معرفته، والديانة بتوحيده، ونفي الأشراف له والقرناء، وتنزيهه عن الآباء والأبناء، ثم معرفة رسوله ﷺ وتصديق ما جاء به، وإيجاب ما أوجب، وإسقاط ما أسقط، وتحليل ما حلل، وتحريم ما حرم، وتأخير ما أخر، وتقديم ما قدم، ثم معرفة إمام العصر والزمان والإخلاص له في السر والإعلان...»<sup>(١)</sup>.

وتم «التصديق بجميع الرسل والأئمة والعمل بما أتى به صاحب شريعة أهل العصر، وأمر إمامهم، والبراءة من كل من فارق الرسل والأئمة»<sup>(٢)</sup>.

والنطق بالشهادتين نجده في كل كتاب من كتبهم أو رسالة من رسائلهم. ففي [رسالة ضياء الحلوم ومصباح العلوم] للداعي علي بن حنظلة المحفوظي الوادعي. نقرأ: «الحمد لله الذي عز عن أن تدركه دقائق خطرات الأوهام

(١) المجالس المستنصرية - المجلس الأول ص ٢٥، تحقيق الدكتور محمد كامل حسين.

(٢) منتخبات اسماعيلية، تحقيق الدكتور عادل العواص ص ١٣.

والظنون، فضلاً عن أن تحيط به أو تعتريه لحظات العيون... وأشهد أن لا إله إلا من أبدع الأعيان الروحانية، وخلق منها الموجبات الجسمانية... وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، أرسله بالهدى إلى الجن والإنس...»<sup>(١)</sup>.

وافتح حاتم بن ابراهيم الحامدي رسالته [رسالة زهر بذر الحقائق] بالعبارة التالية:

«بسم الله الرحمن الرحيم، وبه أستعين... وأشهد أن لا إله إلا الله، شهادة منزهة عن الغلو والتقصير، مقرونة بتوحيد العلي الكبير...»<sup>(٢)</sup>.

وهم يرون أن التوحيد، لب العلوم، وتنزيه الحي القيوم<sup>(٣)</sup>. ويقصدون به معرفة الحدود الروحانية والجسمانية. والتنزيه، تنزيه المبدع الحق أن يقع عليه شيء مما يقع على مبدعاته ومخترعاته، وإيقاع أشرف الأسماء وأجلها على أول مبدعاته<sup>(٤)</sup>.

والتجريد، سلب الإلهية من جميع المبدعات، وإثباتها للمبدع تعالى<sup>(٥)</sup>.

وفرائض الدين، عندهم، هي: الولاية، والطهارة، والصلاة، والزكاة، والصوم، والحج، والجهاد..

والولاية رأس هذه الفرائض. والمقصود بها ولاية الوحي والأئمة من بعده. والولاية هي الحد الفاصل بين الإلحاد والنجاة الأبدية. فمن دخل الشريعة، دخل في خط الاستواء، ثم إذا زاغ عن مراتب الوصاية والإمامة واعتقادهما والتدين بهما أُلحد. لذلك كانت ولاية الوصي والأئمة الباب والمدخل إلى تحقيق الشريعة، المؤدي إلى النجاة الأبدية<sup>(٦)</sup>.

ومن أثبت ولاية الأئمة من أهل بيت رسول الله ﷺ، أثبت حقيقة العلم

(١) أربع كتب حقانية، تحقيق الدكتور مصطفى غالب ص ٧٩.

(٢) منتخبات اسماعيلية ص ١٥٧.

(٣) علي بن حنظلة - رسالة ضياء العلوم ومصباح العلوم ص ٨٠.

(٤) المرجع السابق.

(٥) المرجع السابق.

(٦) المجالس المؤيدية - المجلس ٦٧ من المائة الخامسة.

الباطن، ومن أنكر ولايتهم أنكر العلم الباطن<sup>(١)</sup>.

ويقول الإسماعيليون بضرورة وجود إمام معصوم منصوص عليه من نسل محمد بن إسماعيل بن جعفر الصادق. ويعتقدون أن أسرار الشرائع وبواطنها وقف على الأئمة وحدهم، لا يمكن معرفتها إلا عن طريقهم أو عن طريق أنصارهم من الدعاة. وتعتبر الإمامة المحور الذي تدور عليه كل العقائد الإسماعيلية والفلسفة الإسماعيلية. وهم يرون أن من نصب إماماً غير إمام زمانه أو عظمه أو أخذ عنه أو استفاد منه فقد اتخذ عجباً كما اتخذ قوم موسى، وإقامة دون أولياء الله عليهم ولياً<sup>(٢)</sup>.

ويرون أيضاً، إن من اعتصم بإمام الزمان نجا. ومن تخلف عنه ضل وغوى<sup>(٣)</sup>.

ولهذا فهم يوصون أتباعهم، ويطلقون عليهم، اسم المؤمنين، بطاعة إمامهم والدخول من بابه، ومعرفة حدوده والترقي في أسبابه، وقبول مواعظه والتأدب بأدابه<sup>(٤)</sup>.

فهم يلتقون في هذه النقطة، مع العلويين<sup>(٥)</sup>.

وولاية آل البيت عليهم السلام، عماد الفكر الشيعي. روى الكشي حديثاً مرفوعاً إلى الإمام الرضا عليه السلام قال: ولاية أهل البيت عليهم السلام أفضل من الصلاة والصوم والحج وبقية أركان الإسلام كما في صحيح زرارة عن أبي جعفر عليه السلام، قال: بني الإسلام على خمسة أشياء على الصلاة والزكاة والحج والصوم والولاية. قال زرارة فقلت: وأي شيء من ذلك أفضل فقال: الولاية أفضل، لأنها مفتاحهن، والوالي هو الدليل عليهن<sup>(٦)</sup>.

(١) منتخبات اسماعيلية ص ٢٢.

(٢) المجالس المستنصرية - المجلس ٢٩، ص ١٢٩.

(٣) المرجع السابق، المجلس ٢٥ ص ١١٥.

(٤) المرجع السابق، المجلس ٣١ ص ١٣٥.

(٥) هاشم عثمان - هل العلويون شيعة؟!.

(٦) محمد الغروي - الحكم والأمثال المستخرجة من كلمات الإمام الرضا(ع)، ص ٢١١.

وأيضاً: أما لو أن رجلاً قام ليله وصام نهاره وتصدق بجميع ماله وحج جميع دهره ولم يعرف ولاية ولي الله فيواليه ويكون جميع أعماله بدلالته إليه ما كان له على الله حق في ثوابه ولا كان من أهل الإيمان<sup>(١)</sup>.

ولكل إمام من الأئمة، عندهم، رمزه الديني، ودلالته الخاصة، وممثوله.

- علي زين العابدين عليه السلام هو في الأئمة ثالث ممثوله العقلة في الروحانية، مقابل إبراهيم عليه السلام فقام بالستر والتقية.

- محمد الباقر عليه السلام رابع الأئمة، مثل المضغة في الروحانية مقابل لموسى كليم الله، ومقابل للشمس في الفلك الرابع، وما لها من القوة الطبيعية في إمداد المنبعثات من الأمهات والمولودات.

- الإمام جعفر الصادق عليه السلام هو خامس الأئمة ممثل العظام في الروحانية، ومقابل لعيسى روح الله.

- الإمام اسماعيل بن جعفر عليه السلام وهو سادس الأئمة ممثل اللحم في الروحانية، مقابل لجده نبي الهدى عليه السلام سادس النطقاء وخاتم الأنبياء. وهو في رتبة القائم السابع من النطقاء.

- محمد بن إسماعيل عليه السلام هو سابع الأئمة وقائمهم، مقابل لجده علي أمير المؤمنين عليه السلام تمام الدور الروحاني، والخلف الآخر الذي هو نفس الشرع، وروحه ومعناه، وهو تمام الدور الروحاني، ومنه ابتداء الدور الثاني.

- عبد الله الرضي عليه السلام هو أول الثلاثة الأئمة المستورين بأمر الله ووحيه. وهو كالسلالة مقابل لآدم عليه السلام في الدور أول النطقاء، وهو أول الخلفاء لكون الحسن بن علي عليه السلام أول الأئمة، فكتم نفسه، وستر حجه وحدوده.

- أحمد التقي، هو الثاني من الخلفاء ممثل النطفة في دورهم، مقابل النور لثالث النطقاء ولجده الحسين بن علي عليه السلام ثاني الأئمة.

- الحسين بن أحمد المقتدي الهادي، وهو الثالث من الخلفاء ممثل

(١) المرجع السابق.

العقلة في الدور، مقابل لإبراهيم الخليل في النطقاء، ولزين العابدين في الأتماء.

- المهدي بالله ﷺ رابع الخلفاء ممثل المضغة في الدور مقابل لجده الباقر ﷺ ولموسى كليم الله، ويقابل من الخلقه الشمس الرابعة من الأفلاك.

- القائم محمد أبو القاسم. ممثل العظام، مقابل لجده الصادق خاتم الأتماء، وللمسيح عيسى بن مريم ﷺ روح الله. . كان أصل النور، وثاني لأئمة الظهور، مقابل لأمير المؤمنين علي بن أبي طالب فيما قام به بعد النبي محمد ﷺ.

- المنصور بالله إسماعيل بن محمد ممثل اللحم مقابل لجده إسماعيل ابن جعفر الصادق سادس الأتماء، ولجده محمد ﷺ سادس النطقاء.

- المعز لدين الله أبو تميم معد بن اسماعيل. مقابل لجده محمد ابن إسماعيل قائم الاتماء، ولأمير المؤمنين علي بن أبي طالب ﷺ قائم النطقاء، وهو سابع الخلفاء، سابع أسبوعين ورابع أربعة.

- العزيز بالله نزار بن معد، وهو الأسبوع الثالث المكنى عنه بالدور النوراني أول الأشهاد ممثل السلالة مقابل لجده عبد الله بن محمد بن إسماعيل أول الخلفاء، وللحسن بن علي أول الأتماء، ولآدم أول النطقاء.

- المنصور بن نزار الحاكم بأمر الله، وهو الثاني من الأشهاد ممثل النطفة في الدور الثالث الروحاني، مقابل للثاني من المستورين، ثاني الخلفاء وللحسين بن علي ثاني الاتماء، ولنوح ثاني النطقاء.

- الإمام الظاهر لإعزاز دين الله علي بن المنصور، وهو ثالث الأشهاد، ممثل العلقه ومقابل للثالث من المستورين، ثالث الخلفاء، ولعلي بن الحسين زين العابدين ثالث الأتماء، ولإبراهيم الخليل ثالث النطقاء.

- المستنصر بالله معد بن علي، وهو في دور الأشهاد ممثل المضغة، مقابل لجده الإمام المهدي بالله ﷺ، لظهور وسطوع نور رابع الخلفاء، وللباقر رابع الأتماء، ولموسى رابع النطقاء.



- المستعلي بالله أحمد بن معد، وهو خامس الأشهاد، ممثل العظام،  
مقابل لجده محمد القائم بالله خامس الخلفاء، ولجده الصادق جعفر ابن  
محمد عليه السلام خامس الأتماء، ولروح الله عيسى خامس النطقاء.

- الإمام المنصور أبو علي الأمر بأحكام الله، وهو سادس الأشهاد، ممثل  
اللحم، خاتم الدور الثالث، مقابل لجده المنصور سادس الخلفاء، ولإسماعيل  
ابن جعفر الصادق سادس الأتماء، ولجده محمد بن عبدالله سادس النطقاء<sup>(١)</sup>.

الخ...

الخ...

والعلوم بنظرهم ثلاثة أنواع:

- نوع المراد به باطنه وظاهره.

- ونوع المراد به باطنه دون ظاهره.

- ونوع المراد به ظاهره دون باطنه.

المراد به ظاهره وباطنه، وهو سائر العبادات لا يغني العمل بظاهرها دون  
باطنها، ولا باطنها دون ظاهرها، وكذلك تجنب الآثام.

والمراد به باطنه دون ظاهره، قصص الأنبياء الماضين.

والمراد به ظاهره دون باطنه، الأشربة والبياعات والديون والمعاملات  
والطلاق والمناكحات<sup>(٢)</sup>.

والباطن، بنظرهم، دين الله الذي دان به أولياء الله، والظاهر شرائع الدين  
وأمثالها<sup>(٣)</sup> والظاهر والباطن كالروح والجسد. إذا اجتمعا انقدحت الفوائد،  
وعرفت المقاصد، وأدركت النفس بتوسط الحواس ما في العالم من البدائع<sup>(٤)</sup>.

(١) الداعي ادريس عماد الدين القرشي - كتاب زهر المعاني ص ١٨٦ وما بعدها.

(٢) المجالس المستنصرية - المجلس الثامن عشر ص ٨٨.

(٣) جعفر بن منصور اليمن - كتاب العالم والغلام ص ٢٥.

(٤) المجالس المستنصرية - المجلس الأول ص ٢٧.

ولا قوام للباطن إلا بالظاهر.

وكل ما ورد ذكره مما في القيامة من الصراط والميزان والحساب والجنة وأنهارها وأفنان ثمارها والنار وشرارها، وما ورد في المذهب الطاهر الشريف من أمثال ذلك الموجودة في الدنيا هو ظاهره والموعود به في الآخرة هو باطنه الذي يفضي إليه الأمر. لأن الظاهر هو المرئي والباطن هو الخفي<sup>(١)</sup>.

أخذ الإسماعيلية بالباطن والظاهر معاً، ينفي عنهم تهمة «الباطنية» التي اتهمهم بها المؤرخون القدماء.

ومن النظريات التي أخذ بها الإسماعيلية، نظرية المثل والممثول. فالظاهر هو المثل، والباطن هو الممثول. ولكل مثل ممثول.

فالظاهر من السموات السبع، أمثال، وباطنها النطقاء السبعة، أولو العزم من الرسل. والأرضون السبعة ظاهرها أمثال، وباطنها الأئمة الهداة. فلكل ناطق منهم ١٢ برجاً، كذلك لكل من الأئمة الهداة ١٢ حجة. ومثلها من الأرض ١٢ جزيرة في كل جزيرة حجة. ولكل حجة دعاة<sup>(٢)</sup> والله تبارك وتعالى لم يخلق شيئاً من أشياء الدنيا لا ذبة في الأرض، ولا طائر يطير بجناحيه، ولا رطباً، ولا يابساً، وجميع الأشياء ما كبر منها وما صغر، إلا وهو مثل مضروب. ولكل شيء منها مقابله من الأزواج الباطنة.

فالسما التي حوت على جميع الأشياء، مثلها مثل الإمام الناطق الذي حوى على جميع أحكام الشريعة لسعة علمه.

ومثل البروج الاثني عشر وسائر نجومها، مثل الاثني عشر نقيباً الإمام الناطق، ونجومها دعائها. ومثل الأرض وسعتها، مثل لباب الإمام الناطق وهو مثابة للناس وعالم بالأمثال والتأويل الباطن.

(١) المرجع السابق - المجلس السادس ص ٤٦.

(٢) جعفر بن منصور اليمن - كتاب العالم والغلام ص ٢٥.

ومثل اثني عشر جزيرة في الأرض، أمثال الحجج الاثني عشر حجج الأوصياء .

ومثل أنهار الأرض وعيونها، أمثال الدعاة .

ومثل أملاك السموات وأفلاكها، أسباب بين الله وبين النطقاء .

ومثل البحار السبعة، هي أسباب بين الله وبين أئمة الناطق .

ومثل الماء المالح والعذب واختلافهما، فالماء المالح مثل علم الظاهر والماء العذب مثل علم الباطن<sup>(١)</sup> .

وكذلك، فإن الأحداث التي توجب الطهارات أولها في الباطن أمثال يجب التطهر منها بالعلم، كما وجب التطهر في الظاهر من هذه بالماء .

فمثل الغائط، مثل الكفر، والذي يطهر منه من العلم الإيمان بالله جل ذكره .

ومثل البول، مثل الشرك والذي يطهر منه من العلم توحيد الله عز وجل ونفي الأضداد والأشباه والشركاء عنه سبحانه .

ومثل الريح يخرج من الدبر، مثل النفاق والذي يطهر منه من العلم التوبة .

ومثل النوم، مثل الغفلة .

ومثل المذي الخارج من القبل، مثل الشك . الطهارة منه من العلم بما يوجب اليقين .

وأما الجماع الذي يوجب الغسل فمثل الجماع في الباطن مثل اجتماع المؤمن المستفيد مع من يفيد العلم والحكمة وسماعه منه<sup>(٢)</sup> .

وللإسماعيلية، فيما يتعلق بالوجود ومراحل تكون الإنسان ونشوءه، فلسفة خاصة تقوم على العدد /٧/ المعظم عندهم .

(١) المرجع السابق ص ٢٨ .

(٢) القاضي النعمان - تأويل دعائم الإسلام، المجلس السادس من الجزء الأول .

فالأبنية التي بني عليها الإسلام سبعة. لأن اسم الله تعالى سبعة أحرف تتفرع منها أربعة عشرة جمعت المتابع الثلاثة أيضاً.

وإن أول القرآن «بسم الله الرحمن الرحيم» ف (بسم الله): سبعة أحرف يتفرع منها إثنا عشر، ويتلوها إثنا عشر حرفاً هي حروف (الرحمن الرحيم).

فالسبعة التي هي «بسم الله» تدل على النطق السبعة، ويتفرع منها اثنا عشر تدل على أن لكل ناطق اثني عشر نقيباً التي هي «الرحمن الرحيم» فتصبح تسعة عشر، فدل ذلك على أن النطق يتفرع منهم بعد كل ناطق سبعة أئمة، واثنا عشر حجة فذلك تسعة عشر.

(وأول السور هي سورة الحمد وهي سبع آيات) أمثال لمراتب الدين السبع. فسورة الحمد يستفتح بها كتاب الله، كذلك مراتب الدين يستفتح بها أبواب علم دين الله تعالى<sup>(١)</sup>.

وعدد سور القرآن الكريم / ١١٤ / سورة وإذا قسم هذا العدد على تسع عشر وهي مجموع العججات الخمس والأحرف الأربعة عشر وهي عدد أحرف «بسم الله الرحمن الرحيم» والتي تدل على الأئمة المتمين والحجج الاثني عشر، نتج عنها ستة فهي تدل على الأوقات الستة بين كل ناطقين ومقاماتهم. فالوقت بين محمد ﷺ والمهدي عجل الله فرجه هو الوقت السادس، ومحمد ﷺ هو الناطق السادس، والقرآن الكريم نزل عليه، فدل عدد السور في الأوقات الستة بين النطق السبعة على الأئمة السبعة والحجج الاثني عشر. وفي سور القرآن دلالة أيضاً أن بين كل ناطق وناطق سبعة أئمة متمين<sup>(٢)</sup>.

وكذلك القرآن أول السور دلالة على محمد لأنه الناطق بها، ثم بعدها سبع سور، بعد السبع ذكر محمد ﷺ كذلك بعد كل سبع إلى آخر القرآن، فالسبعة من السور تدل بعددها على تمام السبعة المتمين بين الناطقين، ويدل ما فيها على سابع النطق الذي يأتي بفرض من الله سبحانه وأمر حادث، ففي كل

(١) السجستاني - معارف النجاة ص ٦٦.

(٢) المرجع السابق ص ٧٢.

سبع من السور التي فيها ذكر فرض أم حادث يدل على الناطق الذي بعد محمد ﷺ فيها دالتان، ولذكر محمد صلى الله عليه وآله ودلالة على مقامه، ومقام من قبله من النطقاء، وعلى الناطق الذي من بعده من ولده، والسبعة الأئمة من ولده أيضاً، كما الأئمة فيما بين النطقاء الذين من قبله، والقرآن كتابه الذي نطق به، وبه دعا إلى نفسه وإلى من قبله وبعده، فصارت الدلالة في العدد ترجع إليه<sup>(١)</sup>.

. الخ .

والدنيا نصبت على سبعة أشياء تفرعت من أصول مسبعة: سماء، وأرض، وظلمة، ونور، ومراكب، ونعم، وبؤس، فتلك سبع خصال تفرع من كل خصلة منها سبع خصال، فالسموات سبع، والأرضون سبع، والنور سبعة، يوم تدور على سبع ليال، والظلمة سبع ليال، والمراكب سبعة: الإبل، والخيول، والبغال، والحمير، والفيلة، والبقر، والسفن.

ونعم الدنيا مركبة على سبعة الهواء، والماء، والنور، والظلمة، والطعام، واللباس، والنكاح. وأضدادها من البؤس سبعة: الحر، والبرد، والجوع، والعطش، والخوف، والمرض، والموت<sup>(٢)</sup>.

والإنسان ينقل إلى الكمال في سبعة أحوال، كما قال الله تعالى ﴿وقد خلقنا الإنسان من سلاله من طين ثم جعلناه نطفة في قرار مكين ثم خلقنا النطفة علقه فخلقنا العلقه مضغه فخلقنا المضغه عظماً فكسونا العظام لحماً ثم أنشأناه خلقاً آخر فتبارك الله أحسن الخالقين﴾ فهذا كماله من جهة الخلقة الطبيعية. فأما كماله من جهة الخلقة الدينية النفسانية فالسلالة مثلها مثل آدم، والنطفة مثلها مثل نوح، والمضغة مثلها مثل موسى، والعلقه مثلها مثل عيسى، واللحم مثله مثل محمد ﷺ وعنده كمال الخلقة وتتمام الصورة، والخلق الآخر الذي هو السابع خارج من القبيل لكونه قائماً بأمر الله تعالى<sup>(٣)</sup>.

(١) المرجع السابق.

(٢) جعفر بن منصور اليماني - كتاب العالم والغلام ص ٢٥.

(٣) المجالس المؤيدية - المجلس ٥٨ من المائة الثانية.

الأخذ بالعدد /٧/ هو سبب تسميتهم بالسبعية. لكنهم يقولون: إن التسبيع هو نعت أصل من جملة أصول كثيرة، وخصومهم تركوا وسمهم بها، واقتصروا على واحد من جملتها، وذلك أن الديانة مبناها توحيد الواحد الأحد الصمد سبحانه، والطريق إلى معرفة التوحيد معرفة ازدواج الأشياء. قال الله تعالى ﴿سبحان الذي خلق الأزواج كلها﴾ وقال رسول الله ﷺ: «خلق الله الأشياء مزدوجة لتكون دلالة على وحدانيته» فهذا أصل تاه فيه الثنوية، والثلاثة أصل تاه فيه النصارى، والأربعة التي هي مقابلة الأركان الأربعة أصل والخمسة التي هي بمقابلة الحواس الخمس أصل، والسته التي هي بمقابلة الأيام الستة فيها خلق الله السموات والأرض أصل، والسبعة أصل، والثمانية أصل التي هي بمقابلة أبواب الجنة الثمانية، وحملة العرش أصل، والتسعة التي هي بمقابلة الآيات التسع أصل، والعشرة التي هي بمقابلة ليل عشر وغير ذلك أصل، وأحد عشر التي هي بمقابلة تكبيرات الصلاة كل ركعتين أصل، واثنى عشرة التي هي بمقابلة اثني عشر نقيباً أصل، وسبع عشرة التي هي بمقابلة الصلاة أصل، وتسعة عشر التي هي بمقابلة خزنة النار أصل، والأصول غير ذلك كثيرة فلا وجه للتخصيص بالسبعة، والغرض التشنيع والمرء عدو ما جهل... (١).

... والحديث عن عقائد الإسماعيلية، ذو حلة بالحديث عن الانبعاث. ولدينا حول هذا الموضوع، أكثر من وجهة نظر، ورأي، نستعرضها فيما يلي:

- إن الله سبحانه أبدع عالم الأمر دفعة واحدة بلا زمان، كإشراق نور الشمس عند طلوعها دفعة واحدة، لا شرف لأبيهم على غيره، بل الكل في الكمال الأول متساوون. فكان من واحد منهم أنه فكر من ذاته بذاته وعلم أن له ولجميع ما معه من أبناء جنسه مبدعاً وخالقاً ليس هو كهم، فنفى حيثئذ عن نفسه الإلهية، وأقر لمبدعه بالوحدانية، وهو قوله تعالى: ﴿شهد الله أنه لا إله إلا هو والملائكة وأولو العلم قائماً بالقسط لا إله إلا هو﴾ فكان هو الشاهد بالغيب سبحانه فلم يسم ولم يكن بل قال: إلا هو، لقلة إحاطته بمبدعه وقصوره عن ذلك. فكان فعله أصل التوحيد وأس التنزيه والتجريد. فلما حصل له هذا

(١) المجالس المؤيدية - المجلس ٢٣ من المائة الأولى.

القصور واختص به من بين أصحابه ونظرائه شرف بذلك عليهم، واحتجب عنهم، واتصلت به المادة والتأييد من الغيب سبحانه وصار حجاباً له فسمي سابقاً بسبقه لأبناء جنسه، وحقاً، وإبداعاً، وحاداً واحداً أزلياً. وترادفت عليه الأسماء المذكورة في القرآن، فبذلك قيل ﴿شهد الله أنه لا إله إلا هو﴾.

فلما احتجب عن أبناء جنسه فكر اثنان من جملة الباقين، ومنهما ما اتصل به من دونهم، وهو الانبعاث، فسبحاه وقدساه وتوسلا به، له الغيب سبحانه، فكان الأول منهما قائماً بالقوة والفعل والثاني قائماً بالقوة لأنه نقص عن نيل رتبة الأول، وهذا حد القول فيه عن الثاني، فهذا انبعاثه من الأول. فلما سبق الأول منهما الثاني صار الأول بسبقه حجاباً للمبدع الأول، ودعا به عالم الأمر فأجابه منهم سبعة عقول، وترتب كل منهم على سبته. وكان انبعاث السبعة العقول واحداً عن واحد، وذلك بالتصور الحاصل له من السابق عليه. مثال ذلك: إن الأساس انبعث عن النبي بما حصل له من العلم والتصور والمعرفة. وكذلك الإمام انبعث عن الوصي بما حصل له منه أيضاً. والباب انبعث عن الإمام بما حصل له عنده منه، وكذلك المأذون، ثم المؤمن.. (١).

- المبدع تعالى أبداع العقل الأول المسمى بالقلم والسابق والمبدع والموجود الأول. والعقل الأول ذو نسبتين نسبة إلى ما منه وجوده، وهو بهذه النسبة عقل.

ونسبة إلى ذاته، وهو بهذه النسبة معقول.

فكان عن هاتين النسبتين شيان أحدهما عقل قائم بالفعل، هو المسمى بالانبعاث الأول. والآخر قائم بالقوة، وهو المسمى بالهيولي والصورة، وهو الكائن أصلاً لعالم الجسم. ثم كان عن العقل الأول، والانبعاث الأول، سبعة عقول قائمة بالفعل، وجود كل واحد منهم عن الآخر، لا فرق بينهم إلا برتبة السبق في الانبعاث. ثم إن العقل الأول، والانبعاث الأول، والعقول السبعة المجردة، لما نظروا إلى العقل القائم بالقوة وقصوره عن لحاق مراتبهم، عطفوا

(١) هاشم بن ابراهيم الحامدي - رسالة زهر بذر الحقائق، من منتخبات اسماعيلية ص ١٦١.

بفضلهم وشرفهم وتحننهم عليه بأنوارهم، ليخرجه من القوة إلى الفعل، إذ من شأن الفاضل العطف على المفضول، ومن سيما السابق إلى الخير التحنن على المسبوق، فسرت إليه موادهم وبركاتهم، فجعلوا منه ما هو فاعل كالأفلاك والكواكب التي هي الآباء. وما هو منفعل كالأركان التي هي الأمهات، وكانت النتيجة بين الآباء والأمهات المواليد. وكان آخر المواليد وزبدها، وصفوتها، وخلاصتها، هو الشخص البشري المأمور المنهي المخاطب من العقول البرية بالوسائط من الصفوة البشرية، الممدة بالمواد الملكوتية التي لأجلها خلقت السماء والأرض<sup>(١)</sup>.

- الانبعاث سطوع نور عن ذات المبدع الذي هو العقل الأول. وقد ينبعث من العقول التي في دار الطبيعة وتخرج إلى الفعل وتنال كمالها الثاني بزمان ما يجري هذا المجرى: وذلك أن أنفس النطقاء التي صارت عقولاً محضة، لا تزال في بدء أمرها تصطاد المعارف من خارجها بالحواس، وتقتنيها حتى تستغني بما يشيع فيها من أنوار عالم القدس، فتصير النفس خادمة لها بقوتها واتصالها بينابيع الضياء والنور ونظرها بما تصورته إلى ذاتها، بأن تريها قدرتها وقوتها، فتؤدي ما تحققت في ذاتها، وتزايدت قوى النفس في تصورها إلى خارجها فتجعل القوة المشتركة التي هي المتخيلة متشكلة بصورته. والقوة المتخيلة تدفع إلى خارجها بتزايد من القوة الذات المفكرة، كما كانت تتسلم الصور من خارجها فتؤديها إليها فيتشكل الهواء عن القوة المتخيلة، كما كانت تتشكل عن الهواء، فيقوم للحاسة مثلاً قائم تراه فتكون تلك الصورة الماثلة انبعاثاً عن النفس التي ارتقت إلى درجة العقول، ونالت كمالها الثاني ووجودها. ويجري هذا الاصطياد إلى داخل تصويراً للنفس، والانبعاث عن داخل إلى خارج تحقيقاً للحس من عقول النطقاء<sup>(٢)</sup>.

ولما كان الموجود الأول الذي هو العقل الأول مختصاً باسم الإبداع،

(١) سيدنا علي بن محمد الوليد - رسالة جلاء العقول وزبدة المحصول عن منتخبات اسماعيلية ص ٩٧.

(٢) أحمد حميد الدين الكرمانى - راحة العقل ص ٩٩.



اختص الموجود الثاني التالي له في الوجود الذي هو العقل الثاني باسم الانبعث الأول.

ولما كان وجود العقل الأول، الذي هو المبدع الأول، عن المتعالي سبحانه وتعالى، إبداعاً، وكان عقلاً بإبداع الله تعالى إياه كذلك. فكان من جهة كونه عقلاً فرداً منتسباً إلى المتعالي سبحانه، ومن جهة كونه معقولاً زوجاً منتسباً إلى ذاته، وكان علة لوجود الموجودات وكان من الكمال والتمام على النهاية التي يستغني بها عن الغير في إصدار الفعل إلى الوجود، وكان ملاحظاً لذاته بذاته، ومحيطاً بها بذاته، ومغتبطاً بجميع أحواله في ذاته، لزم وجود شيئين عنه بحسب ما عليه ذاته من النسبتين أحدهما أشرف من الآخر. كان الموجود عن النسبة الأشرف قائماً بالفعل عقلاً فرداً محضاً في نوعيته صورة مجردة، وهو أول بالانبعاث وكان الموجود عن النسبة الأخرى دون ذلك منزلة عقلاً قائماً بالقوة يسمى الهيولى والصورة، مزدوجاً في ذاته كالنسبة التي عنها وجد. يصحح ذلك ما ينطق به الموجود في السنن الإلهية، إن الناطق في عالم الدين لما كان مثلاً للعقل الأول في دار الإبداع، كان كونه علة لوجود العقول الطبيعية، موجباً أن الإبداع الذي هو المبدع الأول والعقل الأول علة لوجود العقول المنبعثة في عالم القدس. وكونه من الكمال على النهاية التي يستغني بها عن أمثاله من البشر، موجباً أن العقل الأول في الكمال على النهاية التي استغني بها عن غيره في إقامة الحكمة. وكونه ذا نسبتين: نسبة إلى عالم القدس، ونسبة إلى عالم الطبيعة - الناطق - وكون الموجود عنه اثنين بحسب النسبتين أحدهما وهو الأشرف وهو الوصي الذي أقامه مقامه، وثانيهما الكتاب والشريعة وقرن بينهما.

فوجود الوصي والكتاب المقترن بالشريعة عنه ينطق بأن الموجود عن العقل الأول اثنان، وأن أحدهما أشرف من الآخر، وأن الأشرف عقل قائم بالقوة مزدوج ذاته وهو الهيولى، والصورة اللتان هما مزدوجتان مثل ما جاء به الناطق الذي هو مزدوج كتاباً وشريعة.

وكما أن الوصي أول الأئمة في عالم الشرع والدين، فالمنبعث أول

العقول المنبعثة في عالم القدس . فالمنبعث هو عقل قائم بالفعل مثل ما عنده وجده . وكماله بكونه ثانياً في الوجود، كالوصي الذي مرتبته دون مرتبة الناطق .

والوصي الذي هو ثاني الناطق لا يجوز أن يكون خالياً من معرفة مرتبة الناطق الذي هو السابق عليه في الوجود في عالم الدين، ولا أن يكون عاطلاً من جمال الإقرار بها، والإحاطة بمرتبة نفسه التي هو فيها .

وإذا كان لازماً للمتأخر معرفة ما سبق عليه في الوجود لتعلق وجوده به، كان السابق في الوجود غير لازم له أن يعقل عنه . . ولذلك لا يلزم الناطق أن يعرف الدعاة والمأذونين، ولا المنصوبين في الجزائر ولا الأئمة المقدسين، وإنما يلزم الدعاة والمأذونين والحجج والأئمة المنصوبين معرفة الناطق ومرتبته والإقرار بمكانه ومعرفة الأوصياء والأئمة ووجوب طاعتهم على الخلق .

وإن المبدع الأول لما كان في ذاته عقلاً ومعقولاً . كان بهذين الأمرين على نسبتين إحداهما عن نسبة كونه عقلاً، وهو الانبعاث الأول المعرب عنه في السنة الإلهية بالقلم . والثانية عن نسبة كونه معقولاً وهو الانبعاث الثاني الأول المعرب عنه في السنة الإلهية باللوح التي تعرف بالهيولى المقترن وجودها مع الصورة .

والهيولى أصل لوجود السموات والكواكب والطبائع ومواليدها وإنها تجري من العقول البرية مجرى المادة تعمل فيها وتوجد منها الأجسام المصورة المحسوسة .

والهيولى الموجودة عن المبدع وإن كانت ذات صورة، فهي محتاجة إلى تأثير العقول المنبعثة فيها لتصير بسطوع أنوارها فيها قائمة بصورتها فاعلة في غيرها<sup>(١)</sup> .

وعندهم أن الخلقة الكلية الجسمانية تنقسم إلى ثلاثة أقسام :

القسم الأول : عالم الأفلاك والكواكب .

(١) المرجع السابق ص ١٠٩ .

القسم الثاني: عالم الأمهات الأربعة التي هي النار والهواء والماء والأرض.

القسم الثالث: المواليذ وهي المعادن والنبات والحيوان.

ولما كانت الخلقة الإنسانية، محيطاً بعضها ببعض، منتظماً في بعض أفق بعض، كانت المملكة النفسانية الدينية مرتبة على هذا الترتيب ليصح مقابل الدين بالخلق. وكان المحيط والأفلاك مثلاً على مرتبة الناطق المحيط بجميع مراتب حدود الدين إحاطة المحيط بالأفلاك.

ثم لما كان في ضمن المحيط فلك البروج المحتوي على جميع النجوم وهي فيه مقسومة اثني عشر قسماً. كل قسم منها برج. كان ذلك مثلاً على مرتبة الوصي الكائنة جميع الحدود صغيرها وكبيرها في ضمنه. ومنشؤها في دعوته الباطنة والتأويلية، وهو جامع بحجج الجزائر الاثني عشر المستولي كل واحد منهم على من في جزيرته من الحدود والمؤمنين كجميع فلك للبروج الاثني عشر. وكل برج منه يستولي على عدة من النجوم.

وكان في ضمن فلك البروج فلك زحل، وهو مثل على مرتبة الإمام القائم بعد الوصي والنبى.

وكان في ضمن فلك زحل فلك المشتري، وهو مثل على مرتبة الباب، القائم بين يدي الإمام لفصل الخطاب المكنى عنه بالحجاب.

وكان في ضمن فلك المشتري، فلك المريخ، وهو مثل مرتبة الحجة.

وكان في ضمن فلك المريخ، فلك الشمس، وهو مثل على مرتبة داعي البلاغ القائم عن أمر الحجة في أهل دعوته بالإبلاغ.

وكان في ضمن فلك الشمس، فلك الزهرة، وهو مثل على مرتبة داعي المطلق وهو الذي قام بإبلاغ أمر داعي البلاغ وحقق.

وكان في ضمن فلك الزهرة، فلك عطارد وهو مثل على مرتبة داعي الإحرام المنفذ لما يأمر به داعي المطلق من القضايا والأحكام.

وكان في ضمن فلك عطارد، فلك القمر وهو مثل على مرتبة المأذون المطلق، في نشر ما علم من علم داعي الإحرام وحقق.

وكان في ضمن فلك القمر الطبيعية السارية في عالم الكون والفساد، وهي مثل على مرتبة المكاسر المقام في أهل الظاهر بالجهد<sup>(١)</sup>.

ولما كان المبدع سبباً أول وعلّة لوجود الفيوض جملة، عمدت العناية الإلهية فجعلتها أبعاضاً عشرة، تلقاء أبعاض عشرة من الأجسام العالية من الأفلاك الراتبة والكواكب الثابتة والجسم المستحيل الذين دون الأفلاك ليكون بقبول كل بعض منها ما يليق به من البركة الفائضة حصول البركة لها كلها.

لذلك جعلت مراتب عشرأ لحدود عشرة على النظام.

والمراتب العشر مقسمة إلى / ٣ / كلية، و / ٧ / تابعة.

المراتب الكلية هي:

- الرسالة التي هي إفاضة البركة بتأسيس قوانين العبادة العملية الظاهرة بالتنزيل والشريعة، التي هي أشياء كثيرة بها تصير الأنفس إلى الوجود، وتنال الكمال الأول.

- الوصاية التي هي قبول البركة بكليتها، والقيام بها بجميع التنزيل، وتأسيس قوانين العبادة العلمية الباطنية بالتأويل الذي يجمع أشياء كثيرة، بها تتصور الأنفس بالصورة الأبدية، وتنال كمالها الثاني.

- الإمامة التي هي الأمر وسياسة الأمة كافة على سنن الدين، تجمع أشياء كثيرة بها يتعلق عمارة الحرث والنسل ظاهراً وباطناً، وجذب الأنفس إلى الوجود، وبذلك سماهم الله تعالى «أولي الأمر».

والمراتب التابعة هي:

- فصل الخطاب الذي يتعلق بالباب.

(١) سيدنا علي بن محمد الوليد - رسالة جلاء العقول وزبدة المحصول عن منتخبات اسماعيلية ص ١١١.

- الحكم في ترتيب المراتب، وارتضاء الآراء والاعتقادات على موازنة الخلق، وإظهار تأويل الكتاب الذي يتعلق بالحجة.
- الاحتجاج بالبرهان في إثبات الحدود العلوية، ومراتبها في وجود ذواتها، وتعريف المعاد الذي يتعلق بداعي البلاغ.
- تعليم العبادة العلمية ونشر التأويل، وتعريف الحدود العلوية الذي يتعلق بالداعي المطلق.
- تعليم مراسم العبادة العلمية، وتعريف الحدود السفلية وأدوارها صغراً وكباراً، الذي يتعلق بالداعي المحصور.
- أخذ العهد والميثاق، وتعريف رسوم الدين، وآداب الدين الذي يتعلق بالمأذون المطلق.
- المكاسرة والهداية إلى الحق، والاعتصام بالحبل الذي يتعلق بالمأذون المحصور.

وإن كل مرتبة من هذه المراتب العشر مالكة لما دونها، ثم لا تنعكس كالناطق الذي يملك ما دونه من المراتب<sup>(١)</sup>.

ومن معتقداتهم، أن كل شريعة تنسخ ما قبلها. ومعنى النسخ عندهم هو أن الإمام الأول يأتي بشرعة الموضوع رمزاً خفياً، وظاهراً جلياً، فيقدم الناطق الثاني بإظهار تلك الرموز برموز ثانية، وفي شريعة أظهر من تلك المقدمة عليه، وهي رموز ظاهرة أيضاً خلفها لمن يأتي بعده، وهو وأساسه يعلمون خاصتهم تأويل شريعة الناطق السابق عليهم.

ومن عقائدهم أيضاً نظرية الدور. وتتلخص هذه النظرية في أن الحياة تتجدد وهي مقسمة إلى فترات ست وعلى رأس كل فترة نبي، وبين كل نبي وآخر أئمة يخلفون النبي في شؤون دينهم وأسماء النطقاء وأوصيائهم والأئمة

---

(١) أحمد حميد الدين الكرمانى - راحة العقل ص ١٣٤، وأيضاً الداعي إدريس عماد الدين القرشي - كتاب زهر المعاني ص ٢٨٢.

أول دور الستر من النطقاء آدم ومقيمه هنيذ ووصيه هايل وبعده  
شيث .

وأئمة دوره الستة (أنوش ومنينان ومهدئيل ويارد واخنوخ ومتوشلخ  
والسابع بعده ملك بن متوشلخ).

والثاني نوح ومقيمه هو ووصيه سام

وأئمة دوره الستة (أرفخشد وسالخ وعايد وفالغ وأرعوا وساروع)

والثالث ابراهيم ومقيمه صالح (وقيل هو تارخ بعينه) ووصيه إسماعيل .

وأئمة دوره الستة المستودعون الظاهرون حجب أمناء الله المستقرين

(إسحق ويعقوب ويوسف ولاوي ويهودا وأيوب)

والرابع موسى ومقيمه اد ووصيه هارون وبعده يوشع بن نون

وأئمة دوره الستة (فيخاص واليسع وشعيا وأرميا وحزقيل وعزير)

الخامس عيسى ومقيمه خزيمة ووصيه شمعون بن بونا

وأئمة دوره الستة (عبد المسيح ويحيى وداود وسليمان ومروة وجرجيس

وهو بحيرا الراهب)

والسادس محمد رسول الله ووصيه علي بن أبي طالب<sup>(١)</sup> .

واعتنقوا العمل بالتأويل الباطن دون الظاهر .

تأويل آيات القرآن، مثل لا حول ولا قوة إلا بالله، يعني لا إمام ولا حجة

إلا بالله، ومن الله نورهم ومدرهم، والعصبة أولو القوة هم الحجج الاثنى عشر

نقيباً .

وكذلك قال يوسف لأبيه ﴿يا أبت إنني رأيت أحد عشر كوكباً والشمس

والقمر رأيتهم لي ساجدين﴾ يعني بالشمس الإمام، والقمر حجته وبابه،

(١) كتاب الأزهار ومجمع الأنوار عن منتخبات اسماعيلية ص ٢٠٥ .

والكواكب تمام الاثني عشر نقيياً<sup>(١)</sup>.  
وكذلك ﴿وقال الملك اني ارى سبع بقرات سمان يأكلهن سبع عجاف  
وسبع سنبلات خضر وأخر يابسات﴾ يوسف/ ٤٣ .

أما الرؤيا فهي مثل ما يكون في الظاهر من عمل يعمل، فهي كالسراب  
للذي إذا جاءه لم يجد شيئاً ولو كثر، كذلك عمل الظاهر بلا باطن لا يقبل منه  
شيء ولو كثر كذلك الرؤيا في المنام لا يحصل مما يرى شيء ولو كثر، وقال  
الملك اني ارى في رواية العامة سبعة أشياء دائرة على سبع، فأما السبع بقرات  
السمان فهي أسباب الله التي بينه وبين خلقه، وأما السبع العجاف منهم النطقاء  
السبعة، المضطرون بالفاقة إلى ما يأتيه من عند الله على أيدي أسبابه السبعة،  
والسبعة السنبلات الخضر أسباب بين الله وبين الأوصياء، والسبع اليابسات هم  
الأوصياء المضطرون إلى ما يأتيه من عند الله على أيدي هذه الأسباب السبعة .  
مثلها في الأساس، أي علي بن أبي طالب عليه السلام وولده مثل حبة أنبتت سبع  
سنابل، يعني خرج من صلبه سبعة أئمة للهدى<sup>(٢)</sup>.

وعندهم، لكل فريضة من فرائض الدين تأويل باطني.

فالطهارة مثلها مثل نوح عليه السلام وهو أول مبعوث ومرسل من قبل الله  
عز وجل تطهير العباد عن المعاصي والذنوب التي اقترفوها ووقعوا فيها من بعد  
آدم، وهو أول ناطق من بعده وأولى العزم من الرسل أصحاب الشرائع،  
وجعل الله عز وجل آيته التي جاء بها الماء الذي جعله للطهارة وسماه  
طهوراً.

والصلاة مثلها مثل ابراهيم عليه السلام وهو الذي بنى البيت الحرام ونصب  
المقام فجعل الله عز وجل البيت قبلة والمقام مصلى وحكى قوله عز وجل:  
﴿إني وجهت وجهي للذي فطر السموات والأرض حنيفاً مسلماً وما أنا من  
المشركين﴾ فكان هذا القول هو افتتاح الصلاة للمصلين والزكاة مثلها مثل

(١) جعفر بن منصور اليمن - كتاب العالم والغلام ص ٣٤ .

(٢) المرجع السابق .

موسى عليه السلام وهو أول من دعا إليها وأُرسل بها. قال الله تعالى ﴿وهل أتاك حديث موسى إذ ناداه ربه بالواد المقدس طوى، اذهب إلى فرعون إنه طغى فقل هل لك إلى أن تزكى﴾ فكان أول ما أمره الله أن يدعو إليه أن يزكى.

والصوم مثله مثل عيسى عليه السلام وهو أول ما خاطب به أمه أن تقول لمن رآته من البشر وهو قوله الذي حكاه عز وجل عنه لها ﴿فإما ترين من البشر أحداً فقولي إني نذرت للرحمن صوماً فلن أكلم اليوم إنسياً﴾ وكان هو كذلك عليه السلام يصوم دهره ولم يكن يأتي النساء كما لا يجوز للصائم أن يأتيهن في حال صومه.

والحج مثله مثل محمد صلى الله عليه وآله، وهو أول من أقام مناسك الحج ومن سننه. وكان الحج خاتمة الأعمال المفروضة وكان هو عليه السلام خاتم النبيين.

والجهاد هو مثل سابع الأئمة الذين يكون سابعهم أسبوعهم الأخير الذي هو صاحب القيامة<sup>(١)</sup>.

والركوع في الصلاة مثل على الوصي. والسجود مثل على النبي عليه السلام ولذلك كان الركوع مرة واحدة والسجود مرتين لأن النبي عليه السلام له حدان إذ منه يقتبس التنزيل والتأويل. والوصي له حد واحد هو التأويل<sup>(٢)</sup>.

وقد فسر الإسماعيليون القرآن الكريم تفسيراً باطنياً، يتناسب مع عقيدتهم. ومن أشهر التفاسير التي وصلت إلينا [مزاج التسنيم] لضياء الدين اسماعيل بن هبة الله الاسماعيلي السليمانى، نشر شروطمان الأجزاء ١١ - ٢٠ منه وفيما يلي تفسير سورة التوبة.

وهو الجزء الأول من القسم الثالث - الجزء الحادي عشر من القرآن الكريم.

(١) المجالس المستنصرية ص ١٦٠.

(٢) المرجع السابق.



## سورة التوبة

وهذا ابتداء القسم الثالث المنور بما استوعبه من المعاني لصورة كل راغب باحث وهو قوله تعالى كناية عن المنافقين ﴿يعتذرون إليكم إذا رجعتم إليهم﴾ فذلك أنهم اعتذروا إلى حدود الناطق لما نصر الله المختار على يد الكرّار وأبدي المعجز لما أقدر حجه بذلك ودوخ المشركين حين ظهر بهم أعني حجه بالقوة والشدة ثم قال تعالى مخاطباً لنبيه ﴿قل لا تعتذروا لنؤمن لكم﴾ يعني لن نقبل منكم ذلك الاعتذار ﴿قد نبأنا الله﴾ يعني المولى عمران ﴿من أخبركم﴾ يعني بما قد كان منكم في الأدوار الأولى من الميل إلى المشركين ثم من العناد والنفور من حجاب الكرّار ﴿وسيرى الله عملكم ورسوله﴾ يعني بما يكون منكم في هذا... الفساد والإضلال ﴿ثم تردون إلى عالم الغيب والشهادة﴾ يعني العين بعد انتقامكم ﴿فينبئكم بما كنتم تعملون﴾ يعني من التوثب على مقام حجابه وذلك حين يكشف لكم ذلك في القمص والأطراف والصخرة ثم قال تعالى مخاطباً... ﴿سيحلفون بالله لكم إذا انقلبتم إليهم لتعرضوا عنهم﴾ يعني عن تبيكتهم على تخلفهم ﴿فأعرضوا عنهم﴾ يعني كما فعلتم ذلك سابقاً لما سألوكم ذلك ﴿إنهم رجس﴾ يعني لخبث عناصرهم وما قد التأم بهم من الحثالات والتصورات النازلة من العقدين ﴿ومأواهم جهنم﴾ يعني صورة عبد اللات التي جعلت مغناطيساً للأشرار ﴿جزاء بما كانوا يكسبون﴾ يعني من العصيان للحجاب والمحتجب ﴿يحلفون لكم﴾ يعني للحجاب النبوي ﴿لترضوا عنهم﴾ يعني لكي تميل إليهم القلوب فيتم لهم ما دبّروا من الفساد ﴿فإن رضوا عنهم﴾ يعني ذلك الحجاب ﴿فإن الله﴾ يعني المحتجب به وهو

الميم ﴿ لا يرضى عن القوم الفاسقين ﴾ يعني الذين كانت أصولهم فاسقة ثم قال تعالى ﴿ الأعراب أشدّ كفراً ﴾ فالأعراب هم الذين في حال المحاربات أعرضوا عما أعرض عليهم من سمو مقام الكرّار فصاروا بذلك أشدّ أقسام أهل الإصرار ﴿ ونفاقاً ﴾ يعني على الرسول لما تظاهروا بالإسلام ليتّم لهم ما دبّروا من الإضلال ﴿ واجدر ألا يعلموا حدود ما أنزل الله على رسوله ﴾ يعني المولى عمران على رسوله يعني الميم في شأن الوصي وما حوت دعوته ذات الأسرار وكان ذلك منهم لما نفروا عن أنوارها لما ثقلت عليهم وتكاثفت عليهم الظلمات وحالت دون ذلك ﴿ والله عليم حكيم ﴾ يعني بما يكون من أمرهم ثم قال تعالى ﴿ ومن الأعراب ﴾ يعني طائفة أخرى من المنافقين ﴿ من يتخذ ما يفتق مفرماً ﴾ يعني ما يقوه به من فضل الميم والعين ويفعله من الأعمال الشرعية إنه مغرم ليس فيه نفع ودخوله في الإسلام كان كرهاً كأبي سفيان وأمثاله وكان ذلك منه كما كان عليه في... ﴿ ويتربص بكم الدوائر ﴾ يعني... فيظهر ما أسرّه من النفاق الذي انعقد في وهمه ثم قال تعالى ﴿ عليهم دائرة السوء ﴾ يعني في تدرجهم في السلاسل والأغلال ﴿ والله سميع ﴾ في جميع الكرّات ﴿ عليم ﴾ بما أسروه في ضمائرهم الفاسدة ثم قال تعالى ﴿ ومن الأعراب ﴾ يعني ممن مال إليهم أولاً في حال المحاربات ومال عنهم آخراً وتاب ﴿ من يؤمن ﴾ يعني عطفاً على ما كان هنالك ﴿ بالله ﴾ يعني بالميم ﴿ واليوم الآخر ﴾ يعني العين ﴿ ويتخذ ما يفتق قُرْبَات ﴾ يعني من نشر فضل حجاب العين ﴿ عند الله ﴾ يعني عند المحتجب ﴿ وصلوات الرسول ﴾ يعني إشارة إلى ما واصلهم به من الهداية والتوفيق لما سبق لهم الإقرار في الأزل ﴿ ألا إنها قُرْبَةٌ لهم ﴾ يعني إلى الاعتراف بمقام الكرّار ﴿ سيدخلهم الله في رحمته ﴾ يعني في الدائرة الإيمانية ﴿ إن الله غفور رحيم ﴾ يعني لما سلف منهم قبل الإجابة والتوبة ثم قال تعالى: ﴿ والسابقون الأولون من المهاجرين والأنصار ﴾ يعني بذلك أهل المراتب من أهل النسبة الأدون الذين سبقوا في الإجابة سائر أهل تلك النسبة ﴿ والذين اتبعوهم بإحسان ﴾ يعني في الندم لما دعوهم سابقاً ولاحقاً ﴿ رضي الله عنهم ﴾ يعني الميم باحتجاب العين به وذلك أنه قبل سعيهم في الدعوتين ﴿ ورضوا عنه ﴾ يعني ما دعاهم إليه من الاعتراف أنه الحجاب والعلّي الكبير المحتجب ﴿ وأعدّ لهم جنّات ﴾ يعني

الانضمام إلى الحجج المستجنة في الحضرة المتقدسة ﴿تجري تحتها الأنهار﴾  
يعني مواد العلوم بالإلهام إلى دعاة الجزائر ﴿خالدين فيها أبداً﴾ يعني في تلك  
المراتب في جميع الكرات لطيب عناصرهم ﴿ذلك الفوز العظيم﴾ وأتى فوز  
أعظم من ذلك ثم قال تعالى ﴿وممن حولكم من الأعراب منافقون﴾ يعني ممن  
دخل في الدائرة الإيمانية هنالك ثم نكص ﴿ومن أهل المدينة﴾ يعني من أهل  
الدائرة الإسلامية ﴿مردوا على النفاق﴾ يعني تمردوا بالزيادة في الإصرار في  
كراتهم لا سيما في... ﴿لا تعلمهم﴾ يعني الحجاب النبوي بأنواع كثرة  
تخلفات أوهامهم ﴿نحن نعلمهم﴾ يعني المحتجب به ﴿سنعذبهم مرتين﴾ يعني  
أجسامهم الممتزجة بنفوسهم في القمص والأطراف وتصوراتهم في الذنب  
والرأس ﴿ثم يردون إلى عذاب عظيم﴾ يعني الصخرة ﴿وآخرون اعترفوا  
بذنوبهم﴾ يعني بميلهم إلى الأضداد ثم انتفوا عنهم ﴿خلطوا عملاً صالحاً وآخر  
سيئاً﴾ يعني إجابتهم للولي والجبب ﴿عسى الله أن يتوب عليهم﴾ يعني بعد  
التصفية والتطهير لفضلاتهم بما يراه المدبر من التمحيص والامتحان بقدر ما  
قدموا من إعانة الضد وغير ذلك من الذنوب ﴿إن الله غفور رحيم﴾ قد سبق بيانه  
ثم قال تعالى للرسول ﴿خذ من أموالهم صدقة تطهرهم وتزكيهم بها﴾ يعني تلك  
التي أوجبها الوضع من زكاة وخمس وخراجات ليحصل بها التصفية والتطهير  
لأجسامهم ونفوسهم وصورهم ﴿وصل عليهم﴾ يعني وواصلهم عند قبولها منك  
بمواصلات المواد ﴿إن صلاتك﴾ يعني مواصلتك ﴿سكن لهم﴾ يعني تسكن بها  
ذواتهم في ضمن حدودهم وأيضاً فضلاتهم تسكن بها عن الاضطراب ﴿والله  
سميع عليم﴾ قد سبق معنى ذلك ثم قال تعالى ﴿ألم يعلموا أن الله﴾ يعني العين  
﴿هو يقبل التوبة عن عباده﴾ يعني المتعبدين له بالطاعة المتصلين من فارط  
ميلهم إلى الأضداد ﴿ويأخذ الصدقات﴾ يعني تصديقهم به بعد حصول اغترارهم  
بالجبب وكان ذلك في حال المحارات ثم جرى ذلك في الكرات وابتنت  
الصدقات الظاهرة على تفنن أنواعها في تلك اللحظة لما علم المدبر أن بها  
تطهيرهم مما حصل من الفارط المذموم ﴿وأن الله هو التواب الرحيم﴾ وقد سبق  
شرحه ثم قال تعالى مخاطباً لنبية ﴿وقل اعملوا﴾ يعني مما قد ارتقم في ذواتكم  
من التعدي ﴿فسيرى الله﴾ يعني العين ﴿عملكم﴾ يعني من معارضة حجاب



﴿ورسوله﴾ يعني الميم ﴿والمؤمنون﴾ وهم سلمان والحدود المطلق لهم في الدعوة ﴿وسترذون إلى عالم الغيب والشهادة﴾ يعني العالم بما كان ويكون ﴿فينبئكم بما كنتم تعملون﴾ يعني في تنقلكم في أبواب العذاب ﴿وآخرون مرجون لأمر الله إما يعذبهم وإما يتوب عليهم﴾ وهم أهل التحير ﴿والله عليم﴾ يعني بما اقترفوه من الذنوب ﴿حكيم﴾ يعني في تدبيرهم متى شاء خلصهم وألحقهم بآخر أقسام أهل الندم.

ثم قال تعالى ﴿والذين اتخذوا﴾ وهم أشتر أقسام أهل الإصرار ممن يظهر في دور الستر ﴿مسجداً﴾ يعني يعبد اللات إمام الضلالة لما نصبوه لهم قائداً باختيارهم وذلك جارٍ منهم في أول كل دور عطفاً على ما سبق في ابتداء الدعوة الإبلسية ﴿ضراراً﴾ لكي يضاروا به أهل الندم من أهل النسبة الأدون ﴿وكفراً﴾ يعني بمقام حجاب العين ﴿وتفريقاً بين المؤمنين﴾ يعني بين أهل الدعوة الإسلامية ﴿وإرصاداً لمن حارب الله ورسوله﴾ يعني مركزاً لهم يأوون إليه ﴿من قبل﴾ يعني من حال ابتداء تلك الدعوة الإبلسية ﴿وليحلفن إن أردنا إلا الحسنى﴾ يعني بالدعاء إلى الحجاب النبوي ﴿والله يشهد﴾ يعني الميم ﴿إنهم لكاذبون﴾ يعني فيما يقولون سابقاً ولاحقاً وأيضاً إن هذا المسجد الذي كانوا يجتمعون فيه في وقت الرسول ويعقدون فيه الآراء الفاسدة إنه من البقاع الخبيثة التي كانوا يجتمعون بها في كل دور ويتصل بها خبائث من حثالاتهم وهي تلحق بالسقيفة بالرجاسة ثم قال تعالى: ﴿لا تقم فيه أبداً﴾ يعني لا تومي إليه بشيء من أمور الدين وأيضاً ذلك الموضع لا تقم فيه بعبادة ظاهرة لكون الصور لا تُشرق عليه وقد أمر الناطق بإخراجه ظاهراً وباطناً ثم قال تعالى: ﴿لمسجد أسس علي التقوى﴾ يعني الفاطر خليفة الميم ﴿من أول يوم﴾ يعني من ابتداء الفطرة ﴿أحق أن تقوم فيه﴾ يعني بالنص عليه في ذلك المقام ثم قال تعالى: ﴿فيه رجال﴾ يعني فيه منظمة مجامع ﴿يحبون أن يتطهروا﴾ يعني بخدمته أولاً ليسموا في دائرة مجتمعه آخراً ﴿والله يحب المطهرين﴾ وكذلك هذه الآية نزلت في مسجد قباء لكون فيه سرّ عظيم لما ضمنه من الذخائر المذخورة إلى بعضها من بعض زبد الأنوار التي سلّمها الفاء إلى الميم ومن ذخائر دعوة الله الملهمة لصورها وفيه استودع الميم بعض الصور الإيمانية ومنه تنبعث دعوات وجُثت وتقع أيضاً هذه

الآية علي بيت الله الحرام وهو الذي أُسس من أول يوم والتأم من الذوات الاستقرارية والرجال الحقيقيون قائمون فيه ومنبعثون منه ثم قال تعالى: ﴿أَفَمَنْ أُسِّسَ بِنْيَانَهُ﴾ يعني ابنتي وهمه بالندم ﴿علي تقوى من الله ورضوان﴾ يعني لما اعترف في حال المحاربات بمقام الفاطر ﴿خير أم من أُسِّسَ بِنْيَانَهُ﴾ يعني هنالك ﴿علي شفا جرف هار﴾ يعني الإصرار لما التزم بأس الضلالة ﴿فانهار به﴾ يعني ذلك الوهم الفاسد ﴿في نار جهنم﴾ يعني ظاهراً وباطناً في كراته ﴿والله لا يهدي القوم الظالمين﴾ يعني الذين نكصوا في القديم ثم قال تعالى: ﴿لا يزال بنيانهم الذي بناوا﴾ يعني في حال جمود مائع تصوراتهم ﴿ريبة في قلوبهم﴾ يعني عند ظهور فضلاتهم ﴿إلا أن تقطع قلوبهم﴾ يعني يبىد سلطان ضلالهم بتمام دور الستر وتقطعهم في أودية الصخرة ﴿والله عليم حكيم﴾ ثم قال تعالى: ﴿إن الله﴾ يعني العين ﴿اشتري من المؤمنين أنفسهم وأموالهم﴾ يعني في حال الدعوة هنالك لما رضي ندمهم وذلك حين أحسنوا الإجابة بواسطة أسبابه لكون المشتري ما يشتري إلا ما ارتضاه وأخذ عليهم المسارعة إلى جهاد أضداد الحق فقبلوا ذلك ﴿بأن لهم الجنة﴾ يعني الانضمام بالباب السلطاني ﴿يقاتلون في سبيل الله﴾ يعني في إقامة أمره ﴿فيقتلون﴾ يعني أعداء الهدى ﴿ويقتلون﴾ يعني بأيدي أولئك الأعداء ﴿وعدا عليه حقاً﴾ يعني إقامة العذاب بينهم بالقصاص في الكرات فينالون الأولياء بذلك ارتفاع الدرجات في المجامع الإلهية ويحصل للأعداء بذلك الانحطاط في دركات أبواب العذاب ﴿في التوراة والإنجيل والقرآن﴾ يعني أن ذلك جار في أدوار النطقاء المنزلة عليهم هذه الكتب عطفاً على ما كان في أدوار الآباء ثم قال تعالى: ﴿ومن أوفى بعهده من الله﴾ يعني الذي أخذ عليه المدبر من القيام بذلك ﴿فاستبشروا ببيعكم الذي بايعتم به﴾ يعني ... بالنعيم الأبدي ﴿وذلك هو الفوز العظيم﴾ وأي فوز أعظم من انتظامهم في سلك مواليهم ثم أوضح تعالى مقاماتهم فقال ﴿التائبون العابدون الحامدون السائحون الراكعون الساجدون الآمرون بالمعروف والناهون عن المنكر والحافظون لحدود الله﴾ فهؤلاء فروع فضلات أصولهم المتقدمة في الأدوار من أهل النسبة الأدون القائمون بهذه الشروط المأخوذة عليهم ﴿وبشر المؤمنين﴾ يعني أهل هذه الأوصاف بانتظامهم في أهل النسبة الأشرف ثم قال



تعالى ﴿ما كان للنبي﴾ يعني حجابہ ﴿والذين آمنوا﴾ معه يعني من أهل الندم ﴿أن يستغفروا للمشركين﴾ يعني ظاهراً وباطناً ﴿ولو كانوا أولى قربى﴾ يعني في الأنساب الظاهرة للموجبات العدلية التي جمعت بينهم بذلك النسب لما مالوا إليهم لأجل ذلك في حال الانحدار ﴿من بعد ما تبين لهم أنهم أصحاب الجحيم﴾ يعني من جملة أهل الإصرار ثم قال تعالى: ﴿وما كان استغفار إبراهيم﴾ يعني أدنى حجبہ ﴿لأبيه﴾ يعني مربيه في بعض العلم الظاهر ﴿إلا عن موعدة وعدها إياه﴾ وذلك أنه وعده الخضوع والطاعة لوصيه مماكراً بحسب ما سبق منه في كراته المتقدمة ﴿فلما تبين له أنه عدو لله﴾ يعني للمقام الإسماعيلي ﴿تبرأ منه﴾ يعني رفضه وأهبطه من مقامه ﴿إن إبراهيم﴾ يعني ذلك الحجاب ﴿لأواه حليم﴾ يعني راجع عن الأمر المخل في تراتيب الدين وقد أشبهت هذه القضية وقابلت قضية محمد بن أبي بكر وأبيه وذلك أنه كان يكرّر عليه النصيحة ويدلّه على الهداية وكان أبوه يعده بالرجوع عن الغواية ولما تبين لمحمد إصراره وتماديه على الضلالة تبرأ منه وقد اتصل بالجبت حثالات أزر وقد يكون اتصل بعض شيء من بعض تلك الخمائر التي كانت لدى ذلك الحجاب الأدنى بمحمد المذكور لتصحّ المقابلة والمشابهة ثم قال تعالى: ﴿وما كان الله ليضلّ قوماً﴾ يعني في الكرات ﴿بعد إذ هداهم﴾ يعني قبل ندمهم في الابتداء حين أجابوا الرسول ﴿حتى يبين لهم ما يتقون﴾ يعني من... إليه وهو ولي زمانهم ﴿إن الله بكلّ شيء عليم﴾ يعني من جميع الأمور الحديث منها والقديم ثم قال تعالى: ﴿إن الله له ملك السموات والأرض﴾ يعني جميع الدعوات ﴿يحيي﴾ يعني بالحياة الأبدية من قد سبق له الندم ﴿ويميت﴾ يعني بالموت الحقيقي من قد سبق له الإصرار ﴿وما لكم من دون الله﴾ يعني العين ﴿من ولي ولا نصير﴾ ومن ذا الولي والنصير من دون العلي الكبير ثم قال تعالى: ﴿لقد تاب الله﴾ يعني الميم ﴿على النبي﴾ يعني حجابہ ﴿والمهاجرين والأنصار الذين اتبعوه﴾ يعني من أهل النسبة الأدون ﴿في ساعة العسرة﴾ يعني حين طمى طوفان الضلال مما كان أوهموا من الميل إلى الجبت بمقتضى ما كان جرى في الكرات السابقة عطفاً على ما حدث في حال المحارات ﴿من بعد ما كاد يزيغ قلوب فريق منهم﴾ يعني عن الإجابة والدخول في الدعوة الإيمانية وهم أهل التثبط والتردد هنالك ﴿ثم



تاب عليهم ﴿ يعني من ذلك الفارط ﴾ ﴿ إنه بهم رؤوف رحيم ﴾ يعني ظاهراً وباطناً وأولاً وآخرأ ثم قال تعالى: ﴿ وعلى الثلاثة الذين خلفوا ﴾ - منتزع من قول الحُسام قدس الله روحه قوله وهم الذين أقيموا في دعوة الرسول بغير إشارة منه لهم ولا نص منه عليهم ثم قال تعالى: ﴿ حتى إذا ضاقت عليهم الأرض ﴾ يعني الدعوة ﴿ بما رحبت ﴾ يعني بما كان اتسعت لهم أولاً ﴿ وضاقت عليهم أنفسهم ﴾ يعني حدودهم والضييق ضدّ الفرج ﴿ وظننوا أن لا ملجأ من الله ﴾ يعني الوصي ﴿ إلا إليه ﴾ وذلك عند انقضاء المدة ثم قال تعالى: ﴿ ثم تاب عليهم ليتوبوا ﴾ كمثل ما أرسل محمداً إلى أبيه ودخل على الثاني وعرض عليه خلع نفسه وإرجاع الأمر إليه وكإرساله الحسن عليه السلام بالماء إلى الثالث الفتنان فما أمكن منهم الرجوع فأما الأول فقد هوى قلبه إلى ذلك وأود إلى خلوع ما تقمصه من الخلافة والنزوع فغافضه الثاني بالقبليين (؟) الظاهر والباطن وحال بينه وبين المتاب وأما الاثنان فلم يميلاً إلى ذلك وتقطعت بهما من الرحمة الأسباب ثم قال تعالى: ﴿ إن الله ﴾ يعني الوصي ﴿ هو التواب الرحيم ﴾ يعني لمن أتاه خاضعاً ولللباس الادعاء خالغاً انتهى قوله أعلى الله قدسه وأعاد علينا من سرّه - ثم قال تعالى: ﴿ يا أيها الذين آمنوا ﴾ يعني بالناطق ﴿ اتقوا الله ﴾ يعني العين ﴿ وكونوا مع الصادقين ﴾ يعني المصدقين بالميم والعين وقباب الأنوار من آلهم ثم قال تعالى: ﴿ ما كان لأهل المدينة ﴾ يعني من أهل دائرة الإسلام ممن قد دخلها سابقاً وأيضاً من أهل المدينة الظاهرة الذين قطنوها فيما مضى من الأدوار ﴿ ومن حولهم من الأعراب ﴾ يعني الذين لم قد دخلوا تلك الدائرة المتعربين عن أخذ عهودهما ﴿ أن يتخلفوا عن رسول الله ولا يرغبوا بأنفسهم عن نفسه ﴾ يعني عن حجابيه بل يبذلونها بين يديه لكون ذلك مما أوجبه مقيمهم عليهم في حال الدعوة سابقاً ولاحقاً ﴿ ذلك بأنهم لا يصيبهم ظمأ ولا نصب ولا مخمصة ﴾ يعني شيء من هذه الامتحانات ﴿ في سبيل الله ﴾ يعني في إقامة أمر الله ﴿ ولا يطؤون موطئاً يعيظ الكفار ﴾ يعني يبلغونه كما بلغوه في كراتهم الأوّلة وغازطوا به أعادي حجابي الميم والعين ﴿ ولا ينالون من عدوٍ نيلاً ﴾ يعني بسيف الحق ظاهراً وباطناً ﴿ إلا كتب لهم به عمل صالح ﴾ يعني صور نورانية تُجاور ذواتهم ﴿ إن الله لا يضيع أجر المحسنين ﴾ يعني في إظهار إقامة أمره ثم قال تعالى: ﴿ ولا ينفقون نفقة صغيرة



ولا كبيرة ولا يقطعون وادياً﴾ يعني في رضى ذلك الحجاب المحتجب به الميم ﴿إلا كتب لهم﴾ يعني ابنتي في صحائفهم وزادها إنارة وصفاء ﴿ليجزئهم الله أحسن ما كانوا يعملون﴾ يعني في إقامة دعوته ثم قال تعالى ﴿وما كان المؤمنون﴾ يعني بمقام الرسول والمرسل ﴿لينفروا كافة﴾ يعني لطلب العلم الرباني ﴿فلولا نفر من كل فرقة منهم طائفة﴾ يعني من أهل كل دعوة من ذلك الموضع الذين ظهوروا فيه في دور الستر للأسباب المتقدمة الذي جمعهم فيه طائفة ﴿ليتفقهوا في الدين﴾ يعني في العلم القدساني ﴿ولينذروا قومهم إذا رجعوا إليهم﴾ يعني في الكرات لينذروهم فيها من كيد أعداء الكرار وحجبه ﴿لعلهم يحذرون﴾ يعني من كيد أولئك الأضداد ووسوستهم ثم قال تعالى: ﴿يا أيها الذين آمنوا قاتلوا الذين يلونكم من الكفار﴾ يعني جاهدوا من يكون أقرب إليكم من أهل الإصرار الذين قد ملتم إليهم أولاً في حال الابتداء ثم نفرتم عنهم فلذلك دنوا منكم وجاوروكم في المواضع والبلدان والاختلاط وأوجبت العناية الربانية خلاصكم وتطهيركم من ذلك الفارط الأول بقتالهم لنصرة الحق ﴿وليجدوا فيكم غلظة﴾ يعني في ذات الله ﴿واعلموا أن الله مع المتقين﴾ يعني الجامعين بين العبادتين ثم قال تعالى: ﴿وإذا ما أنزلت سورة﴾ يعني ظهر لهم حجاب من حجب العين ﴿فمنهم﴾ يعني حدود الحجاب النبوي ﴿من يقول أيكم زادته هذه إيماناً﴾ يعني اعترافاً بمقام ذلك الحجاب الحيدري ﴿فأما الذين آمنوا فزادتهم إيماناً وهم يستبشرون﴾ يعني عطفاً على ما كان سبق منهم أولاً من الإقرار به ﴿وأما الذين في قلوبهم مرض﴾ يعني جمد مائعتها بعداوة الوصي ﴿فزادتهم رجساً إلى رجسهم﴾ يعني في ظهورهم في النسوخية في الكرات وذلك بما يتضاعف لديهم من ظلمة البغضة للكرار وأي ظلمة أعظم منها رجاسة تولد في تصوراتهم ﴿وماتوا وهم كافرون﴾ يعني بمقامه في كل عبور ثم قال تعالى خطاباً للمنافقين ﴿أولا يرون أنهم يُفْتَنُونَ في كل عام مرة أو مرتين﴾ يعني عند ظهورهم في النسوخية في كل دور كمثل ما فتنوا في زمان أبي طالب بمعارضة عبد العزى أولاً ثم ثانياً بمعارضة عبد اللات لحجاب الكرار ﴿ثم لا يتوبون ولا هم يذكرون﴾ يعني في حال رجوعهم وترددهم في الفضلات ثم قال تعالى: ﴿وإذا ما أنزلت سورة﴾ يعني في إيضاح شرف مقام العين من الدائرة



العمرائية ﴿نظر بعضهم إلى بعض﴾ يعني ذلك الفريق المصير نظراً كان تأسيسه في ابتداء المحارات عند إجابتهم بالتظاهر بالدعوة الإسلامية وذلك بإثبات ذلك الشرف لبعضهم البعض تحريفاً للكلم عن مواضعها ثم قال تعالى: ﴿هل يراكم من أحد﴾ يعني من أهل الندم لكون ذلك كان منهم وهم مسرّون النفاق ﴿ثم انصرفوا﴾ يعني عن الإقرار بحجاب العين ﴿صرف الله قلوبهم﴾ يعني المحتجب بذلك الحجاب بحسب ما كان منهم في كراتهم المتقدمة ﴿بأنهم قوم لا يفقهون﴾ يعني الأشرار لما عميت عنهم الأنباء ثم قال تعالى: ﴿لقد جاءكم رسول﴾ يعني بذلك الميم ﴿من أنفسكم﴾ يعني من مجموع ذخائر البابكم يا ذوي الندم من أهل الجزائر ﴿عزيز عليه ما عتم﴾ يعني في أمر مقام حجاب العين وذلك إشارة إلى من جاورهم من أهل البغي ﴿حريص عليكم﴾ يعني في الحث على هدايتكم كما حث عليها سابقاً ﴿بالمؤمنين رؤوف رحيم﴾ يعني في كل ظهور ثم قال تعالى: ﴿فإن تولّوا﴾ يعني عن الدخول في الدعوة الإيمانية ﴿فقل حسبي الله﴾ يعني الدعاء إلى صاحبها وإشهار مقامه ﴿لا إله إلا هو﴾ يعني لا رب لها غيره ﴿عليه توكلت﴾ يعني في إقامة دعوته واستخراج الصور منها المنتظمة في المجمعين الحسيني والحسيني ﴿وهو رب العرش العظيم﴾ يعني الفاطر.

فافهموا معشر المؤمنين ما شرح لكم من البيان الواضح، واشكروا على ذلك داعيكم البدري والعلمي ليزيداكم من إفضالهما بكل متجر رابح، والحمد لله ولي الأنعام.

والصلاة على رسوله سيدنا محمد وآله هداة الأنام

\* \* \*

وكما قلنا في كتابنا [هل العلويون شيعة] إن من أراد أن يتعرف إلى عقائد العلويين عليه بشعر المكزون السنجاري، كذلك نقول: إن من يرد أن يتعرف إلى عقائد الإسماعيلية، عليه بتأئية عامر بن عامر البصري<sup>(١)</sup> شرط أن يكون

(١) هناك قصائد كثيرة تتضمن عقائد الاسماعيلية منها القصيدة الصورية للداعي محمد ابن علي بن حسن الصوري، وكتاب سمط الحقائق لداعي الدعاة القاضي علي بن حنظلة =

ملمأ بالمصطلحات العرفانية الباطنية. وإلا فلاستعانة بشارح من ذوي المعرفة والاطلاع والبصري في تائيته، لخص جميع عقائد الإسماعيلية: التوحيد والروح المتولد عن السماويات المتعلقة بالمراد المصور لها، والنفس الناطقة، والهيولى وحركة الأفلاك ومنبع وجود العقل وتحقيق معرفة «عقل الكل»، ورموز المعجزات، والمبدأ والمعاد وذكر القيامة الكبرى والصغرى، ومعاني رموز القرآن الكريم وتغير الزمان وانحراف مزاج أهله وظهور الفساد في الأرض، وبيان صاحب الوقت وعلامة ظهوره وآية وقت الظهور والقيامة الكبرى وبيان ما يكون من علاماتها وآياتها...

ونظراً لطول القصيدة نختار منها ما له علاقة بموضوع دراستنا<sup>(١)</sup>.

## الإشارة الأولى:

### في التوحيد

وجود له ديمومة أبدية	يدل بها منها على أزلية
فله ما أبدي لنا من سرائر	وأودعها في الصورة الألفية
سقاني حميأ محيأ جماله	فرحت سليب العقل من دون نشوة
وناولني راحاً براحة كفه	فكان بها إنعاش روحي وراحتي
بدا ظاهراً للكل بالكل بيناً	فشاهده العينان في كل ذرة
وأشرق منه مطلق قيد الورى	عموماً بوحدانية صمدية
هو الواحد الفرد الكثير بنفسه	وليس سواه إن نظرت بدقة
به كل حي وهو حي بذاته	فإن شئت أن تحي به فله مت

= ابن أبي سالم الوادعي وغيرها... وغيرها... لكننا اخترنا تائية البصري لأنها أكثر شمولاً وتفصيلاً.

(١) نشرت تائية البصري مرتين: الأولى مستقلة بتحقيق الشيخ عبد القادر المغربي، نائب رئيس المجمع العلمي العربي بدمشق، مطبوعات المعهد الفرنسي بدمشق ١٣٦٧ - ١٩٤٨، والثانية بتحقيق الدكتور عارف تامر، ضمن مجموع بعنوان «أربع رسائل اسماعيلية» صدر عن دار مكتبة الحياة - بيروت سنة ١٩٧٨. وقد اخترنا القصيدة التي حققها الشيخ عبد القادر المغربي لأننا نحتفظ بنسخة منها.



له كل أذن في البرايا وعية  
له كل علم من علوم الخليقة  
على صورتي كانت لخلقك خلقتي  
كما أنا فرد كثرتي تحت وحدتي  
وجدت حياتي فيه من بعد موتتي  
بغير زيادات ولا بنقيصة  
هو الغائب المشهود في كل بقعة  
هو الناظر المنظور في كل لمحة  
ولم يدركوا من نوره غير لمعة  
فيرجع عنه خاسئاً حلف خيبة  
ولكنها بالوهم عنها تعدت  
بغير شريك قد تغطت بكثرة  
صفات وذات ضمنا في الهوية  
وعلته قامت بها كل علة  
فظلك فيه كل يوم بحجة  
له إن رآه باصر ببصيرة  
حوى كثرة توحيدها بالضرورة  
وجملتها موجوده بالمعية  
ولا شيء منها ناقص لزيادة  
ولا شيء منها لاحق بعد برهة  
وإن دخلت أفراده تحت عدة  
بغير نظير إن نظرت بدقة  
ولا غيره ذاك المقيد فأثبت  
على عرض فاسمع بأذن وعيت  
على أنها ملزومة الجوهرية  
الوجود فلا محو لتلك الكتابة

له كل عين في الوجود يرى بها  
له كل كف بالورى باطشاً بها  
لذلك ما قال الإله لآدم  
فكثرت مخفية تحت وحدة  
بقيت به لما فئت له كما  
تناهي كمالاً فهو في كل حالة  
هو الشاسع الداني إلينا بذاته  
هو العاشق المعشوق في كل صورة  
تجول عقول الحق حول جنابه  
ويعجز عنه الفهم عن كنه ذاته  
ولو شاهدت أنواره لاهتدت بها  
نظرت فلم أبصر سوى محض وحدة  
تكثر الأشياء والكل واحد  
فوجدته ذات بها كل كثرة  
تحجب عنا واختفى بظهوره  
وسائر ذرات الوجود مظاهر  
محا ممكنات الوهم منه بواجب  
وذاك لأن لا شيء يوجد بعدها  
فلا شيء منها زائد لنقيصة  
ولا شيء منها سابق بظهوره  
فقد صار عين الكل فرداً بذاته  
وقيدت الأشياء منه بمطلق  
فلا عينه موجوده بمقيد  
ولا عدم يطغى على جوهر ولا  
ولكنما الأعراض تبدو وتختفي  
لأنهما قد دونا في صحيفة

بغير نظير إن نظرت بدقة  
أعينه في خلوتي مثل جلوتي  
سواك فرؤيا ذاك من أحولية  
فعندك لا عندي تكون إقامتي  
خفياً جلياً في رقادي ويقظتي  
إليك وإن أسجد فوجهك قبلتي  
سواك نسي شوقي إليك أعنتي  
وحال فنائي فيك بالأحذية  
منزهة عن كل غير وشركة  
لذلك صارت حالتي فيك حيرتي  
لفت عناني كان نحوك لفتتي  
لأنك يا مولاي جملة جملة  
وأنت رجائي في رخائي وشدتي  
وهل تختفي عن غير مكفوف مقلة  
ترفعت عن ضد بصرف المحوضة  
دع الظن واستمسك بأوثق عروة  
فما نال أمراً غير نفس مجدة  
ولا تك مشغولاً بنوم ورقدة  
فهيهات أن تلتدّ تلك بغمضة  
ب طريقة دجال كثير التعنت  
لظلمته في عشرة بعد عشرة  
يحوم على ماء لا رواء غلة  
شراباً يروي بردها حر لهبة  
وزلت خطاه عند ذاك وخابت  
فأنت بلا شك من الثنوية  
ومن سعيه في ظلمة مدلهمة

وهذا اتفاق للشهور مطابق  
فيا واحداً في كل شيء مشاهداً  
لك الكل يا من لا سواه فمن رأى  
إليك رحيلي إن رحلت وإن أقم  
أراك بعين العقل والحس دائماً  
وكيف بوجهي ملت عنك فإنه  
وإن سرت يوماً عنك فيك ومطلبي  
فأفرح في حالين حال تعيني  
فأنت أنا لا بل أنا أنت وحدة  
فلا أنت عيني ولا أنت غيرها  
عليك عناني واقف أبداً فإن  
فما لي يوماً منك عنك تخلص  
إليك مآبني في حياتي وموتني  
فلمست أرى شيئاً سواك تحقّقاً  
تقدست عن غير تنزهت عن سوى  
فيا خابطاً في عشوة من ظنونه  
ويا طالباً للأمر جد بنهضة  
وجرد له عزمياً لعزمي ماضياً  
إذا رمقت عين العلى عين همة  
فدع قول من قد قال بالغير واجتد  
بعيد عن الأضواء والنور لم يزل  
كظمان وافاه الهجير بقفرة  
فظن سراباً قد رآه بقية  
فلما رآه لم يجد كما رأى  
إذا أنت لم تسمع مقالة واحدٍ  
وهل يستوي من كان بالنور ماشياً

يضل ومن يرشد يفز بهداية  
 وتنزعه عمن تشا بمشيئة  
 وتاهوا فيك من فرط دهشة  
 فألقيتهم بالوهم في كل شبهة  
 لا تك فرد الذات من غير قسمة  
 إلى عرض يعزى إلى عنصرية  
 ولا أنت جسم ذو مواد كثيفة  
 ولا أنت محصور بحد وعرصه  
 ولا أنت ذو طبع ولا بطبيعة  
 هيولى ولا روح بذات لطيفة  
 ولا أنت ذو كيف ولا بكمية  
 ومن قال نوراً كان كالمانوية  
 ولا أنت مخصوص ولست بحاسة  
 ولا خارج عنه وهذي عقيدتي  
 ولا كل إلا أنت يا كل صفوة  
 على الدهر لكن لا يفيض بقطرة  
 تنزهت يا ذا المن عن مدح مدحة  
 بنفسك أدرى من جميع البرية  
 ومن غاب يوماً عنك أب بشقوة

ومن لم يؤيده الإله بنوره  
 لك الملك يا ديوم تؤتية من تشا  
 تجليت في هذا وذاك فلم يروك  
 وحيرت أهل العقل فيك بذا وذا  
 فلا أنت مولود ولا أنت والد  
 ولا أنت منسوب إلى جوهر ولا  
 ولا أنت روحاني ذات بسيطة  
 ولا أنت علوي ولا أنت سافل  
 ولا أنت مخفي ولا أنت ظاهر  
 ولا أنت عقل لا ولا نير ولا  
 ولا أنت مشغول ولا أنت فارغ  
 ولا أنت ملزوم ولا أنت لازم  
 ولا أنت ذو قيد ولا بمجرد  
 ولا أنت في شيء من الكل داخل  
 فأنت إذا فرد لك الكل ساجداً  
 كتيار زخار يفيض بموجه  
 تعاليت يا ذا الطول عن وصف واصف  
 فأنت على ما أنت قدراً وقدرة  
 فمن غاب يوماً فيك نال سعادة

## الإشارة الثانية:

### في الروح

مخلدة ما أن تشيب بشيبة  
 منير يدور الدهر دور المجرة  
 تفرد من شجوبها فوق ذروة  
 بجرم مزاج من لطافة مادة

عجبت لروحانية ملكية  
 سماوية الأنساب منبع ذاتها  
 على دوحة من سدره المنتهى غدت  
 مجوهره من أمر ربي تعلقت

مثالاً لها في ظلمة حَنَدَسِيَّة  
بها لا يغيب الدهر عنها بحالة  
معينة بالقسمة الأزليَّة  
قديمة عهد واتصال مودة  
مؤكدة لا تنقضي بقضية  
هيام جميل في جمال بثينة  
وتحرسه من كل سوء برأفة  
وليس لها عنه زوال بحيلة  
وإن خلعت ما ألبست بغريبة  
تعوضها بالحال عنها بكسوة  
إلى أوجها بالنطق من بعد خرسة  
يكون لها بالفعل من بعد قوة  
وشكل خفي مدمج ضمن مضغة  
به عند نشر النشوء من بعد طية  
سماواتها طياً لترتيب نشوة  
لها عند قبض الموت من بعد بسطة  
علمت يقيناً أنَّ تلك هي التي  
عجائبها أزرث بكل عجيبة  
تحلت لتحصيل الكمال بحلية

يخلقه منها بإلهام خالق  
مزاج لها قد خص من دون غيرها  
مقادير كفياته ومواده  
يضممها فيه اجتماع ونسبة  
وبينهما عشق عجيب وصحبة  
يهيم بها من حسنه وجماله  
وتعشقه عشقاً عظيماً مبرحاً  
فليس له عنها انفكاك بحادث  
ولست تراها منه في كل حالة  
إذا ما نضت عنها المقادير كسوة  
وما هبطت إلا لترقى بنفسها  
وليس بجسم بل بجسم كمالها  
وتظهر في شكلين شكل مشيح  
لها طي نشر عند بدء اتصالها  
فتطوى كما يطوى السجل كتابه  
وتنقص من أطرافها أرض برزخ  
ولو كنت ذا علم بها حين فارقت  
لقد دقَّ معناها غموضاً لذلك ما  
هي الروح لا نفس كما ظن واهماً

### الإشارة الثالثة:

وليست بذاتٍ مفردٍ ذي بساطة  
بسيطاً سها عن حق كل حقيقة  
لأعضائه والنفس شبه مدينة  
العلم فافهم ذا بحسن كياسة  
عليها لها منها بكل غريبة

وذلك أنَّ النفس عين جميلة  
فمن جعل المجموع من كل جامع  
فعقلك سلطان وأجناده القوى  
لذلك ما قال النبي أنا مدينة  
ومنها ظهور العقل فاعقل وفيضه

فأنت إذن نفس ومشتقتها من النفس فس فاعرف سرَّ هذي الدقيقة

## الإشارة الرابعة:

### في الهيولى

بغير قواها منذ أول وهلة  
 تكائف منها بعد ذاك برتبة  
 طبيعية لا ميل فيها بفضلة  
 ثلاثة أفراد لأزبع أخوة  
 مسخرة أرواحها ذي سداجة  
 ولا هي إن حقتتها بإرادة  
 معاً يقتضي تحريكها باستدارة  
 ترتبها في جرمها بعدالة  
 وللطبع بدوي وطول استدامة  
 توهم أرباب العقول الضعيفة  
 عقول بقول مشبع ذي رصانة  
 زخارف قول ماله من أصالة  
 سوى ذاك وانظرني بعين جديدة

وأما الهيولى فهي أصل وإن ترى  
 علا فظفا منها لطيف وحط ما  
 سمت تسعة في أوجه وهي واحد  
 وحطت لإظهار الكمال لرفعها  
 وما دارت الأفلاك إلا بأنجم  
 ولا حركة بالقسر أو بطبيعة  
 ولكن بروح ساذج وطبيعة  
 وذاك لكيفياتها الأول التي  
 فللروح تحريك يفيد حياتها  
 ولا عقل إن دقت علماً لها كما  
 ولكن عقل الكل عين لجملته الـ  
 ويتلوه عقل ثم عقل فإنه  
 فدقق لما قد قلت فكراً وعد عن

## الإشارة الخامسة:

### في رموز المعجزات

لمصباح مشكاة بلطف بديهة  
 بلا مس نارٍ من صفاء الزجاجة  
 فدونك واسمع ما أقول وأنصت  
 متى شئت أن تحظى بنيل سعادة  
 عليك فخذ من بحرها بعض غرفة

ودونك فاقبس يا لبيب أشعة  
 يكاد يضيء الكون أنواراً زيتها  
 فإن كنت في تكميل نفسك راغباً  
 ونكب عن التقليد واللج جانباً  
 فإني سأتلو من كتابي آية

يبدل منك الجهل منه بشربة  
عليها مدار الأمر في كل مرة  
رأت كل نفس ما رأت مستعدة  
لأتحف منها أهل ود بتحفة  
كما يقتضيه حال نسبه رتبتي  
عليها وقار ضمنه فيض رحمة  
مشاهدة بالعقل من غير خفية  
يطير بأسراري إلى كل دوحة  
مطرحة الأبدان صرعى مينة  
ولكنه قد خصني بوصية  
وقد دثرت في تربها فاضمحلّت  
بقدره علام وسر نبوة  
منير ونصف مظلم كالدجنة  
برؤياه تمشي فيه غير مشكة  
بالسنة في كل دور فصيحة  
وكم دك طودي ذكة عند صعقة  
لها حطباً من كل مصر وقرية  
لدى ذاك برداً كان فيه سلامتي  
وتقذفني نحو العراء برمية  
على سائر الأشجار تسمو بسرعة  
من الناس وأعلم أن هاتيك فكرتي  
بنصفين حتى جاوزته صحابتي  
لطغيانه في اليم أعظم غرقه  
تفجر منه الماء من هول ضربة  
تلقف إفك الساحرين بنفثة  
وكانت لي العقبى بمعجز آيتي

أنا الكوثر العذب الذي ماء علمه  
ومنبع ذاك الماء عين حقيقة  
هو القطب والنفس النفيس الذي به  
وإني لمهد من علمي طرائفأ  
وأبدي من استعداد ذاتي غرائبأ  
لتأتي في التابوت مني سكينه  
فأظهر في قعر البطون عجائبأ  
وأخلق من طيني بنفخي طائرأ  
وأحيي كما أحيى ابن مريم أنفسأ  
على أنني منه استفدت ولسته  
أرد لها أرواحها بعد موتها  
فتصبح أحياء كما كان أولأ  
ولي القمر السيار شق فنصفه  
فهل لكم عين تراه لعلها  
وكم قد تجلى الرب لي متكلمأ  
وكم صعقة لي دهشة بجماله  
وكم أوقد الأغيار نارأ وأضرموا  
وألقيت فيها صير الله حرها  
وكم بلعتني حوت يونس بلعة  
وتنمو من اليقطين فوق شجيرة  
وأصبح أعلو واحداً بعد واحد  
وشقت عصاي البحر لما ضربته  
وأغرق فرعون الضلال وأهله  
وكم حجر قاس ضربت بها غدت  
وألقيتها تسعى إلى الأرض حية  
وخرّ لديها ساجداً كل ساحر



يدي لهم بيضاء من صدق حكمتي  
 له وسالت عين قطر لإمرتي  
 عن جنابي كل لسعة حية  
 أقد رقاب العاقرين بناقتي  
 وأشرفت الدنيا بها بعد غربة  
 إذا ما هجير الحر قارن وصلتي  
 وحاولت أن أحيى ذبحت بقيرتي  
 لها محيياً فاسمع أعاجيب قصتي  
 لعطرت الأكوان أنفاس نفحتي  
 وكهي عص استقامت بصحة  
 تضيء به الآفاق من كل ظلمة  
 ملكت الورى طراً بلطف فطانة  
 فزنها وبدل كل زوج بحثة  
 أتى بعده ميم لإظهار قدرة  
 به كان في الأكوان سر الإمامة  
 كلام بها من بعد لام وهمزة  
 لذا عظمت تلك الحروف وعزت  
 مغادير في القرآن من كل سورة  
 بأعيانها في الصورة البشرية  
 فلم يدن منها غير نفس عليّة  
 فرفضي لذاك الرفض فرضي وسنتي  
 أيبنوا لنا عن حقها بجليّة

وأخرجت من ظلماء طبعي نقيه  
 وليّن لي بأس الحديد بقدرة آلا  
 فقدرت في الرد السوابغ دافقاً  
 ولي صار إرثاً ذو الفقار بحده  
 ولي ردت الشمس المنيرة إذ نأت  
 وما سرت إلا والغمام يظّلني  
 ولما طغى عجلي وأبدى خواره  
 ولو لم أمت نفسي بتركي لم أكن  
 ولو نفحت من دون نشوى نفحة  
 و«حم» «عسق» كما قرأتها  
 فأشرق من سريهما نور نير  
 فحرف بحرف إن فطنت لفهمه  
 رموز خفيات متى رمت حلها  
 ولام أتى من قبله ألف كما  
 تشير إلى عقل وروح ومظهر  
 وعقل وروح والهيولى وطبعها  
 يدل على عين الوجود وجودها  
 وكل إشارات الحروف التي أتت  
 تشير إلى أشياء يوجد مثلها  
 سرائر آيات تعالت بنورها  
 لئن رفض الجمهور فرض حقوقها  
 وإن شك فيما قلت قوم فقل لهم

## الإشارة السادسة:

### في المبدأ والمعاد

ولي صور محصورة القدر ضبطها      ظهوري لعيني عند لبسي بردتي



وأخبر ما يتلوه أول نشأتي  
قيامتي الكبرى بتتميم دورتي  
وأبدو كما قد كنت في حال بدأتي  
أقوم لدى المعبود فيها بجثتي  
فتختلف الأعيان في كل عودة  
معينة يفضي بها سر وحدة  
ورسخي لمنع فيه عودي بهييتي  
وسكري في صحوي ورفعي بخفضتي  
كما كان لي بالرتبة الأزلية  
وأخفى كما يخفى سرار الأهله  
وما انهار عند الهدم منها لبنية  
ويطن مني ظاهر بعد كمنه  
بطوني ظهوراً عند تبديل خرقة  
إليه كما قد كنت في بدء فطرتي  
وأعجب شيء ذلك من سر سيرتي  
تغيب وتبدو تارة بعد تارة  
مقالات أسرار طوتها صحيفتي  
بإطلاقه من كل قيد وعلقة  
يراد به من أوبة بعد سفرة

فأبدو بها في صورة بعد صورة  
قيامتي الصغرى بخلعي وإنما  
فأخفى زماناً عن مطالعة الوري  
وذاك معادي في قيامتي التي  
وليس إذا حققت ذا بتناسخ  
ولكن إفادته الحقوق مراتباً  
ففسخي وفسخي مثل مسخي باطل  
ثبوتي في محوي وقربي في النوى  
وما زال كوني قائماً بحقيقتي  
فأبدو كما تبدو البدور كواملاً  
فما غاب من بعد الظهور فكامن  
ليظهر مني باطن بعدما اختفى  
فيخفي ظهوري في بطوني كما ترى  
وأرجع من بعد استتاري بارزاً  
فأنهض حياً مثلما كنت قائماً  
ولم تنعدم تلك النفوس وإنما  
فهل فيكم يا معشر الأهل ناشر  
فيفهم ما معنى الوجود لذاته  
ويعلم ما معنى المعاد وما الذي

### الإشارة السابعة:

#### في معاني رموز دقيقة في القرآن

على مركز منه بدت للإحاطة  
من الطين أم قد كان من دفع نطفة  
هبوطاً فبانتهما كل سوءة  
عوارهما حتى اختفت كل عورة

ويعلم ما حوا وكيف احتواؤها  
وهل كان بدءاً خلق آدم وحده  
ويعلم ما الذنب الذي جوزيا به  
وما الورق الغض الذي غطيا به

الجنان زها بالخضرة السندسية  
على الماء لا ذا الماء بالأولية  
أتت أم بألفاظ لها معنوية  
معذرة في كل تجديد دعوة  
مسترة باسم ورسم وكنية  
إلى القدس أم بالقوة الملكية  
كما ظنه الجمهور من غير خبرة  
كما كان في تسخينه بالحرارة  
محمده بالوحي صورة دُخية  
بسته أيام توالى سوية  
رأى زكريا كان من حب حنطة  
وبينهما في الدور أطول مدة  
إليها ابنا من عند أشرف حضرة  
هو الجسم بالتحقيق أم مهد عادة  
على ألف شهر فضلت بمزية  
ولم لقب المختار أمي مكة  
هو الطارق المنحط عشقاً لرفعة  
ثلاثة مئين مع زيادة تسعة  
جرت أم غشا نوم جهل وغفلة  
فندرکه أم بالسنين القديمة  
وما المعنى بخرق السفينة  
عليه لما يأتي بغير روية  
عليه غروب الشمس في عين حماة  
تخاطبهم رمزاً بلطف اشارة  
مساكنكم من حطم جند بدوسة  
أتى لسليمان بسر سريرة

أمن شجر قد كان أم من ملابس  
وكيف استواء الله من فوق عرشه  
وهل معجزات الأنبياء بظاهر  
وهل خرق العادات بالوحي آنس  
أم الكل نفس بالتعين واحد  
وهل كان معراج النبي بجسمه  
وجبريل شيء منه أم عنه خارج  
وكيف أتى لما رقى ومكانه  
ولم أشبه الروح الأمين وقد أتى  
ولم خص تكوين السماء وأرضها  
وهل ذلك الرزق الذي عند مريم  
ومريم لم صارت لهارون أخته  
أم الوحي ذاك الرزق كان أتى به  
وهل كان لَمَّا كَلَّمَ الناس مهده  
ولم ليلة القدر التي جل قدرها  
وما السرُّ في عيسى وليس له أب  
وما ذلك النجم الذي هوى وما  
ورقده أهل الكهف في ظل كهفهم  
أهل نوم طبع كان بالعادة التي  
وهل ذاك محسوب بهذي سنينا  
وهل لك علم بالجدار وقتلة الغلام  
وصحبة موسى عبدنا واعتراضه  
وما هو ذو القرنين في السد والذي  
وما هو وادي النمل والنملة التي  
تقول ادخلوا يا أيها النمل تسلموا  
وما هو ذاك الهدهد الطائر الذي

وبلقيس إذ جاءوا إليها بعرشها  
فقالوا لها هل كان عرشك هكذا  
وما ذلك العفريت والقائل الذي  
وكيف أتى بالعرش قبل ارتداد طرفه  
وما ذلك الصرح الممرد إذ غدت  
وما جري هذي الريح شهر غدوها  
ولم كانت الأسباط من ولد فاطم  
وما هي أطيار الخليل وجعلها  
فقلنا له صرّها إليك ونادها  
وما هي تلك النفس يا قومي التي  
وقلنا اضربوه كي يقوم ببعضها  
ولم كان أجر النبوة أربعين  
وذا النون إذ نادى وقد مر مغضباً  
لذي ظلمات فاستجبنا دعاءه  
حقائق لم ينكر دقائق سرها  
فتحت بعون الله أقفال رمزها  
وأبرزتها من خضرها لذوي النهى  
نفوس تزكّت واطمأنت بعلمها  
ولن ترى ملتذاً بها غير كيس

وقد نكروه بعد نقش بنقشة  
فقالت نعم يحكيه من غير ريبة  
له بكتاب الله علم دراية  
وهو سردق عن كل فطنة  
تكشف ساقها لديه لخوضه  
وروحها شهر له لا بوقفة  
وأصحاب عيسى خمسة بعد سبعة  
فويق جبال أربع من جبلة  
تجيء مطيعات بأسرع سعية  
تدارأتموا في قتلها عن خديعة  
كذلك يحيي ربنا كل ميت  
بعد ثلاث أردفت بثلاثة  
لظن به أن لا وجود لرجعة  
بعفو ونجناه من كرب غمة  
من الناس إلا كل نفس غيبة  
وغصت عليها تحت تيار لجة  
يلد رؤاها كل نفس سرية  
عليها من الرحمن أذكى تحية  
لطيف طباع ذي مزايا حميدة

## الإشارة الحادية عشرة:

### في القيامة الكبرى

يقيم بها دور الزمان قيامة  
وينفخ إسرافيل في الصور نفخة  
ويفنى جميع الخلق طراً ووجهه  
ويذبح عزرائيل عند فنائهم

تخص جميع النوع منها بقربة  
فيصعق من في الأرض منها بفزعة  
المهيمن باق وحده بالألوهة  
بصورة كبش أملح خير ذبحة

وينفخ أخرى بعدها فتراهم  
فذاك قيام الناس في يوم بعثهم  
حفايا عرايا من جميع تعلق  
عيونهم من عريهم برؤوسهم  
وينصب بين النار والنور عندها  
صراط له الميزان بالعدل قائم  
وتعرض أعمال العباد بأسرها  
فقوم لهم نار وهم في وقودها  
هنالك إن قدمت خيراً تناله

قياماً كما كانوا بإنشاء نفخة  
بأجمعهم من كل لحد وحفرة  
كما جاءنا في شرح يوم القيامة  
يرون بها المعبود أصدق رؤية  
صراط له حد كحدة شفرة  
يجازي به الأعمال من كل خيبة  
كبيرتها مقرونة بالصغيرة  
وقوم لهم نور بلذة جنة  
وإن كان شراً تبلى ببليّة

\* \* \*

هذه هي آراء الاسماعيليين القدماء .

وننتقل الآن إلى آراء الاسماعيليين المحدثين والمعاصرين . ونكتفي ،  
اختصاراً للحديث ، بثلاثة :

- عبد الله بن المرتضى وكتابه [الفلك الدوار في سماء الأئمة الأطهار].
- الدكتور مصطفى غالب وكتابه [تاريخ الدعوة الاسماعيلية].
- ميهب عيزوتي في [لمحة موجزة في التاريخ الإسماعيلي].

### الفلك الدوار في سماء الأئمة الأطهار:

صدر هذا الكتاب في ٢ شعبان ١٣٥٢هـ / ٢٠ تشرين الثاني سنة ١٩٣٣م  
أهداه مؤلفه «لحضرة صاحب الجلالة والعصمة إمام الاسماعيليين المطهر -  
السلطان محمد شاه علي الحسيني آقا خان الأعظم» .

ينقسم الكتاب إلى جزئين :

الأول: في الاجتماع الأخلاقي والتوازن الاجتماعي .

الثاني: في تاريخ الاسماعيليين الأبرار.

الجزء الثاني، هو المهم، وهو يتألف من خمسة فصول.

الفصل الأول: في نشوء الاسماعيليين وتكوين قوميتهم منذ عهد اسماعيل ابن إبراهيم الخليل إلى انتقال الإمام علي المرتضى، وهو دور النشوء والسطوع.

الفصل الثاني: من آخر عهد الإمام علي إلى آخر عهد الإمام عبد الله رضي الدين ويدعى دور التقية والستر والصيانة.

الفصل الثالث: في دور الحكم والسياسة منذ عهد الإمام محمد المهدي بالخلافة إلى آخر عهد الإمام المستنصر بالله.

الفصل الرابع: في دور شيوخ الجبل يبتدئ من عام ٤٨٧هـ إلى ٦٧٦هـ.

الفصل الخامس: في دور التناوب من عام ٦٧٦هـ إلى عام ١٣٥٢هـ.

يعني من هذه الفصول، بالدرجة الأولى، الفصل الأول.

ومما جاء فيه، أن الاسماعيليين من نسل اسماعيل بن إبراهيم الخليل. وبنو اسماعيل هم: بنيوت وقيدار وأوبئيل وجسام ومشماع ودومة ومسأ وحداراً وتيماً ويطور ونافيش وقدمه وبسمة. وقد عظم أمرهم وساد نفوذهم في كل الأقطار العربية وقد انقاد إليهم الأنام وعنت لحكمهم البلاد<sup>(١)</sup>.

وتكاثر نسل اسماعيل وكاد يضارع رمال البحر بكثرة جموعه. وكان يتألف من ١٢ قبيلة وقد اندمج الجراهمة، أي عرب اسماعيل، في حلقة قومية أولئك فكانت كلتا العصبتين تنضويان تحت علم اسماعيل الديني والسياسي. وإذ ذلك انقسم الاسماعيليون إلى قسمين دعي القسم الأول بني اسماعيل نسبة إلى أبيهم اسماعيل، والثاني عرب اسماعيل لاتصالهم به من الوجهين الديني والزمني<sup>(٢)</sup>.

أنشأ الاسماعيليون مدناً في بلاد العرب من أهمها أم القرى التي كانت

(١) عبد الله بن المرتضى - الفلك الدوار ص ٦٢.

(٢) المرجع السابق ص ٦٤.

حاضرتهن منذ عهد اسماعيل إلى ظهور الرسول<sup>(١)</sup>.  
 ظل آل اسماعيل وعربه باتصال سرمدي إلى عهد الإمام عدنان سيد جميع قبائل بني اسماعيل وأبيهم الثاني بعد اسماعيل<sup>(٢)</sup>.

ولد لعدنان معد الذي آلت إليه الولاية عن أبيه، وهذا أودعها في ولده نزار وولى نزار ابنه مضر الإمامة. وبعد مضر تولى الأمر المطلق الياس. وكنانة من سلالة الياس المصطفاة في الناس. ومن كنانة نضر، ومن نضر مالك، ومن مالك فهر الذي لقب بقريش وكان فهر إمام الاسماعيليين وسيدهم في عصره وسرى لقبه على قبائله فلقبوا بالقريشيين ومن ذلك الحين ساد على قبائل الاسماعيليين الاسم القرشي<sup>(٣)</sup>.

وإن سيدنا محمد ولد من أبوين اسماعيليين قريشيين<sup>(٤)</sup>.

وقد اشتد ساعد الإسلام بقوة ساعدي أسد الله صاحب ذي الفقار.

وفي سنة ٨ من الهجرة غزا الرسول مكة وفتحها وكسر الأصنام وحينئذ دخل في الإسلام أبو سفيان وولده معاوية وعتبة وزوجته هند ومن شاكلهم إلا أن الاسماعيليين لا يثقون بإسلام هؤلاء لأنه جاء عن طريق القهر والإرغام<sup>(٥)</sup>.

وإن الرسول بايع علياً على الخلافة في خم وجاءت هذه المبايعة بعد المبايعات الثلاث، بيعة الدار وبيعة الخيزرانة وبيعة أم سلمى. وبهذه البيعات الثلاث رمز عظيم في العقيدة الاسماعيلية<sup>(٦)</sup>.

والاسماعيليون لا يعلقون أهمية على مبايعة علي لأبي بكر لما يعلمونه في علي من المقام السامي الذي هو عين الشعر والحلم ويرجعون برأيهم في

(١) المرجع السابق ص ٦٤.

(٢) المرجع السابق ص ٦٥.

(٣) عبد الله بن المرتضى - الفلك الدوار ص ٦٦.

(٤) المرجع السابق ص ٧٧.

(٥) المرجع السابق ص ٨١.

(٦) المرجع السابق ص ٨٣.

تلك المبايعة إلى نص الآية الواردة في القرآن ﴿ولا يحق المكر السيء إلا بأهله﴾<sup>(١)</sup>.

ولما استعصى على أبي عبيدة فتح مدينة بعلبك استمد قوة من المدينة من شيعة علي الخاصة وهم الاسماعيليون فلم يحجم علي عن بعث ٥٠٠٠ مجاهد عقد القيادة عليهم لأبي أيوب الأنصاري وأبي الدرداء وهؤلاء أنجدوا قوات الجراح المرابطة في ضواحي بعلبك وهناك عقد لهم اكليل النصر والفلاح. وقد ثابروا على جهادهم إلى أن طهروا البلاد من الرومان ثم استوطنت هذه البعثة في دمشق وجبالها وهم الذين انحدر منهم اسماعيليو سورية<sup>(٢)</sup>.

حقيقة الحال تدفعنا إلى القول إن هذا الكلام من شطحات الخيال، ولا سند تاريخياً له.

(١) لأن الاسماعيليين ينتسبون لاسماعيل بن جعفر الصادق، وليس لإسماعيل بن إبراهيم الخليل ثم إن القول إن الاسماعيلية بدأت بعهد اسماعيل ابن ابراهيم الخليل، يتنافى مع العقائد الفلسفية الاسماعيلية<sup>(٣)</sup>.

(٢) لم نجد من المؤرخين من قال إن سيدنا محمد ﷺ، ولد من أبوين اسماعيليين.

(٣) القول بأن الاسماعيليين لا يثقون بإسلام أبي سفيان وولديه معاوية وعتبة وزوجته هند ومن شاكلهم لأنه جاء عن طريق القهر والإرغام هو قول العلويين أيضاً<sup>(٤)</sup>.

(٤) بدا لنا واضحاً أن ابن المرتضى أراد أن يقلد شطحات محمد أمين غالب الطويل في كتابه [تاريخ العلويين]. ودليلنا على ذلك أن الطويل كتب يقول: لما فتحت جهات بعلبك وحمص، استمد أبو عبيدة نجدة، فأتاه من العراق خالد بن الوليد ومن مصر عمرو بن العاص، وأتاه من المدينة جماعة من

(١) المرجع السابق ص ٨٦.

(٢) المرجع السابق.

(٣) مصطفى غالب - تاريخ الدعوة الاسماعيلية ص ٥٨.

(٤) محمد أمين غالب الطويل - تاريخ العلويين ص ٨٧.



العلويين وهم ممن حضروا بيعة غدِيرِ خَمٍ وهم من الأنصار وعددهم يزيد على أربعمئة وخمسين مجاهداً، ولما وصلت هذه النجدة والتحقت بالجيش نجح نجاحاً جزئياً فسميت هذه القوة الصغيرة «نصيرة» وإذ كان من قواعد الجهاد تمليك الأراضِي التي يفتحها الجيش إلى ذلك الجيش نفسه، فقد سميت الأراضِي التي امتلكها جماعة «النصيرة» جبل النصيرة وهو عبارة عن جهات جبل الحلو وبعض قضاء العمرانية<sup>(١)</sup>.

نقل ابن المرتضى هذا الكلام على الشكل التالي: لما استعصى على أبي عبيدة فتح بعلبك استمد قوة من المدينة من شيعة علي الخاصة. وهم الاسماعيليون فلم يحجم علي عليه السلام عن بعث ٥٠٠٠ مجاهد بقيادة أبي أيوب الأنصاري وأبي الدرداء وهؤلاء أنجدوا قوات الجراح. ثم استوطنت هذه البعثة في دمشق وجبالها وهم الذين انحدر منهم اسماعيليو سورية.

(٥) قال ابن المرتضى: إن دور شيوخ الجبل يبتدئ من عام ٤٨٧هـ إلى ٦٧٦هـ... فيكون بكلامه المشار إليه، جمع بين شيوخ الجبل في بلاد فارس وشيوخ الجبل ببلاد الشام، هذا من جهة. ومن جهة أخرى، إن التاريخ الذي حدده لبدء دور شيوخ الجبل وانتهائه غير صحيح. فإذا اعتبرنا أن دور شيوخ الجبل بدأ بالحسن بن الصباح، فإن الحسن استولى على قلعة آلموت سنة ٤٨٣هـ ومن هذا التاريخ بدأ دور شيوخ الجبل. وانتهى عهد شيوخ الجبل في بلاد فارس سنة ٦٥٣هـ على يد هولوكو. وفي بلاد الشام سنة ٦٧٠هـ / ١٢٧٢م في عهد الملك الظاهر.

## تاريخ الدعوة الاسماعيلية:

من أبرز المفكرين الاسماعيليين المعاصرين، في سورية، الدكتور عارف تامر والمرحوم الدكتور مصطفى غالب، اللذان قدما للمكتبة العربية العديد من المؤلفات الجادة والرصينة. وإليهما يعود الفضل في تحقيق ونشر التراث

(١) المرجع السابق.

الاسماعيلي المخطوط ووضعه بين أيدي الدارسين .

من المؤلفات التي تركها لنا المرحوم مصطفى غالب كتاب [تاريخ الدعوة الاسماعيلية]<sup>(١)</sup> تناول فيه، من جملة المواضيع التي تناولها:

\* الأئمة الإسماعيليين

\* والدعوة الإسماعيلية .

الأئمة الاسماعيليون هم: أمير المؤمنين علي عليه السلام ، والحسين عليه السلام ، وعلي زين العابدين عليه السلام ، ومحمد الباقر عليه السلام ، وجعفر الصادق عليه السلام ، و... و...

والدعوة الاسماعيلية، تقوم على فكرتين: الإمام المعصوم والوحدة .

الإمام، هو الإنسان الكامل التام، الحاد للحدود، الظاهر للوجود، المتعالي عن الكيف، البعيد عن الأين والزمان والمكان .

وهو غاية الوجود، وهو المختار لفكك الخلق من أسر الطبيعة والارتقاء بهم إلى المنزلة الرفيعة، فهو إلهي الذات سرمدي الحياة، تأنس بالحدود والصفات فصار غاية الغايات ومبدع الذات ومخترع الصفات ويعطي الخيرات والبركات . وهو مبدع الأبداع وصاحب الأمر المطاع وهو المفضل غير المعدود، وغير المحدود .

وبالنسبة إلى الوحدة، فتقسم مراتبها إلى ثلاثة أقسام: الوحدة الشكلية والوحدة المعنوية والوحدة الحقيقية .

الوحدة الشكلية، هي من حيث الشخص الكلي الكامل في الجثماني وهو الإمام .

والوحدة المعنوية، هي العقل الكلي في العالم الروحاني المجرد عن العالم الجسماني .

(١) من الدراسات المهمة في هذا الموضوع «موسوعة تاريخ الاسماعيلية» للدكتور عارف تامر . وهي من أربعة أجزاء ١ - الدعوة والعقيدة ٢ - من المغرب الى المشرق ٣ - الدولة الفاطمية الكبيرة ٤ - الدولة الترابية .  
لم تتمكن من الحصول على نسخة منه لدراستها . لذلك اكتفينا بالإشارة إليه .

والوحدة الحقيقية، هي الذات المطلق المنزهة عن سائر الموجودات وعن الأسماء والصفات .

والإمام هو أداة الباري من حيث الوحدة الحقيقية إذا كان مجرداً عن الجسم . فإذا ظهر الإمام بصورة الجسم، كان اسماً من أسماء الله وصفة من صفاته، وإذا اتحدت صفاته العليا كان هو الله في الحقيقة . . .

تعليقنا على كلام مصطفى غالب يدور حول نقطة واحدة هي قوله: (الأئمة الاسماعيليون) عن علي وأبنائه . . . وعلي وأبنائه لم يكونوا اسماعيليين حتى يقال (الأئمة الاسماعيليين)، الأولى أن يقال (أئمة الاسماعيليين).

### لمحة موجزة في التاريخ الإسماعيلي

تحدث مهيب عيزوقي في هذه الدراسة الموجزة، المؤلفة من (٤١) صفحة من القطع الصغير، عن المواضيع التالية: تعريف الدين والمذهب والمذهب الاسماعيلي - الدين عند الاسماعيليين - عقائد الاسماعيليين - فروع الدين أو أركان الدين - المعاملات - الآداب - التاريخ الإسماعيلي (١) - ما قبل البعثة المحمدية ٢ - فترة الإسلام المبكر ٣ - فترة الحكم من ١٤٥هـ وحتى عام ٦٥٤هـ ٤ - فترة ما بعد الحكم ٦٥٤هـ - ١٣١٨هـ - نظرية المعرفة عند الاسماعيليين) - ملحق (١) - ملحق (٢).

قال عيزوقي: إن الدين عند الاسماعيليين هو الإسلام كما جاءت به رسالة السماء التي أوحاها الله سبحانه وتعالى إلى الرسول النبي محمد ﷺ، وسنة النبي ﷺ، وتعليم الإمام الحاضر الموجود المنبعث من النص القرآني .

والدين أصول وفروع . وأصول الدين هي: التوحيد - النبوة - الإمامة - المعاد . وفروعه أو أركانه: الولاية، الطهارة، الصلاة، الزكاة، الصيام، الحج، الجهاد .

وتوجه نظرية المعرفة عند الاسماعيليين نحو الله والكون والإنسان ومرجعهم في ذلك إلى القرآن، والسنة، والتعليم الإمامي .

ومنهاج الاسماعيليين في نظرية المعرفة هو اعتماد ما تمليه عليهم عقيدتهم من حيث إيمانهم بالله وخطابه الإلهي، والأنبياء وسننهم، والأئمة وما قدموه هداية وتعليماً، فالقرآن هو النص، والسنة والهداية منهما فهم النص.

وللعلوم الدينية نظامها الخاص. إذ يقوم على رأس المعلمين المعلم الصادق (الإمام) وهو الذي يقيم مدارس التعليم الديني، والمتعلمون في هذه المدارس يتولون مهمة التعليم بتوجيه ومراقبة من المعلم الصادق.

والمعلم الصادق (الإمام) الذي يتولى هذه المهمة وغيرها في قيادة الاسماعيليين وإدارة أمورهم يقوم بمهمة الإمامة. والإمامة هي السلطة الدينية، وهي امتداد لسلطة النبوة الروحية. وللقائم بها (الإمام) شروط هي: النسب، النص، العمل بالنص. والعلاقة بين الإمام والأتباع تقوم على مفهوم البيعة. فالأتباع يبايعون الإمام على الولاء الديني له، وأما الإمام فيبايعهم على تقديم النصح والهداية فيما يصلح شؤون دينهم.

بالنسبة إلى التاريخ الإسماعيلي، يقول ميهب عيزوقي: يرى الاسماعيليون أن تاريخهم مغرق في القدم، بحيث يعود إلى بداية التكون البشري، ولكن يستحيل ضبط أحداث هذا التاريخ منذ البداية، ولذلك يكتفي الاسماعيليون بضبط أحداث تاريخهم منذ البعثة المحمدية المباركة<sup>(١)</sup>.

وإن العقيدة الاسماعيلية تقوم على مفهوم أن الإمام يهيب الأرض (المجتمع) لظهور الناطق (النبي الرسول) وتلقي رسالته، ثم يساعد الإمام الناطق على إنجاز مهمته. وهكذا ينظر الاسماعيليون إلى الآباء الأقربين للنبي محمد ﷺ على أنهم أئمة مستقرون. وهم قصي بن كلاب وحتى أبو طالب. وتميزت هذه الفترة بقيام الإمام قصي بإعادة تشكيل المجتمع المكي وتنظيمه... وأما عبد المطلب فقد أعاد إحياء الديانة الحنيفية في مواجهة توسع المسيحية واليهودية. وهكذا جعل هؤلاء الأئمة مكة عاصمة في عهد النبوة

(١) ميهب عيزوقي - لمحة موجزة في التاريخ الاسماعيلي ص ١٥.

والراشدين قام الإمام أبو طالب بجمع المؤمنين حول النبي ﷺ وتعزيز دعوته<sup>(١)</sup>.

وكلام عيزوقي يتناقض تماماً مع ما قاله عبد الله بن المرتضى في [الفلك الدوار في سماء الأئمة الأطهار].

هذا التناقض يجعلنا نسأل: أين الحقيقة؟!

وقوله: «ينظر الاسماعيليون إلى الآباء الأقربين للنبي محمد ﷺ على أنهم أئمة مستقرون وهم . . . . . وحتى أبو طالب» يحتاج إلى إيضاح، وخاصة عبارة «وحتى أبو طالب». وكنا قرأنا في [كتاب زهر المعاني] للداعي إدريس القرشي ما نصه: «وأن الله تعالى غفر لآدم لما توسل بهم إليه، وقد يراد بذلك في عصر ناطق الدور ﷺ أن أبا طالب إمامه وحده الذي أقامه . . .»<sup>(٢)</sup>.

ويقول عيزوقي: قام قصي بإزاحة خزاعة عن البيت الحرام . . . وأنزل القبائل من قريش في نواحي مكة. وأخذ السقاية والرفادة والحجابه والندوة واللواء والقيادة بيده.

وفي [كتاب زهر المعاني] «وسلم قصي الأمر إلى ولده هاشم عبد مناف ابن قصي، واسمه المغيرة». فقام بأمر الله، وأخذ سدانة البيت، بيت أبيه ابراهيم خليل الله، فلما تم أمره، سلم الأمر الى ولده هاشم عند تمام أمره . . . وكانت سدانة البيت بيده دليلاً على مقاليد السموات والأرض . . . فلما انقضى الأجل سلم ولده عبد المطلب . . .»<sup>(٣)</sup>.

هذه الجولة السريعة مع مختلف الأقوال حول الاسماعيلية، قادتنا إلى حقائق لا يمكن تجاهلها أو إنكارها، هي:

أولاً: عرض المؤرخون عقائد الاسماعيلية عرضاً مشوهاً، وأولوها على

(١) المرجع السابق ص ١٨ .

(٢) الداعي ادريس عماد الدين القرشي - كتاب زهر المعاني ص ١١٨ .

(٣) المرجع السابق ص ١٣٦ .

غير حقيقتها، وأضافوا إليها من خيالهم الشيء الكثير، كما أنهم اختلقوا أقوالاً باطلة، ونسبوا إلى الاسماعيلية للتشنيع عليها. وبإمكاننا التحقق من ذلك بمقارنة أقوال هؤلاء المؤرخين بأقوال الاسماعيلية.

ثانياً: لا صحة لجميع الاتهامات التي ألصقها المؤرخون بهذه الطائفة ومن أبرزها:

- نفهم الحشر والنشر والجنة والنار.
- الغلو.
- إسقاط فرائض العبادات.
- إباحة اللذات والشهوات والحرمات.
- القول بالتناسخ.

(أ) حول مزاعم المؤرخين بنفي الاسماعيلية الحشر والنشر والجنة والنار.

هذا الاتهام باطل، وتدحضه الأقوال الثابتة، في كتب الاسماعيليين ومؤلفاتهم، ومنها ما جاء في «المجالس المستنصرية»: «إذا مر به ذكر الجنة قال تأويل الجنة دعوة العبد، فأدى ذلك بعض من قصر علمه على إبطال الجنة ونعوذ بالله من ذلك»<sup>(١)</sup>.

ومن ذلك أيضاً، ما قاله عامر بن عامر البصري في تائيته:

وينصب بين النار والنور عندها	صراط له حد كحدة شفرة
صراط له الميزان بالعدل قائم	يجاري به الأعمال من كل خيبة
وتعرض أعمال العباد بأسرها	كبيرتها مقرونة بالصغيرة
فقوم لهم نار وهم في وقودها	وقوم لهم نور بلذة جنة
هنالك إن قدمت خيراً تناله	وإن كان شراً تبتلى بليّة

ونحب أن نشير إلى أن معنى الجنة، عند الاسماعيلية، العوالم الثمانية:

(١) المجالس المستنصرية ص ٤٥.

أولها: جنة الميراث، وهي رتبة الإنسانية.  
والثانية: جنة عدن، وهي الرتبة الملكية.  
وثالثها: جنة الخلد، وهي العوالم الفلكية.  
ورابعها: الجنة العالية، وهي العوالم الروحانية المجردة من العوالم الجرمانية.  
 وخامسها: جنة الفردوس، وهي النفسانية.  
 وسادسها: جنة النعيم، وهي عالم العلم.  
 وسابعها: جنة رضوان، وهي عالم العقل.  
 وثامنها: جنة المأوى، وهي عالم الأمر الذي منه بدأت العوالم وإليه معادها<sup>(١)</sup>.

#### (ب) حول الغلو:

لكلمة غلو معانٍ كثيرة، منها: مجاوزة الحد والإفراط فيه.  
أما بالاصطلاح السياسي، فكان لهذه الكلمة، في كل عصر ومصر، معنى مختلف.

وقد ذكر ابن حجر العسقلاني في «لسان الميزان» ما نصه: «الشيوعي الغالي في زمان السلف وعرفهم هو من تكلم في عثمان والزبير وطلحة وطائفة ممن حارب علياً (رضي الله عنه) وتعرض لسبهم. والغالي في زماننا وعرفنا هو الذي كفر هؤلاء السادة وتبرأ من الشيخين أيضاً»<sup>(٢)</sup>.

ومن جملة معاني الغلو، بنظر المؤرخين القدماء، تأليه علي عليه السلام والأئمة من بعده<sup>(٣)</sup>.

- 
- (١) رسالة الدستور ودعوة المؤمنين للحضور لشمس الدين الطيبي. ضمن مجموعة «أربعة رسائل اسماعيلية» تحقيق الدكتور عارف تامر.
  - (٢) هاشم عثمان - العلويون بين الاسطورة والحقيقة ص ١١٨.
  - (٣) المرجع السابق.

وتهمة الغلو، كما ذكرنا سابقاً، وجهت للشيعنة عموماً، وليس للاسماعيلية وحدها.

وقد صرح أغلب دعاة الاسماعيليين بنفي الغلو، منهم هاشم بن ابراهيم الحامدي الذي افتتح رسالته [رسالة زهر بذر الحقائق] بالعبارة التالية: «... شهادة منزهة عن الغلو والتقصير، مقرونة بتوحيد العلي الكبير»..  
كما نهى الأئمة الفاطميون عن الغلو.

قال المعز: ينتهي إلينا أخبار من بعض من يزعم أنه يتولانا، وبعض من يدعي أنه يدعو إلينا، من الغلو فينا، والقول بما لم نقله في أنفسنا، وبما لم يسمعه أحد منا حتى كأنهم أعلم منا بما يقولونه فينا. ونحن نبرأ إلى الله من كذبهم علينا، وتقولهم فينا ونحن عباد من عباد الله، مخلوقون مربوبون، لا علم لنا إلا ما علمنا، وصار إلينا عن نبيه جدنا محمد ﷺ... نحن دون ما يقول الغالون، وفوق ما يظن الجاهلون، إنما أراد من نحلنا علم الغيب ونسبه إلينا تنزل الوحي، ممن يدعو بزعمه إلينا أن يجعل ذلك مقدمة لنفاقه علينا فإذا أراد ذلك قال لمن دعاه لم أدعكم إلا لمن وصفت لكم فيه ما وصفت فيصدهم بذلك عنا، لعن الله الصادين عنا، فإنهم عن الله يصدون، وبدينه يتلاعبون... (١).

وعن تفسير الآية الكريمة ﴿اهدنا الصراط المستقيم صراط الذين أنعمت عليهم غير المغضوب عليهم ولا الضالين﴾ نقرأ في [المجالس المستنصرية] ما نصه: ... قال بعض المفسرين من أهل الظاهر إن الصراط طريق ينصب على النار يوم القيامة يمشي عليه الناس إلى الجنة، فمن الناس من يمشي عليه سوياً فيصل ناجياً إلى الجنة. ومنهم من يمشي مكباً على وجهه فيسقط في قعر النار إما عن يمينه وإما عن شماله. الذي يسقط الى النار عن يمينه هو الغالي في الأئمة المنتجبين ﷺ لأنه كان قبل الغلو من أصحاب اليمين... (٢).

(١) حسن ابراهيم حسن وطه أحمد شرف - المعز لدين الله ص ١٣٠.

(٢) المجالس المستنصرية ص ٤٥.



### (ج) حول إسقاط فرائض العبادات :

نجد في مؤلفات الاسماعيليين إلحاحاً شديداً على وجوب إقامة فرائض العبادات، ظاهراً وباطناً، واجتناب ما حرمه الله .

من وصايا العالم للغلام، كما سجلها جعفر بن منصور اليماني: إن طاعة الله لتشرف أهلها، وإن ضعفت أصولهم، وإن العمل الصالح لتاج العاملين، فأما ما يجب عليك في نفسك فأداء الفريضة كلها، واجتناب المحارم كلها، فإن ذلك ملاك الدين، وزكاة الأبدان، وجملة ما يوجب لك الرضى من الله وقبوله عنك... (١).

وتطالعنا في سيرة الحسن بن الصباح نقطة مضيئة هي أنه قتل بيده أحد أبنائه لأنه شرب الخمر.

### (د) حول إباحة المحارم :

من الاتهامات الجائرة التي ألصقت بالاسماعيلية وبغيرها من الفرق، كالنصيرية، إباحة المحرمات .

وهي تهمة باطلة نفاها عنهم رفيق التميمي ومحمد بهجت في [ولاية بيروت] وكانا قد تحريا عن صحتها وخلصا إلى قناعة ببراءة الاسماعيليين منها وفيما يلي ما سجلناه في كتابهما المذكور: «كنا ذكرنا أن بعض الفرق الاسماعيلية كانت تلقن مبدأ الإباحة في النساء، ولتصل إلى درجة تحليل جميع المنهيات والمنكرات فكان من المحتم علينا أن نعلم هل أخلافهم اليوم متمسكون بتلك الضلالة القديمة أم لا؟ ولهذا عمدنا إلى القرى التي في جوارهم وسألنا عن أهلها ونقينا عن هذه النقطة تنقياً دقيقاً. ولكن لم نعثر على دليل، أو أمارة تدل على ارتكابهم تلك الرذائل الأخلاقية. ولا على برهان يؤيد ما جاء في بحث «الاسماعيلية» في كتاب دائرة المعارف عن شؤون ليلة عيد البقبيشة» (٢).

(١) جعفر بن منصور اليماني - كتاب العالم والغلام ص ٤١ .

(٢) رفيق التميمي ومحمد بهجت - ولاية بيروت، القسم الشمالي ص ٤٠٧ .

### (هـ) حول القول بالتناسخ:

يرفض الاسماعيليون رفضاً قاطعاً مبدأ التناسخ . ولدينا أكثر من دليل على ذلك، منها أولاً، ما جاء في تائية عامر البصري:

قيامتي الصغرى بخلعي وإنما قيامتي الكبرى بتتميم دورتي  
 وليس إذا حققت ذا بتناسخ فتختلف الأعيان في كل عودة  
 ولكن إفادته الحقوق مراتباً معينة يفضي بها سر وحدة  
 فنسخي وفسخي مثل مسخي باطل ورسخي لمنع فيه عودي بهييتي

وعن التناسخ أيضاً تحدث الداعي إدريس عماد الدين عما كتبه الكرمانى حول هذا الموضوع. قال: «ثم قال قدس الله روحه، نافياً قول أهل التناسخ، ولا تعلق للأنفس بجثة أخرى كما بينا في كتابنا المعروف بـ[تنبيه الهادي والمستهدي] استحالة الأمر فيه مما يقع به العلم، أن تعلقها وانتقالها محال باطل. وقد ذكرنا ذلك فيما سبق، بين أعلى الله قدسه، أن ذلك على غير ما يعتقد أهل التناسخ الضالون المضلون الذين يقولون: إن النفوس تنتقل إلى أشخاص آخرين فتكون مثابة فيها بنعم الدنيا، ومعاقة بما تكون فيه من النقص والبؤس والآلام نعوذ بالله من الاعتقاد المردي في مهاوي الضلال»<sup>(١)</sup>.

ثالثاً: ثبت لدينا بالدليل القاطع أن الاسماعيليين، مثلهم مثل العلويين، تعرضوا لأبشع حملات التجني التي وصلت إلى حد التكفير، مع أنهم مؤمنون، مسلمون، موحدون، يتردد التشهد في كل فصل من فصول كتبهم، ورسائلهم، وهم يهتمون اهتماماً عظيماً بقراءة القرآن الكريم.

ومن المؤلم أن الذين كفروا الاسماعيلية، وعلى رأسهم البغدادي والغزالي، عرضا في كتابيهما [الفرق بين الفرق] و[فضائح الباطنية] أقوالاً للإسماعيلية تنطق بالإيمان. ففي يمين العهد الاسماعيلية، وصورتها عند البغدادي في [الفرق بين الفرق]، نقرأ هذه العبارات: «جعلت على نفسك عهد الله وميثاقه وذمة رسله وما أخذ الله تعالى من النبيين... فأنت بريء من

(١) الداعي ادريس عماد الدين القرشي - كتاب زهر المعاني ص ٣١٥.

الله ورسله وملائكته ومن جميع ما أنزل الله تعالى من كتبه وإنك إن خالفت شيئاً مما ذكرناه لك فله عليك أن تحج إلى بيته مائة حجة ماشياً نذراً واجباً . . . . . كفى بالله شهيداً بيننا وبينك . . . . .»

ونفس هذه العبارات نقرؤها في صورة اليمين عند الغزالي في [فضائح الباطنية].

والأشد إيلاماً أن البغدادي يقول: «إن أمة الإسلام جامعة لكل من أقر بشهادتي الإسلام لفظاً فكل من قال: لا إله إلا الله محمد رسول الله، فهو مؤمن حقاً وهو من أهل الإسلام سواء أكان مخلصاً فيه أم منافقاً يضم الكفر فيه والزندقة»<sup>(١)</sup>.

ويقول الغزالي: «اعلم أن شرح ما يكفر به ولا يكفر يستدعي تفصيلاً طويلاً، فاقنع الآن بوصية وقانون. أما الوصية فإن تكف لسانك عن أهل القبلة ما أمكنك ما داموا قائلين لا إله إلا الله محمد رسول الله، وأما القانون فهو أن تعلم أن النظريات قسمان: قسم يتعلق بأصول القواعد، وقسم يتعلق بالفروع. وأصول الإيمان ثلاثة: الإيمان بالله ورسوله وباليوم الآخر وما عداه فروع، واعلم أنه لا تكفير في الفروع أصلاً إلا في مسألة واحدة هي أن ينكر أصلاً دينياً من رسول الله ﷺ بالتواتر، ولكن في بعضها تخطئة كما في الفقهيات وفي بعضها تبديع»<sup>(٢)</sup>. وبالرغم من ذلك فقد حكما بكفر الاسماعيلية وهذا من أعجب العجب.

رابعاً: للإسماعيلية آراء فلسفية خاصة فيما يتعلق بالخلق ومبدأ الكون ونشأة الإنسان والمعاد وغيرها. . . تضعهم في خانة الفلاسفة، وباعتبار أن الخوض في الفلسفة، كان بنظر أهل السنة، من الكفریات، لذلك وصمت الاسماعيلية بالكفر من أجل آرائها الفلسفية.

(١) البغدادي - الفرق بين الفرق.

(٢) ابن تيمية - كتاب مجموع الفتاوى.

خامساً: هناك نقاط تقارب كثيرة بين عقائد الاسماعيلية وعقائد الموحدين (الدروز) وهذا طبيعي، لأن الموحدين خرجوا من رحم الاسماعيلية.

وكذلك، هناك نقاط تقارب كثيرة بين عقائد الاسماعيلية وعقائد العلويين (النصيرية) وهذا ما جعل بعض المؤرخين، القدماء والمحدثين، يخلطون بين الفرقتين. من القدماء ابن تيمية الذي قال وهو يتحدث عن (النصيرية): «ولهم ألقاب معروفة عند المسلمين تارة يسمون الملاحدة، وتارة يسمون القرامطة، وتارة يسمون الباطنية، وتارة يسمون الاسماعيلية، وتارة يسمون النصيرية، وتارة يسمون الخرمية، وتارة يسمون المحمّرة»<sup>(١)</sup>.  
 ونفس هذا الكلام قاله محمد زاهد الكوثري<sup>(٢)</sup>.

ومن المحدثين كامل الغزي الذي اعتبر النصيرية فرعاً من فروع الاسماعيلية<sup>(٣)</sup>. وجاراه في ذلك فيليب حتي<sup>(٤)</sup>.

سادساً: بقيت أمامنا نقطة واحدة من الضروري الوقوف عندها قليلاً، ليكون كلامنا عن الاسماعيلية كاملاً، هي طريقة تلقين المستجيب مبادئ الدعوة، والأمور التي تلقن له.

قبل أن ينشر التراث الاسماعيلي، ويصبح في متناول يد الدارسين. كانت معلوماتنا عن طريقة تلقين المستجيب، مستقاة من كتب الأقدمين [الفرق بين الفرق] للبغدادي، و[كشف أسرار الباطنية والقرامطة] لمحمد بن مالك الحمادي اليماني، و[فضائح الباطنية] للغزالي، و[نهاية الأرب] للنويري، و[صبح الأعشى] للقلقشندي، و[المواعظ والاعتبار] للمقريزي، وغيرها... وغيرها.

بعد نشر هذا التراث صار بين أيدينا رسالة نتحدث عن هذا الموضوع، بمنتهى الصراحة والصدق، هي [الدستور ودعوة المؤمنين للحضور] أو [دستور

(١) مقدمة كتاب كشف أسرار الباطنية وأخبار القرامطة.

(٢) كامل الغزي - نهر الذهب في تاريخ حلب ج ٢، ص ٢١٤.

(٣) فيليب حتي - تاريخ سورية ولبنان وفلسطين ج ٢ ص ٢١٩.

علاء الدين] لشمس الدين أحمد بن يعقوب الطيبي<sup>(١)</sup>.

تقع هذه الرسالة في (٢٣) صفحة من القطع العادي وتتضمن:

- الشروط التي يتوجب توافرها في المستجيب.

- صفة المرشد.

- العلوم التي تلقن للمستجيب، وطريقة تلقيه هذه العلوم.

الشروط التي يجب توافرها في المستجيب هي أن يكون بالغاً عاقلاً رشيداً، كبر وبلغ في السن، جميل الصورة، سليماً من الآفات والعيوب الجسدية والخلقية، وأن يكون إلى جانب ذلك حسن الأخلاق متمسكاً بأوامر الدين والشريعة، معظماً للنواميس الإلهية، مصاحباً لأهل الصلاح والدين، ويخضع للتجربة والامتحان، كما يجري السؤال عن أقواله وأفعاله وأحواله جميعها الظاهرة منها والباطنة. فإذا عرف منه السداد والرشاد، يجرب بترك المعاصي ويمتنح بترك المطلوبات الجسمانية والمجاهدة بالنفس والمال في سبيل العقيدة وأداء أحكامها. فإذا ظهر أنه كان محققاً في الطلب، مجدداً في الرغبة، مطيعاً، متسلماً، تبدأ المرحلة الثانية، مرحلة تلقيه أسس الدعوة، في طقوس خاصة حيث يفتح بأسس الدعوة بحضور جماعة من المؤمنين يجب ألا يقل عددهم عن نقيب وشاهدين. فيقول النقيب بحضور الجماعة: «بسم الله الرحمن الرحيم، الحمد لله الذي جعل بعضنا لبعض دليلاً، وبعث منا رسولاً، وأوضح لنا السبيل، وفتح علينا من كشف الأسرار ما هو أشد وطأً وأقوم قبلاً... جماعة المؤمنين... هذا فلان... قد عرفتم ظاهره وباطنه وكشفتهم سرائره وقد قصدكم طالباً، ولأنواركم راغباً... فصلوا حبل معانكم بحبله، وأجيبوه بما علمكم الله من فضله وأحيوه من موت جهله، وعرفوه حقائق الدين القويم وأرشدوه إلى الصراط المستقيم...».

وقبل أن يلقن المستجيب أسس العقيدة، عليه أن يقسم قسمياً معظماً بالله،

(١) حقق هذه الرسالة ونشرها الدكتور عارف تامر ضمن كتاب بعنوان «أربع رسائل اسماعيلية».

وبجميع أسمائه الحسنی وصفاته العلیا، ويشهد الملائكة المقربين وأرواح الأنبياء المرسلين، ونفوس الصادقين والصالحين من عباده العارفين أنه راغب في المذهب الاسماعيلي، وأنه يكتم ويخفي كل سر تعلمه عن كل من لا يعتقد بمعتقده. وبعد القسم، يعطى البسملة، والتشويق، والشهادة الإلهية ضمن طقوس يتخللها سجود، ويشرب المستجيب خلالها مرة الماء، سروراً وحبوراً وتذكراً لصفي الله آدم ووصيه شيث، ومرة لبناً، تذكراً لنجى الله نوح ووصيه سام. ومرة ثالثة عسلاً ممزوجاً بالماء، تذكراً لخليل الله ابراهيم ووصيه اسماعيل. ومرة رابعة، شعاع العقل وبرق الوصول سروراً وحبوراً وطرباً لروح الله عيسى ووصيه شمعون... وفي آخر الأمر يشرب ذكرى للناطق المؤيد رسول الله محمد ﷺ ووصيه علي ﷺ وبعدئذ يشير النقيب إلى أحسن الجماعة صوتاً فيقوم فيؤذن بهذا الأذان الإلهي: «الله أكبر عن إدراك الأوهام واللاهوتية، الله أكبر عن إماطة العقول بمعنويته، الله أكبر عن صفات العقول والنفوس. الله أكبر عن التحديد بالمعقول والمحسوس، وأشهد أن لا إله إلا الله الأول الأزل السابق، وأشهد أن لا إله إلا الله العالم القادر الخالق، وأشهد أن محمداً رسول الله الناطق بالتنزيل، والدليل إلى أوضح السبيل، وأشهد أن علياً ولي الله، ووصيه الناطق بحقائق التأويل، والقائم من بعده بالحق المبين، ونور الله المدل إلى سواء السبيل، حي على الصلاة، صلاة المتصلين علوم الأصول والفروع، حي على الصلاة، صلاة القائمين بأعمال المعقول والمشروع، حي على الفلاح بالاستفادة من جواهر أنوار التالي، حي على الفلاح بالتوجه إلى أركان أساس البيت المعمور، حي على خير العمل بإجابة الدعاة وإطاعة الحدود. قد قامت الصلاة في قلوب المؤمنين بالتقديس والتمجيد. قد قامت الصلاة في قلوب المؤمنين بالتقديس والتمجيد. قد قامت الصلاة في أسرار العارفين بالتأويل والتوحيد، وحققت كلمة العذاب على المنكرين بالتقليد. الله أكبر عما يتوهم الظالمون. الله أكبر عما يتوهم الجاحدون، لا إله إلا الله العلي المتعالي عن الأوهام والظنون...».

وبعد هذا الاذان يقوم أعلمهم وأكبرهم فيصلي فيهم ركعتين، ثم تبدأ مرحلة تعليم المستجيب معرفة الموجودات وكيفية الاعتقادات وتأويل المعتقد،

من ذلك مثلاً:

النبوءة والرسالة هي ظهور الكلمة بالحجاب، وتنصيب الدليل والمرشد والباب، إلى منهج الحق، وطريق الصواب. والنبى هو المخبر عن الأصول، والداعي إلى ما يدعو إليه الرسول، وهو الناطق الداعي الى الأصليين السابق والتالي. والفروع الثلاثة والخمسة العلوية الحاملة للكمال. وأما الصحيفة والكتاب، وتبيان جزيل الخطاب، فهو اتصال التأييد من السابق إلى الناطق وهدايته إلى التأليف وإعانتته على التصنيف. وأما الملائكة المقربون، فهم القوى العاملة في العوالم العالية والسافلة. والكروبيون هم القوى الممهدة للنطقاء في تأليف التنزيل والأديان. والشرائع هي موضوعات العقول الإلهية لإصلاح الأجسام الأرضية... والقبر هو الصورة الجسمانية، والهيكل الجرمانية. وعذاب القبر هو تأثير النفس بسبب ما يظهر عليها من الصور الهولانية المخالفة للطباع، وذلك على سبيل التغيير. وإتيان منكر ونكير، هو استيلاء القوة الشهوانية والغضبية الداعيتين إلى الهلاك. والحشر هو انحطاط النفوس في سلك انقيادها وانجبارها إلى ما فيه ذاتها وحقيقتها.....

والميزان هو الآلة التي يستعملها العقل الدارك المحيط المميز المركب من البسيط. والصراط هو البرزخ، ومصير النفس إلى العالم الأعلى من الأدنى. ومعنى الجنة العوالم الثمانية.

والمصير والرجوع إلى الله تعالى هو انتهاء جميع النسب والإضافات التي بين البسائط والمركبات من العوالم الروحانية والجسمانية واللطائف والكثائف إلى الأربعة الحاملة إشارة الكلمة إلى المرتبة المشار إليها بحروف الله المتصل بالأمر الذي هو معنى رجوع المركبات العددية، أو معرفة مرتبة الإمام، ومشاهدة أنواره المحيطة بالخاص والعام، ومطالعة آثار البسيط على المعاني والأجسام، والحلال الواجب إظهاره وإعلانه والحرام الواجب ستره وكتمانه هو الطاعة والدخول في عهد إمام الزمان، والثاني المعصية والميل لأئمة الضلال والعدوان... والصلاة صلة الداعي إلى دار السلام بصلة الأبوة في الأديان إلى

الإمام. والزكاة إيصال الحكمة إلى المستحق وإرشاد الطالب لمنهج الحق، والصوم الإمساك عن كشف الحقائق والنواميس الشرعية لغير أهلها في دور الكشف. والستر هو استتار الإمام بحججه واختفاؤه بدعائه. والنهار دليل على دور الكشف، والإفطار ظهور الإمام من وراء حجابيه، وإظهار المعاني الإلهية، وعرفان حقيقة الأحوال العادية.. والحج هو القصد إلى حجة السادة الأئمة من أهل البيت.. والإحرام الخروج من مذهب الأضداد، وتحصيل القابلة الاستعداد للوقوف في عرفات، والمزدلفة الوقوف على قوانين الحكمة والمعرفة..... والعدل ترك الناقص مع وجود الكامل. والإحسان إحاطة العلم بالإمام، وقدرته على ما بطن وظهر وتجلى واستتر. وإيتاء ذي القربى محبة الرسول، وولاية أولاد البتول، وتفضيل الهاشميين، والقول بإمامة الفاطميين. والظلم وضع الإمامة في غير آل محمد.

وإذا قارنا ما جاء في هذه الرسالة من أقوال مع ما كتبه البغدادي واليماني والغزالي والنويري والقلقشندي والمقرئزي و... و... تبين لنا حجم الأباطيل التي أضافها هؤلاء على أقوال الاسماعيلية للتشنيع عليها.





## القسم الثاني

### الدولة الفاطمية

- مرحلة التكوين والنشوء
- مرحلة الانتشار والسيطرة
- الدولة الإسماعيلية في مصر
- الدولة الإسماعيلية في اليمن
- الدولة الإسماعيلية في بلاد فارس
- الدولة الإسماعيلية في مصيف



## الدولة الفاطمية

استطاع الأئمة من نسل محمد بن اسماعيل بن جعفر الصادق عليه السلام، بفضل التخطيط الدقيق، البارع، الذي اتبعوه، من نشر دعوتهم في اليمن والمغرب الأقصى، ومن ثم تأسيس دولة مترامية الأطراف، ضمت بلاد المغرب ومصر والشام وديار بكر والحرمين واليمن وخطب لهم ببغداد نحو أربعين خطبة<sup>(١)</sup>.

ويعود الفضل، في نجاح دعوتهم، بالدرجة الأولى، إلى دعواتهم الذين كانوا طرازاً فريداً من الرجال، تميزوا بالكفاءة، والعبادة، والفضل، والعلم، والإيمان الكبير برسالتهم. ولتحقيق الأهداف الملقاة على عواتقهم، انتشروا في مختلف الجهات والأمصار، يدعون إلى مذهبهم، ويبشرون بظهور المهدي عليه السلام من آل محمد. وكان من أشهرهم: الحسين بن فرج بن حوشب ابن زاذان الكوفي، وعلي بن الفضل الخنفري اللذان نشرا الدعوة في اليمن سنة ٢٧٠هـ. والحلواني وأبو سفيان اللذان توجهوا إلى المغرب وأقاما فيه، ثم لحق بهما أبو عبد الله الحسين بن أحمد بن محمد بن زكريا الشيعي وأخوه أبو العباس فنجحا في نشر الدعوة سنة ٢٨٨هـ - ٩٠٠م.

وقد وقع الاختيار على هذين البلدين أولاً، بعد دراسة دقيقة لأوضاعهما السياسية والاجتماعية والدينية، ونفسية السكان فيهما. وبعدهما عن السلطة المركزية ببغداد. وبعد عشر سنوات من انتشار الدعوة في المغرب تملك

(١) المقرئزي - المواعظ والاعتبار ج ١، ص ٣٤٩.



المهدي عبيد الله، بلاده كلها بسيوف الكتامين والصقالبة. وكان هذا بداية ظهور الدولة الفاطمية التي اتخذت من المهديّة، التي بناها المهدي عبيد الله سنة ٣٠٣هـ، عاصمة لها.

وتعاقبت على حكم هذه الدولة الجديدة، التي عاشت نحواً من ٢٧٠ سنة (من ٢٩٧هـ الى ٥٦٧هـ / ٩٠٩ - ١١٧١م) ١٤ إماماً، أولهم عبيد الله المهدي (حكم من ٢٩٧هـ الى ٣٢٢هـ) وآخرهم العاضد لدين الله، أبو محمد، عبد الله (حكم من ٥٥٥هـ الى ٥٦٧هـ / ١١٦٠ - ١١٧١م) عاش ٤ من هؤلاء الأئمة بالمهديّة، عاصمة مملكتهم بالمغرب، قبل انتقال عاصمة الخلافة إلى القاهرة سنة ٣٦٢هـ / ٩٧٢م.

والحديث عن الدولة الفاطمية يجرنا إلى الحديث عن نسب الفاطميين وما أُثير حوله من شبهات.

بداية نقول: إن أقوال المؤرخين، غير متفقة، حول نسب الفاطميين، وهي تبتعد عن بعضها ابتعاداً كبيراً جداً. ولدينا بهذا الخصوص أكثر من قول.

من الأقوال إنهم من ولد ديصان البوني الثنوي. وكان لديصان ابن يدعى ميمون القداح فولد ميمون عبد الله. وكان عبد الله عالماً بجميع الشرائع والسنن والمذاهب، اشتهر بالتشيع، وكان يدعو إلى الإمام محمد بن إسماعيل بن جعفر الصادق عليه السلام. وقد أثارت دعوته حفيظة الحكام فطلبوه فهرب إلى البصرة، ثم غادرها إلى سلمية، من أرض الشام، ومات فيها فخلفه ابنه أحمد.

وكان لأحمد ولد اسمه سعيد، اشتهر بسلمية بعد موت عمه، وكثر ماله، فطلبه الخليفة في بغداد ففر إلى مصر ومنها توجه إلى المغرب وهناك تسمى بعبيد الله وتكنى بأبي محمد، وتلقب بالمهدي<sup>(١)</sup>.

وهناك من يقول: إن عبيد الله من اليهود. وإن الحسين بن أحمد تزوج امرأة يهودية من نساء سلمية كان لها ابن من يهودي يعمل حداداً، مات وتركه لها فرباه الحسين وأدبه وعلمه ثم مات ولم ينجب، فعهد إلى ابن امرأته هذا

(١) المرجع السابق ص ٣٤٨.

فكان هو عبيد الله المهدي (١).

وقال بعضهم: والدليل على أنهم من ولد اليهود، استعمالهم اليهود في الوزارة والرياسة وتفويضهم إليهم تدبير السياسة (٢).

لدينا قول ثالث مفاده أن عبيد الله المهدي هو ابن محمد الحبيب بن جعفر المصدق بن محمد المكتوم بن اسماعيل بن جعفر الصادق عليه السلام (٣).

من المؤرخين من قال: إن محمد بن اسماعيل بن جعفر كان بالمدينة، وولد بها ولدين جعفر واسماعيل، وإن الرشيد طلبه فاستتر في داره بالمدينة، ولما هدأ عنه الطلب خرج مستتراً وتوجه إلى بلاد الديلم، لا يعرف مكانه إلا خواص شيعته. وفي الديلم ولد له ولد يكتمون اسمه، ويسمونه الإمام المستور. ثم إن محمد بن اسماعيل توفي بالمشرق، وقبل وفاته أوصى إلى ابنه المستور بالإمامة. وأكد عليه في ستر اسمه، فمضى ابنه بعده على هذه السيرة، وهم يلقبونه بالمهدي، ثم أوصى المهدي. إلى ابنه بمثل ذلك، وهو يلقب بالمقتدي، ثم أوصى المقتدي إلى ابنه بمثل ذلك، وهو يلقب بالهادي. وانتقل الهادي إلى الكوفة ثم تركها هرباً ونزل بالشام مستتراً فأقام بسلمية من أعمال حمص، وبقي فيها إلى أن مات وخلف ابنه عبد الله فبعث الخليفة المكتفي من يقبض على عبد الله لكنه هرب إلى مصر ومنها إلى المغرب (٤).

الداعي الاسماعيليلي إدريس عماد الدين القرشي، تكلم عن نسب الأئمة الفاطميين في معرض حديثه عن الأئمة من ذرية محمد عليه السلام.

ويفهم من كلامه، أن كلمة اسماعيل بن جعفر بقيت في عقبه. ولما أنت نقلته، سلم الأمر إلى ولده عبد الله الرضي، وجعله الخلف والوصي. ولما انتهت مدته، أقام ولده أحمد التقي، ولما دنت إلى دار الكرامة رفعته سلم الأمر إلى ولده الحسين بن أحمد المقتدي فقام متماً لأوضاع أبيه. وكثر الاستجابة إلى

(١) المرجع السابق.

(٢) محمد بن أبي الفضائل الحمادي - كشف أسرار الباطنية وأخبار القرامطة ص ١٩.

(٣) المقرئزي - اتعاظ الحنفا بأخبار الأئمة الفاطميين الخلفا ص ٢٦.

(٤) نشوان الحميري - الحورالعين ص ٢٥١.

دين الله الحق لقرب ظهور المهدي عليه السلام ثم قام المهدي بالله وانتشرت دعوته في الآفاق. فظهر من سجل مآسة وكان المهدي بالله رابع الخلفاء، ولما آن رحيله، سلم إلى ولده القائم رتبته وأدى إليه وديعته. وانتقل إلى جوار ربه. وقام الإمام القائم محمد أبو القاسم<sup>(١)</sup>.

بناء على الأقوال السابقة، نستطيع أن نرسم شجرة نسب الأئمة الفاطميين على الشكل التالي:

المقريري (الخطط)	المقريري (اتعاظ الحنفا)	نشوان الحميري	الداعي ادريس
ديسان	جعفر الصادق	محمد بن اسماعيل	محمد بن اسماعيل
ميمون القداح	اسماعيل	الامام المستور	عبد الله الرضي
عبد الله	محمد المكتوم	المقتدي	أحمد التقي
أحمد	جعفر المصدق	الهادي	الحسين بن أحمد
الحسين	مجد الحبيب	عبد الله	المهدي بالله
سعيد (عبيد الله)	عبيد الله		

وبالرغم من هذا التناقض في تسلسل نسب الأئمة الفاطميين، فإن نفي اتصال نسبهم بآل البيت عليهم السلام، والقول بأنهم من نسل ديسان الشنوي، أو أنهم من اليهود، قول هراء. وإنهم اتهموا بذلك للتشنيع عليهم وصرف عواطف الناس عنهم.

وقد تنبه إلى زيف هذه الأقوال عدد من المؤرخين القدماء منهم ابن

(١) الداعي ادريس عماد الدين القرشي - كتاب زهر المعاني ص ٢٠٥ وما بعدها.

خلدون (ت: ٨٠٨هـ) الذي قال: ولا عبرة بمن أنكر هذا النسب من أهل القيروان وغيرهم وبالمحضر الذي كتب ببغداد أيام القادر بالطن في نسبهم، وشهد فيه أعلام الأئمة... والذين شهدوا في المحضر فشهادتهم على السماع، وهو ما علمت. وقد كان نسبهم ببغداد منكراً عند أعدائهم شيعة بني العباس منذ مائة سنة فتكون الناس بمذهب أهل الدولة، وجاءت شهادة عليه مع أنها شهادة على النفي مع أن طبيعة الوجود في الانقياد إليهم، وظهور كلمتهم حتى في مكة والمدينة أول شيء على صحة نسبهم.

وأما من يجعل نسبهم في اليهودية والنصرانية لميمون القداح وغيره فكفاه ذلك إثماً وسفسفة<sup>(١)</sup>.

وبنفس المعنى كتب المقرئزي (ت: ٨٤٥هـ / ١٤٤١م) ومما قاله... وكانت شهادة القوم في ذلك على السماع لما اشتهر وعرف بين الناس ببغداد وأهلها إنما هم شيعة بني العباس الطاعنون في هذا النسب والمتطهرون من بني علي بن أبي طالب الفاعلون فيهم منذ ابتداء دولتهم الأفاعيل القبيحة فنقل الاخباريون وأهل التاريخ ذلك كما سمعوه وردوه حسب ما تلقوه من غير تدبر والحق من وراء هذا وكفأك بكتاب المعتضد من خلائف بني العباس حجة فإنه كتب في شأن عبيد الله إلى ابن الأغلِب بالقيروان وابن مدرار بسلجماسة بالقبض على عبيد الله ففطن أعزك الله لصحة هذا الشاهد فإن المعتضد لولا صحة نسب عبيد الله عنده ما كتب لمن ذكرنا بالقبض عليه إذ القوم حينئذ لا يدعون لدعي البتة ولا يدعون له بوجه وإنما يتقادون لمن كان علوياً فخاف مما وقع ولو كان عنده من الأدعياء لما مر له بفكر ولا خافه على ضيعة من ضياع الأرض<sup>(٢)</sup>.

ومن المضحك جداً القول إن الدليل على أنهم من ولد اليهود، استعمالهم اليهود في الوزارة والرياسة. لأن صلاح الدين الأيوبي، الذي قضى على الدولة الفاطمية، استعمل ابن ميمون اليهودي، وأطلق يده في كل شيء وبفضله صار لليهود يد عليا وكلمة نافذة في دولة صلاح الدين. ومع ذلك لم

(١) تاريخ ابن خلدون، المجلد الرابع ق ١، ص ٦٤.

(٢) المقرئزي - المواعظ والاعتبار ج ١، ص ٣٤٩.



يقول أحد من المؤرخين إن صلاح الدين كان يهودياً.

\* \* \*

بعد ما يقرب من تسع سنوات على وصول الداعيين أبي عبيد الله الشيعي وأخيه أبي العباس، إلى المغرب، تمكنا من بسط سيطرتهم على أكثر مدنه واجتذبا إلى دعوتها أعداداً كبيرة من سكانه. بالرغم من الصعوبات الكثيرة التي قامت في وجهيهما والحرب الشرسة التي شنها عليهما الخليفة العباسي، بواسطة أعوانه في المغرب، وعلى رأسهم زيادة الله بن الأغلب. واستعمل في هذه الحرب كل الوسائل المشروعة وغير المشروعة ومنها الحرب الإعلامية من فوق المنابر، حيث كانت تقرأ على سكان المغرب، كتب الخليفة التي كان يرسلها إلى أعوانه. ومنها الكتاب التالي:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ، من الأمير زيادة الله بن عبد الله الناصر لدين الله القائم بسنة رسول الله ﷺ المجاهد لأعداء الله، إلى جماعة المسلمين بمدينة كذا وبواديهما، سلامٌ عليكم! فإن الأمير يحمّد الله الذي لا إله إلا هو ويسأله أن يُصليَ عليّ محمد عبده ورسوله ﷺ. أما بعدُ فإن الله تبارك وتعالى اسمه، وعز وجلّ آله، وقد تكفل بالفتح والإعزاز لأهل دينه، والدّائبين عن سنة رسوله، على من ناوَاهمُ والتّمكّين ممن أنتصب لهم وعاداهم وممن شاقّه ونصب له وبدّل دينه وغير سنن أنبيائه.

وقد انتهى معشر المسلمين عن هذا الكافر الصّنعاني المبدّل لدين الله المحرّف لكتابه، المُستحلّ دماء المسلمين بغير حقّها المبيح للفروج بخلاف حلّها، مرتكباً للمحارم فيها، الآكل أموالهم مُستلباً لها، قد عرفتموه فيما انتهى إليكم عنه. فإنه أوى إلى كُتامة بَرَابر أغتام، وجُهال طغام، فاستزَلَّهم، واستهواهم، واستغواهم: فدعاهم إلى تبديل دين الله، فأجابوه، وتحريف سنة رسوله (صلى الله عليه وآله) فأطاعوه لجهلهم بالدين والسنة، وما أَراده الله عز وجلّ بهم من الشّقوة والمِحنة ولأنهم بمنزلة الحُمُر النّافرة، والأنعام السّائمة فما زخرف لهم قبلوه، وما زينه لهم اتبعوه، وكل من كانت لهم منهم مسكّة أو علم شيئاً من الكتاب والسنة لم يجد غير الهرب إلينا منه بدينه، والمقام على

حربه، منتجزاً وعدَّ الله في هلاكه وقطع شأفته كعادته في أمثاله.

ومن أيسر ما ظهر من كفره وانتشر من قبيح أُنْتَحَالِه وأمره وفشاه عنه، وعُرف وأطبق عليه من أتبعه إظهار لعنة أبي بكر وعمر صاحبي رسول الله ﷺ وصهره وخليفته وضجيعه وعثمان ذي النورين، زوج ابنتيه؛ وطلحة والزبير حوارييه وجماعة من أخيار صحابته (رحمة الله عليهم). ويزعم أن علياً (رحمة الله عليه) كان يرى ذلك فيهم، ويذهب إليه من أمرهم. وقد برّاه الله من ذلك بحُسن الصّحابة لهم وجميل العشرة أيام حياته وحياتهم، واتّفاقه معهم على ما أَرْضَى اللهُ عَنْهُمْ. ثم زعم الفاسق أن من لم يدن بذلك ويره ويقله ويعتقده ويتبرأ من أصحاب رسول الله ﷺ السابقين فهو خارج من جملة المسلمين، حلال دمه وماله وسبب ذراريه.

ثم شرع شريعة غير شريعة الإسلام وأسن سنة غير سنة محمد ﷺ كتمها، وأسّر أمرها. وأخذ اليهود والمواثيق على من أطلعها عليها في كتمانها، وترك التّفوّه بها، وما يدلّ عليها لئلا تظهر إلى المسلمين فيستحلّوا جهادهم عليها - وافترض الله على كل امرئ دخل في أمره ديناراً سمّاه دينار الهجرة ودرهماً زعم أنه درهم الفطرة وجعل لنفسه حقاً واجباً في أموال الأمة؛ وهدم المساجد وقطع الصلاة وأستخف بحرمة الدين وبان من جماعة المسلمين.

وقد رأى الأمير زيادة الله بن عبد الله رغبة في ثواب الله ربّه جهاد الفاسق بنفسه، والقصد إليه بحمّة رجاله وأنصار دولته، وأنتهاز الفرصة فيه قبل أن يسبق إليه - فقد انتهى إلى الأمير أن أمير المؤمنين المكتفي بالله - أطال الله بقائه - لما انتهى إليه خبره أمر بإخراج العساكر إليه من قبلكه مادّة للأمير زيادة الله ابن عبد الله، وتقوية له. والأمير يرجو أن يظفره الله بالفاسق من دون ذلك ويجعل له سبباً للظفر به، وفخره وثوابه، ويجعل ذلك ما سرّه ويجمع ذكّره مع فخره للأمير المؤمنين بحُسن نيّته، والأمير زيادة الله بن عبد الله سهم من سهامه وشهاب من شهبه، وما أظهره الله عز وجلّ عليه، وأظفره به فهو منسوب إلى أمير المؤمنين، وسبب من سببه.

وقد انتهى إلى الأمير ما انتشر قبلكم، وفشا فيكم من الأشانيع عن أقوال المرجفين وزخارف المشنعين، وتهويل المهولين أمر اللعين الفاسق لما بلغهم انصراف الجيوش عنه وتعلبه على ما دنا وقرب منه. وزاد في ذلك المرجف والمهول، وشنع به الكذوب المبطل. ولم يكن أكثر ما قالوه ولا بعض ما أرجفوا به، وهولوه. ولا بد في الحروب من الكرات والإقدام والهزائم والإحجام، فقد قيل: الحرب سجال مرة لك ومرة عليك. وقد انهزم أصحاب رسول الله ﷺ في غير مشهد وأحجموا في غير موقف، ثم كانت العاقبة للمؤمنين كما وعدهم الله عز وجل في كتابه المبين. فليحسن بالله ظنكم، وتطمئن بما وعدكم قلوبكم، وليظهروا من قلة اكرائكم بأمر هذا الفاسق ما يكون دليلاً على ثقته بربكم! وانفروا إليه خفافاً وثقالاً كما أمركم الله وجاهدوا بأموالكم وأنفسكم كما افترض عليكم! وادفعوا عن إباحة مهجكم وانتهاك حریمكم! وأن لا تفتنوا في دينكم، وكافحوا عنه من بدله، وتبرؤوا ممن أحدث فيه وغيره! وفقكم الله لما يحب ويرضيه ويؤدلف به إليه! والسلام عليكم وبركاته<sup>(١)</sup>.

ثم استعمل رسولاً أظهر أنه جاء إليه من بغداد بخلع وأعلام وبسيوف وبدروع، وبكتاب كتبه نسخاً وفرقه، فقرئت أيضاً على المنابر.

وكانت نسخة الكتاب:

بسم الله الرحمن الرحيم من عبد الله أبي محمد المكتفي بالله أمير المؤمنين، إلى أهل إفريقية من المسلمين، سلام عليكم! فإن أمير المؤمنين يخمد إليكم الله الذي لا إله إلا هو ويسأله أن يصلي على محمد عبده ورسوله (صلى الله عليه وعلى آله). أما بعد فإن الله (تعالى) جعل الإسلام محجة هادية إلى مرضاته، وجنة واقية من سخطه، وعصمة ومثابة لمن لجأ إليه، ووسيلة إلى النجاة لديه. وجعل المسلمين إخوة ألف بين قلوبهم، وأوجب الترافد والتعاون عليهم، وجعل من فارق جماعتهم، وخرج عن جملتهم، ومرق عن ملتهم

(١) القاضي النعمان - كتاب افتتاح الدعوة ص ١٨٦.

واختار غير دينهم مُنْقَطِعَ الْعِصْمَةِ بريئاً من الذِّمَّةِ مُبدِلاً بالكفر النِّعْمَةَ؛ وألزمهم أن يكونوا يداً على سواهم، وأعداء لمن عاداهم، وألبأ على من بغاهم، وحرماً لمن ناواهم، وسلاماً لمن وآاهم، يجتمع على ذلك ألسنتهم وأهواؤهم، ويتفق فيه أيديهم وآراؤهم حتى يكون عدو الله عدوهم المقصود بكيدهم، المقهور بأيديهم، المكبُوب بتظاهرهم، المغلوب بتآزرهم، ولا يجدوا وليجةً بينهم ولا سبيلاً إلى المخالفة بين قلوبهم. فمن فعل ذلك فقد سلك الطريق المثلث وتمسك بالمرءة الوثقى واستحق خير الآخرة والأولى وجرى مع طاعة الله عز وجل وأمره. ومن جانبه مخالفاً له، حائداً عنه، ناكباً عن سبيله، أوتخ دينه، وخان أمانته وخرت عهده وباء بغضب من ربه، وكان الحاطب على ظهره والجاني على نفسه، يقول الله جل ذكره ﴿لَا تَجِدُ قَوْماً يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ﴾ والله يؤيد من أحبَّ بإرشاده وبتوقيه ويكفل من برى منه إلى نفسه واختياره ﴿ومن يضل الله فما له من هادٍ ومن يهد الله فما له من مضلٍّ أليس الله بعزيز ذي انتقام﴾.

وانتهى إلى أمير المؤمنين خبرُ عدوِّ الله الخارجي الناجم بأطراف نواحي المغرب واستهوائه من استهواه من أشياح الضلال وأوباش الجهال الموضعين في الفتن وما هم معتقدون من خلع يريقة الإسلام، وتدريج جلباب الكفر، وإظهار الشقاق والنفاق والمروق عن الدين والجملة، وبسط الأيدي بالعظام، وسفك الدماء وانتهاك المحارم، وارتكاب المآثم، ما قد فشا من الفساد في ذلك الضقع بهم، ووصل إلى أهله من معرفتهم، وأن زيادة الله بن عبد الله أنفذ إليهم الجيوش عددة دفعات وأن هؤلاء الكفرة مقيمون على مناوئته والطمع في نواحيه، مغترّون بالمهلة التي جعلها الله حجة عليهم، وأملى لهم، ليزدادوا إثماً إلى إثمهم وليخملوا أوزارهم وأوزاراً مع أوزارهم. وليس يخفى على أهل الحزم والرأي والنظر والتمييز موقع الطاعة ومقدار فضلها، وما تعود به على أهلها من صلاح الدين والدنيا وسلامة البدء والعقبى، إذ كان الله جل ثناؤه قد جعل طاعة سلطانه وخلفائه في أرضه معقودة بطاعته وطاعة رسوله وفرضها على المؤمنين من عباده، فقال: ﴿يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولي الأمر منكم﴾ فالسعيد الوافر حظاً الرشيد أمراً، الفائز يوماً من تمسك

بحبلها وأوى إلى ظلها، والشقي الخاسر ذو الجِدِّ العاثر من عندِ عنها وابتغى غير سبيلها.

وقد علمتم حال زيادة الله بن عبد الله من الموالاة والإخلاص والمشايعة لأمر المؤمنين، والانتهاج بسبيله والافتقار لأثره، والعمل بعهده والوقوف عند أمره، وحسن السيرة، والرفق بالرعية وإقام المعدلة والذب عن الثغور التي هو بسبيلها، ومقارعة المتطرفين لها، والباغين بها، والمحاولين انتهاز الفرص فيها، وما درج عليه سلفه من ذلك واحداً بعد واحد. وإن من كان مذهبه مذهب زيادة الله كانت وسيلته الوكيذة وقربته القريبة عند أمير المؤمنين، وكان حقيقاً بالاجتباء له والإحسان إليه والسكون إلى ناحيته. وأمير المؤمنين مؤتضى أمره حامداً لطريقته، واثقاً بمناصحته، معتمداً عليه في الصقع الذي هو به، وقد واجه من هؤلاء الكفرة وتجرّد من أمرهم ما الله معينه عليه ومتوحد بالصنع فيه ومجرير أمير المؤمنين على أفضل عاداته في أمثاله، وأمير المؤمنين على إنقاذ الجيوش ومواصلة الإمداد إليه معونة له وتقوية لأمره وشدأ عليه فيما هو بسبيله.

ورأى أمير المؤمنين أن يكتب إليكم لتعلموا حال زيادة الله عنده وموقعه من رأيه وما يراعه من حُرْمته ويحافظ عليه من وسيلته بنفسه وسلفه وتؤثروا بالتسك بطاعته، وترك الخلاف عليه والتصرّف مع أمره ونهيه ومكاتمته على محاربة أعداء الله الكفرة ومجاهدتهم، وإجابة دعوته متى استدعاكم واللحوق إليه وترك الشاقل عنه والإجلال له لئردّ كُتبه بوصف ذلك منكم، والإخبار به عنكم، فيحسن موقع شهادته لكم وتحلّوا محلّ الأولياء وأهل السمع والطاعة الذين يجب حياتهم ويركن إليهم، ويعود عليكم من عوائد ذلك ما تغتبطون به وتحمدون اختياركم معه. فاعلموا ذلك من رأي أمير المؤمنين واعملوا به. وقفوا عنده ولا تخالفوه إلى غيره، وأجيبوا عن كتاب أمير المؤمنين بوصوله وامثال ما حدّ لكم منه إن شاء الله (تعالى) والسلام! (١).

وفي المقابل، كتب أبو عبد الله كتباً ووزعها على مدن المغرب لتقرأ في المنابر بين فيها أسباب خروجه وماهية الدعوة التي يدعو إليها.

(١) القاضي النعمان - كتاب افتتاح الدعوة ص ١٩٢.

أما بعد، فإن الله - وله الحمد - قد شَرَّفَ منزلةَ العدلِ وأعلىَ قدره، وأثنى ذِكْرَه، وأختاره لنفسه، وَرْضِيَهُ وصَيَّرَه ذريعةً إلى الهدى وسبباً إلى التَّقوى وأقامه مِيزاناً بين خلقه، وجعلَ به صلاحاً لكل شيء ونظامه وقوامه وتمامه، فكان من عدله أنه أوجب الثوابَ لمن أطاعه والعقابَ لمن عصاه، ولم يُوجب للمُسيءِ ثوابَ المحسن، ولا للمحسن عقابَ المُسيءِ، بل جازى كلَّ ساعٍ على قدر سعيه وأعطى كلَّ عاملٍ أجرَ عمله، عدلاً منه كما قال (جلَّ ثناؤه) فِي مُحْكَمِ كِتَابِهِ - الَّذِي ﴿لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ﴾ ﴿وَأَنْ لَيْسَ لِلْإِنْسَانِ إِلَّا مَا سَعَى﴾ ﴿وَأَنْ سَعِيَهُ سَوْفَ يُرَى﴾ ﴿ثُمَّ يُجْزَى لَهُ الْجِزَاءَ الْأَوْفَى﴾ وأوجب إظهارَ مِنْهَاجِ الْحَقِّ وإبطالِ سُنَنِ الْجورِ والغشْمِ على مَنْ مَكَّنَهُ اللهُ فِي بِلَادِهِ وَعِبَادِهِ، وَمَنَحَهُ مَا مَنَحْنِي مِنَ النَّصْرَةِ وَالتَّأْيِيدِ وَالْعِزِّ وَالتَّمْكِينِ عَلَى أَعْدَائِهِ وَأَعْدَاءِ رَسُولِ اللهِ ﷺ حَتَّى أَنْقَادَتِ إِلَيَّ الْأُمُورَ بِأَرْزَامَتِهَا وَسَلِسَتْ أَعْتَتُهَا.

وَإِنَّ أَوْلَى النَّاسِ بِنُصْرَةِ الْحَقِّ وَالذَّبِّ عَنْهُ مَنْ فَهَمَهُ اللهُ بِمَا فَهَمَنِي مِنْ عِلْمِ كِتَابِهِ وَمَوَاقِعِ وَعْدِهِ وَوَعِيدِهِ وَعَلِمَ أَنَّهُ مَسْئُولٌ عَنْ رِعْيَتِهِ وَمَأْمُورٌ بِالْعَدْلِ فِيهَا وَالْإِحْسَانِ إِلَيْهَا، قَالَ اللهُ (تَبَارَكَ وَتَعَالَى): ﴿إِنَّ اللهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَى وَيَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ فَجَعَلَ (تَبَارَكَ وَتَعَالَى) الْحُكْمَ بِالْعَدْلِ أَمْرًا عَامًّا دَخَلَ فِيهِ الشَّرِيفُ وَالْوَضِيعُ وَالصَّغِيرُ وَالْكَبِيرُ. ثُمَّ دَلَّ رَسُولُهُ ﷺ أُمَّتَهُ عَلَى الشَّيْئِينَ الْمُنْجِسِينَ مِنَ الضَّلَالِ وَالْهَادِيَيْنَ إِلَى الرَّشَادِ وَأَمَرَ ﷺ أُمَّتَهُ بِالتَّمَسُّكِ بِهِمَا فَقَالَ: «إِنِّي تَارِكٌ فِيكُمْ الثَّقَلَيْنِ مَا أَنْ تَمَسَّكْتُمْ بِهِ لَنْ تَضَلُّوا بَعْدِي كِتَابُ اللهِ وَعَثْرَتِي أَهْلَ الْبَيْتِ» فَمَنْ تَعَلَّقَ بِكِتَابِ اللهِ وَعَمِلَ بِهِ وَتَصَرَّفَ مَعَ أَمْرِهِ وَزَوَاجِرِهِ فَقَدْ تَعَلَّقَ بِالْحُجَّةِ الْعُظْمَى وَمَنْ تَمَسَّكَ بِسُنَّةِ رَسُولِ اللهِ ﷺ وَسِيرَةِ أَهْلِ بَيْتِهِ وَسَلَكَ سَبِيلَهُمْ فَقَدْ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوَثْقَى» وَقَادَاهُ مَعًا إِلَى التَّجَاةِ وَوَقَفًا بِهِ عَلَى مَحَجَّةِ الْحَقِّ الَّذِي أَمَرَ اللهُ بِهِ دَاوُدَ ﷺ أَنْ يَحْكُمَ بِهِ فَقَالَ: ﴿يَا دَاوُدُ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الْأَرْضِ فَاحْكُم بَيْنَ النَّاسِ بِالْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ الْهَوَى فَيُضِلَّكَ عَنْ سَبِيلِ اللهِ إِنَّ الَّذِينَ يَضِلُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ بِمَا نَسُوا يَوْمَ الْحِسَابِ﴾ فَأَمَرَ نَبِيَهُ دَاوُدَ ﷺ



بالحکمِ بالحقِّ الذي هو أزكى الأعمال وأشرف الذخائر وأزجج كلِّ موزنٍ وأفضل مخزونٍ لديه. ثم أخبر رسول الله ﷺ بمنازل أهل العدل والحقِّ والآخرة فقال: «المقسطون على منابرٍ من نورٍ يوم القيامة».

وقد علم الله - وكفى به مُستشهداً وعلماً - أن نيتي وطويّتي وإرادتي إقامة العدل في الرعيّة والإحسان إليها والرّفق بها، وإن تكأد إظهار ذلك وحمله باضطراب الخيلِ وانتقال الأمرِ وجنابات فرطت من السفهاء والغوغاء فلم أستجز في ذلك كلمةً وإن عظم موقع فعلهم مني لا آخذ البريء بالنطف ولا الحليم بالسفيه لقول الله (تبارك وتعالى) ﴿وَلَا تَزُرُ وَازِرَةً وَزَرَ أُخْرَى﴾ فلا تستكثروا - رحمكم الله - ما تكأد من ذلك فإن لكلِّ بادرةً وهنةً ولكلِّ سائلةٍ قرارةً ولكلِّ داخلي دهشةً ولكلِّ موقدٍ نارٍ دخاناً ولكلِّ هدمٍ غباراً، ثم تسكنُ الأمور وتستقرُّ في قرارها وتثبت في نظامها. ولا تستوحشوا من سرعة خروحي من بلدكم وأنقشاعي عنكم فإنني إنما آثرت ترك الدعة والسعة وهجرت مهاد الخفضي ورفاهة العيش أبتغاء ثواب الله وطلب الرّزقي لديه، ثم إن لم شعثكم وضم شركم يعود نفعه عليكم في يومكم وغدكم وعاجلكم وآجلكم، فاسكنوا إلى ذلك واظمئنوا إليه وكونوا على إحياء الحق أنصاراً وعلى إماتة الباطل أعواناً. فأنا أرجو من الله أن يبلغني إظهار العدل وإحياء الحق إلى غاية يشرب لها الذئب والشاة من منهلٍ ويجتمع العدو مع عدوه في منزلٍ رضى بالحق واصطلاحاً عليه ويسلك السفر والسيارة بلا خفيرٍ ولا سفيرٍ من لدن أرض مصر إلى أقصى البحر إن شاء الله (تعالى).

وقد أمرت تمام بن معارك بالرّفق بالرعيّة والإحسان إليها وإفاضة العدل والعرف فيها وقبض يد الجور وإزالة الغشم منها وإنفاذ نسخة كتابي هذا إلى جميع العمال في جميع أعمال إفريقية ليأتوا به وينتهوا إلى أمري فيه ويقفوا عنده ولا يتجاوزوه إن شاء الله. والسلام<sup>(١)</sup>.

\* \* \*

ولما وجد أبو عبد الله الشيعي وشقيقه أبو العباس أن الظروف مهياة لحضور المهدي كتب إليه بالحضور وتسلم زمام الأمور.

وكانت عين الخليفة المكتفي ببغداد، تراقب ما يجري بانتباه شديد، لذلك أرسل في طلب المهدي<sup>(١)</sup> فخافه المهدي وغادر سلمية مع ابنه نزار، متوجهاً إلى مصر. فكتب الخليفة إلى عيسى النوشري، أمير مصر، بالقبض عليه، كما كتب بنفس المعنى إلى زيادة الله بن الأغلب في المغرب. لكن المهدي استطاع الإفلات من النوشري وزيادة الله، ووصل إلى سلجماسة فقبض عليه عاملها اليسع بن مدرار وسجنه بعد أن ورده كتاب من زيادة الله ابن الأغلب.

وعندما وصلت أخبار القبض عليه إلى رقادة حيث يقيم أبو عبد الله الشيعي سار في جيوش عظيمة اهتز لها المغرب بأسره، يريد سلجماسة.

وبعد يوم من القتال فر اليسع ودخل أبو عبد الله المدينة وأخرج المهدي وابنه من السجن ومشى في ركبهما بجميع رؤساء القبائل، وهو يبكي من شدة الفرح ويقول للناس هذا مولاكم، حتى وصل إلى فسطاط ضرب في العسكر فأنزلهما فيه وبعث الخيل في طلب اليسع فأدرسته ومن هرب معه من أهل بيته وأتوا به إلى المهدي فأمر بضربه بالسوط فضرب أربعين سوطاً وطيف به في العسكر وفي مدينة سلجماسة، واستصفى أمواله وأموال من أعانه وهرب معه من أهل بيته، وقتله بعد ذلك وقتلهم<sup>(٢)</sup>.

وأمر بكتابة كتب وزعت في البلدان وقرئت على المنابر، منها الكتاب التالي الذي قرئ على المنبر بالقيروان:

بسم الله الرحمن الرحيم وبه نستعين من عبد الله أبي محمد الإمام المهدي بالله أمير المؤمنين إلى أشياعه من المؤمنين وجميع المسلمين، سلام عليكم! فإن أمير المؤمنين يحمده إليكم الله الذي لا إله إلا هو ويسأله أن يصلي على محمد عبده ورسوله ﷺ .

(١) هناك أقوال مفادها أن المهدي خرج من سلمية مع أهله وعياله هرباً من القرامطة الذين أرادوا قتله بعد أن اكتسحوا سلمية ودمروها وقتلوا خلقاً كثيراً فيها.  
(٢) القاضي النعمان - كتاب افتتاح الدعوة ص ٢٨١ .



أما بعد فالحمد لله الذي رفع علم الحق وأعز أهله، ونكس ألوية الباطل وأذل حزبه، القادر فلا يعارض في قدرته، العزيز فلا يغالب في أمره. الناصر لدينه الذي رضيهُ لنفسه، وشرفه بأكرم أنبيائه عليه وأعلاهم درجةً عنده، وأشرفهم منزلةً، وأقربهم وسيلةً لديه، محمد ﷺ حاملِ حكمته ومُسْتَوْدِعِ غِيْبِهِ وما يكون بعده من كيد الكائدين وخيانة الخائنين وظلم الظالمين لأهل بيته، إلى ما سبق من وعده له فيهم بالنصر والتأييد والعز والتّمكين كما قال في محكم كتابه وتنزيله: الذي ﴿ لا يأتيه الباطلُ من بين يديه ولا من خلفه ﴾ ﴿ وتُرِيدُ أَنْ نَمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتَضَعَفُوا فِي الْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ الْوَارِثِينَ ﴾ ﴿ وَنُمَكِّنَ لَهُمْ فِي الْأَرْضِ وَنُرِي فِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَجُنُودَهُمَا مِنْهُمْ مَا كَانُوا يَحْذَرُونَ ﴾ وقال: ﴿ ولقد كتبنا في الزّبور من بعد الذّكر أنّ الأرض يرثها عبادي الصّالحون ﴾ ﴿ إنّ في هذا لَبَلاغاً لقوم عابدين ﴾ .

وأنجزَ (جلّ ثناؤه) وتقدّست أسماؤه وعده لرسوله ﷺ يرثُ إرث النّبوة ومقاليد الإمامة إلى عشرة نبيّه، وأعزّ الدين والمؤمنين، وأنقذهم من الهلكة، في كلّ سكُونٍ وحركة، بعد الله أبي محمد الإمام المهدي بالله أمير المؤمنين، وأظهر بهجة الإسلام وجماله بقيامه. وأخذ ثراث جدّه النبي وأبيه الوصي (صلوات الله عليهما)، وجعل أولياءه وأنصار حقه أولي البصائر النافذة من سادات العرب وأنجادٍ كُتامة، فألقت الإمامة عصاها في دارها، وقزّت عينها، وأنست وحشّتها، وأستقرّ قرارها، وصار أمير المؤمنين طوداً مُنيفاً وجبلاً راسياً على الأرض، وظلاً ظليلاً لأهلها، فقبّنت به وطأة الهدى وسكن إليه نفور التقوى، وتقوم به ما كان متأوداً من عودها وتوطد ما كان بها متخلّخلاً من قواعدها، وانبرم ما كان سحياً من حبّلتها، وأجتمع ما كان متفرّقاً من شملها وتلاءم ما كان متشعثاً منها ببركة أمير المؤمنين ويمن نقيبته، وسعد نجمه وهبوب ريحه، فداوى الإسلام من الداء العضال ورتق من فتوقه ما كان منخرقاً، وجبر من كسره ما كان لا يجبر، ولأعم من صدعه ما كان لا يلاءم، فهو مفتاح الرّحمة ودليل الخير، ذبّاً عن الحقّ وحياطةً للدين وعنايةً بأمر المسلمين ويُعدّ نظراً فيما يُقطع به أمانى المبطلين، والحمد لله ربّ العالمين .



فلم يحاول أمير المؤمنين - بحمد الله كثيراً - عسيراً إلا يسره الله، ولا صعباً إلا ذلّله، ولا وعراً إلا سهّله، فأصبحت الكلمة به مجتمعة والألفة متصلة، والدّهماء ساكنة، وقواصي الأرض وأدانيها منه آمنةً ووليّه غريزاً ممنوعاً، وعدوّه ذليلاً مقموعاً، فكل من قدح بزنده واحتطب في حبله فمحكوم له النصر ومقضي له بالظفر، وكل من نكث عليه وخان أمانته ونقض عهده وخفر ذمته فقد باء بغضب من الله في الخلاف عليه وإطلاق الفتنة من عقالها، وكل من أوقد عليه نار الحرب أحرقتة بنارها، وكلمته بأظفارها، وكل من تمسك بالعروة الوثقى، وفاز في الآخرة والأولى، وكل من التمس وليجة غيرها فقد **«خسر الدنيا والآخرة، ذلك هو الخسران المبين»**،

فاحمدوا الله الذي بلغكم زمان أمير المؤمنين وأختصكم ببركة أيامه وسعادة دولته، فلتنبسط أعمالكم، ويكثر بالثقة بعدله أستبشاركم ولينفسخ للمعرفة بحسن نظره رجاؤكم، ويشتد تمسككم بحبل طاعته وأسباب ولايته، فإنه لا يتصل بين الله وبين عباده سبب إلا بمحبتهم لآل محمد **ﷺ** قال الله جل ذكره **«قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى»** وقال رسول الله **ﷺ** **«مثل أهل بيتي فيكم كمثل سفينة نوح من ركبها نجا ومن تخلف عنها غرق»**. وجدّدوا الشكر لله على ما منحكم من رافة أمير المؤمنين ورحمته، وتعاهدوا لأموالكم وتغمدوا لكم فإن الشكر أحرص حفيظة لملايس نعيمه وأحفظ مؤتمن لفواضل مننه وأبعث مستمداً لمؤتلف صنعه ومواداً مزيده.

وأمير المؤمنين يسأل الله وليّ الإحسان والنعم، والإفضال والمن أن يصلّي على محمد مفتاح رحمته، والمبلغ لرسالته الذي حبّاه بجميع فواضله ومزيد كرامته، وأن يشعره خشيته ومراقبته، وأن ينفذ بالتوفيق عزائمه وأن يلهمه فيما استرعاها، وناط به من أمر عباده، أفضل ما ألهم راشدأ من خلفائه، وأن يعينه على صالح نيته، وأن يبتليه أحسن بلائه، ويوفقه للعمل بطاعته والقيام بحقه حتى يقمع الكفر والإلحاد، ويدوخ أطراف البلاد، وأن يجعله خير إمام أحسن إلى رعيته، ورعيته خير رعية أدت حق إمامها، فإن التوفيق به والمزيد

أقام المهدي بسلجماسة أربعين يوماً ثم سار إلى إفريقية في ربيع الآخر سنة ٢٩٧هـ / ٩٠٩م ونزل برقادة.

ودعي له بالخلافة يوم الجمعة أواخر شهر ربيع الآخر سنة ٢٩٧هـ / ٩٠٩م.

عاش المهدي بعد مبايعته بالخلافة، ٢٥ سنة، قضاها في صراع مرير مع الخارجين عليه. وكان أول هؤلاء داعييه أبا عبد الله الشيعي وأخاه أبا العباس. وجرت له معهما وقعة هائلة في جمادى الآخرة سنة ٢٩٨هـ / ٩١٠م، انتهت بمقتلها مع أعيان جندهما.

وبعد داعييه، عصا عليه أهل طرابلس سنة ٣٠٠هـ / ٩١٢م فأخضعهم بالسيف. ثم خرج عليه محمد بن خرز الزناتي سنة ٣١٥هـ / ٩٢٧م (٢) فكسر شوكته وحطم قواه.

وكانت أكبر مشكلة واجهها هي خروج أبي يزيد مخلد بن كيداد، أو كندار، الأباضي المعروف براكب الحمار، الذي خرج سنة ٣٠٣هـ / ٩١٥م.

وقد عجز المهدي عن القضاء عليه.

كما عجز عن افتتاح مصر، بصورة تامة، بالرغم من المحاولات التي قام بها، والحملات التي وجهها إلى هذا البلد.

لكن انشغاله في محاربة أعدائه والخارجين عليه، لم يصرفه عن العمران. ومن مآثره العمرانية بناء مدينة المهديّة سنة ٣٠٣هـ / ٩١٥م.

وكانت من أعجب الآثار، بناها بالحجارة وبوبها بأبواب الحديد المحصن وزاد إليها في البحر، واحتفر في آخرها ميناء خرقها بها، وجعل لها مخرجاً إلى

(١) المرجع السابق ص ٢٩٤.

(٢) المرجع السابق.



البحر وقفلاً عليه<sup>(١)</sup> وبنى خارجها مصلى.

وانتقل إليها في شوال سنة ٣٠٨هـ / ٩٢٠م وجعلها عاصمة له .

أخيراً، وبعد جهاد طويل، في سبيل توطيد دعائم ملكه، أسلم المهدي الروح في ربيع الأول سنة ٣٢٢هـ / ٩٣٣م .

فقام بعده ولده القائم بأمر الله، أبو القاسم محمد، ودامت خلافته ١٢ سنة قضاها في دفع خطر مخلد بن كيداد .

وكان أمره قد استفحل، وكثر أتباعه، وحاصر باغاية ثم حاصر قسطلية سنة ٣٣٣هـ / ٩٤٤م، وفتح تبسه ومجانة وهدم سورها ودخل مدينة مرماجنة، وهزم كتامة، وافتتح سبيه ومدينة الأربس، وحاصر المهديّة، ومات القائم، وهو تحت حصار مخلد، في شوال سنة ٣٣٤هـ / ٩٤٥م .

وقام بالأمر بعده ابنه المنصور بنصر الله، أبو طاهر اسماعيل فكتم موت أبيه حتى لا تؤثر وفاته على معنويات رجاله وهم في حالة حرب مع مخلد ابن كيداد . وأبقى الأمور على حالها، وجعل همه كله القضاء على مخلد وبعد محاولات ومصاولات تمكن من حصره في قلعة بكيانة ثم قبض عليه وقتله في المحرم سنة ٣٣٦هـ .

قال الشاعر علي بن محمد الأبادي في هذه المناسبة<sup>(٢)</sup>:

فارتقى الملعون من خيفته	في ذرى أعبط عال مصعد
في ذرى خلقاء ملساء على	ذلك المعقل ليست بصدد
معقل من فوقه الله ومن	تحت المنصور في جيش معد
فارتقى المنصور بالسيف له	يوم طعن كشائب البرد
واثقاً بالله في غربته	عن بني أحمد ناء منفرد
فإذا مخلد في كف الردى	موثق الجيد بحبل من مسد
قد رمته الحرب عن غاربها	واهي الركن ذليل المستند

(١) المرجع السابق .

(٢) سيرة الأستاذ جوذر ص ٤٨ .



كنفيض أخرجه أمه  
فأوى من كرم المنصور في  
طلباً منه ليبقى روحه  
فأبى الله سوى إعجاله  
فضاعنه أديماً دنساً  
كأديم التيس لمالم يطب  
وحشاه سالخوه سغفأ  
ثم رقاه على مستحصد  
وبعد أن فرغ المنصور من أمر مخلد بن كيداد، خطب في الناس معلناً موت أبيه. وقال في خطبته:

«الحمد لله حمد شاكر لأنعمه التي لا يحصى لها عدد، متعرض للمزيد من فضله الذي لا ينفد، ولا إله إلا الله إخلاصاً بالتوحيد، ولا إله إلا الله إجلالاً لذكره العلي المجيد، سبحان المستشهد بآياته على قدرته، الممتنعة من الصفات ذاته، ومن الأبصار رؤيته، ومن العقول تحديده، ذي الكبرياء والعزة والجلال، والقدرة والثناء والعظمة، له السموات العلى والأرضون السفلى، وما فوقهما وما تحت الثرى، كل خاضع لعظمته، متذلل لعزته، متصرف لمشيئته، واقع تحت قدرته. وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، اختاره وانتقاه، وأكرمه واصطفاه، وانتجبه وارتضاه، وبعثه بالهدى ودين الحق الذي تعبد به من في السموات من الملائكة المقربين، ومن في أرضه من الثقلين، واضطلع عليه السلام بما حُمِّل، وبلغ ما به أرسل، صادعاً بأمره صابراً على البأساء والضراء في جنبه، إلى أن أظهر الله دينه على الأديان، وأزهق حقه أباطيل الأوثان. صلى الله عليه وسلم وشرف وكرم.

عباد الله: أوصيكم بتقوى الله وطاعته وخشيته ومراقبته، والتقرب إليه بما يرضيه، فإنه بما في قلوبكم عليم، وبأعمالكم خبير بصير، لا تخفى عليه خافية، ولا يعزب عنه في السموات والأرض مثقال ذرة، ولا ينجي من سخطته ولا يوصل إلى رحمته إلا طاعته ﴿ومن يطع الله ورسوله فقد فاز فوزاً عظيماً﴾ ألا



وإن الله عز وجل جعل يومكم هذا عيداً معظماً على الأيام، ختم الله به شهراً مفضلاً على الشهور، وافتتح أيام شهور الحج إلى بيت الله العتيق الذي عظمه وكرمه وجعله قبلة الصلاة، ومحل البركات، ومنزل الرحمات، مثابة للناس وأمناً، ومناراً للناس وعلماً، فتقربوا إلى الله في يومكم بأداء فطرتكم التي هي زكاة صومكم وسنة نبيكم سيد الأنبياء صلى الله عليه وسلم، كل امرئ منكم عن نفسه، وكل واحد من أهله، ذكورهم وإناثهم، وصغارهم وكبارهم صاعاً من بر أو صاعاً من زبيب، أو صاعاً من شعير من طعامكم وأكلكم لا من غيره، فليس يقبل منكم إلا ذاك، وأكثروا الدعاء واستشعروا الحذر والرجاء. ﴿يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله ولتنظر نفس ما قدمت لغد﴾ فقريب والله وكأن قد إنه عز وجل لم يهملكم إهمال الهمج، ولم يجعل عليكم في الدين من حرج، ولا عذر بعد إيضاح النهج، وتأكيد الحجج برسوله وأئمة الهدى من ذريته عليهم سلام الله ورحمته، وفقنا الله وإياكم لديه، فإننا به وله، وصلى على سيد المرسلين وعلى الأئمة المهديين الذين بالحق قضوا وبه يقضون، وبه عدلوا وبه يعدلون.

ثم جلس، وقام بالثانية فقال:

«الحمد لله رب العالمين، والعاقبة للمتقين، والصلوات الغاديات الرائحات الزاكيات الناميات الباقيات على محمد وعلى آله الطيبين، الأئمة المهديين، السادة الأكرمين، الأطهار الأبرّين، حمداً حمداً وشكراً شكراً، أنجزت وعدك ونصرت عبدك على كره الكافرين، وصغار المارقين الأخسرين الأفجرين، أصحاب الدجال اللعين، المغضوب عليه وعليهم الضالين، الأرجاس الأنجاس، أولي الذل والإتعاس، الأشقياء الأخرىء، المعلونين في الأرض والسماء، حمداً حمداً، شكراً شكراً، عوداً بدءاً، وسعاً طولاً، لا مكافياً نعماءك، ولا مجازياً آلاءك، معترفاً بالعجز عن الشكر ولو بكل لسان طول الدهر. سلام الله وصلواته ورحمته وبركاته وتحياته عليكم يا أميري المؤمنين، يا ابني الهداة المهديين، يا أبتاه، يا جداه، يا ابني محمد رسول الله، سلام مسلم لله فيما قضاه على من فقدكم، صابر على ما امتحنني من بعدكم أو ان الحسرة وشرق العبرة عليك يا أبتاه! يا محمداه! يا أبا القاسماه! يا سيده! يا



جبلناه! واشوقناه! وألمناه. وخالق الأرض والسماء، باعث الموتى مميت الأحياء: ما أنا في ريب من اختيار الله لك، ونقله إليك إلى دار كرامته، ومستقر رحمته التي بوأها محمداً رسوله ﷺ جدك، وأمير المؤمنين علي ابن أبي طالب أباك، وفاطمة الزهراء البتول أمك، وآباءك المهديين الأبرار، لكن لوعة المحزون باعثة للشجون، مبكية للعيون، وإنا لله وإنا إليه راجعون، وله مسلمون وعمل كل حال تصرف بنا حامدون، ولنعمائه شاكرون، فقد أعظم الله عز وجل النعمة، وضاعف المنة بما ربط به على قلبي من الصبر، وما أكرمني به من العز والنصر الذي أرسى به قواعد الإسلام، ونور به قلوب المؤمنين بعد الإظلام، وبعد انقطاع الرجاء لتطول مدة البلاء بالفتنة العظمى وأهوالها وبلبالها، وهي العمياء الصماء الجهلاء بدجال النفاق وأحزابه المراق، أعداء الدين وأنصار بالأمس، وبنو جدك المهدي بالله والقائم بأمر الله - صلوات الله عليهما - اليوم، لأن بني أمية إنما استحقوا ذلك لعداوتهم لجدك رسول الله ووصيه علي بن أبي طالب، صلى الله عليهما، وكذلك استحق هؤلاء ذلك لعداوتهم لله ولأولياء الله، وجحدهم فضلنا وإنكارهم حقنا، فاعلم ذلك وتدبره. وسأدفع إليك كتاباً عملته في هذا لم يسبقني إليه أحد قبلي، ولم أظهره إلى الآن، أردت به هداية المؤمنين وتثبيت قلوبهم وإزالة الشك عنهم، وملائته علماً ظاهراً وباطناً، وبراهين شافية تسرُّك وتبهجك وتفيدك ما لا نفاذ له أبد الآبدين، فإن أكثر البلاء إنما دخل علي ضعفاء المؤمنين المساكين من مثل هذه القردة والخنازير؛ فقل لجوذر يسكن قلبه من هوانهم عليه، وخساستهم في نفسه، وقتلهم في عينه، ما يسكنه لليهود والنصارى، والله لا حلوا ولا عقدوا أبداً، ولا أتبعهم من الكلاب فضلاً عن العباد اثنان، فإن الخير إذا ظهر للناس ملك قلوبهم ونفوسهم، وأخذ بأسماعهم وأبصارهم، وقد أعراهم الله، وله الحمد من الخير كله، وأما العار والشنار الذي تنفر منه النفوس والقلوب فقد لبسوه وارثوه، فهل لجوذر المسكين عندهم ذنب إلا أنه منعهم من الانتهاك والانكشاف، وأراد صيانتهم بترك هذا البنيان العظيم، فصار له ذنباً<sup>(١)</sup>.

(١) المرجع السابق ص ٥٥.

وفي شوال سنة ١٣٤١هـ - ١٩٥٢م توفي المنصور وكانت مدة خلافته ٨ سنين، وقيل ٧ سنين و ١٠ أيام<sup>(١)</sup>.

وكان خطيباً بليغاً يرتجل الخطبة لوقته شجاعاً عاقلاً<sup>(٢)</sup>.

وقام بعده ابنه المعز لدين الله، أبو تميم معد.

خطب بالناس خطبة عيد الأضحى سنة ١٣٤١هـ - ١٩٥٢م نعى فيها والده. وقال في خطبته:

«الله أكبر، الله أكبر، لا إله إلا الله، والله أكبر، الأعز الأقدَر، الخالق المدبر، ذو الكبرياء والجبروت، والعزة والملكوت، الأحد الصمد، الفرد المتفرد، الأعلى القاهر، الباطن الظاهر، الأول الآخر، مبدع السموات والأرض بالقدرة، ومالكها بالعزة، ومدبرها بالحكمة، وخالقها بما فيها من عجائب الفطرة، وبدائع التركيب والصنعة، الذي كل شيء من موات وحي بالدعاء إليه، والدلالة عليه، والشهادة له بالتوحيد والتعظيم والتحميد، فتكوينه الأشياء كلها من عدم شاهدٌ بأن لا شيء قبله، وانتهاءها إلى الغايات دليل على ألا غاية له، وإحاطته بحدودها منبى بأن لا حد له، فالضعف والعجز والفقر والنقص الذي لم يخل منه مخلوق أفصح ناطق وأصدق شاهد للخالق وحده جل ثناؤه بالإلهية والفردانية والقدرة والربوبية والتمام والكمال والأزل والدوام، تبارك الله رب العالمين، أحسن كل شيء خلقه، وتكفل لكل حي رزقه، ثم هدى بالعقل الذي قامت حجته ووجبت طاعته، والكتب والرسل الذين تمت بهم حكمته، فصلى الله عليهم أجمعين، وعلى محمد سيد المرسلين الذي رفع ذكره، وأعلى قدره، فأكرمه بالوسيلة، واختصه بكل فضيلة، وابتعثه هادياً للعباد، ونوراً في البلاد، علم به من الجهل، وهدى به من الضل، وكثر به القل، وأعز به من الذل، فألف به بعد الشتات، ونور به دياجير الظلمات، صلوات الله عليه وعلى آله المهديين، الأخيار الطيبين.

(١) المقرئزي - المواعظ والاعتبار ج ١ ص ٣٥١.

(٢) المرجع السابق.



يا أيها الناس: إن الله لم يخلقكم عبثاً، ولم يهلككم سدى، ولم يجعل عليكم في الدين حرجاً، ولم يضرب الذكر عنكم صفحاً، للعبادة خلقكم، وبطاعته وطاعة رسوله أمركم، وجعل للطاعة أعلاماً منصوبة وفروضاً مكتوبة، ومن أفضل أعلامها وأكرم أيامها يوم الحج الأكبر إلى البيت العتيق مبعوا إبراهيم خليل الله، وقبله محمد رسول الله صلى الله عليه، فتقربوا إلى الله بما أمركم به ورزقكم إياه من بهيمة الأنعام، مقتدين سنة محمد نبي الرحمة والهدى، مستشعرين لله التقوى، فإن الله عز وجل يقول: لن ينال الله لحومها ولا دماؤها ولكن يناله التقوى منكم فبال تقوى تقبل الأعمال ويدرك الأمل، وكبروا الله على ما هداكم واشكروه على ما أولاكم، ألا وإن خير الهدى الإبل، وخير الإبل إنائها، وكذلك من البقر ثم الفحول من الضأن، وسلامة الضحايا سلامة العين والأذن، وأن تكون من حلال الأموال، نسأل الله لنا ولكم قبول العمل بامتثانه وبلوغ الأمل من رضوان الله ورحمته وإحسانه».

وجلس في الثانية وقام وقال:

الله أكبر، الله أكبر، لا إله إلا الله، والله أكبر، الله أكبر شأناً وأعظم سلطاناً، وأوضح آيات وبرهاناً عن أن تنكر العقول توحيده، أو تروم تحديده، خالق السموات والأرض، ومالكهما ومدبرهما الفرد الصمد، الواحد الأحد، الذي لا شريك له ولا ند، الخالق القدير، الرحمن الغفور، النافذ قضاؤه، الكائن ما يشاؤه، المتقن كل شيء صنعاً، الموسع كل شيء رزقاً، والمحيط بكل شيء علماً، أحمدته وأستعينه وأستغفره وأستهديه، وأفوض إليه وأتوكل في كل الأمور عليه، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً خيرته من عباده، ونجيبه من بريته، وصفوته من المتطهرين، ورسوله إلى كافة العالمين، وبعيته بالإمامة إلى الثقلين ليلبغ حجة الرب، ويوضح محجة الحق، فأدى رسالة الله ورحم ورأف بعباد الله، وصبر على الكبار من مكر الكفار إلى أن أدال<sup>(١)</sup> الله للحق على الباطل، والهدى على الأضائل، محمد صلى الله عليه وآله أفضل الصلاة وأزكاها وأكملها وأنماها، وأخلدها وأبقاها، وعلى الأئمة

(١) سيرة الاستاذ جوذر ص ٧٦.

المهديين من عترته الكرام الأبرّين الذين اختارهم للخلافة، وارتضاهم للإمامة، وأكد بوصية الرسل حجّتهم وأوجب في التنزيل طاعتهم، بعد تفضيله إياهم على العالمين بأبوة محمد سيد المرسلين، وعلى أفضل الوصيين، وعلى أمه سيدة النساء، خامسة أصحاب الكساء، صلوات الله عليهم، وعلى أمير المؤمنين المهدي بالله والقائم بأمر الله، سيدي الوري وإمامي الهدى، اللذين أعلن الله بهما دعوة الحق، وأنطق بهما الإيمان والمؤمنين، وأقام بهما دعوة الدين، وأزهق بحقهما باطل المدعين، وأكاذيب المتخرصين وقطع بسيفهما دابر الظالمين، صلوات الله ورحمته وبركاته ورضوانه وتحياته عليهما. اللهم اخصص الإمام الفاضل، والوصي العادل، والبر الفاضل، والغيث الوابل، ذا الآيات المعجزات، والعزائم النافذات، الباذل نفسه الكريمة في حين الأزل والكربات، الصابر في البأساء والضراء حتى طهر الأرض من جبايرة الأعداء، عبدك ووليّك ونجيبك وشفيعك أبا الطاهر المنصور بك، والمتوكل عليك والمفوض إليك، العامل بما يرضيك ويقرب إليك ويزلف لديك، الذي فجعتنا بفقدته، وأوحدتنا من بعده، وأفردتنا منه وأوحشتنا فقبلت دعاءه، وأجبت نداءه، وجمعت بينه وبين أحبته في مستقر جنتك وسعة رحمتك، وإن القلق وشدة الحرق عليك يا أبتاه، يا سيده، يا إسماعيله، يا أبا الطاهراه، يا بحر علوم الأئمة الطاهرين الهداة المهديين، يا بقية أبناء الرسول، وأبناء الوصي والطاهرة البتول، يا إمام الأئمة ومفتاح باب الرحمة، يا سراج الهدى وشمس الوري، ومجلي الطخياء، يا مخصوصاً من الله بتعجيل الكرامة، عظم والله علينا المصائب بك، وحل البلاء، وعدم العزاء لفقدك، وقصرت الألسن عن إدراك إحصاء شمائلك، وتعداد مناقبك، فوحق الذي اختصك بكرامته، وحباك بجزيل عطائك «وشرفك بأبوة رسوله، لولا ما أوعزت إليّ به وأكدته عليّ، من القيام بحق الله والذب عن أمة جدك رسول الله، واستنقاذهم من غمرة الجهالة، وبحار الضلالة، ومهاوي الفتن، ومعاطب المحن، وما تقرر عندي، ورسخ في صدري من الجزاء بمقدار الوفاء لله ولرسوله، ولأئمة الهدى لضربت على وجهي سائحاً في البلاد، قالياً للمهاد، راضياً ببلغة من الزاد، إلى أن يلحقني الموت سريعاً بك، فأفوز بقربك، ورحمة ربك، لكنني فكرت ونظرت وتدبرت

فلم أر لي وجهاً أستوجب به درجتك واللاحاق بشرفك سنوى الصبر والاحتساب، فتجلدت، وصبرني ربي فصبرت، وغلب علي البين فأمسكت، فأقول إنا لله وإنا إليه راجعون، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم الرحمن الرحيم، له الحمد على ما أبلى، والشكر على ما أولى.

معاشر أوليائنا، والقائلين بطاعتنا، والتمسكين بولايتنا هذه والله المحن الشداد، المنضجة للأكباد، هذه الزلازل العظام التي لا تثبت لها الأقدام، هذه المشاهد التي لم يألکم أئمتکم لها تثبيتاً، ولم تزل راغبة إلى الله في تثبيت أقدامكم وعصمة قلوبكم عند حلولها بكم، ووقوع المحنة فيها عليكم، فتثبتوا تسلّموا، ولا تضلوا لتندموا فلن يخلي الله أرضه وعصره في كل زمان من قائم لله بالحق، شاهد على الخلق، يقر به المؤمنون، ويجحد به الكافرون الضالون الأخرسون، إن الله بحمده خلق الخلق من غير حاجة كانت منه إليهم، لكن لعبادته وإظهار فضله وجوده عليهم، وجعل الحياة فيهم قوة عاملة، والموت كأساً دائرة، وما بعد الموت جزاء للعمل وبين لكم بين هذين نهج السبيل برسله المنتجبين، وبأئمة الهدى المختارين، وجعل ثوابهم وحظهم على مقدار بلاغهم وقيامهم، واضطلاعهم بأمره وإرشاد خلقه، وجعل بينهم درجات في الفضل فقال جل ثناؤه ﴿ثم أورثنا الكتاب الذين اصطفينا من عبادنا، فمنهم ظالم لنفسه ومنهم مقتصد ومنهم سابق بالخيرات بإذن الله ذلك هو الفضل الكبير﴾ تبارك الله رب العالمين، الذي لم يرض بالدنيا ثواباً للمؤمنين، ولا عقاباً للكافرين. يا أيها الناس ما من حي إلا وهو رهين بالموت، ولا موت إلا وبعده نشور، ولا نشور إلا بحساب، فثواب وإلا عقاب، فطوبى لمن لقي الله متمسكاً بحجزة أوليائه، معتصماً بعصمتهم، قائماً بلوازم الطاعة المفترضة عليهم بحججه وأصفيائه، متفياً بظلال ألوية عترة سيدنا محمد رسول الله سيد المرسلين، يوم لا ينفع إلا الدين، ولا ينجي إلا صحة اليقين، ﴿يوم تجد كل نفس ما عملت من خير محضراً، وما عملت من سوء تود لو أن بينها وبينه أمداً بعيداً، ويحذركم الله نفسه والله رؤوف بالعباد﴾.

يا أيها الناس إنما الأعمال بخواتمها، والجزاء من الله بحسب الوفاء لله



ولرسوله، ولأئمة الهدى من ولد الرسول، وقد شاهدتم سيد الأئمة وراعي الأمة وسراج الدجنة في مواطن ومشاهد قضى فيها فرض ربه عليه، وأدى وديعة جده محمد لديه، وبين لكم من سننه ما إن اقتديتم به لن تصلوا، ولن تبت أيديكم من رحمة الله، ولن تعشو أبصاركم عن قصد السبيل الأقوم، والتمسك بالدليل الأعظم، وما من ولي سالف إلا وبعده وصي خالف قائم لله بحقه متحرّ ثوابه، عامل بما يرضيه حسب طاقته، ومنتهى استطاعته، ولا يكلف الله نفساً إلا وسعها، ولا يرتضي للقيام بدينه وهداية خلقه ورعاية أمة نبيه إلا الأفضل الأمجاد، الآحاد الأفراد، ذوي الهمم العالية، والأخلاق الرضية والنفوس الأبية من خالص الذرية، وقد جرت سنة الله في خلقه، ونفذ في حكمه ما لا يستطيع له جحد، ولا للقول به رد، من مواصلة الرسل لتبيين السبيل في الزمان بعد الزمان، لإعلان دينه حسب الإمكان، وأوجب للعباد الثواب بطاعتهم وإجابة دعوتهم وقبول هدايتهم، والعقاب بإسقاطهم وجحدهم وإنكارهم، وليس المؤمن بأولهم جاحداً آخرهم، ولا ينفع جاحد أولهم تصديق آخرهم للثواب والرحمة، من العذاب الأليم والخزي المقيم، وقد قرن الله طاعة أئمة الهدى بطاعة الرسل، وطاعة الرسل بطاعته، فقال ﴿أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولي الأمر منكم﴾ بذلك جرت عادته في الأنبياء والمرسلين، ﴿ولن تجد لسنة الله تبديلاً﴾ ﴿ولن تجد لسنة الله تحويلاً﴾ وهل لمقر نبوة موسى ورسالة عيسى عليهما السلام حاجة بتفضيل سيدنا محمد خاتم النبيين وسيد المرسلين إذا أنكر نبوته، وهل له انتفاع بأعماله أو ثواب لعبادته.

النور - أيها الناس - فينا مصون، وعطاء ربك لنا غير ممنون، فأين تذهبون، وفي أي أرض تتيهون، هيهات هيهات لما توعدون فأطيعونا تهتدوا، وتمسكوا بحبلنا ترشدوا، واعملوا بما تفوزون في أخراكم تسعدوا، ولا تجعلوا همتمكم أكبر دنياكم، فإن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب أبا الأئمة المهديين صلوات الله عليه وعليهم أجمعين قال: «إن الله أحل حلالاً وأعان عليه، وحرّم حراماً وأغنى عنه»، فدعوا ما قل لما كثر، وما ضاق لما اتسع، فقد أمرتم بالعمل، وتكفل لكم بالرزق، فلا يكون طلب المضمون لكم أولى بكم من طلب المفروض عليكم. اللهم أوزعني شكر نعمتك ووفقني لما يرضيك ويقرب

إليك، ويوجب المزيد من فضلك، والذخر عندك بإتمام نعمتك علي في الدنيا والآخرة. إله الخلق رب العالمين، اللهم أيدني بنصرك، وافتح لي على أعدائك فتحاً تحيي به الدين، وتعز به ملة محمد سيد المرسلين، وارزقنا زيارة قبره والارتقاء على منبره، وحلول داره، وقضاء الحج إلى بيتك الحرام، والوقوف بتلك المشاهد العظام براياتنا، وقد جددت لنا العز ولأوليائنا، وقد أيدتنا وإياهم بالنصر، وأكرمتنا بالظفر وأظهرتنا على القوم الظالمين، وأخضعت لنا رقاب العاصين، وقد تقدم منك الميعاد للأباء والأجداد، ولا خلف لوعدك، ولا راد لأمرك، والرضا والتسليم بما قضيت، عجلت أو أجلت. اللهم اجعل ما مننت به من إحسانك، وما تجدد لي من فضلك ونعمتك علي وعلى العباد رحمة منك، اللهم واقرن بكل عز تجده لي ذلاً تسكنه قلبي لعظمتك وجلالك وهيبتك، فلا عز إلا في الخضوع والعبودية لك، ولا غنى إلا في الفقر إليك، ولا أمن إلا في خوفك، ولا سعادة في الدنيا والآخرة إلا برضاك، يا رب العالمين، اللهم اغفر للمؤمنين والمؤمنات، والمسلمين والمسلمات الأحياء منهم والأموات واخصص أولياء دولتنا وأنصار دعوتنا المجاهدين الصابرين الشاكرين من رحمتك بما استوجبوه بطاعتك وقضاء فروضك وموالات أوليائك ومعاداة أعدائك، وصلى الله على رسوله محمد سيد الأولين والآخرين. اذكروا الله العظيم يذكركم»<sup>(١)</sup>.

وفي عهده فتحت مصر على يد قائده جوهر الصقلي، وكان المعز اختصه من مواليه وكناه بأبي الحسين وأعلى قدره وصيره في رتبة الوزارة. وسيره على رأس جيش كثيف إلى مصر في ١٤ ربيع الأول من عام ٣٥٨ هـ - ٩٦٨ م. ووصلت البشارة بفتحها في منتصف رمضان سنة ٣٥٨ هـ - ٩٦٨ م.

وبعد أن تم الفتح أذاع جوهر الصقلي على المصريين كتاب الأمان التالي:

«بسم الله الرحمن الرحيم» هذا كتاب من جوهر الكاتب<sup>(٢)</sup>، عبد أمير

(١) المرجع السابق ص ٧٨.

(٢) القاضي النعمان - كتاب افتتاح الدعوة ص ٧٢.

المؤمنين المعز لدين الله صلوات الله عليه، لجماعة أهل مصر الساكنين بها من أهلها ومن غيرهم: إنه قد ورد من سألتموه الترسل والاجتماع معي وهم «أبو جعفر مسلم الشريف» أطال الله بقاءه و «أبو إسماعيل الرس» أيده الله، و «أبو الطيب الهاشمي»، أيده الله، و «أبو جعفر أحمد بن نصر» أعزه الله، والقاضي أعزه الله، وذكروا عنكم أنكم التمستم كتاباً يشتمل على أمانكم في أنفسكم وأموالكم وبلادكم وجميع أحوالكم، فعرفتم ما تقدم به أمر مولانا وسيدنا أمير المؤمنين صلوات الله عليه، وحسن نظره لكم، فلتحمدوا الله على ما أولاكم وتشكروه على ما حماكم وتدأبوا فيما يلزمكم، وتسارعوا إلى طاعته العاصمة لكم، العائدة بالسعادة عليكم، وبالسلامة لكم، وهو أنه صلوات الله عليه لم يكن إخراج العساكر المنصورة والجيوش المظفرة إلا لما فيه إعزازكم وحمايتكم، والجهاد عنكم إذ قد تخطفتمكم الأيدي، واستطال عليكم المستدل، وألمعته نفسه بالاعتقاد على بلدكم في هذه السنة والتغلب عليه وأسر من فيه، والاحتواء على نعمكم وأموالكم، حسب ما فعله في غيركم من أهل بلدان المشرق وتأكد عزمه واشتد كلبه، فعاجله مولانا وسيدنا أمير المؤمنين صلوات الله عليه، بإخراج العساكر المنصورة، وبادره بإنفاذ الجيوش المظفرة دونكم، ومجاهدته عنكم وعن كافة المسلمين ببلدان المشرق الذين عمهم الخزي وشملتهم الذلة، واكتنفهم المصائب وتتابعت الرزايا واتصل عندهم الخوف وكثرت استغاثتهم وعظم ضجيجهم وعلا صراخهم! فلم يغثهم إلا من أرمضه أمرهم، ومضه حالهم وأبكى عينه ما نالهم وأسهرها ما حل بهم، وهو مولانا وسيدنا أمير المؤمنين صلوات الله عليه، فرجا بفضل الله عليه، وإحسانه لديه وما عوده وأرجاه عليه، استنقاذ من أصبح منهم في ذل مقيم، وعذاب أليم وأن يؤمن من استولى عليه المهل، ويفرخ روع من لم يزل في خوف ووجل وآثر إقامة الحج الذي تعطل وأهمل العباد فروضه وحقوقه لخوف المستولي عليهم، وإذ لا يؤمنون على أنفسهم ولا على أموالهم، وإذ قد أوقع بهم مرة بعد أخرى، فسفكت دماؤهم وابتزت أموالهم على اعتماد ما جرت به عادته من صلاح الطرقات، وقطع عبث العابثين فيها. ليطرق الناس آمنين ويسيروا مطمئنين، ويتحفوا بالأطعمة والأقوات إذ كان قد انتهى إليه صلوات الله عليه انقطاع



طرقاتها لخوف ما رآتها، إذ لا زاجر للمعتدين، ولا دافع للظالمين، ثم تجويد السكة وصرفها إلى العيار الذي عليه السكة الميمونة المنصورية المباركة وقطع الغش منها، إذ كانت هذه الثلاث خصال هي التي لا يتسع لمن ينظر في أمور المسلمين إلا لإصلاحها، واستفراغ الوسع فيما يلزمه منها، وما أوعز به مولانا وسيدنا أمير المؤمنين صلوات الله عليه، إلى عبده من نشر العدل، وبسط الحق، وحسم الظلم، وقطع العدوان، ونفي الأذى ورفع المؤن، والقيام في الحق، وإعانة المظلوم، مع الشفقة والإحسان وجميل النظر، وكرم الصحبة ولطف العشرة «وافتقاد الأموال» وحياطة أهل البلد، في ليلهم ونهارهم، وحين تصرفهم في أوان ابتغاء معاشهم، حتى لا تجري أمورهم إلا على ما لم شعئهم وأقام أودهم وأصلح بالهم وجمع قلوبهم وألف كلمتهم على طاعة وليه مولانا وسيدنا أمير المؤمنين صلوات الله عليه وما أمره به مولاه من إسقاط الرسوم الجائرة التي لا يرتضي صلوات الله عليه بإثباتها عليكم، وأن أجزكم في الموارد على كتاب الله وسنة نبيه ﷺ، وأضع ما كان يؤخذ من تركات موتاكم لبيت المال من غير وصية من المتوفى بها فلا استحقاق لمصيرها لبيت المال، وأن أتقدم في رم مساجدكم وتزينها بالفرش والإيقاد، وأن أعطى مؤذنيها وقومتها ومن يؤم الناس فيها أرزاقهم، أدرها عليهم، ولا أقطعها عنهم، ولا أدفعها إلا من بيت المال لا بإحالة مما ضمنه كتابه هذا من ترسل عنكم أيديكم الله وصانكم أجمعين بطاعة مولانا وسيدنا أمير المؤمنين صلوات الله عليه، من أنكم ذكرتهم وجوهاً التمستم ذكرها في كتاب أمانكم، فذكرتها إجابة لكم وتطميناً لأنفسكم فلم يكن لذكرها معنى ولا في نشرها فائدة، إذ كان الإسلام سنة واحدة وشريعة متبعة وهي إقامتكم على مذاهبكم، وأن تتركوا على ما كنتم عليه من أداء المفروض في العلم والاجتماع عليه في جوامعكم ومساجدكم، وثباتكم على ما كان عليه سلف الأمة من الصحابة رضي الله عنهم والتابعين بعدهم، وفقهاء الأمصار الذين جرت الأحكام بمذهبهم وفتواهم، وأن يجري الأذان والصلاة وصيام شهر رمضان وفطره وقيام ليلاليه والزكاة والحج والجهاد على ما أمر الله في كتابه ونصه نبيه ﷺ في سنته وإجراء أهل الذمة على ما كانوا عليه، ولكم على أمان الله التام العام الدائم المتصل الشامل الكامل



المتجدد المتأكد على الأيام وكرور الأعوام، في أنفسكم وأموالكم وأهلكم ونعمكم ورباعكم وقليلكم وكثيركم، وعلى أنه لا يعترض عليكم معترض ولا يتجنى عليكم متجن ولا يتعقب عليكم متعقب، وعلى أنكم تصانون وتحفظون وتحرصون، ويذب عنكم ويمنع منكم، فلا يتعرض إلى أذاكم ولا يسارع أحد في الاعتداء عليكم ولا في الاستطالة على قوتكم، فضلاً عن ضعيفكم، وعلى أن لا أزال مجتهداً فيما يعمكم صلاحه ويشملكم نفعه ويصل إليكم خيره، وتعرفون بركته. وتعتبطون معه بطاعة مولانا وسيدنا أمير المؤمنين صلوات الله عليه، ولكم عليّ الوفاء بما التزمته، وأعطيتكم إياه عهد الله وغلظ ميثاقه وذمته وذمة أنبيائه ورسله وذمة الأئمة موالينا أمراء المؤمنين قدس الله أرواحهم، وذمة مولانا وسيدنا أمير المؤمنين المعز لدين الله صلوات الله عليه، فتصرحون بها وتعلنون بالانصراف إليها، وتخرجون إليّ وتسلمون عليّ وتكونون بين يدي إلى أن أعبّر الجسر وأنزل من المناخ المبارك، وتحافظون من بعد على الطاعة وتثابرون عليها وتسارعون إلى فروضها، ولا تخذلون ولياً لمولانا وسيدنا أمير المؤمنين صلوات الله عليه وتلزمون ما أمرتم به، وفقكم الله وأرشدكم أجمعين»<sup>(١)</sup>.

بنى جوهر مدينة القاهرة في عام ٣٥٨/هـ - ٩٦٨/م.

ووصل إليها المعز في الثامن من رمضان سنة ٣٦٢/هـ - ٩٧٢/م، ومعه أولاده وأخوته وسائر أولاد عبيدالله المهدي، وبتواييت آباءه<sup>(٢)</sup> ولما وصل إلى قصره خرّ ساجداً ثم صلى ركعتين<sup>(٣)</sup>.

كان المعز يحب العدل والإنصاف ما بين الرعية. وكان رجلاً عادلاً عاملاً حازماً لبيباً فصيحاً شاعراً وله شعر جيد<sup>(٤)</sup>.

تعلم الرومية والسودانية حتى أتقنها ثم تعلم الصقلية.

(١) الدكتور عطية مصطفى مشرفة - نظم الحكم في عصر الفاطميين ص ٣٤٠.

(٢) المقرئزي - المواعظ والاعتبار ج ١، ص ٣٥١.

(٣) القاضي النعمان - كتاب افتتاح الدعوة ص ١٩٢.

(٤) ابن اياس - المختار من بدائع الزهور في وقائع الدهور، المجلد الأول ص ٣٥.



من مآثره العمرانية بناء قصر الزمرد مكان دار الضرب، وبناء مدينة القاهرة والجامع الأزهر. أقيمت له الدعوة في الحرمين سنة ٣٦٣/هـ - ٩٧٣/م.

وفي عهده استولى قائده جعفر بن فلاح على الشام.

توفي بالقاهرة بعد ثلاث سنين من وصوله إليها يوم الخامس عشر من ربيع الأول سنة ٣٦٥/هـ - ٩٧٥/م.

وهو أول خليفة فاطمي حكم في مصر.

وبعد وفاته قام بالأمر ابنه العزيز بالله، أبو منصور نزار. كان يحب العدل في الرعية وينصف المظلوم من الظالم، وكان كريماً جواداً ممدوحاً<sup>(١)</sup>.

دفعه حبه للعدل إلى شقنق عامله النصراني سنطروس، كما شقنق عامله في دمشق منشأ اليهودي لظلمهما الرعية<sup>(٢)</sup>.

أقيمت له الدعوة في الموصل وضربت باسمه السكة سنة ٣٨٢/هـ - ٩٩٢/م كما أقيمت له الدعوة باليمن وانتشر عماله بأعمالها<sup>(٣)</sup>.

في أيامه ظهر السمك البلطي في النيل، ولم يكن به قبل ذلك منه شيء.

في عهده استفحل أمر القرامطة فوجه جيوشه لحربهم. وحين خرج عامله بمصر، حسين بن القاسم، لقتالهم أرسل إليه العزيز بالله كتاباً يبشره بالفتح، جاء فيه:

من عبدالله ووليّه نزارِ أبي المنصور العزيز بالله أمير المؤمنين، إلى حسين ابن القاسم.

سلامٌ عليك، فإن أمير المؤمنين يحمّدُ إليك الله الذي لا إلهَ إلا هو، ويسأله أن يصلّي على جدّه محمدٍ نبيه ورسوله صلى الله عليه، وعلى الأئمة من عترته الأبرار، الطاهرين المطهرين وسلّم تسليمًا.

(١) المرجع السابق.

(٢) المرجع السابق.

(٣) ابن ميسر - أخبار مصر، ص ٤٩.

أما بعدُ، فالحمدُ لله المَلِكُ العَظِيمُ، العَلِيمُ الحَلِيمُ، ذِي الطَّوْلِ الكَرِيمِ،  
وَالْمَنِّ الجَسِيمِ؛ وَالعِزِّ المَدِيدِ، وَالْمَحَالِ الشَّدِيدِ؛ وَلِيِّ الحَقِّ وَنَصِيرِهِ، وَمَاحِقِ  
البَاطِلِ وَمُبِيرِهِ؛ المَتَكَفِّلِ بِالنَّصْرِ وَالتَّمَكِينِ، وَالتَّأْيِيدِ وَالتَّحْصِينِ، لِأَوْلِيَائِهِ  
الْمُتَّقِينَ، وَخَلْفَائِهِ المِصْطَفِينَ الذَّابِتِينَ عَن دِينِهِ، وَالقَائِمِينَ بِحَقِّهِ، وَالدَّالِّينَ عَلى  
تَوْحِيدِهِ؛ الحَاكِمِ بِإِعْلَاءِ كَلِمَتِهِمْ، وَإِفْلَاحِ حُجَجِهِمْ وَظُهُورِهِمْ عَلى أَعْدَائِهِ  
المُشَاقِّينَ لَهُ، الضَّالِّينَ عَن سَبِيلِهِ، المُلْحِدِينَ فِي آيَاتِهِ، الجَاحِدِينَ نِعْمَهُ، المُنزَلِ  
رِجْزِهِ، وَقَوَارِعِ بِأَسِهِ عَلى مَن عَصَاهُ فَحَادَهُ، وَصَدَّ عَنْهُ فَنَادَهُ، القَاضِي بِالعَوَاقِبِ  
الحُسْنَى وَالفُوزِ وَالتَّعْمَاءِ لِمَن أَسْلَمَ وَجْهَهُ لَهُ وَتَوَكَّلَ عَلَيْهِ فِي أَمْرِهِ، وَفَوَّضَ إِلَيْهِ  
حُكْمَهُ؛ كُلُّ ذَلِكَ فَضْلاً مِنْهُ وَعَدْلاً، وَقَضَاءً فَضْلاً؛ وَهُوَ الحَكَمُ العَدْلُ الَّذِي لَا  
يَظْلُمُ النَّاسَ شَيْئاً وَلَكِنَّ النَّاسَ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ. فَتَبَارَكَ اللَّهُ الغَالِبُ عَلى أَمْرِهِ  
الْفَرْدُ فِي مَلِكِهِ؛ سَبْحَانَهُ وَتَعَالَى عُلُوّاً كَبِيراً. وَالحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَبْتَعَثَ عَبْدَهُ  
المِصْطَفَى، وَأَمِينَهُ المَرْتَضَى؛ مَن أَكْرَمَ سَنخَ وَنَبْعَهُ، وَأَظْهَرَ مِلَّتَهُ وَشِرْعَهُ فِي  
أَفْضَلِ دَهرٍ وَعَصْرٍ؛ وَأَنزَلَ عَلَيْهِ كِتَاباً مِنْ وَحْيِهِ حَكِماً غَيْرَ ذِي عِوَجٍ قِيماً بِدِيعِ  
النِّظَامِ، دَاخِلاً فِي الأَفْهَامِ، خَارِجاً عَن جَمِيعِ الكَلَامِ، لَيْسَ كَسَجْعِ الكَهَّانِ، وَلَا  
كَتْحِيرِ ذَوِي اللِّسَنِ وَالبَيَانِ؛ وَقَدْ تَفَرَّقَتْ بِالأُمَمِ أَهْوَاؤُهُمْ، وَتَوَزَعَتْهُمُ آرَاؤُهُمْ،  
فَضَلَّتْ أَحْلَامُهُمْ وَعَمِيَتْ أَفْهَامُهُمْ وَأَسْتَحْوَذَ عَلَيْهِمُ الشَّيْطَانُ، فَعَبَدُوا الأَصْنَامَ  
وَالأوثَانَ؛ جَهْلاً بِعِبَادَةِ الرَّحْمَنِ، فَدَعَاهُمْ إِلَى الإِقْرَارِ بِإِلَهِيَّتِهِمْ، وَعَرَفَهُمْ وَحْدَانِيَّةَ  
رَبِّهِمْ وَكَانَ حَرِيصاً عَلى إِرْشَادِهِمْ، جَاداً فِي الاجْتِهَادِ، هَاجِراً لِلدَّعَةِ وَالمِهَادِ؛  
صَابِراً عَلى تَكْذِيبِ المُشْرِكِينَ، وَتَفْنِيدِ المُلْحِدِينَ؛ يَنْصَحُ لَهُمْ فَيَسْتَكْبِرُونَ،  
وَيَهْدِيهِمْ فَيَضِلُّونَ، وَيَحْذَرُهُمْ فَيَسْتَهْزِئُونَ؛ حَتَّى ظَهَرَ دِينُ اللَّهِ فَسَمَا، وَطُمَسَ  
الكُفْرُ فَانْمَحَقَ وَعَفَا؛ وَعَمَّتْ بَرَكَتُهُ، وَفَضَّلَتْ عَلى الأُمَمِ أُمَّتَهُ، وَعَلَتْ عَلى  
المَلَلِ مِلَّتَهُ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ أَفْضَلُ صَلَاةِ المِصْلِيِّينَ، وَزَادَهُ شَرَفاً فِي العَالَمِينَ إِلَى  
يَوْمِ الدِّينِ.

وَالْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي حَبَا أَمِيرَ المُؤْمِنِينَ وَأَنْتَخَبَهُ لِخِلاَفَتِهِ، وَجَعَلَهُ صَفِيَّةً مِنْ  
خَلْقِهِ وَأَمِينَهُ عَلى عِبَادِهِ وَهَادِيّاً إِلَى سَبِيلِهِ، قَائِماً بِحَقِّهِ، مَقْسِطاً فِي أَرْضِهِ؛ ذَابِئاً  
عَن دِينِهِ، مَخِيئاً مَا أَمَاتَهُ أَهْلُ الكُفْرِ مِنْ أَحْكَامِهِ؛ وَأَيَّدَهُ بِنَصْرِهِ، وَأَمَدَّهُ بِقُوَّتِهِ؛

وتكفّل له بالنّجح في مسعاه، والظفر بمبتغاه، ونيل طلبته فيما أمّه وأرتآه. وحكم بكبّت كل عدوّ له وخزيهم، وإذلالهم ومحقهم وخذلهم، وإيهان كيدهم؛ وضرب الذلّة عليهم حيث كانوا وأين كانوا؛ فلا ينق ناعق منهم بطلال، أو يسعى بفسق وخبال؛ أو يدفع إلى أفتراء عليّ الله أو مروق عن دينه أو إذهاب ما فرض الله عز وجل من طاعةٍ إلا أصطلمه وأخزاه، وأكبّه لوجهه وأرداه، وقضى عليه بالشّقوة في دنياه، وعذاب الآخرة في أخراه.

والحمد لله الذي منح فأجمل، وأعطى فأجزل؛ من نِعْمه السابغة، والآئهِ المتتابعة؛ التي لا يوازيها شكر، ولا يدركُ كُنْهها ذكر؛ حمداً يُوجب منه المزيد، ويستدعي المنن والتّجديد؛ وإليه يرغبُ أمير المؤمنين خاضعاً ويسأله راغباً حسن العون على ما بلغ رضوانه، وأمترى فضله وإحسانه. وتقدّم أمير المؤمنين إليك بما هيّأه الله من وصوله إلى مدينة الرملة على أجمل صنع والطف كفاية، وأتمّ أمن، وأكمل عزّ وأوطد حال، وأحسن أنتظام، وأبسط يد، وأظهر قدرة، وأشمل هيبة؛ وبما أولى الله أمير المؤمنين في حله وطعنه، وأرتحاله وتوآئه، من نِعْمه العميمة، ومواهبه الجسيمة؛ ومنحه الجليّة، ومننه الجزيلة؛ وأنه مما يستغرق الحمد والشكر، ويفوت الإحصاء والنّشر، وذكر أمير المؤمنين أمر اللعين التركي وهربه من بين يديه، وأنه لم يلو على شيء إلى أن بلغ طبرية للذي تداخله من الفرق، وأستولى عليه من القلق؛ ولما سكن قلبه من الرّعب، وحشاه من الرّهب؛ بقصد أمير المؤمنين إياه وإغذاه السير في طلبه ومواصلته الأسباب، ومتابعته الإداب. ووصف أمير المؤمنين ما عليه عزمه في تتبّعه وأقتفاء أثره، والحلول بعقوته حيث قصد وحل، لثقتّه بالله ربّه، وتوكّله عليه، وتفويضه إليه. ولم يزل جلّ وعزّ يولي أمير المؤمنين - بعد نفوذ كتابه - من عزّ يؤيده، وظفر يؤكّده، ونصر يوطئه؛ وآلاء يجددّها، ومواهب يتابعها، وعدو يذله، ومناو يقله؛ وشاردٍ يصرفه إلى طاعته، ومارق يعيده إلى موالاته؛ إلى أن تمّ له من ذلك ما واصل به حمد الله عليه، وتهياً له ما تواتر شكره له جلّ وعزّ فيه وكان مع ذلك مواصلاً إلى اللعين الإعدار، ومتابعاً الإنذار؛ ومحدّراً له ما يُعذر، ومستدعيه إلى ما يُختار ويؤثر؛ وممنياً له مما يمني به مثله من العفو عنه، وتغمّد ما جرى منه؛ والإقالة لعثرته، والتجاوز عن هفوته؛ والامتنان عليه



بما رغب فيه من تقليده ناحيةً من نواحي الشام، وإدراك الأرزاق عليه وعلى رجاله وأصحابه؛ وإيثاره بالفضل الجليل، وأختصاصه بالطول الجزيل. فما نجح في الفاسق وعد، ولا نجح فيه وعظ، ولا وفق إلى قبول حظ؛ ولا أصغى إلى قبول تذكرة، ولا أناب إلى تبصرة. وما زال جاداً في تهوُّكه، متمادياً على تمهِّكه؛ جارياً على ضلَّالته، سالكاً سبيل عمائته؛ متردداً في غوايته، متلذداً في جهالته؛ مقدرراً أن بأس الله لا يرهقه، وسطوته لا تلحقه، ورجزه لا يحققه، وذنوبه لا تُرهقه، وأجرامه لا تُوبقه. وما زال اللعين في خلال ذلك ييسط آمال العرب ويرجِّيها، ويرغبها ويمنيها؛ بأقوال كاذبة، وآمال خائبة؛ ومواعيد باطلة؛ حتى أصغى أكثرها إلى غروره، وقبول إفكه وزوره؛ وأجابته طائفة طاغية، ووصلت إليه متتابعة؛ فتوفَّر جمعه، وكثر عدده وأشدَّت طمعه، وقوي أمله؛ وتمكَّن له باستدراج الله إياه وغضبه عليه أن يورِّط عصبته ومن أختدعه بغيه وأستفزه معه جهله؛ ويوردهم جميعاً ونفسه الرذلة مورداً لا صدر له، ولا علل بعده؛ فخرج من طبرية وحلَّ بيسان، محلَّ الخزي والهوان؛ فعندها أنتهى إلى أمير المؤمنين خبره وهو يومئذ في المنهل، الذي حصل فيه بعد رحيله من الرملة وهو الموضع المعروف بالطواحين. فعندما قرب أستجرار الفاسق اللعين، وأعتمد ما يعود بأطماعه، أقام في الموضع أياماً ناظراً فيما يحتاج إليه، متأهباً لما يُريده، وكان ذلك هو السبب الذي أطمعه. فبعد ما طمع قاده الحين الغالب، والقدر الجالب؛ وما أراد الله عز وجل من أستدراجه إلى موضع نكاله، ومنهل وباله؛ ورحل من بيسان رحيل من أستعجلته البلية، وأستدعته الرزية؛ فحلَّ بموضع يُعرف بكفر سلام، كافراً بحدود الإسلام، متجرئاً على الله محارباً لنجل نبيه عليه السلام؛ وأقام بها متلذداً في حيرته، متردداً في سكرته؛ ثم أستجَّره شؤمه، وقاده حينه ولؤمه؛ إلى أن رحل فنزل بكفر سابا البريد، فأنبأه أسمها بما حلَّ به من السبي المبيد والخزي الشديد؛ ثم لم يلبث أن ضرب مضاربه المأكولة، ونصب أعلامه المخذولة، وأقام صفوفه المفلولة؛ وأظهر آلة الحرب إقداماً، وأخفى عن اللقاء إحجاماً.

فأمر أمير المؤمنين بتزيين العساكر المنصورة والجيوش المظفرة وتعبئتها على مراتبها، وترتيبها على مواكبها؛ وتقدِّم إلى قوادها أن لا يمشوا إلا صفّاً،



ولا يسيروا إلا زحفاً، وعرفهم أنه سيسير بنفسه، ويقصد اللعين بموكبه وجمهوره ومن معه من حماة رجاله؛ وأنه لا يثنيه عن الفاسق ثاني ولا يصرفه عن الاقتحام صارف؛ فبدا من عزائمهم، وشدة شكائهم، وخلوص بصائرهم، وسكون أفئدتهم، وثبات أقدامهم، ما كانت به دلائل النصر واضحة وشواهد الفلج لائحته؛ وعلامات الفتح ظاهرة، وآيات النجح باهرة؛ فمشوا على ما أمروا، وساروا على ما سيروا؛ فعندما دنوا من عدو الله أصابوه للجلاد معداً، وفي المحاربة مجداً؛ وأستخاروا الله عز وجل وتدانوا للثلاق، والأخذ بالنواصي والأعناق؛ وقامت الحرب على ساق، وتجرع منها أمرٌ مذاق؛ فاستطار شرارها، وتأججت نازها؛ وأرتفع دخانها، وعظم شأنها؛ والتزم الأقران بالأقران، وأشدت الضرب والطعان؛ إلى أن مشى أمير المؤمنين بنفسه، وجمهور موكبه؛ متوكلاً على الله، مانئاً إليه بجده محمد ﷺ، متوسلاً بمتقدم وعده، وسالف إنعامه عنده، وقصد اللعين غير متلوم عن مصادمته، ولا معرج عن ملاحمته؛ فقويت نفوس أوليائه وعبيده، ومن أشتملت عليه عساكره المنصورة، وجيوشه المظفرة بما تبيّنه من إقدامه، وشاهدوه من أعتزاه؛ وحملوا على الفاسق وأحزابه؛ وقذف الله في قلوبهم الرعب فتزلزلت أقدامهم، وأرغشت أيديهم ونحبت أفئدتهم، وولوا الدبر منهزمين، ومنحوا ظهورهم مولين؛ وأفترقوا ثلاث فرق: فرقة قتلت في المعركة، وصرعت في الملحمة؛ فاحتزت رؤوسهم، وفرقة أحست وقع السيوف وإرهاق الحثوف؛ فاستأمنت تحت الذلة والصغار، والغلبة والافتقار، فبقيت عليهم الأرواح، وحقت منهم الدماء. وفرقة أسرت أسراً، وقيدت قياداً؛ وهرب التركي اللعين رئيس ضلالتهم، وعميد كفرهم؛ في شريذمة من أصحابه، فظن أن ذلك من بأس الله ينجيهِ، ومن الأخذ بكظمه يوقيه، هيهات! كما قال الله عز وجل: ﴿هِيَآتَ هِيَآتَ لِمَا تُوعَدُونَ﴾، ﴿إِنْ كَانَتْ إِلَّا صَيْحَةً وَاحِدَةً فَإِذَا هُمْ جَمِيعٌ لَدَيْنَا مُحْضَرُونَ﴾ فأتبعه سرعان الخيل وخيف الرجال؛ مع مفرج بن دغفل بن جراح، فأخذه قبضاً وأتى به قوداً أسيراً من غير عهد، وذليلاً من غير عقد؛ وأستولى أهل العساكر المنصورة، والجيوش المظفرة؛ على مناخه وسواده، وما كان فيه من مال وأثاث وكراع ومتاع؛ وقليل وكثير، وجليلى وحقير؛ فحازوه وأسسعوا به، وأكثروا من حمد



الله، وأنصرفوا إلى معسكرهم سالمين، بالمغنم والظفر آمين؛ لم يكلم منهم أحد، ولم ينقص لهم عدد؛ وكان جملة ما أتوا به معهم من رؤوس الفسقة زائداً على ألف رأس، ومن أسراهم ثمانمائة أسير، غير من أسْتُؤ من وقت الإيقاع بهم، ولم يفلت من الفسقة إلا من هرب بحُشاشة نفسه مع من لاءم التركي اللعين، وصاحب عقده ومورّطه في هلاكه، وقائده إلى نغماته، وسائقه إلى موبقاته؛ وهو كاتبه المعروف بابن الحمارة، فلحق بطبرية فقتل هو وجل من كان معه وأحترز رأسه وأُتِيَ به، فكمُلت النعمة، وتمت الموهبة؛ وتجدد حمداً أمير المؤمنين وأتصل شكره، لما أولاه من جليل عطائه وكريم حباه، وسني آلائه. وكان ما آناه الله من عظيم آياته، وأكبر شواهد، وأختصاص الله إياه وأنتخابه له؛ فالحمدُ لله! ثم الحمدُ لله! ثم الحمدُ لله رب العالمين على عطائه الهني، وحباه السني؛ وما أيد أمير المؤمنين، وأعز الدين، وقمع المشركين؛ إذ كان الفاسق اللعين، التركي الغوي المبين؛ ثلّة من ثلثهم وركنا من أركانهم، وحبزاً من أحزابهم، ووثناً من أوثانهم، وطاغية من طواغيتهم؛ ولم يكن لهم في بلد المسلمين يد تصد عنهم بأس غيرهم، ولا عضد يدفعون بها سواه. وأمير المؤمنين يرغب إلى الله عز وجل أن يوزعه الشكر على ما أولاه، ويوجده سبيلاً إلى بلوغ مبتغاه؛ من إعزاز الملة والدين، وإحياء شريعة جدّه سيد المرسلين؛ ومجاهدة التُّرك والمشركين، وقمع الظالمين والقاسطين والمارقين؛ حتى يكون الدين كله لله، ويجمع القلوب على طاعته بإذن الله.

أمر أمير المؤمنين بتعريفك ذلك، وتلخيص الكتاب إليك، لتقف عليه وتُدعيه، وتشهره فيما قبلك؛ وتحمد الله على ما منح أمير المؤمنين من النصر، ومكّنه من الظفر. فاعلمه إن شاء الله تعالى، والسلام عليك ورحمة الله وبركاته. وكتب يوم الخميس لخمس ليال بقين من المحرم سنة سبع وستين وثلاثمائة<sup>(١)</sup>.

كان العزيز أول من اتخذ من أهل بيته وزيراً اسمه على الطرز وقرره باسمه، وأول من لبس منهم الخفتان والمنطقة، وأول من اتخذ منهم الأتراك واصطنعهم وقود منهم، وأول من رمى منهم بالنشاب، وأول من ركب منهم

(١) القلقشندي - صبح الأعشى ج ٦، ص ٤٣٣.

بالذوابة الطويلة والخك وضرب بالصوالجة وعمل بالرمح، وأول من عمل مائدة في رمضان يظفر عليها أهل الجامع العتيق، وأقام طعاماً في جامع القاهرة لمن يحضر في رجب وشعبان ورمضان، واتخذ الحمير لركوبه أياماً مفردة من غيره<sup>(١)</sup>.

مات العزيز في ٢٨ رجب سنة ٣٨٦هـ - ٩٩٦م بمدينة بليس وحمل إلى القاهرة. وقام بعده ابنه الحاكم بأمر الله، أبو علي منصور أغرب شخصية في التاريخ. وأشدها غموضاً.

في عهده، كتبت ببغداد، سنة ٤٠٢هـ - ١١١١م، محاضر تتضمن الطعن والقدح في نسب الفاطميين بأمر من الخليفة العباسي.

وصل إلينا من هذه المحاضر صيغتان تقول إحداهما: إن الحاكم بمصر هو منصور ابن نزار الملقب بالحاكم، حكم الله عليه بالبوار والخزي والعار، ابن مسعد بن إسماعيل بن عبدالله بن سعيد لا أسعده الله فإنه لما صار إلى بلاد المغرب تسمى بعبيد الله، وتلقب بالمهدي، وإن من تقدم من سلفه أدياء خوارج لا نسب لهم في ولد علي بن أبي طالب ولا يتعلقون بسبب وإنه منزه عن باطلهم، وإن الذي ادعوه إليه باطل وزور، وإنهم لا يعلمون أحداً من أهل بيوتات علي بن أبي طالب توقف عن إطلاق القول في أنهم خوارج كذبة، وقد كان هذا الإنكار لباطلهم شائعاً في الحرمين، وفي أول أمرهم بالمغرب منتشرأ انتشاراً يمنع أن يدلس أمرهم على أحد، أو يذهب وهم إلى تصديقهم فيما ادعوه، وإن هذا الحاكم بمصر هو وسلفه كفار فساق فجار، ملحدون زنادقة، معطلون، وللإسلام جاحدون، ولمذهب المجوسية والثوية معتقدون، وقد عطلوا الحدود وأباحوا الفروج، وأحلوا الخمر وسفكوا الدماء، وسبوا الأنبياء، ولعنوا السلف، وادعوا الربوبية<sup>(٢)</sup>.

أما الصيغة الثانية فهي: هذا ما شهد به اليهود أن معد بن إسماعيل بن

(١) ابن ميسر - أخبار مصر ص ٥٢.

(٢) ابن كثير - البداية والنهاية ج ١١، ص ٣٤٥.

عبد الرحمن بن سعيد منتسب إلى ديصان بن سعيد الذي ينسب إليه الديصانية وأن هذا الناجم بمصر هو منصور بن نزار الملقب بالحاكم حكم الله عليه بالبور والدمار بن معد بن إسماعيل بن عبد الرحمن بن سعيد لا أسعده الله، وأن من تقدمه من سلفه الأرجاس الأنجاس عليهم لعنة الله ولعنة اللاعنين أذعياء خوارج لا نسب لهم في ولد علي بن أبي طالب رضي الله عنه. وأن ما ادعوه من الانتساب إليه زور وباطل. وأن هذا الناجم في مصر هو وسلفه كفار وفساق زنادقة ملحدون معطلون وللإسلام جاحدون أباحوا الفروج وأحلوا الخمر وسبوا الأنبياء وادعوا الربوبية<sup>(١)</sup>.

في عهد الحاكم كان خروج أبي ركوه. وهو أموي من ذرية هشام بن عبد الملك. كان يحمل الركوه في السفر ويتزهّد، وقد لقي المشايخ، وكتب الحديث، ودخل الشام واليمن وهو من خلال ذلك، يدعو إلى القائم من بني أمية ويأخذ البيعة عمن يستجيب له، ثم جلس مؤدباً، واجتمع عنده أولاد العرب فاستولى على عقولهم وأسرى إليهم أنه الإمام، ولقب نفسه الثائر بأمر الله. وكان يخبرهم بالمغيبات، ويمرق عليهم. ثم إنه حارب متولي تلك الناحية من المغرب. وظفر به، وقوي بما اجتمع له من العسكر ونزل ببرقة وطمع فيها. وضرب السكة باسمه ولعن الحاكم فجهز الحاكم لحره ستة عشر ألفاً فظفروا به وأتوا به إلى الحاكم فقتله ثم قتل قائد الجيش الذي ظفروا به<sup>(٢)</sup>.

أقيمت للحاكم الدعوة بالموصل من قبل صاحب الموصل قرواش. ثم سار قرواش إلى الكوفة فأقام بها الخطبة للحاكم وبالمدائن وذلك في سنة ٤٠١هـ/١٠١٠م<sup>(٣)</sup> كان الحاكم محباً للعمران، بنى الجامع الحاكمي على القرب من باب الفتوح، كما بنى جامع راشد جنوب الفسطاط، وأنشأ عدة مساجد بالقرافة. وجامع المقس على شاطى النيل. ونقل إلى الجامع الضيق بالفسطاط وغيره من الجوامع المصاحف وآلات الفضة والستور ما له قيمة جليلة.

(١) أبو الفداء - المختصر في أخبار البشر، أخبار سنة ٤٠٢هـ.

(٢) الذهبي - العبر في خبر من غير ج ٣، ص ٦٤.

(٣) المرجع السابق ص ٧٦.



من أهم مآثره العمرانية بناء دار الحكمة. ووقف لها ولجامع الأزهر أموالاً كثيرة، وفيما يلي نص الوقفية<sup>(١)</sup>:

هذا كتاب أشهد قاضي القضاة مالك بن سعيد بن مالك الفارقي على جميع ما نسب إليه مما ذكر ووصف فيه من حضر من الشهود في مجلس حكمه وقضائه بفسطاط مصر في شهر رمضان سنة أربعمائة، أشهدهم وهو يومئذ قاضي عبد الله ووليه المنصور أبي علي الحاكم بأمر الله أمير المؤمنين ابن الإمام العزيز بالله صلوات الله عليهما، على القاهرة المعزية ومصر والإسكندرية والحرمين حرسهما الله وأجناد الشام والرقبة والرحبة ونواحي المغرب وسائر أعمالهن وما فتحه الله ويفتحه لأمر المؤمنين، من بلاد الشرق والغرب بمحضر رجل متكلم، أنه صحت عنده معرفة المواضع الكاملة والحصص الشائعة، التي يذكر جميع ذلك ويحددها هذا الكتاب، وأنها كانت من أملاك الحاكم إلى أن حبسها على الجامع الأزهر بالقاهرة المحروسة، والجامع براشدة والجامع بالمقس اللذين أمر بإنشائهما وتأسيس بنائهما، وعلى دار الحكمة بالقاهرة المحروسة التي وقفها والكتب التي فيها قبل تاريخ هذا الكتاب، منها ما يخص الجامع الأزهر والجامع براشدة ودار الحكمة بالقاهرة المحروسة مشاعاً، جميع ذلك غير مقسوم ومنها ما يخص الجامع بالمقس على شرائط يجري ذكرها؛ فمن ذلك ما تصدق به على الجامع الأزهر بالقاهرة المحروسة والجامع براشدة ودار الحكمة بالقاهرة المحروسة، جميع الدار المعروفة بدار الضرب وجميع القيسارية المعروفة بقيسارية الصوف وجميع الدار المعروفة بدار الخرق الجديدة، الذي كله بفسطاط مصر، ومن ذلك ما تصدق به على جامع المقس أربعة الحوانيت والمنازل التي علوها والمخزين، الذي ذلك كله بفسطاط مصر بالراية في جانب الغرب من الدار المعروفة بدار الخرق، وهاتان الداران المعروفتان بدار الخرق في الموضع المعروف بحمام الفار، ومن ذلك جميع الحصص الشائعة من أربعة الحوانيت المتلاصقة التي بفسطاط مصر بالراية أيضاً بالموضع المعروف بحمام الفار، وتعرف هذه الحوانيت بحصص القيس بحدود ذلك كله وأرضه وبنائه

(١) المقرئ - الخطط (الطبعة الأهلية) ج٤، ص ٤٩.

وسفله وعلوه وغرفه ومرتفقاته وحوانيتها وساحاته وطرفه وممراته ومجاري مياهه وكل حق هو له داخل فيه وخارج عنه، وجعل ذلك كله صدقة موقوفة محرمة محبسة بته تبلة لا يجوز بيعها ولا هبتها ولا تمليكها باقية على شروطها جارية على سبيلها المعروفة في هذا الكتاب لا يوهنها تقادم السنين ولا تُغَيَّرُ بحدوث حدث، ولا يستثنى فيها ولا يتأول ولا يستفتى بتجدد تحسيسها مدى الأوقات، وتستمر شروطها على اختلاف الحالات حتى يرث الله الأرض والسماوات، على أن يؤجر ذلك في كل عصر من ينتهي إليه ولايتها ويرجع إليه أمرها، بعد مراقبة الله واجتلاب ما يوفر منفعتها، من إشهارها عند ذوي الرغبة في إجارة أمثالها فيبتدىء من ذلك بعمارة ذلك على حسب المصلحة وبقاء العين ومرمته من غير إجحاف بما حبس ذلك عليه، وما فضل كان مقسوماً على ستين سهماً، فمن ذلك للجامع الأزهر بالقاهرة المحروسة المذكور في هذا الإسهاد الخمس والثلثون ونصف السدس ونصف التسع، يصرف ذلك فيما فيه عمارة له ومصصلحة وهو من العين المعزى الوازن ألف دينار واحدة وسبعة وستون ديناراً ونصف دينار وثمان دينار، من ذلك للخطيب بهذا الجامع أربعة وثمانون ديناراً ومن ذلك لثمن ألف ذراع حصر عبدانية تكون عدة له بحيث لا ينقطع من حصره عند الحاجة إلى ذلك، ومن ذلك لثمن ثلاثة عشر ألف ذراع حصر مظفورة لكسوة هذا الجامع في كل سنة عند الحاجة إليها مائة دينار واحدة وثمانية دنانير، ومن ذلك لثمن ثلاثة قناطير زجاج وفراخها اثنا عشر ديناراً ونصف وربع دينار، ومن ذلك لثمن عود هندي للبخور في شهر رمضان وأيام الجمع من ثمن الكافور والمسك وأجرة الصانع خمسة عشر ديناراً، ومن ذلك لنصف قنطار شمع بالفلفلي سبعة دنانير، ومن ذلك لكنس هذا الجامع ونقل التراب وخياطة الحصر وثمان الخيط وأجرة الخياطة خمسة دنانير، ومن ذلك لثمن مشاقة لسرج القناديل عن خمسة وعشرين رطلاً بالرطل الفلفلي دينار واحد، ومن ذلك لثمن فحم للبخور عن قنطار واحد بالفلفلي نصف دينار ومن ذلك لثمن أردبين ملجاً للقناديل ربع دينار، ومن ذلك ما قدر لمؤونة الناس والسلاسل والتنانير والقباب التي فوق سطح الجامع أربعة وعشرون ديناراً ومن ذلك لثمن سلب ليف وأربعة أحبل وست دلاء آدم نصف دينار، ومن ذلك لثمن قنطارين خرقةً لمسح القناديل

نصف دينار، ومن ذلك لثمن عشر قفاف للخدمة وعشرة أرتال قنب لتعليق القناديل ولثمن مائتي مكنسة لكنس هذا الجامع دينار وربع دينار، ومن ذلك لثمن أزيار فخار تنصب على المصنع ويصب فيها الماء مع أجرة حملها ثلاثة دنانير، ومن ذلك لثمن زيت وقود هذا الجامع راتب السنة ألف رطل ومائتا رطل من أجرة الحمل سبعة وثلاثون ديناراً ونصف. ومن ذلك لأرزاق المصلين يعني الأئمة وهم ثلاثة وأربعة قومة وخمسة عشر مؤذناً خمسمائة دينار وستة وخمسون ديناراً ونصف، منها للمصلين ولكل رجل منهم ديناراً وثلاثاً ديناراً في كل شهر من شهور السنة والمؤذنون والقومة لكل رجل منهم ديناران في كل شهر ومع ذلك للمشرف على هذا الجامع في كل سنة أربعة وعشرون ديناراً، ومن ذلك لكنس المصنع بهذا الجامع ونقل ما يخرج منه الطين والوسخ دينار واحد، ومن ذلك لمرمة ما يحتاج إليه في هذا الجامع في سطحه وأترابه وحياطته وغير ذلك مما قدر لكل سنة ستون ديناراً ومن ذلك لثمن مائة وثمانين حمل تبين ونصف حمل جارياً لعلف رأس بقر للمصنع الذي لهذا الجامع ثمانية دنانير ونصف وثلاث دينار، ومن ذلك للتبن لمخزن يوضع فيه بالقاهرة أربعة دنانير، ومن ذلك لثمن فدانين قرط لتربيع رأس البقر المذكورين في السنة سبعة دنانير ومن ذلك لأجرة متولي العلف وأجرة السقاء والحبال والقواديس وما يجري مجرى ذلك خمسة عشر ديناراً ونصف، ومن ذلك لأجرة قيم الميضأة إن عملت بهذا الجامع إثنا عشر ديناراً. وإلى هذا انقضى حديث الجامع الأزهر وأخذ في ذكر جامع راشدة ودار العلم وجامع المقس ثم ذكر أن تنانير الفضة ثلاثة تنانير وتسعة وثلاثين قنديلاً فضة. فللجامع الأزهر تنوران وسبعة وعشرون قنديلاً ومنها لجامع راشدة تنور واثنا عشر قنديلاً وشرط أن تعلق في شهر رمضان وتعاد إلى مكان جرت عاداتها أن تحفظ به، وشرط شروطاً كثيرة في الأوقاف منها أنه إذا أفضل شيء اجتمع يشتري به ملك فإن عاز شيئاً واستهدم ولم يف الربيع بعمارة بيع وعمر به وأشياء كثيرة وحبس فيه أيضاً عدة آدر وقياسر لا فائدة من ذكرها فإنها مما خربت بمصر.

وقد غالى قوم في الحاكم ورفعوه إلى مرتبة الألوهية وهذا ما نقرؤه صراحة في شعر السلطان الخطاب ومما قاله:



يَا مَنْ أَسَمِيهِ بِالْأَلْفَاظِ مُعْتَرِفًا  
وَأَسْتَعِيرُ لَهُ مَا كُنْتُ عَنْهُ بِهِ  
إِشَارَةً لَا لِتَحْقِيقِ تَصْوُورِهِ  
إِذْ نَفِيُّ مَعْرِفَةِ التَّحْقِيقِ مَعْرِفَةٌ  
وَسَلْبُ مَا يَصِفُ الْإِنْسَانَ مِنْ صِفَةٍ  
وَكَيْفِ وَالْعَقْلُ مَهْمَا جَالَ مِلْتَمَسًا  
لَا يَسْتَطِيعُ سِوَى إِدْرَاكِ غَايَةِ مَا  
لَهُ بِهِ عَنْ تَرْقِيهِ لِيَدْرِكَ مَا  
إِذْ كَانَ فِي ذَاتِهِ عِنْدَ اللَّحَاطِ لَهَا  
حَتَّى إِذَا رَامَ إِدْرَاكَ لِمَبْدَعِهِ  
عَمَتْ بِصَائِرُ قَوْمٍ أَبْصُرُوكَ بِمَا  
فَقَالَ قَائِلُهُمْ: جِسْمٌ يَلُوحُ لَنَا  
لَا أَدْعِي فِيكَ مَا قَالُوهُ مِنْ كَذِبٍ  
بَلْ يَنْظُرُ الْمَرْءُ مِنْهُمْ فِي مِرَاءَتِهِ  
لِكَوْنِهَا قَدْ تَغَشَّى وَجْهَهَا صَدَأٌ  
وَإِنَّمَا أَنْتَ فِي قَوْلِي وَمَعْتَقِدِي  
وَمَا ظَهَرْتَ مِنَ النَّاسِوتِ أَنْتَ بِهِ  
صَفْوٌ مِنَ الصَّفْوِ شَفَّافٌ تَقْدَسُ أَنْ  
قَدْ شُقَّ مِنْ أَلْفِ الشُّقُوقِ، مِنْهُ لَنَا  
فَلَا نَرَى بِسِوَاهَا، إِذْ لَهَا صِلَةٌ  
كَمْ قَائِلٌ عِنْدَ هَذَا لِي: غُلُوتٌ، وَفِي  
يَعْدُ ذَلِكَ جَهْلًا حِينَ يَسْمَعُهُ  
وَلَوْ تَحَقَّقَ مِمَّا قَدْ نَطَقْتُ بِهِ  
لَمَا تَخَطَّى إِلَى لُومِي وَذَمِّي فِيهِ  
وَلَا سْتَأْمَ إِلَى قَوْلِي وَلَا حَ لَه  
هِيَهَاتَ مِنْ عَرَفِ الْمَنْصُورِ مَعْرِفَتِي

أَنَّ الْمَعَانِي فِيهَا عَنْهُ تَقْصِيرُ  
أَكْنِي لِيَثْبَتَهُ فِي الْعَقْلِ تَقْرِيرُ  
عَقْلٌ وَلَا جَالٌ لِي فِي ذَاكَ تَفْكِيرُ  
بِهِ، وَطَوْلُ الْعَمَى عَنْ ذَاكَ تَبْصِيرُ  
عَنْهُ إِلَيْهِ إِشَارَاتٌ وَتَعْبِيرُ  
لِذَلِكَ رَدًّا إِلَيْهِ وَهُوَ مَبْهُورُ  
فِي ذَاتِهِ، فَهُوَ فِيهَا عَنْهُ مَحْصُورُ  
فَوْقَ الْحِجَابِ حِجَابٌ عَنْهُ مَسْتَوْرُ  
بِهَا مِنَ النُّورِ أَمْرٌ فِيهِ تَحْيِيرُ  
بِالْوَهْمِ أَظْلِمَ عَنْهُ ذَلِكَ النُّورُ  
حَقِيقَةَ الْحَقِّ عَنْ مَبْصُورِهِ زُورُ  
دَمٌ وَلَحْمٌ وَتَشْكِيلٌ وَتَقْدِيرُ  
لِلْعَيْنِ أَنْيَ وَعَنْكَ الْفِكْرُ مَقْصُورُ  
تَشْكِيلِهِ، لَا سِوَاهُ مِنْهُ مَنْظُورُ  
غَدَابَهُ وَهُوَ أَعْمَى اللَّبِّ مَبْنُورُ  
مَا قَدْ تَضَمَّنَهُ فِي أَلْشَّعْرِ تَصْدِيرُ  
تَجَلِّيًّا لِهَدَانَا فَهُوَ مَشْكَورُ  
يَشُوبُ جَوْهَرَهُ الشَّفَافُ تَكْدِيرُ  
هَذَا الْقُلُوبُ الْمَضِيَّاتُ النَّحَارِيرُ  
بِهِ، تَقَرَّرَ بِهَا مِنْهُ الْعِنَاصِيرُ  
ضَمِيرُهُ لِي تَكْذِيبٌ وَتَكْفِيرُ  
بِي، وَهُوَ عِنْدِي فِيمَا قَالَ مَعْذُورُ  
مَصْرُحًا وَهُوَ فِي الْقُرْآنِ مَسْطُورُ  
مَا قُلْتُ مَا هُوَ عِنْدَ اللَّهِ مَحْظُورُ  
نُورٌ تَضِيءُ لِسَارِيهِ الْيَدِيَّاجِيرُ  
لَمْ يَكُنْ عَنْهُ لَهُ نَظْمٌ وَمَنْشُورُ



ولا وهومٌ ولا عقلٌ ولا فِكْرٌ  
 متى تحقَّقه فيهنَّ تصويرُ  
 أنَّ الوري خذلوه فهو منصورُ  
 في يوم ألقى كتابي وهو منشورُ  
 رَدَّتْ إليه وجوهاً معشرٌ بورُ  
 الإنجيل ما ضمنت فيه المزاميرُ  
 ففي العسير به لي عنه تيسيرُ<sup>(١)</sup>

ولا وهومٌ ولا عقلٌ ولا فِكْرٌ  
 ومن توألاه بالتحقيق فهو ولو  
 حسبي به، وكفى مولى ألوذبه  
 وجَّهتُ وجهي إليه لا إلى وثن  
 هو الذي كنتِ التوراةُ عنه وفي  
 عليه في كلِّ ما أرجوه معتمدي

وقال في قصيدة ثانية:

بشخصه في نفوس القوم تقريراً  
 من العلوم سترناهن تستيرا  
 بالصدق: يا حيُّ يا قيوم مشهوراً  
 باري البريةً تركيباً وتصويراً  
 شهادةً لم تكن ميناً ولا زوراً  
 إليك حمداً وتهليلاً وتكبيراً  
 وكان ذلك في القرآن مسطوراً  
 كنزاً يكون ليوم الحشر مذخوراً  
 فما أحاذر ما عمَّرت محذوراً  
 في قالب الجسم مسموعاً ومنظوراً  
 مما هم فيه من ظلماتهم نورا  
 وخالفوك وكانوا معشراً بوراً  
 إذا غدا قالبُ الأجسام مقشوراً  
 كتابه يوم ما يلقاه منشوراً  
 وحسرةً يوم يصلى النارَ مدحوراً  
 تبصراً لمعانيها وتفكيراً  
 بقولهم واتَّخذت الذكر مهجوراً

يا من نسميه تعريفاً نقرَّره  
 إشارةً ورموزاً تحتها نكتُ  
 ولو نشاء لقلنا في النداء له  
 يا عالم الغيب منا والشهادة يا  
 شهدت أنك فردٌ واحد صمدٌ  
 وجَّهت وجهي في سري وفي علني  
 عبادةً هي عين الحق خالصةً  
 تمسكاً بولاءٍ منك أذخره  
 وعصمةً علقت كفي بعروتها  
 إنني لأعجب من قوم ظهرت لهم  
 لطفاً بهم وحناناً كي تبدلهم  
 ورحمةً لهم فاستكبروا وعتوا  
 بعداً لهم وضلالاً ما اعتذارهم  
 وصادف المرء منهم عند رجعته  
 هناك يأكل كفي نفسه ندماً  
 ألا تدبَّرت آياتي لتعلمها  
 جاءتك رسلي فاستهزأت معتدياً

(١) اسماعيل قربان حسين - السلطان الخطاب ص ١١٢ .

مِثْلًا بِمِثْلٍ جِزَاءً كَانَ مَوْفُورًا  
مِنَ الطَّوَاغِيَتِ وَالْأَجْبَاتِ مَنْصُورًا  
كِنَايَةً عَنْهُ لَا تَحْتَاجُ تَفْسِيرًا  
بِقَوْلِنَا لَكَ تَقْدِيمًا وَتَأْخِيرًا  
تَدْعَى بِهِ عِنْدَ أَهْلِ الْعِلْمِ مَذْكَورًا  
فَإِنَّ، سَوَى وَجْهِهِ عَكْسًا وَتَغْيِيرًا  
خَلْقًا وَأَمْرًا وَإِيمَارًا وَمَأْمُورًا  
عِلْمٌ أَدَارُ بِهَا الْأَفْلاكُ تَدْوِيرًا  
فَرشًا وَقَدَّرَ فِيهَا الرِّزْقَ تَقْدِيرًا<sup>(١)</sup>

فَالْيَوْمُ تَجْزَى بِمَا قَدَّمْتَ مِنْ عَمَلٍ  
يَا أَمْرًا بِحَقْوَقِ اللَّهِ مَنْتَصِرًا  
أَبَا عَلِيٍّ إِمَامِ الْعَصْرِ نَاطِقَهُ  
جَرِيًّا عَلَى الْعَادَةِ الْأُولَى وَتَسْمِيَةً  
لَا نَدَّعِي أَنَّهَا أَقْصَى نَهَايَةِ مَا  
أَنْتَ الَّذِي كُلُّ شَيْءٍ نَحْنُ نَعْلَمُهُ  
أَنْتَ الَّذِي فَطَرَ الْأَشْيَاءَ قَاطِبَةً  
أَنْتَ الَّذِي سَمَكَ السَّبْعَ الشَّدَادَ عَلَى  
أَنْتَ الَّذِي سَطَحَ الْأَرْضَ الْمَهَادَلَنَا

فقد الحاكم في ليلة السابع والعشرين من شوال سنة ٤١١ هـ -  
١٠٢٠ م. وقيل إنه قتل بتدبير من أخته ست الملك الفاطمية. وبرأينا أنه قتل  
على يد الذين غالوا فيه، وأخفيت جثته لإعطاء غيبته رمزاً دينياً. وكان هؤلاء من  
الدهاء بحيث أبعثوا الشبهات عنهم وانصبت على أخته. تقول رواية قتله إنه لما  
استأثر بالسلطة، واندفع في تيار العنف اندفاعاً كبيراً، وأسرف في القتل وإصدار  
الأحكام والقوانين الشاذة، كانت ست الملك تعترضه، وتسدي إليه النصيح،  
وتحذره من العواقب. ولما لم يستجب إلى نصحتها اتصلت بزعيم كتامة الحسين  
ابن دؤاس وكان من أشد الناقمين على الحاكم لأنه مال على كتامة وسلبها  
نفوذها، واتفقت معه على قتل الحاكم، وأخذت عليه ميثاقاً بالوفاء والكتمان،  
ووعده بأنه سيكون مدبر الدولة وصاحب الكلمة العليا في شؤونها. ورتب  
الحسين خطته، وعهد بتنفيذها إلى عبيد من أخلص عبيده، فخلعت عليهما  
ست الملك ووهبتها مالاً وخيلاً وغيرها وزودتهما بسكّين ماضيين. وفي ليلة  
الاثنين ٢٧ شوال سنة ٤١١ هـ - ١٠٢٠ م خرج الحاكم كعادته ليلاً إلى المقطم  
لرصد النجوم. وكان مغرمًا بذلك، فلما توغل وطال تجواله حتى الفجر. خرج  
عبدا الحسين من مكمنهما وكانا يرصدان حركاته، فانقضا عليه وقتلاه، وقتلا  
الركابي الذي كان يرافقه، وقطعا قوائم الحمار، وحملا جثة الحاكم إلى سيدهما

(١) المرجع السابق ص ١١٢.

في كساء فحملها إلى ست الملك، فدفتته في نفس مجلسها، واتخذت كل أهبة لإخفاء الجريمة وتدبير ما يجب لجلوس الخليفة الجديد. وقامت بتنصيب ولد أخيها أبي الحسن علي، الظاهر لإعزاز دين الله مكان أبيه وهو فتى يافع لم يتجاوز السابعة عشرة من عمره<sup>(١)</sup> وبويع بالخلافة يوم عيد النحر سنة ٤١١/هـ - ١٠٢٠م ولم يكن له من الخلافة غير اسمها وكان المتصرف بالدولة الشريف الكبير العجمي والشيخ نجيب الدولة الحرحرائي والشيخ العميد محسن ابن بدوي والقائد معضاد. وكان لا يدخل عليه أحد سواهم.

وفي عهده كثر اضطراب الناس واشتد الغلاء بمصر وتفشت الأمراض وكثر الموت في الناس وفقد الحيوان، وأصبح الناس في مصر، بفعل هذه الأحداث، في أقبح حال من الأمراض والموتان وشدة الغلاء وعدم توفر الأقوات.

وخرجت بلاد الشام عن سلطة الخليفة الفاطمي بعد أن استولى عليها الأمير حسان بن مفرج الطائي، شيخ عربان جبل نابلس، وأخذ صالح ابن مرداس حلب.

وفي المقابل كثر دعاة الظاهر في بغداد، وكان بثهم سنة ٤٢٥/هـ - ١٠٣٣م عند اختلاف الأتراك فكثروا واستجاب لهم خلق كثير.

توفي الظاهر سنة ٤٢٧/هـ - ١٠٣٥م فبويع بعده ولده المستنصر بالله، أبو تميم معد وشهد عهده اضطرابات كثيرة.

ففي العام ٤٤٠/هـ - ١٠٤٨م وقيل ٤٤٣/هـ - ١٠٥١م أقام المعز ابن باديس بالمغرب الدعوة للقاء بأمر الله العباسي، وخلع طاعة المستنصر، فبعث المستنصر جيشاً من العرب يحاربونه، وكان ذلك أول دخول العربان إلى أفريقيا وهم بنو رياح وبنو زغبة<sup>(٢)</sup>.

كما خرج عن طاعته أيضاً عرب البحيرة بني قره والصلحيين، فأرسل

(١) محمد عبد الله عنان - تراجم إسلامية ص ٣٤.

(٢) الذهبي - العبر في خبر من غبر ج ١، ص ١٩٣.

عليهم عسكرياً وقتل منهم خلقاً كثيراً، وحملت الرؤوس إلى القاهرة ومعها أموال كثيرة.

وأقام البساسيري الدعوة له ببغداد سنة ٤٥٠هـ - ١٠٥٨م بعد محاربتة أهلها حرباً شديدة ودامت الخطبة سنة ثم أعيدت للقائم، الخليفة العباسي، بعد قتل البساسيري. وكان خطب له قبل ذلك في الكوفة وواسط والموصل. وخطب له سنة ٤٦٨هـ - ١٠٧٥م بمكة والمدينة وكانت الخطبة قد انقطعت بها خمس سنين. ومن أهم الأحداث التي شهدتها عهد المستنصر، حضور الحسن بن الصباح إليه سنة ٤٧٩هـ - ١٠٨٦م وتعهد له بإقامة دعوته في خراسان وبلاد العجم.

أما بالنسبة لأحوال مصر في عهده، فقد اشتد فيها الغلاء، وقلت الأقوات وعظم الفساد وأكل الناس الجيف والميتات، ووقفوا في الطرقات فقتلوا من ظفروا به وأخذوا ماله.

كما عظم الجوع وتزايد الموتان واشتد الوباء بالقاهرة ومصر حتى إنه كان يموت الواحد من أهل البيت فلا يمضي اليوم أو الليلة حتى يموت جميع من فيه، وامتدت أيدي الجند إلى نهب العامة. وفرت جماعات كثيرة من أهل القاهرة ومصر إلى البلاد الشامية وإلى بغداد هرباً من الجوع والفتن، وعظم الأمر بمصر حتى أكل الناس بعضهم بعضاً<sup>(١)</sup>.

توفي المستنصر ليلة الخميس ١٨ ذي الحجة سنة ٤٨٧هـ - ١٠٩٤م، بعد أن حكم ستين سنة وأربعة أشهر وثلاثة أيام، وفي بعض التواريخ ستة وستين سنة وشهور وأيام.

وكان خلال فترة حكمه وزير له / ٢٤ / وزيراً هم: أبو القاسم الجرجرائي ثم أبو منصور صدقة بن يوسف الفلاحى ثم أبو البركات الحسين بن عماد الدولة محمد الجرجرائي ثم أبو الفضل صاعد بن مسعود ثم أبو محمد الحسن بن علي البازوري ثم أبو الفرج عبدالله بن محمد البابلي وأبو الفرج محمد بن جعفر ابن

(١) ابن ميسر - أخبار مصر، ص ٢٠.



محمد بن علي بن عبد الحاكم المعروف بابن المغربي ثم البابلي مرة ثانية ثم  
عبدالله بن يحيى بن المدبر ثم أبو محمد عبد الكريم بن عبد الحاكم بن سعيد  
الفاركي ثم أبو علي أحمد بن عبد الحكيم بن سعيد الفاركي ثم البابلي مرة ثالثة  
ثم أبو عبدالله الحسين بن سديد الدولة الماسكي ثم أبو علي أحمد بن عبد  
الكريم بن عبد الحاكم ثم ابن المدبر مرة ثانية ثم أبو علي أحمد بن عبد  
الحكيم بن سعيد الفاركي ثم أبو غالب بن الظاهر بن الفضل بن العجمي (تولى  
الوزارة أكثر من مرة) ثم الحسن بن ثقة الدولة بن أبي كدينة ثم أبو المكارم ابن  
أسعد ثم أبو علي الحسن بن أبي سعد إبراهيم بن سهل التستري ثم أبو القاسم  
هبة الله بن محمد الرعياني ثم أبو الحسن بن الأنباري ثم أبو عبدالله الحسين بن  
سديد الدولة الماسكي ثم أبو شجاع محمد بن الأشرف بن فخر الملك ثم أبو  
الحسن طاهر بن وزير الطرابلسي ثم أبو عبد الله محمد بن أبي حامد التنيسي ثم  
أبو سعيد منصور بن أبي اليم سورس بن مكرواه بن زنبور ثم أبو العلاء عبد  
الغني بن نصر بن سعيد الضيف ثم بدر الجمالي .

أما قضاة فهم: الحاكم بن سعيد الفاركي ثم القاسم بن عبد العزيز ابن  
النعمان ثم أبو يعلا ويقال أبو الحسن أحمد بن حمزة بن أحمد الوفي ثم أبو  
الفضل القضاعي ثم جلال الدولة أبو القاسم علي بن أحمد بن عمار ثم أبو  
الفضل بن نباتة ثم أبو الفضل بن عتيق ثم أبو الحسن علي بن يوسف بن الكحال  
ثم فخر الحكام أبو الفضل محمد بن عبد الحاكم .

لما مات المستنصر، بادر الأفضل ابن أمير الجيوش بدر الجمالي إلى  
القصر وأجلس ابن المستنصر أبا القاسم أحمد، ولقبه بالمستعلي وسير إلى نزار  
وعبد الله وإسماعيل أولاد المستنصر وأعلمهم بذلك. فترك نزار وعبد الله  
وإسماعيل وابن مصال الملكي القاهرة إلى الاسكندرية وكان الوالي بها ناصر  
الدولة أفتكين التركي أحد مماليك أمير الجيوش بدر الجمالي، وعرفوه بالحال  
ووعده بالوزارة فبايعه هو وأهل الاسكندرية، ولقب بالمصطفى لدين الله،  
وخرج الأفضل بعساكر إلى الاسكندرية لقتال نزار وأفتكين، وكانت بينهما حرب  
شديدة بظاهر الاسكندرية انكسر فيها الأفضل ورجع بمن معه إلى القاهرة منهزماً

ثم أخذ في التجهيز لقتال نزار مرة ثانية، ودرس إلى جماعة ممن معه من العربان واستمالهم عنه ثم خرج إلى قتاله، فكانت بينهما وقعة بظاهر الاسكندرية انهزم فيها نزار بمن معه إلى داخل البلد فحاصروهم الأفضل حصاراً شديداً، ولما اشتد الحصار فر ابن المصالح إلى المغرب فضعفت لذلك قوى نزار وأفتكين وخافا وطلبا من الأفضل الأمان فأمنهما ودخل إلى البلد وقبض على نزار وأفتكين وبعث بهما إلى مصر. وقيل إن الأفضل بنى لنزار حائطين وجعله بينهما إلى أن مات، وأما أفتكين فإنه قتل بعد ذلك.

في أيام المستعلي، اختلت الدولة وانقطعت الدعوة من أكثر مدن الشام، واستولى الفرنج على بيت المقدس وملكوه وقدم إلى مصر خلق كثير من البلاد الشامية فراراً من الفرنج والغلاء، وعم جميع البلاد الوباء ومات بمصر خلق كثير.

وانقسمت الإسماعيلية إلى فرقتين: نزارية تطعن في إمامة المستعلي ومستعلية ترى صحة خلافة المستعلي.

في ليلة السابع عشر من صفر سنة ٤٩٥هـ - ١١٠١م توفي المستعلي. ويقال إنه قتل سراً. وقيل إنه سُمم فمات.

ولما مات أحضر الأفضل ابنه أبا علي وبايعه بالخلافة، ونصبه مكان أبيه ونعته بالأمير بأحكام الله وعمره خمس سنين وشهر وأيام<sup>(١)</sup> ولم يكن له حل ولا ربط وكانت أمور الدولة كلها بيد أمير الجيوش الأفضل. ولما قتل الأفضل وتولى المأمون البطائحي الوزارة قوي مركز الأمر. وصار يتصرف ويركب في يوم الجمعة والسبت والثلاثاء. ثم لم يلبث أن قبض على وزيره المأمون ابن البطائحي وعلى إخوته الخمسة مع ثلاثين رجلاً من خواصه وأهله وصلبه مع إخوته.

وكان أهم الأحداث التي شهدتها عهد الأمر، استيلاء الفرنج على كثير من المعاقل والحصون بساحل الشام مما كان بيد آبائه. فملكوا عكا في شعبان سنة

(١) ابن ميسر - أخبار مصر ص ٤٠.

٤٩٧/هـ - ١١٠٣/م وعرفة في سنة ٥٠٢/هـ - ١١٠٨/م وتسلموا طرابلس  
بالسيف سنة ٥٠٢/هـ - ١١٠٨/م وملكوا بانياس وجبيل بالأمان سنة ٥٠٢/هـ -  
١١٠٨/م ثم قلعة تبنين سنة ٥٠١/هـ - ١١٠٧/م ثم استلموا صور سنة  
٥١٨/هـ - ١١٢٤/م قتل الأمر يوم الثلاثاء من ذي القعدة سنة ٥٢٤/هـ -  
١١٢٩/م بجزيرة مصر بالقرب من المقياس وثب عليه عدة أشخاص من النزارية  
فقتلوه وقبض على قتلته فقتلوا. وكانت مدة خلافته ٢٩ سنة و ٨ أشهر  
ونصفاً<sup>(١)</sup>.

وقام بالأمر بعده الحافظ لدين الله، أبو الميمون عبد المجيد. وفي عهده  
وقع الخلاف بين ولديه أبي تراب حيدرة المعروف بأبي علي كتيفات وحسن.  
وحصلت بينهما حروب طالت واشتدت وافترق العسكر فرقتين. فرقة مع أبي  
تراب وفرقة مع حسن وهما الريحانية والجوشية. وكان حصيلة القتال بين  
الفرقتين ما يقرب من ١٠ آلاف شخص، وسبب الخلاف بين الأخوين هو أن  
الحافظ جعل ابنه حيدرة ولي العهد من بعده فلم يرض حسن بذلك. ووقع  
القتال بينهما وكان النصر فيه لحسن وهرب حيدرة والتجأ إلى أبيه فبعث أبوه  
خلف حسن لتهدئة الحال فامتنع عن المجيء وطالبه بحيدرة أخيه وحاصر  
القصر حصاراً شديداً، وفي نهاية الأمر رضخ والده لمطالبه وجعل له ولاية  
العهد من بعده، وكتب بذلك سجلاً قرئ على الناس. وبسط حسين سيطرته  
على شؤون الدولة، وتضاءل ظل والده، وانحسر أمامه.

ولما صارت مقاليد السلطة بيد حسن، قبض على جماعة من الأمراء ممن  
وقفوا إلى جانب شقيقه حيدرة وقتلهم، وأقام غيرهم فخافه من بقي من الأمراء  
وعزموا على خلع الحافظ من الخلافة وخلع حسن وتجمعوا بين القصرين،  
وبعثوا للحافظ بما هم عليه فسير إليهم واعتذر وفر حسن إليه فأمسكه وقيده  
وبعث به إلى الأمراء فقالوا له: لا بد من قتله فسقاه سمّاً مات منه وذلك سنة  
٥٢٩/هـ - ١١٣٤/م.

في عهد الحافظ تأسست الدولة الإسماعيلية في مصيف. ومن الأحداث

(١) المقرئزي - المواعظ والاعتبار ج ١، ص ٣٥٧.



طلّاع بن زريك وهو في الصعيد، تطالبه بالشار من عباس وأرسلت مع الكتب شعور النساء، فجمع العربان والأجناد ومقطعي البلاد وحشد وسار من منية أبي الخصيب، وبلغ عباس فجهز إليه عسكرياً فسار من القاهرة للقاءه. وانجلى الموقف عن فرار عباس ومعه أسامة بن منقذ بما خف من المال والتحف إلى جهة أيلة متوجهاً إلى الشام، ونهب الناس دورهم ودخل طلّاع القاهرة وشقها بعساكره وهو لابس ثياباً سوداء وأعلامه وبنوده سود وشعور نساء القصر على الرماح حزناً على الظافر ونزل طلّاع دار المأمون التي كان يسكنها عباس وأحضر الخادم الذي كان مع الظافر لما قتل فأعلمهم مكانه فأخرجته وغسله وكفنه وعمله في تابوت مغشى وحمله الأستاذون والأمراء ومشى طلّاع والناس حتى وصلوا به إلى القصر فصلى عليه ابنه الفائز ودفن في تربة القصر وجلس فائز بقية النهار وخلع على طلّاع بن زريك بالموشح والعقد<sup>(١)</sup>.

ثم إن الفرنج قبضوا على عباس وولده نصر فأرسلت إليهم عمّة الفائز أموالاً وهدايا وطلبت تسليمهما فسلموهما فصلبا على باب القصر.

في أيامه نقلت رأس الحسين عليه السلام من عسقلان إلى القاهرة سنة ٥٤٩ هـ - وبني لها الفائز مشهداً ودفنها به<sup>(٢)</sup> توفي الفائز في السادس والعشرين من رجب سنة ٥٥٥ هـ فأقام الصالح بن زريك في الخلافة بعده العاضد لدين الله، أبا محمد عبد الله وكان عمره يوم بويج نحو ١١ سنة وقام الصالح بتدبير الأمور إلى أن قتل في رمضان سنة ٥٥٦ هـ - ١١٦٠ م فقام من بعده ابنه زريك ابن طلّاع وحسنت سيرته فعزل شاور بن مجير السعدي عن ولايته قوص فلم يقبل العزل فجمع الناس وسار إلى القاهرة فلم يثبت زريك وفر فقبض عليه شاور واستقر في الوزارة وبقي فيها إلى أن ثار ضرغام صاحب الباب فهرب منه شاور إلى الشام واستبد ضرغام بالوزارة. ثم حضر شاور بعساكر الشام في جمادى الآخرة سنة ٥٥٩ هـ - ١١٦٣ م محاربة ضرغام فانهزم ثم كانت بين

(١) ابن ميسر - أخبار مصر.

(٢) ابن اياس - المختار من بدائع الزهور في وقائع الدهور، المجلد الأول ص ٣٥ وما بعدها.

المهمة، في عهد الحافظ، قتل الملك الأكمل أحمد بن الأفضل ابن أمير الجيوش بدر الجمالي. وكان سجن بعد مقتل أبيه مدة إلى أن قتل الأمر وأقيم الحافظ، فأخرجوا الأكمل وولي وزارة السيف والقلم، فحجر على الحافظ ومنعه من الظهور، وأخذ أكثر ما في القصر وأهمل ناموس الخلافة الفاطمية وأبطل من الأذان حي على خير العمل، فأبغضه الدعاة والقواد وتآمروا عليه. وصدف أن ركب للعب الكرة في المحرم سنة ٥٢٦هـ - ١١٣١م فوثبوا عليه وطعنه مملوك الحافظ بحربة، وأخرجوا الحافظ ونزل إلى دار الأكمل، واستولى على خزائنه واستوزر يانس مولاه، فهلك بعد عام<sup>(١)</sup>.

من الأحداث الأخرى غلاء الأسعار وفقدان القمح والشعير، وعظم الوباء فهلك فيه عالم لا يحصى.

مات الحافظ سنة ٥٤٤هـ - ١١٤٩م. وكانت مدة خلافته ١٨ سنة و٤ أشهر و١٩ يوماً<sup>(٢)</sup>.

تولى الخلافة بعده الظافر بأمر الله، أبو منصور إسماعيل. وكان شاباً جميل الصورة حسن الهيئة يميل إلى اللهو والطرب يهوى ابن وزيره عباس وينزل إليه ويبيت عنده في غالب الأوقات.

قتل ليلة الخميس سلخ محرم سنة ٥٤٩هـ - ١١٥٤م قتله عباس بتحريض من أسامة بن منقذ. وبعد قتله دخل عباس إلى دور الحرم وأخرج الأمير عيسى بن الظافر، وتلقب بالفائز بنصر الله وكان عمره ٥ سنوات. وظن عباس أن الأمر يستقيم الأمر له، فكان الأمر خلاف ما تمناه. لأن أهل القصور أكثروا النياحة على الظافر وأخذوا في أعمال الحيلة على عباس. وكان الأمراء والسودان قد نفروا منه لإقدامه على القتل فاختلفت الكلمة عليه وهاجت الفتنة بالقاهرة وتفرق العسكر فرقاً ولبسوا السلاح فخرج إليهم عباس في يوم الاثنين عاشر ربيع الأول وحاربهم فكسرهم وقتل منهم جماعة وبعثت عمه الفائز إلى

(١) الذهبي - العبر في خبر من غير ج ٤، ص ٦٧.

(٢) المقرئ - المواعظ والاعتبار ج ١، ص ٣٥٧.

الفريقين حروب آلت إلى هزيمة ضرغام وقتله في شهر رمضان سنة ٥٥٩ هـ - ١١٦٣ م واستولى شاور على الوزارة مرة ثانية لكنه لم يهنأ في منصبه، إذ سرعان ما اختلف مع الغز القادمين معه من الشام وكانت له معهم حروب. ولكي يتمكن من دفع شرهم عنه كتب إلى مري ملك الفرنج يستدعيه إلى القاهرة ليعينه على محاربة شيركوه ومن معه من الغز فحضر ونزل هو وشاور على بلبيس وحصر شيركوه ثم وقع الصلح فسار شيركوه بالغز إلى الشام ورحل الفرنج وعاد شاور إلى القاهرة. لكن شيركوه قدم من الشام بالعساكر مرة ثانية فخرج شاور إلى لقائه واستدعى مري ملك الفرنج ثم عاد شيركوه وأصحابه إلى الشام. وقد طمع الفرنج في البلاد وتسلموا أسوار القاهرة وجاروا في حكمهم وألحقوا بالمسلمين أنواع الإهانة. وحاول مري أخذ القاهرة عنوة فكتب العاضد إلى نور الدين محمود بن زنكي صاحب الشام يستصرخه ويحثه على نجدة الإسلام وإنقاذ المسلمين من الفرنج فجهز أسد الدين شيركوه في عسكر كثير وجهزم وسيروهم إلى مصر. ولما ورد الخبر بقدم شيركوه رحل الفرنج عن القاهرة. ونزل شيركوه على القاهرة فخلع عليه العاضد وأكرمه وقلده الوزارة لكنه مات بعد شهرين وخمسة أيام ففوض العاضد الوزارة لصلاح الدين يوسف بن أيوب ابن أخ شيركوه. وكان صلاح الدين، على ما يبدو، ينتظر هذه الخطوة بفارغ الصبر لذلك ما أن تسلم هذا المنصب حتى أخذ يعمل وفق خطة منظمة على إضعاف العاضد، واستنفاد ما عنده من مال. فكان يوالي الطلب منه في كل يوم ليضعفه فأتى على المال والخيل والرقيق وغير ذلك حتى لم يبق عند العاضد غير فرس واحد فطلبه منه وألجأه إلى إرساله وأبطل ركوبه من ذلك الوقت، وصار لا يخرج من القصر البتة وتتبع صلاح الدين جند العاضد وأخذ دور الأمراء وإقطاعاتهم فوهبها لأصحابه وبعث إلى أبيه وإخوته وأهله فقدموا من الشام<sup>(١)</sup>.

وبلغ مجموع ما أخذه صلاح الدين من العاضد ألف دينار سوى

(١) المقرئزي - المواعظ والاعتبار ج ١، ص ٣٥٨.

الثياب وغيرها<sup>(١)</sup> وفي مطلع عام ٥٦٧/هـ - ١١٧١/م قطع صلاح الدين خطبة العاضد وخطب للمستضيء العباسي بتحريض من نجم الدين الخبوشاني، وكان صلاح الدين يعتقد فيه ويبالغ في احترامه.

وكان العاضد قد مرض مرضاً شديداً، وبعث السلطان نور الدين للسلطان صلاح الدين يحتم عليه قطع الخطبة للعاضد والخطبة للمستضيء، ففعل وكان العاضد رأى في منامه أن عقرباً قد خرجت من مسجد بمصر يعرفه فلدغته فاستيقظ مرعوباً واستدعى معبراً، فعبّر له ذلك بوصول أذى إليه من شخص بذلك المسجد، فطلب من بالمسجد فأحضر إليه نجم الدين الخبوشاني<sup>(٢)</sup>.

توفي العاضد في يوم عاشوراء سنة ٥٦٧/هـ - ١١٧١/م.

ولما مات احتاط صلاح الدين على أهله وأولاده فكانت عدة الأشراف في القصور ١٣٠ والأطفال ٧٥ وجعلهم في مكان أفرد لهم خارج القصر، وجمع عمومته وعشيرته في إيران بالقصر واحترز عليهم وفرق بين الرجال والنساء لئلا يتناسلوا وليكون ذلك أسرع لانقراضهم. وتسلم صلاح الدين القصر بما فيه من الخزائن والدواوين وغيرها من الأموال والنفائس وكانت عظيمة الوصف، واستعرض من فيه من الجوارى والعبيد فأطلق من كان حراً ووهب واستخدم باقيهم وأطلق البيع في كل جديد وعتيق فاستمر البيع فيما وجد بالقصر عشر سنين<sup>(٣)</sup>.

وأخلى القصور من سكانها وأغلق أبوابها ثم ملكها أمراءه وضرب الألواح على من كان للخلفاء وأتباعهم من الدور والرباع وأقطع خواصه منها وباع بعضها ثم قسم القصور فأعطى القصر الكبير للأمراء فسكنوا فيه وأسكن أباه نجم الدين أيوب بن شادي في قصر اللؤلؤة على الخليج وأخذ أصحابه دور من كان ينسب إلى الدولة الفاطمية، فكان الرجل إذا استحسن داراً أخرج منها

(١) الذهبي - العبر في خبر من غير ج ٤، ص ١٨٩.

(٢) القلقشندي - مآثر الانافة ج ٢، ص ٥٢.

(٣) المقرئزي - المواعظ والاعتبار ج ١، ص ٤٩٦.

سكانها ونزل بها<sup>(١)</sup>.

وقبض صلاح الدين على الأمير داود بن العاضد واعتقل معه جميع إخوته وجماعة من بني أعمامه فلم يزالوا في الاعتقال حتى انقرضت الدولة الأيوبية<sup>(٢)</sup>.

ولما انقرضت دولة الفاطميين راح الشاعر عمارة اليميني يكثر ذكرهم والتأسف عليهم والدعاء على من كان سبباً لهلاكهم ومما قاله فيهم:

رमित يا دهر كف المجد بالشلل  
سعيت في منهج الرأي العثور فإن  
جدعت مارنك الأقنى فأنفك لا  
هدمت قاعدة المعروف عن عجل  
لهفي ولهف بني الآمال قاطبة  
قدمت مصرفاً ولتني خلائفها  
قوم عرفت بهم كسب الألوف ومن  
وكنت من وزراء الدست حين سما  
ونلت من عظماء الجيش مكرمة  
يا عاذلي في هوى أبناء فاطمة  
بالله در ساحة القصرين وابك معي  
وقل لأهليهما والله ما التحمت  
ماذا عسى كانت الافرنج فاعلة  
هل كان في الأمر شيء غير قسمة ما  
وقد حصلت عليها واسم جدكم  
مررت بالقصر والأركان خالية  
فملت عنها بوجهي خوف منتقد

وجيده بعد حسن الحلى بالعطل  
قدرت من عشرات الدهر فاستقل  
ينفك ما بين قرع السن والخجل  
سعيت مهلاً أما تمشي على مهل  
على فجيعتها في أكرم الدول  
من المكارم ما أربى على الأمل  
كمالها أنها جاءت ولم أسل  
رأس الحصان يهاديه على الكفل  
وخلة حرست من عارض الخلل  
لك الملامة إن قصرت في عذلي  
عليهما لا على صفيين والجمال  
فيكم جراحی ولا قرحى بمندمل  
في نسل آل أمير المؤمنين علي  
ملكتموا بين حكم السبي والنفل  
محمد وأبوكم غير منتقل  
من الوفود وكانت قبلة القبل  
من الأعادي ووجه الود لم يمل

(١) المرجع السابق.

(٢) المرجع السابق.





رحابكم وغدت مهجورة السبل  
 حال الزمان عليها وهي لم تحل  
 واليوم أوحش من رسم ومن طلل  
 تشكو من الدهر حيفاً غير محتمل  
 ورث منها جديد عندهم وبلي  
 يأتي تجملكم فيه على الجمل  
 فيهن من وبل جود ليس بالوشل  
 يهتز ما بين قصريكم من الأسل  
 مثل العرائس في حلى وفي حلل  
 الأطباق إلا على الأكتاف والعجل  
 حتى عمتم به الأقصى من الملل  
 يف المقيم للطاري من الرسل  
 منه الصلاة لأهل الأرض والدول  
 لمن تصدّر في علم وفي عمل  
 منكم وأضحت بكم محلولة العقل  
 ولا نجا من عذاب الله غير ولي  
 من كف خير البرايا خاتم الرسل  
 من خان عهد الإمام العاضد ابن علي  
 إذا ارتهنت بما قدّمت من عملي  
 لأنّ فضلهم كالوابل الهطل  
 ما كنت فيهم بحمد الله بالخجل  
 وحبهم فهو أصل الدين والعمل  
 الغيث إن ربت الأنواء في المحل  
 من محض خالص نور الله لم يغل  
 ما أحر الله لي في مدّة الأجل

أسلت من أسفي دمعي غداة خللت  
 أبكي على ما تراءت من مكارمكم  
 دار الضيافة كانت أنس وافدكم  
 وفطرة الصوم إذ أضحت مكارمكم  
 وكسوة الناس في الفصلين قد درست  
 وموسم كان في يوم الخليج لكم  
 وأول العام والعيدين كم لكم  
 والأرض تهتز في يوم الغدير كما  
 والخيل تعرض في وشى وفي شية  
 ولا حملتم قرى الأضياف من سعة  
 وما خصصتم ببرّ أهل ملتكم  
 كانت رواتبكم للذمتين وللضد  
 ثم الطراز بتيس الذي عظمت  
 وللجوامع من إحسانكم نعم  
 وربما عادت الدنيا ففعلها  
 والله لا فاز يوم الحشر مبغضكم  
 ولا سقى الماء من حرّ ومن ظمأ  
 ولا رأى جنة الله التي خلقت  
 أئمتي وهداتي والذخيرة لي  
 تالله لم أوفهم في المدح حقهم  
 قولوا تضاعفت الأقوال واتسعت  
 باب النجاة هم دنيا وآخرة  
 نور الهدى ومصايح الدجى ومحل  
 أئمة خلقوا نوراً فنورهم  
 والله ما زلت عن حبي لهم أبداً



وقال أيضاً، في قصيدة أخرى:

لَمَّا رَأَيْتُ عِرَاصَ الْحَيِّ خَالِيَةً  
أَيَقَنْتُ أَنَّهُمْ عَنْ رُبْعِهِمْ رَجَلُوا  
سَأَلْتُ أَبْلَهَ قَلْبِي فِي السُّلُوقِ  
فَقَالَ رَأْيِي ضَعِيفٌ لَا يَطَاوَعُنِي  
يَا رَبِّ إِنْ كَانَ لِي فِي قُرْبِهِمْ طَمَعٌ

ولما أنشدت هذه الأبيات بين يدي صلاح الدين، كبر ذلك عليه فأمر بشنق عمارة مع جماعة ممن هم على رأيه. فشنق في درب خزانة البنود بالقاهرة في ١٢ رمضان من سنة ٥٦٩هـ - ١١٧٣م<sup>(١)</sup>.

وبعد قطع صلاح الدين الخطبة للعاضد، حاول ثمانية من الدعاة الإسماعيليين إعادة الدولة الفاطمية، فشنقهم صلاح الدين. وكان من بينهم هبة الله بن كامل المصري التنوخي، قاضي القضاة وداعي الدعاة، قاضي الخليفة العاضد، وذلك في سنة ٥٦٩هـ - ١١٧٣م<sup>(٢)</sup>:

وقد أظهر كثير من الشعراء والكتاب شماتتهم بانقضاء الدولة الفاطمية.

قال بعض الشعراء في بني أيوب<sup>(٣)</sup>:

أَبَدْتُمْ مِنْ بَلَى دَوْلَةِ الْكُفْرِ مَنْ  
زَنَادَقَةَ شَيْعِيَّةٍ بَاطِنِيَّةٍ  
يَسْرُونَ كُفْرًا يَظْهَرُونَ تَشِيْعًا

ومن هؤلاء أيضاً ابن الأثير الذي قال من قصيدة طويلة:  
وَالْفَاطِمِيُّونَ قَلِيلُو الْعِدَّةِ  
فَمَلَكُوا بَضْعًا وَسَتِينَ سَنَةً  
وَالْعِدَّةُ أَرْبَعُ عَشْرَةَ الْمَهْدِي

(١) أبو مخرمة - تاريخ ثغر عدن ص ١٦٨.  
(٢) الذهبي - العبر في خبر من غير ج ٤، ص ٢٩.  
(٣) ابن الأثير - البداية والنهاية ج ١٣، ص ٢١٠.



أعني به المعز بناني القاهرة ثم العزيز الحاكم الكوافرة  
والظاهر المستنصر ثم العاضد آخرهم ما لهذا جاحد  
أهلك بعد البضع والسنين من قبلها خمسمائة سنينا  
وأصلهم يهود ليسوا شرفاً بذلك أفتى السادة الأئمة  
أنصار دين الله من ذي الأمة<sup>(١)</sup>

---

(١) المرجع السابق.

## الدعوة الإسماعيلية في اليمن

و

### الدولة الصليحية

اختلفت الأقوال حول تاريخ بدء انتشار الدعوة الإسماعيلية في اليمن .

الرأي الراجح يقول إنها بدأت سنة ٢٦٧هـ - ٨٨٠م .

وهناك من قال سنة ٢٧٧هـ - ٨٩٠م<sup>(١)</sup> .

وكان انتشارها على يد الداعيين المنصور الحسن بن فرج بن حوشب،  
وعلي بن الفضل الخنفري اللذين أرسلهما عبيد الله المهدي إلى اليمن .

ذهبا صديقين متآلفين، لغاية واحدة، وهدف واحد، وماتا خصمين  
متعاديين متقاتلين .

اتجه ابن حوشب إلى عدن لاعه، وملك جبل مور بالسيف، وأسر عامل  
الأمير ابراهيم بن محمد بن جعفر الحوالي<sup>(٢)</sup> وبني حصناً، وغلب على تلك  
الناحية<sup>(٣)</sup> .

بينما قصد علي بن الفضل يافع وجذب أهلها إليه وجندهم وقصد بهم  
لحج واستولى عليها ثم استولى على المذيخرة<sup>(٤)</sup> وجعلها نقطة انطلاقه لفسخ

(١) العلامة عبد الواسع يحيى الواسعي اليمني - تاريخ اليمن ص ١٥٩ .

(٢) ذكر عبد الواسع اليمني اسمه أسعد بن أبي يعفر .

(٣) نشوان الحميري - الحور العين، ص ٢٥٢ .

(٤) عبد الواسع اليمني - تاريخ اليمن ص ١٥٩ .

بأقي المدن. ولم يمض كبير وقت حتى ملك حصون اليمن ومدن عدن وزيد وصفاء وطرد الناصر بن الهادي، إمام الزيدية، من صعده واستولى على جبال اليمن وتهامة<sup>(١)</sup>.

وبدلاً من أن يوجه هذان الداعيان جهودهما، ويعملا معاً، اختلفا وتقاتلا بسبب موقف كل منهما من الدعوة.

فابن حوشب ثبت على ولائه للمهدي بينما انحرف علي بن الفضل وأخذ يدعو لنفسه، واتهم بأنه ادعى النبوة، وقام بأعمال شنيعة، منها أمر جواريه أن يغنين بالدفوف على منبر جند:

خذي العود يا هذه واضربي	نقيم شرائع هذا النبي
تولى بني هاشم	وهذا نبي بني يعرب
فحط الصلاة وحط الزكاة	وحط الصيام ولم يتعب
إذا الناس صلوا فلا تنهضي	وإن صوموا فكلي واشربي
ولا تطلبي السعي عند الصفا	ولا زورة القبر في يشرب
ولا تمنعي نفسك المعرسين	من أقربي ومن أجنبي
فكيف تحلي لهذا الغريب	وصرت محرمة للأب
أليس الفراس لمن ربه	وسقاه في الزمن المجذب
وما الخمر إلا كماء السماء	حلالاً فقدت من مذهب <sup>(٢)</sup>

ربما كان الخنفري قد دعا لنفسه. ليس في ذلك غرابة. لكننا نشك في أنه أباح المحرمات، نظراً لما نعرفه من أن الدعوة الإسماعيليين كانوا على جانب كبير من التقى والإيمان والعبادة. مات ابن حوشب سنة ٣٠٢/هـ - ٩١٤/م وكان قبل وفاته أوصى ابنه أبا الحسن، وتابعه عبد الله الشاوري بأن يستمر على إقامة الدعوة للمهدي وأهل بيته. لكن ابنه ارتد عن المذهب الإسماعيلي وجمع العشائر وأشهدهم على ذلك، ثم انفض على أنصار أبيه، وأمعن فيهم قتلاً حتى

(١) اليافعي اليماني - مرآة الجنان ج ١، أخبار سنة ٣١٧هـ.

(٢) المرجع السابق.

أفنى عدداً كبيراً منهم، وتفرق الباقيون في البلاد.

وبعد سنة من وفاة ابن حوشب، توفي علي بن الفضل. وقام ابنه بعده. وبنفس العام - سنة ٣٠٣ هـ - ٩١٥ م - خرج الأمير أسعد بن يعفر الحوالي من صنعاء ومعه قواد اليمن، لحرب القرامطة، والمقصود بهم أتباع علي ابن الفضل - لأنه بنظر بعض المؤرخين أول من سن القرمطة في اليمن -<sup>(١)</sup> وتمكن من الاستيلاء على بلدانهم ثم حاصر عاصمتهم المذيخرة في جمادى الأولى سنة ٣٠٤ هـ - ٩١٦ م، وافتتحها في رجب من العام نفسه، وأعمل السيف في رقاب أهلها، وغنم أموالاً لا تدخل تحت الحصر، وسبى نساء ابن فضل فوهب بنته لابن أخيه قحطان فولدت له عبد الله بن قحطان أمير اليمن. وبيع من القرامطة ناس كثيرون. وأخذ ولدين لعلي بن فضل، وجماعة من رؤساء القرامطة معه إلى صنعاء وأمر بهم فذبحوا ورميت أجسامهم في بئر بالجبانة، ووضعت رؤوسهم ضمن أربعة صناديق وبعث بها إلى مكة فنصبت هناك أيام المواسم<sup>(٢)</sup>.

وقد أثرت هذه النكبات على الدعوة الإسماعيلية، فانحسر مدها، وانتقلت من العلن إلى السرية، واستمرت على هذه الحال مدة طويلة ثم قويت شوكتها من جديد، وظهرت إلى العلن مرة ثانية على يد الداعيين عبد الله ابن قحطان بن أبي يعفر، أمير صنعاء، وعلي بن محمد بن علي الطيحي.

أقام عبد الله الدعوة سنة ٣٧٩ هـ - ٩٨٩ م، واستولى على بعض البلاد المجاورة، وملك زييد بعد أن هزم أميرها إسحق بن إبراهيم بن زياد، المعروف بأبي الجيش، وأقام الخطبة للخليفة العزيز بالله الفاطمي، واستمر ذلك حتى وفاته سنة ٣٨٧ هـ - ٩٩٧ م<sup>(٣)</sup>.

أما علي بن محمد الصليحي، الذي تبتدئ به الدولة الصليحية، فكان حلقة من سلسلة تمتد من ابن حوشب إليه.

(١) محمد بن مالك الحمادي اليماني - كشف أسرار الباطنية وأخبار القرامطة ص ٣١.

(٢) نشوان الحميري - الحور العين ص ٢٥٤.

(٣) الدكتور محمد جمال الدين سرور - النفوذ الفاطمي في جزيرة العرب ص ٥٩.

فبعد مقتل الإسماعيلية على يد أبي الحسن بن حسن بن حوشب،  
 وتفرقهم في البلاد، انتقل أمر الدعوة بالتسلسل التالي:

ابن الطفيل — فخيم — يوسف بن الأسد — عامر بن عبد الله الرواحي  
 — علي بن محمد الصليحي.

كان، محمد الصليحي، أبو علي، فقيهاً عالماً قاضياً باليمن، سني  
 المذهب، حسن السيرة مطاعاً في أهله وجماعته. وكان الداعي عامر بن عبد الله  
 الرواحي يتردد عليه لمكانته في قومه، وعلمه وصلاحه. وكان إذا أتاه في بيته،  
 خلا بولده علي وأطلععه على ما عنده من العلوم حتى استماله وغرس في نفسه  
 محبة مذهبه.

ولما مات عامر أوصى لعلي بجميع كتبه، وأعطاه مالاً جزيلاً وافرأ كان  
 جمعه من أهل مذهبه. وعكف علي على دراسة الكتب، واستوعبها وصار  
 مستبصراً في علم التأويل. ثم بدأ يهيب نفسه لأداء الرسالة التي ندب لها،  
 وكان عليه أولاً، ترسيخ قدميه، لذلك سار في عام ٤٢٩هـ - ١٠٣٧م على  
 رأس / ٦٠ / رجلاً من رجاله واستولى على قلعة جبل مسار<sup>(١)</sup> وتملكها وأخذ  
 يتمدد شيئاً فشيئاً، واستطاع بسهولة ويسر القضاء على مناوئيه ومنهم جعفر ابن  
 قاسم بن علي العياني، وجعفر بن العباس، وابن أبي حاشد.

واستولى على جبل حضور وحصن يناع، وصنعاء، واستخلص عدن من  
 بني معن. وطوى اليمن طياً سهله ووعره وبره وبحره<sup>(٢)</sup> ومع ذلك بقي القلق  
 يساوره من نجاح عبد مرجان، صاحب زبيد، فكان يلاطفه ويستكين لأمره في  
 الظاهر، وهو في الباطن يعمل الحيلة في قتله حتى قتله بالسهم على يد جارية  
 بارعة الجمال أهداها إليه، دست له السم فمات سنة ٤٥٢هـ - ١٠٦٠م<sup>(٣)</sup>.

وفي عام ٤٥٣هـ - ١٠٦١م كتب إلى المستنصر الفاطمي يستأذنه في

(١) جبل مسار أعلى جبل في جبال حراز.

(٢) أبو مخرمة - تاريخ ثغر عدن ص ١٦٠.

(٣) المرجع السابق.

إظهار الدعوة ومع الكتاب هدية جليلة فيها ٧٠ سيفاً قوائمها من عقيق، حملها رجلان من قومه هما أحمد بن محمد والد زوجته السيدة الحرة، وأبو سبأ أحمد بن المظفر.

ولم تمض سنة ٤٥٥هـ - ١٠٦٣م، حتى كان قطر اليمن من مكة إلى حضرموت، سهله وجبله، تحت سيطرته وفي قبضته.

وبعد أن حقق كل ما يصبو إليه رغب في أن يختم أعماله بالحج إلى بيت الله الحرام. وفي آخر سنة ٤٥٩هـ - ١٠٦٦م استخلف ابنه السلطان المكرم، أبا علي، أحمد، وتوجه إلى مكة المشرفة في ٥٠٠ فرس مجنوبة عليها مراكب الفضة و ٥٠٠ هجيناً عليها أكوار الفضة والركب فضة و ٥٠ دواة من ذهب وفضة، وغير ذلك من الزينة. واصطحب معه زوجته الحرة الكاملة أسماء بنت شهاب و ٥٠ ملكاً من ملوك اليمن، وما بين ١٥٠ إلى ١٧٠ شخصاً من آل الصليحي و ٢٠٠٠ فارس. وكان قصده من اصطحاب هذا العدد الكبير من الملوك ومن أهله وأقاربه الحيلولة دون انقضاضهم على الملك أثناء غيابه.

وعندما حط رحاله للاستراحة في ضيعة أم الدهيم وبئر أم معبد في ظاهر الهجوم، باغته سعيد الأحول، ابن نجاح صاحب زبيد، في ٥٠٠٠ رجل من أتباعه وقتله مع شقيقه عبد الله الصليحي وسائر الصليحيين، واستولى على أموالهم وذخائرهم، وأسر زوجة الصليحي، الملكة الحرة، وحملها ذليلة مهانة إلى زبيد في هودج، وجعل رأس زوجها ورأس أخيه عبد الله، أمام هودجها على عمود المظلة<sup>(١)</sup> وفي ذلك يقول القاضي العثماني:

بكرت مظلة عليه فلم ترح إلا على الملك الأجل سعيدها  
ما كان أقبح وجهه في ظلها ما كان أحسن رأسه في عودها  
سود الأرقام قابلت أسد الشرى وارحمتا لأسودها من سودها<sup>(٢)</sup>

بعد مقتل الصليحي، خرجت مناطق كثيرة من يده، ولم يبق للصليحيين

(١) أبو مخرمة - تاريخ نجر عدن ص ١٦٣.

(٢) المرجع السابق.



غير حصن التعكر والعاصمة صنعاء.

تلقى المكرم هذه الضربة القاسية بشجاعة الأبطال، فلملم قواه، ونظم صفوفه وهاجم سعيد الأحول في عقر داره وقتله، وخلص والدته من الأسر<sup>(١)</sup> وكانت أمه بقيت في أسر سعيد الأحول سنة ثم كتبت إليه كتاباً وجعلته في قرص خبز ودفعته إلى فقير يوصله إليه وذكرت فيه أنها حامل للعبد فإن أدركتني وإلا فالعار والفضيحة. فثار وخرج من فوره في ٣٠٠٠ فارس<sup>(٢)</sup>.

وبعد هذا الانتصار، قصد عدن وطرده منها بني معن، وكانوا استولوا عليها بعد مقتل أبيه، وولاهها العباس ومسعوداً ابني المكرم الهمداني، وكانا من أعوان والده في قيام الدعوة للمستنصر الفاطمي، فجعل للعباس حصن التعكر وباب البر وما يدخل منه، وجعل لمسعود حصن الخضراء وباب البحر وما يدخل منه، وترك أمر المدينة لنفسه<sup>(٣)</sup> في عهد المكرم، بلغت الدولة الصليحية أقصى اتساعها. ومع الأيام عجز المكرم عن القيام بأعباء الحكم بسبب مرض الفالج الذي اشتد عليه، فاعتكف في حصن التعكر. وترك تصريف الأمور لزوجته الملكة الحرة أروى بنت أحمد الصليحي.

ولما مات المكرم سنة ٤٧٩هـ - ١٠٨٦م وقيل سنة ٤٨٥هـ - ١٠٩٢م نهضت أروى بمسؤوليات الدولة، وعينت السلطان سبأ بن أحمد الصليحي. مساعداتها.

وسرعان ما دب الخلاف بين أروى وسبأ بسبب طموحه المتزايد، ورغبته في الاستئثار بالسلطة، والزواج منها. ولم تتزوج إلا بعد أن أمرها المستنصر بذلك. وبالرغم من هذا الزواج فإن أمور الدولة بقيت في يدها.

في عام ٤٩١هـ - ١٠٩٧م وقيل ٤٩٢هـ - ١٠٩٨م توفي السلطان أبو حمير سبأ بن أحمد الصليحي. وبعد وفاته خرجت صنعاء وأعمالها من

(١) المرجع السابق.

(٢) المرجع السابق.

(٣) المرجع السابق ص ٨٦.

حظيرة الدولة الصليحية، فاستولى عليها السلطان حاتم بن الغشيم الهمداني وأقامت الملكة الحرة المفضل بن أبي البركات الحميري على قيادة الجيش وإدارة شؤون الدولة. فحارب المفضل القبائل التي خرجت على طاعة الدولة الصليحية، واسترجع نصف خراج عدن من آل زريع<sup>(١)</sup>.

وفي سنة ٥٠٣هـ - ١١٠٩م اختلف أولاد جيش بن نجاح فيما بينهم، وأدى هذا الخلاف إلى فرار منصور بن فاتك بن جيش من زيد مع عبيد أبيه ولجؤهم إلى الدولة الصليحية وتعهدوا بدفع ربع محاصيل تهامه للملكة في مقابل مساعدتها لهم. فبعثت الملكة الحرة المفضل إلى زيد لنصرة منصور ابن فاتك بن جيش على عمه عبد الواحد بن جيش، وكتبت إلى زريع ابن العباس بن المكرم الهمداني وإلى عمه مسعود بن المكرم أن يلقياه إلى زيد فلقياه وقاتلا معه وقتلا على باب زيد<sup>(٢)</sup>.

وفي أثناء غياب المفضل عن التعكر، ثار الفقهاء واستولوا عليها بمساعدة الخولانيين. ولما عاد المفضل من زيد انتحر سنة ٥٠٤هـ.

وبعد وفاته خرجت بعض الجهات عن الدولة الصليحية، وبدأت الأمور تتعقد والدولة تتفكك شيئاً فشيئاً لذلك أرسلت الملكة الحرة إلى الخليفة الأمر، في القاهرة، تطلب منه مستشاراً لمساعدتها في تدبير شؤون الدولة. فأرسل إليها سنة ٥١٣هـ - ١١١٩م الأمير علي بن ابراهيم بن نجيب الدولة المصري في عشرين فارساً فتركته على بابها في جبله حافظاً لها. وغزا أهل الأطراف واستخدم ٤٠٠ فارس من همدان وغيرهم فاشتد بهم جانبه، وقويت شوكته مما أوغر صدور أعدائه وتآمروا عليه مع رسول الأمر بأحكام الله المعروف بالأمير الكذاب، فاجتمع إليه أعداء ابن نجيب الدولة وحملوا له الهدايا فقال لهم أنا أضمن لكم هلاكه، فاكتبوا معي أنه دعاكم إلى نزار، وأنه راودكم على البيعة فامتنعتم، واضربوا لي سكة نزارية وأنا أوصلها إلى الأمر، ففعلوا ذلك فأوصل

(١) الدكتور محمد جال الدين سرور - النفوذ الفاطمي في جزيرة العرب ص ٦١.

(٢) أبو مخرمة - تاريخ ثغر عدن ص ١٠٦.

الكتب والسكة إلى مصر فبعث الأمر بأحكام الله الأمير ابن الخياط ومعه ١٠٠ فارس من الحجرية، إلى اليمن، وأمره بالقبض على ابن نجيب الدولة. ولما قدم ابن الخياط ومن معه إلى الحرة وطلب منها ابن نجيب الدولة امتنعت من تسليمه وقالت له أنت حامل كتاب فخذ جوابه وإلا أقعد حتى أكتب إلى الخليفة الأمر بأحكام الله ويعود جوابه. فخوفها وزراؤها ولم يزالوا بها حتى استوثقت لابن نجيب الدولة من ابن الخياط بأربعين يمينا، وكتبت إلى الخليفة الأمر بأحكام الله وسيرت رسولا هو كاتبها محمد الأزدي، وسيرت معه هدية حسنة وفي الهدية بدنة قيمة الجوهرة التي فيها أربعون ألف دينار وشفعت فيه وسلمته إليهم، فلما فارقوا جبلة جعلوا في رجله قيلاً ثقيلاً وشموه وأهانوه، وبات في الدهليز عرياناً في الشتاء، وبادروا به إلى عدن وسفروه إلى مصر أول يوم من شهر رمضان، وأخذوا رسولها ابن الأزدي بعد خمسة عشر يوماً وطلبوا من ربان المركب أن يفرقه ففرقه وغرق المركب بما فيه على باب المنذب ومات ابن الأزدي غريقاً. ولا يعلم ما جرى لابن نجيب الدولة بعد خروجه من اليمن<sup>(١)</sup>. أخذت الدولة الصليحية، بعد رحيل ابن نجيب الدولة من اليمن في الانهيار والانحلال. وفي أواخر أيام الملكة الحرة لم تبق في يدها إلا بضعة حصون.

توفيت الحرة سنة ٥٣٢هـ - ١١٣٧م، وبنفس العام، توفي سبأ بن أبي السعود بن زريع بن العباس فتولى الملك بعده علي الأغر فارتاب منه أخوه محمد فهرب منه ولاذ بالمنصور بن المفضل بن أبي البركات. ولم تطل مدة ولاية علي الأغر أكثر من سنتين ثم توفي بالدملة سنة ٥٣٤هـ فكتب بلال ابن جرير، من عدن، إلى مولاه محمد بن سبأ يعلمه بوفاة أخيه ويأمره بالمبادرة إلى عدن ويعده بالقيام معه فلما وصل إليه كتاب بلال خرج من عند المنصور ابن المفضل مع الهمدانيين يريد عدن فلما صار بالقرب منها تلقاه بلال وزوجه ابنته. وفي أثناء مدته قدم من مصر القاضي رشيد أحمد بن الزبير الأسواني حاملاً رسالة من صاحب مصر إلى الأغر علي بن سبأ بتقليد أمر الدعوة له في

(١) المرجع السابق ص ١٤ و ٧١.

سنة ٥٣٤هـ - ١١٣٩م فوجد علياً قد مات فقلد الدعوة أخاه محمداً ونعته بالمعظم ووصفه بالمتوج<sup>(١)</sup>.

وفي سنة ٥٤٥هـ - ١١٥٠م ابتاع الداعي محمد بن سبأ من الأمير منصور بن المفضل جميع ما تحت يده من المعاقل والحصون والمدن بمائة ألف دينار وهي ٢٨ حصناً، ومن المدائن مدينة ذي جبلة. ونزل منصور بن المفضل إلى حصنه صبر وتعز، وصعد الداعي إلى ذي جبلة وتزوج زوجة الأمير منصور بن المفضل وفي عام ٥٤٨هـ - ١١٥٣م وقيل سنة ٥٥٠هـ - ١١٥٥م، توفي محمد بن سبأ بالدملوة، وقام بالأمر بعده ولده عمران، الملقب بالمكرم بن المعظم صاحب عدن والدملوة، وبقي قائماً بالدعوة الفاطمية إلى أن توفي في سنة ٥٦٠هـ - ١١٦٤م.

وبعد مرور سبع سنوات على وفاة عمران، قضى صلاح الدين الأيوبي على الدولة الفاطمية وأصبح النفوذ الفاطمي في اليمن مهدداً.

وفي عام ٥٦٩هـ - ١١٧٣م بعث صلاح الدين أخاه شمس الدولة توران شاه على رأس حملة إلى اليمن فبسط سلطانه عليها<sup>(٢)</sup>. وهكذا دخلت اليمن مرحلة جديدة من مراحل تاريخها.

(١) المرجع السابق ص ٢١٧.

(٢) الدكتور محمد جمال الدين سرور - النفوذ الفاطمي في جزيرة العرب ص ٥٩ وما بعدها.

## الدعوة الإسماعيلية في بلاد فارس

يستفاد من المصادر التاريخية، أن الدعوة الاسماعيلية انتشرت في بلاد فارس، زمن السلطان ملكشاه بن ألب أرسلان السلجوقي، أي في الفترة ما بين ٤٦٥ إلى ٤٨٥هـ / ١٠٧٢ - ١٠٩٢م.

ويعود الفضل في انتشارها إلى الداعي عبد الملك بن عطاش، الذي استمال إليه عدداً من الرجال ذوي الفضل والمواهب الفذة، ورسمهم دعاة وسيرهم إلى كل ناحية من نواحي البلاد. منهم: الداعي أبو نجم السراج، والداعي مؤمن، والداعي الحسن بن الصباح وهو أشهرهم.

وكان أول ظهور علني قوي للإسماعيلية عام ٤٩٢هـ / ١٠٩٨م بأصبهان تجمعا فيها من مناطق مختلفة.

وفي غير أصبهان، كان لهم وجود كثيف وملموس، في مناطق همدان وخراسان وكرمان وطبس وآمد وبيهق وطريث وبعض قهستان وغيرها.

ومما يلاحظ، أن انتشار الدعوة الاسماعيلية في بلاد فارس، كان محكوماً بعاملين: عامل الزمان، وعامل المكان.

فمن جهة، كان هذا الانتشار في ظل حكم السلاجقة الذين كانوا من أعداء الاسماعيليين. وثم كان ظهورهم في أوساط اجتماعية تضم لهم الكره الشديد وترى وجوب قتلهم واستئصال شأفتهم.

ولذلك، اتخذ الاسماعيليون من القلاع والحصون مساكن لهم، تحميهم من هجمات أعدائهم. وبلغ عدد القلاع والحصون التي تملكوها، ما يقرب من مائة قلعة موزعة في قهستان وروديار وقومس والموت و... من أشهرها:

- قلعة أصبهان المعروفة بشاه دز.
- قلعة خان لجان قرب أصفهان.
- قلعة الموت جنوبي بحر قزوين.
- سنمكوه قرب أبهر.
- استونا وند بين الري وآمد.
- قلعة الطنبور قرب أرجان.
- قلعة أردهن.
- قلعة كردكوه.
- قلعة الناظر بخوزستان.
- قلعة خلاد خان بين فارس وخوزستان.
- قلعة كلام.
- قلعة بيره على مقربة من قزوين.
- وغيرها . . .

وبالرغم من ذلك، كانت الاعتداءات تتوالى عليهم، وتشن الغارات على هذه القلاع من هذا الحاكم أو ذاك.

ووصلت الحملات التي شنت عليهم إلى حد الإبادة الجماعية.

فخلال العامين ٤٩٤هـ / ١١٠٠م، و٤٩٨هـ / ١١٠٤م، قتل الاسماعيليين في همدان وكرمان وقهستان وطبس.

وكانت أقسى نكبة نزلت بهم سنة ٥٠٠هـ / ١١٠٦م، عندما استولى السلطان محمد بن ملكشاه السلجوقي على قلعة أصبهان، وهي قلعة منيعة على جبل أصفهان «تناصي السماء، وتناظر الأفلاك»<sup>(١)</sup> وأخذ صاحبها أحمد بن عبد الملك بن عطاش أسيراً فترك أسبوعاً ثم أمر به فشهق في جميع البلد وسلخ جلده فتجلد حتى مات وحشي جلده تبناً وقتل ولده، وحمل رأسهما إلى بغداد. ولكي لا تقع زوجة أحمد في يد السلطان السلجوقي ألقت بنفسها من رأس

(١) محمد بن حامد الاصفهاني - تاريخ دولة آل سلجوق ص ٨٨.

أما سكان القلعة، الذين نجوا من القتل فتوجهوا إلى قلعة خان لجان، وقلعة الناظر، وطبس<sup>(٢)</sup>.

وأمر السلطان محمد بن ملكشاه بكتابة كتاب يقرأ على المنابر جاء فيه :

بسم الله الرحمن الرحيم من الوزير الأجل مجد الدين شرف الإسلام ظهير الدولة زعيم الملة بهاء الأمة فخر الوزراء أبو المعالي هبة الله بن محمد ابن المطلب رضى أمير المؤمنين. أما بعد أطال الله بقاء الوزير وألقابه وأدام تأييده وتمهيده وأحسن من عوائده مزیده فَإِنَّ اللَّهَ تَعَالَى يَقُولُ وَقَوْلُهُ الْحَقُّ: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَنْ يَرْتَدَّ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهَ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ أَذِلَّةٌ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٌ عَلَى الْكَافِرِينَ يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَائِمٍ ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾ ولقد آتانا الله وله الحمد من هذا الفضل ما صرنا به أطول الملوك في الإسلام باعاً وأعزهم في الذب عن حريمه أشياء وأتباعاً وأشدهم عند الحفيظة له بأساً وأطهرهم من درن الشبهة فيه لباساً وأقصدهم في اقتفاء الحق المبين أنحاء وأثقلهم على أعداء الله وأعداء الدين المنير وطأةً وأنحاءاً فلا تتجده عزائنا لهم في ذلك إلا أحققنا الفيصل وطبقتنا المِفْصَلَ وفرينا الفري واقتدحنا من الزناد الوري وأعدنا الحق جدعاً وأنف الباطل مجدعاً نعمة من الله تعالى اختصنا بها من دون سائر الأنام وأجلنا من التفرد بمزاياها في الذروة والسنام فالحمد لله على ذلك حمداً يوازي قدر نعمه ويمتري المزيد من مواد كرمه ثم الحمد لله على ما يسرنا له من إعزاز الدين ورفع عماده وقمع أضداده واستئصال شأفة الباطنية المناهضين لعناده الذين استرگوا العقول الفاسدة فاستغوها بأباطيلهم واستهووها بأضاليلهم واتخذوا دين الله هزواً ولعباً بما لفقوه من زخارف أقاويلهم سيما ما سنى الله من فتح الفتوح وهياً أسبابه من النصر الممنوح بأخذ قلعة شاه ذر التي شمش بها الجبل وبذخ وكان الباطل باض فيها وفرخ وكانت قدى في عيون الممالك وسيما الى

(١) ابن الأثير - الكامل في التاريخ، أخبار سنة ٥٠٠ هـ.

(٢) المرجع السابق.

التورط بالمسلمين في المهايوي والمهالك ومرصداً عليهم بالشرارة والنكارة حيثما ينحونه من المسالك. وفيها ابن عطاش الذي طار عقله في مدرج الضلال وطاش وكان يري الناس نهج الهدى مضلةً ويتخذ السفر المشحون بالأكاذيب مجلةً ويستبيح دماء المسلمين هدرًا ويستحل أموالهم غرراً فكم من دماء سفكت وحرم انتهكت وأموال استهلكت وتراتٍ تجرعتها النفوس فما أستدركت ولو لم يكن منهم إلا ما كان عند حدثان أمرهم بأصفهان من اقتناص الناس غيلةً واستدراجهم خديعةً وقتلهم إياهم بأنواع العقوبات قتلة شنيعة ثم فتكهم عوداً على بدء بأعيان الحشم وخيار العلماء وإراقتهم ما لا يعد ولا يحصى من مُحَرَّمات الدماء إلى غير ذلك من هنات يمتعص الإسلام لها أي امتعاض وما الله عن المسلم أن يتميز لها براضى لكان حقاً علينا أن نناضل عن حمى الدين ونركب الصعب والذلول في مجاهدتها ولو إلى الصين.

وهذه القلعة كانت من أمهات القلاع التي انقطع إليها رؤوس الباطنية كل الانقطاع فكان تبتُّ الحبائل منها في سائر الجهات والأقطار وترجع إليها نتائج الفساد رجوع الطير إلى الأوكار وهي في العزة والمنعة مثل مناط الشمس التي تنال منها حاسة البصر دون حاسة اللمس تردّ الطرف كليلاً وتعذّ العدد الدثر في محاصرتها كليلاً. وكأنها وهي أعلى شاهق نزلت على الجبل من حالق فهي بهذه الصفة مقابلةً لبلدة أصفهان التي هي مقر الملك ودار الثواء وأولى البلاد بتطهيرها من اهتياج الفتن واختلاف الأهواء ونحن نقيم بها طول هذه المدة المديدة وندبر أمرها إلى ما يصونه الرأي من الحيلة والمكيدة وأماننا من المستخدمين وأصحاب الدواوين نفرٌ تُصغي إليهم أفئدتهم فيما كانوا عليه من مخالفة الدين يتوصلون بمكرهم إلى نقض ما يبرم وتأخير ما تقدّم ويوهمون أنها من النصائح التي تقبل وتلزم حتى تطاول دون ذلك الأمد وبان من القوم المعتمد وأنضح لنا من صائب التدبير ما يعتمد وكنا في خلال هذه الأحوال لم نخل هذه القلعة من طائفة تهزيم حمية الدين من الجند ينتهون من التضييق عليها إلى كل غاية من الجد فيتوفرون على محاصرتهم ومصابرتهم ويتشمرون لمزاولتهم ومصاولتهم ويقعدون لهم بكل مرصدٍ ويسدون كل متنزلاً ومصعد حتى انقطعت عنهم المواد وخانتهم المير والأزواد واضطروا إلى أن نزل بعضهم على حكم



الأمان بعد الاستئثار والاستئذان فأمرنا بتخليفة سربهم وإيمان سربهم وسلم الشطر من القلعة لخلوه من الفئة النازلة واعتصم ابن عطاش بقلة أخرى تسمى دالان مع نخب أصحابه من المقاتلة وهذه القلعة هي أمنع المواضع من القلعة وأحصنها وأوعرها مسلكاً وأحزنها فقد نقل إليها ما كان بقي لهم من الميرة وسائر ما يستظهر به من السلاح والذخيرة على أن يلبثوا بها أياماً معدودة فينزّلوا ويبدل لهم الأمان مثل ما بُذل للأولين فيتحوّلوا كل ذلك بوساطة من قدّمنا ذكرهم من المستخدمين في الدواوين وفي باطن الأمر خلاف ما يتوهم من الإعلان وذلك أنهم قدّروا أن ما سلّم من القلعة يترك على عمارته ومكانته وما أمتنع به من القلعة لا يُقدر عليه لمنعته وحصانته فهم يتوصّلون بتمكنهم من ذلك الحيل إلى سرقة ما سلّموه آنفاً ببعض الحيل هذا وقد كفوا مؤن من نزل من الأكلة وعندهم الكفاف لمن بقي من العملة. ففطنا لما عمدوا وعليه اعتمدوا وأمرنا في الحال بالقلعة المسلمة فنسفت نسفاً وخسفت بها خسفاً وصير سفهاً علواً كما كان علوها خلواً ثم انتقمنا من المستخدمين الغادرين بالملك والدين حتى ساقهم الحين المتاح إلى حين فلم يفلت منهم صاحب ولا مصحوب إن الشقاء على الأشقيين مصبوب. ووافق ذلك حلول الموعد لنزول باقي القوم من دالان فأبوا إلا المظل والليان. فلما مضت أيام على ذلك أظهروا التمرد والعصيان فصاروا كما قال الله تعالى: ﴿وَمَنْ يُرِدِ اللَّهُ فِتْنَتَهُ فَلَنْ تَمْلِكَ لَهُ مِنَ اللَّهِ شَيْئاً أُولَئِكَ الَّذِينَ لَمْ يُرِدِ اللَّهُ أَنْ يَطَهِّرْ قُلُوبَهُمْ لَهُمْ فِي الدُّنْيَا خِزْيٌ وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ فعند ذلك استخرنا بالله تعالى تجريد العزائم لهذا الجهاد الذي هو عندنا من أنفس العزائم ولا نخاف فيه لومة لائم وأهينا بمن حضرنا من العساكر المنصورة الى الإحداق بالقلعة المذكورة يوم الثلاثاء ثاني ذي الحجة فنزلوا لفنائها محتشدين ولصدق اللقاء متشمرين متجرّدين وجرت مناوشة عشية هذا اليوم أنخنت عدّة من أولئك القوم وبات المسلمون ليلتهم تلك على أضمر والملحدون لحماً على وضمر.

فلما تنفّس الصبح وعردت الديوك الصبح وطوى الليل رداءه ورفع الفجر لواءه نصر الله الحق وأدال الدين وساء صباح المنذرين وعدت جيوش النصر يداً واحدة وكلمة على التظافر والتظاهر مساعدة تسطو بالفئة المتحصنة بالقلعة

سطوة الليث الهصور وكانهم طاروا بأجنحة الصقور على صم الصخور فلم يلبثوا قبل ذرور الشمس بقرنها وأخذها الناصح من لونها أن أخذوا القلعة عنوة وقهراً وأجروا من دماء الباطنية الملحدة نهراً فلم يثل منهم وائل ولا أخطأهم من السيوف البواتر وائل وأمرنا في الحال بهدمها والتعفية على ردمها فلم يبق بها نافخ ضرمة ولا أثر من نسمة ولا مدرّ على أكمة وأسر ابن عطاش رأس الجالوت وولي الطاغوت الذي كان ممن قال الله تعالى فيه: ﴿وجعلناهم أئمةً يدعون إلى النار﴾ فجعلناه وولده المقرون به مثلاً للنظار وعبرة لأولي الأبصار فقطع دابر القوم الذين ظلموا والحمد لله رب العالمين هذا الفتح المبين والعزة التي تُتلى لأنها من الدهر الحين والنعمة التي تمت وعمت وأحنت بالنعمة على أعداء الله ورسوله وطمت وما ذاك إلا من بركات عقائدنا الناصعة في موالة الدولة العباسية ظاهر الله مجدها وما يلتزمه في فرضها من فضل المناصحة والمشايعة فيها نحن نسطو بالأعادي ونكفي من اعتراض النوائب كل العوادي ونسوس الدهماء من الحواضر والبوادي. وهذه البشرية التي يهناً بها الإسلام وتُرفع بها من الإشادة بذكرها في الخافقين الأعلام، أمرنا بنشرها في الأقصى والأدنى لا سيما الدارة العزيزة ظاهر الله مجدها فإنها أولى من يبشّر بمثلها ويهناً. وأنهينا بالأمير عز الدولة الى إيصال هذه البشارة الى الديوان العزيز النبوي أعلى الله جدّه فندب من قبله من يقوم بهذه الخدمة ويعلمه ما نحن نصدّره من الاعتراف بقدر هذه النعمة وهذا الأمير كان من المندوبيين أولاً وآخراً لمحاصرة هذه القلعة فأبلى فيها بلاء حسناً جميلاً وأغنى غنى لم نجد له فيه عديلاً ولذلك ما اختصاصناه بهذه المزية وأثرناه بإبلاغ هذه البشرية الهنيئة والمعول تام على الاهتمام الوزيري في إلقائها الى المقارّ المعظمة النبوية ليعلم من صدق نهضتها بالخدمات وعندنا المسعاة في إعزاز الدين من أوجب المهمات ما يزلفنا من شريف المراضي ويفرض لنا من المحامد والمآثر التامة على الأبد أكرم الأحاطي وأن يتقدّم في حق المبشّر ما هو على الدولة ثبتها الله متعين حتى يعود ولما يستحسن من موقع هذه البشارة عليه أثرٌ بين والوزير أولى من اغتم هذه المكرومة فاعتنقها وتمكّن من عصمة الرأي السديد فاعتلقها واستحمد إلينا بما يتكلّفه من جميل مساعيه ويتكلّفه بالا هزاز والاهتمام فيه من سائر ما يلاحظه

الأمر ويراعيه إن شاء الله تعالى وكتب بالأمر العالي شفاهاً في ذي القعدة سنة ١٥٠٠هـ<sup>(١)</sup>.

بعد مقتل احمد بن عطاش، برز من الدعاة الاسماعيليين الحسن بن الصباح، والحسن بن الصباح رجل لا كالرجال.

وسيرة حياته، سيرة البطولة والتقى والثبات على المبدأ والعقيدة.

لم يكن زعيماً لحشاشين وقتلة، كما صورته تعصب المؤرخين للتشيع عليه، وإنما كان تقياً عابداً زاهداً، وزعيماً لفدائيين أعدهم لردع الحكام عن الاستمرار في حملات الإبادة التي كانوا يشنونها ضد طائفته في كل حين، بسبب معتقدها الديني.

ولد هذا الداعي الخطير بمدينة الري، حوالي سنة ٤٣٠هـ/ في أسرة إمامية اثني عشرية تكتم مذهبها تقية.

أرسله والده إلى نيسابور، لتلقي العلم، على الإمام موفق الدين النيسابوري، أحد أعلام عصره.

التحق في مرحلة من مراحل عمره، بديوان الكتابة في بلاط الملك ملكشاه، بواسطة صديقه نظام الملك.

تولدت فناعته بالمذهب الاسماعيلي، بعد مناقشات جرت ما بينه وبين أحد دعاة الاسماعيلية الفاطميين، ودخل الدعوة على يد الداعي مؤمن، موفق داعي الدعاة عبد الملك بن عطاش إلى مدينة الري.

وعندما حضر عبد الملك الى الري واجتمع به، ووقف على آرائه واختبر استعداداه، عينه داعياً اسماعيلياً، ونصحته بالتوجه الى القاهرة لينعم بخدمة الإمام المستنصر. وصل الى القاهرة سنة ٤٧١هـ/ ١٠٧٨م، واجتمع فيها بعدد من الدعاة الاسماعيليين، كما قابل الإمام المستنصر وعلم منه أن الإمام من بعده ولده نزار.

(١) ابن القلانسي - ذيل تاريخ دمشق ص ١٥٢.

لم يرتح الوزير بدر الجمالي إلى وجوده في مصر، فأخذ ينسج المؤامرات للإيقاع به. لكن ابن الصباح كان بمنتهى الحيلة، ثم جاء من همس في أذنه ونصحه بمغادرة مصر حفاظاً على نفسه، فغادرها خلسة، بعد عام ونصف من وصوله إليها.

بعد مغادرته مصر راح ينتقل في بلاد الشام والعراق وخوزستان ويزد وغيرها من الأماكن، داعياً للمذهب الاسماعيلي، فاستجاب له كثيرون.

كان محور اهتمامه تخليص الإمام المستنصر من هيمنة وزيره بدر الجمالي وكانت الفكرة التي تدور في رأسه، هي تأسيس دولة في بلاد فارس ينتقل إليها الإمام المستنصر، ويتخذها مركزاً له وللدعوة الاسماعيلية بدلاً من مصر.

ولتحقيق أهدافه سعى أولاً إلى اجتذاب أكبر عدد من الناس المتعطشين إلى العدل، الذين ضاقوا ذرعاً بطغيان حكم السلاجقة<sup>(١)</sup>. واختار عدداً من الدعاة الأكفاء وأرسلهم إلى القلاع والحصون الواقعة في جنوب بحر قزوين<sup>(٢)</sup> وبصورة خاصة منطقة أراضي الموت الفسيحة. لما تتمتع به من حصانة طبيعية مثالية.

فهذه الأراضي مقسمة إلى قسمين: رودبار الموت، ورودبار شهرستان أي المدينة. وقد سميت بهذا الاسم لوجود ١٣ قلعة فيها هي: ألموت، وشيركوه، وشهرك، ونوزير شاه، ولمبسر، وقسطين لار، وميمون دج، وقلادوش هند، وبازركاه، وسيوهين، وكياكلا قلعة، وكياندشت.

وتأتي قلعة ألموت، على رأس هذه القلاع.

وهي تتألف من قسمين:

جورقلا أي القلعة الفوقا أو العليا.

ويلا قلا أي القلعة الكبيرة.

يبلغ طول القلعة ١٢٠ متراً، وعرضها بين ١٠ و٣٥ متراً. وهي مبنية على

(١) الدكتور محمد كامل حسين - طائفة الاسماعيلية ص ٦٩.

(٢) المرجع السابق.

جبل صخري ذي سفوح وهاويات شديدة الانحدار يبلغ ارتفاعها ١٥٠ متراً، مما يجعل الوصول إليها في غاية الصعوبة. وقد حفر في صخور الجبل ممر بطول ٦ أمتار وعرض وارتفاع مترين، هو الطريق الوحيد لدخول القلعة. وعند اجتياز هذا الممر يمكن رؤية سهل الموت الجنوبي حتى وادي الموت رود<sup>(١)</sup>.

دخل الحسن بن الصباح هذه القلعة متخفياً عام ٤٨٣هـ، وسكن فيها منصرفاً للعبادة تحت اسم (دهخدا) الذي اشتهر به، ثم اشتراها من العلويين بمبلغ ٣٠٠٠ دينار وجعلها مركزاً لنشاطه<sup>(٢)</sup>.

ولما تملكها، أمر بأن يزرع الجبل، المقامة عليه بالأشجار والزهور وبنى فيها قصوراً فاخرة.

ولدينا وصف لهذه القصور كتبه الرحالة الإيطالي المشهور ماركوبولو ونصه:

«... هناك في واد مونق محصور بين جبلين شامخين، أنشأ بستاناً فاخراً، جمع فيه أشهى الثمرات وأعطر النباتات التي استطاع إليها وصولاً. وشيدت قصور متنوعة الأحجام والأشكال بمختلف أرجاء المنطقة، زينت بزخارف من ذهب، وملئت حجراتها بالصور الزاهية وبالآثاث المكسو بأفخم الدمقس والاستبرق، واستخدمت أنابيب صغيرة صممت في هذه المباني، وبواسطتها كانت أنهار من خمر ولبن وعسل وماء فرات تشاهد وهي تفيض في كل اتجاه. وكانت تسكن هذه القصور حوريات رشيقات جميلات دربن حتى أتقن جميع فنون الغناء، واللعب على جميع أنواع الآلات الموسيقية والرقص، كما أتقن بوجه خاص أفانين الغزل والإغراء والدلال. وكن يشاهدن دوماً وقد ارتدين أثمن الثياب وهن يتلاعبن ويسلين أنفسهن في الحديقة وما حوت من جواسق وسراقات. إذ كان حراسهن من النساء يبقيهن داخل المباني ولا يسمح لهن أبداً بالظهور»<sup>(٣)</sup>.

(١) مجلة الراصد - العدد ٦١ ك/١٣/٢ ك/١٩٩٦ م..

(٢) المرجع السابق.

(٣) رحلات ماركوبولو ص ٦٤.

ولا يخامرنا أدنى شك في أن ماركوبولو اعتمد على خياله في وصف قلعة الموت، يؤكد لنا ذلك زعمه وجود أنهار من خمر... ذلك لأن الحسن ابن الصباح قتل أحد أولاده لأنه شرب الخمر<sup>(١)</sup>. هذا من جهة، ومن جهة أخرى فليس في كلامه ما يدل على أنه رأى بعينه القصور التي وصفها وإنما نقل على السماع.

لدينا قول مفاده أن الحسن بن الصباح هو الذي أظهر مذهب الاسماعيلية في بلاد فارس، ونص هذا القول هو: «فنابت النوائب، وظهرت العجائب، وفارق الجمهور من بيننا، جماعة نشأوا على طباعنا، وكالوا بصاعنا، وكانوا معنا في المكتب، وأخذوا حظاً وافراً من الفقه والأدب. وكان منهم رجل من أهل الري، وساح في العالم، وكانت صناعته الكتابة، فخفي أمره، حتى ظهر وقام، فأقام من الفتنة كل قيامة، واستولى في مدة قريبة على حصون وقلاع منيعة...»<sup>(٢)</sup>.

ولما حقق الحسن بن الصباح مراده، وأسس دولته بالموت، اتجه تفكيره الى استدعاء الإمام المستنصر ليتولى أمور هذه الدولة. لكن الأخبار جاءت به بموت المستنصر سنة ٤٨٧هـ والدعاء في مصر بإمامة المستعلي بن المستنصر، فأبى الحسن بن الصباح الاعتراف بالمستعلي، وخطب باسم نزار. وأرسل بعض فدائييه الى مصر لإحضار نزار أو أحد أبنائه الى الموت. فلم يتمكنوا لأن أمير الجيوش الأفضل بدر الجمالي كان قتل نزاراً وابنه قبل وصولهم الى مصر، فاصطحبوا معهم إلى الموت ابناً آخر لنزار فأخفاه الحسن عنده حتى تأتي الفرصة لإظهاره.

بقتل نزار أصبح الحسن بن الصباح صاحب الأمر في الدعوة الإسماعيلية الجديدة - الدعوة النزارية -<sup>(٣)</sup>.

(١) الدكتور محمد كامل حسين - طائفة الاسماعيلية ص ٧٨.

(٢) محمد بن محمد بن حامد الاصفهاني - تاريخ دولة آل سلجوق ص ٨٦.

(٣) الدكتور محمد كامل حسين - طائفة الاسماعيلية ص ٧١.

وقد سميت هذه الدعوة بالدعوة الجديدة، لأنها قامت على آراء الحسن ابن الصباح الفكرية، وكتاباتهِ، ومنها الفصول الأربعة التي بدأ بها دعوته وقد وصلتنا عن طريق الشهرستاني الذي عرّبها وأثبتها بنصها وهي:

الأول: قال للمفتي في معرفة الله تعالى أحد قولين: إما أن يقول أعرف البارئ تعالى بمجرد العقل والنظر من غير احتياج إلى تعليم معلم، وإما أن يقول: لا طريق إلى المعرفة مع العقل والنظر إلا بتعليم معلم. قال: ومن أفتى بالأول فليس له الإنكار على عقل غيره ونظره. فإنه متى أنكر فقد علم، والإنكار تعليم، ودليل على أن المنكر عليه محتاج إلى غيره. قال: والقسمان ضروريان، لأن الإنسان إذا أفتى بفتوى، أو قال قولاً، فإما أن يعتقد من نفسه، أو من غيره.

هذا هو الفصل الأول، وهو كسر على أصحاب الرأي والعقل.

وذكر في الفصل الثاني أنه إذا ثبت الاحتياج إلى معلم، أفصلح كل معلم على الإطلاق، أم لا بد من معلم صادق؟ قال: ومن قال إنه يصلح كل معلم ما ساغ له الإنكار على معلم خصمه، وإذا أنكر فقد سلم أنه لا بد من معلم صادق معتمد.

قيل: وهذا كسر على أصحاب الحديث.

وذكر في الفصل الثالث أنه إذا ثبت الاحتياج إلى معلم صادق، أفلا بد من معرفة المعلم أولاً والظفر به، ثم التعلم منه؟ أم جاز التعلم من كل معلم من غير تعيين شخصه، وتبيين صدقه؟

والثاني رجوع إلى الأول ومن لم يمكنه سلوك الطريق إلا بمقدم ورفيق، فالرفيق ثم الطريق، وهو كسر على الشيعة.

وذكر في الفصل الرابع أن الناس فرقتان فرقة قالت نحن نحتاج في معرفة البارئ تعالى إلى معلم صادق، ويجب تعيينه وتشخيصه أولاً، ثم التعلم منه. وفرقة أخذت في كل علم من معلم وغير معلم. وقد تبين بالمقدمات السابقة أن الحق مع الفرقة الأولى فرئيسهم يجب أن يكون رئيس المحققين، وإذا



تبين أن الباطل مع الفرقة الثانية فرؤساؤهم يجب أن يكونوا رؤساء المبطلين .

قال: وهذه الطريقة هي التي عرفنا بها المحق بالحق معرفة مجملة، ثم نعرف بعد ذلك الحق المحق معرفة مفصلة حتى لا يلزم دوران المسائل، وإنما عنى بالحق ههنا: الاحتياج، وبالمحق المحتاج إليه، وقال: بالاحتياج عرفنا الإمام، وبالإمام عرفنا مقادير الاحتياج كما بالجواز عرفنا الوجوب، أي واجب الوجود، وبه عرفنا مقادير الجواز في الجائزات. قال: والطريق إلى التوحيد كذلك، حذو القذة بالقذة.

ثم تركوا فصولاً في تقرير مذهبه إما تمهيداً، وإما كسراً على المذاهب، وأكثرها كسر وإلزام واستدلوا بالاختلاف على البطلان، وبالانفاق على الحق.

منها فصل «الحق والباطل» الصغير والكبير. يذكر أن العالم حق وباطل ثم يذكر أن علامة الحق هي الوحدة، وعلامة الباطل هي الكثرة، وأن الوحدة مع التعليم، والكثرة مع الرأي، والتعليم مع الجماعة، والجماعة مع الإمام، والرأي مع الفرق المختلفة، وهي مع رؤسائهم.

وجعل الحق والباطل، والتشابه بينهما من وجه، والتمايز بينهما من وجه، والتضاد في الطرفين، والترتب في أحد الطرفين ميزان يزن به جميع ما يتكلم فيه، قال: وإنما أنشأت هذا الميزان من كلمة الشهادة، وتركيبها من النفي والإثبات، أو النفي والاستثناء.

قال: فما هو مستحق النفي باطل، وما هو مستحق الإثبات حق، ووزن بذلك الخير والشر، والصدق والكذب، وسائر المتضادات، ونكتته أن يرجع في كل مقالة وكلمة إلى إثبات المعلم، وأن التوحيد والنبوة معاً، حتماً يكون توحيداً، وأن النبوة هي النبوة والإمامة معاً حتى تكون نبوة<sup>(١)</sup>.

ونقل الشهرستاني عن الحسن بن الصباح أنه منع العوام عن الخوض في العلوم، وكذلك الخواص عن مطالعة الكتب المتقدمة إلا من عرف كيفية الحال في كل كتاب ودرجة الرجال في كل علم.

(١) الشهرستاني - الملل والنحل ج ١، ص ١٩١.



ولم يتعد بأصحابه في الإلهيات عن قوله: إن إلهنا إله محمد. قال: وأنتم تقولون: إلهنا إله العقول، أي ما هدي إليه عقل كل عاقل.

وختم كلامه بقوله: كم قد ناظرت القوم على المقدمات المذكورة فلم يتخطوا عن قولهم: أفحتاج إليك؟ أو نسمع هذا منك؟ أو نتعلم عنك؟<sup>(١)</sup>.

ولأن الحسن بن الصباح كان محاطاً بأعداء شديدي الخصومة، متحفيين للانقضاض عليه في كل لحظة، فقد تفتقت عبقريته الفذة عن ابتكار أسلوب حربي لم يسبقه إليه أحد في التاريخ هو نظام الفدائيين (الغداوية)، استوحى فكرته من بلاط الخليفة المستنصر. ويقضي هذا الأسلوب بأخذ الأطفال ثم تنشئتهم تنشئة عسكرية صارمة، يتعلمون خلالها فنون القتال واستعمال مختلف أنواع الأسلحة وعلى رأسها الخناجر، كما يتعلمون إخفاء أمر أنفسهم وأمر من معهم.

وكانوا يخضعون لتدريب قاس جداً، لإعدادهم جسدياً ونفسياً لتحمل المشاق، حتى إذا وقع أحدهم بيد الأعداء عجزوا عن انتزاع أي كلمة منه. وقتل نفسه قبل أن يتمكنوا منه.

وبهذه الطريقة تكوّن لدى الحسن بن الصباح جيش من الفدائيين المدربين أحسن تدريب، أفزعوا العالم الإسلامي بأسره. وصار خصوم الإسماعيليين يفكرون ألف مرة قبل الإقدام على أي عمل ضدهم، خوفاً من انتقام الفدائيين السريع والحاسم.

وقد وصلت أيادي هؤلاء الفدائيين إلى كل من أساء إلى الإسماعيليين، قولاً أو فعلاً، وكل من شارك أو أسهم، بصورة أو بأخرى، في الاعتداء عليهم. وكان ممن قتلوا على أيديهم:

- عبيد الله بن علي الحطبي، قاضي قضاة أصفهان، قتل بهمدان سنة ٥٠٢هـ / ١١٠٨م وبنفس العام قتل بآمد صاعد بن محمد البخاري.

(١) المرجع السابق.

وقتل أيضاً القاضي عبد الواحد بن اسماعيل الروياني .

- أحمد ديل صاحب مراغة قتل سنة ٥٠٨هـ / ١١١٤م وقيل سنة ٥١٠هـ  
وقيل سنة ٥١٦هـ والتاريخ الأول أصح .

- أبو طالب السمرمي بن أحمد الوزير، وزير بغداد للسلطان محمود قتل  
سنة ٥١٦هـ / ١١٢٢م .

- قاضي القضاة محمد بن نصر بن منصور الهروي، قتل بهمدان سنة  
٥١٨هـ / ١١٢٤م .

- البرسقي قتل سنة ٥٢٠هـ / ١١٢٦م .

- الخليفة المسترشد قتل سنة ٥٢٩هـ / ١١٣٤م .

- الراشد بالله بن المسترشد بالله قتل سنة ٥٣٢هـ / ١١٣٧م .

شهرة فدائي الحسن بن الصباح، جعلت الحكام يتسابقون إلى مهادنته  
وكسب وده. وكثيراً ما استعانوا به ضد بعضهم البعض تحقيقاً لمآربهم  
الشخصية، وشايعة عدد من الوزراء منهم أبو القاسم الدرگزيني، الذي عينه  
السلطان سنجر بن ملكشاه بمنصب الطغراء والإنشاء، ثم تولى الوزارة للسلطان  
محمد بن ملكشاه السلجوقي .

وإلى جانب حرب الخناجر التي شنها الحسن بن الصباح على أعدائه،  
حاربهم بالفكر أيضاً. فكان يرسل دعواته الذين اشتهروا بقوة الحجّة وفصاحة  
اللسان والموهبة الفائقة في المجادلة، لمناظرة أصحاب المذاهب الأخرى،  
علانية، على مرأى ومسمع من الناس. وكان هدفه من ذلك إصابة عصفورين  
بحجر واحد. تشكيك الناس بمعتقداتهم من جهة، وإظهار ضعف مستوى علماء  
وفقهاء المذاهب بالقياس إلى الدعاة الاسماعيليين، مما يحط من قدرهم بنظر  
أتباعهم، وبالتالي يسهل جذبهم إلى المذهب الاسماعيلي .

لكن فقهاء المذاهب الأخرى كانوا يتجنبون مناظرة الدعاة الاسماعيليين،



وبدلاً من ذلك انصرفوا إلى تصنيف الكتب في الرد على معتقدات الاسماعيلية<sup>(١)</sup>.

في عام ٥١٨هـ / ١١٢٤م توفي الحسن بن الصباح. وبعد وفاته عاشت الدولة الاسماعيلية ما يقرب من ١٣٦ سنة، ساءت خلالها أحوال الاسماعيلية كثيراً، وتعرضوا للعديد من حملات الإبادة في السنوات ٥٢٠ و ٥٤٩ و ٥٥٢ و ٦٠٠ و ٦٠٢ و ٦٢٤هـ / ١١٢٦ و ١١٥٤ و ١١٥٧ و ١٢٠٣ و ١٢٠٥ و ١٢٢٦م. طالت الصغار والكبار والرجال والنساء.

ارتكبت في هذه الحملات أبشع أنواع المجازر في التاريخ.

ففي سنة ٥٢٠هـ / ١١٢٦م، أمر وزير السلطان سنجر، أحمد بن الفضل، بغزو الاسماعيلية وقتلهم أينما كانوا وحيثما ظفر بهم، ونهب أموالهم وسبي نساءهم، وجهاز جيشاً إلى طريثيث وهي لهم، وجيشاً إلى بيهق من أعمال نيسابور وكان من أعمالها قرية طرز فقتلوا كل من بها<sup>(٢)</sup>.

وفي شهر ربيع الآخر من عام ٥٤٩هـ / ١١٥٤م كان ما مجموعه ٧٠٠٠ آلاف شخص من الاسماعيليين متوجهين من قهستان الى خراسان فسار إليهم محمد بن أنز في جماعة من الأمراء وكثير من العشائر وتقاتل الطرفان وانهزم الاسماعيلية وكثر القتل فيهم ولم يسلم منهم إلا القليل وختل قلاعهم وحصونهم<sup>(٣)</sup>.

وفي عام ٥٥٢هـ / ١١٥٧م جمع شاه مازندران رستم بن علي بن شهريار عسكره وتوجه بهم إلى بلد ألموت فأغار عليها وأحرق القرى والسواد وقتل فأكثر وغنم أموالهم وسبي نساءهم واسترق أبناءهم فباعهم في السوق<sup>(٤)</sup>.

وفي سنة ٦٠٠هـ / ١٢٠٣م أمر شهاب الدين الغوري متولي بلاد الغورية

(١) الدكتور محمد كامل حسين - طائفة الاسماعيلية ص ٧٧.

(٢) ابن الأثير - الكامل، أخبار سنة ٥٢٠هـ.

(٣) المرجع السابق، أخبار سنة ٥٤٩هـ.

(٤) المرجع السابق، أخبار سنة ٥٥٢هـ.

علاء الدين محمد بن أبي علي بالمسير إلى الاسماعيلية ومحاصرة بلادهم فذهب إلى مدينة قاين وحصرها وضيق على أهلها، وعندما وصل إليه خبر قتل شهاب الدين صالح أهلها على ٦٠٠٠٠ دينار ركنية وحل عنهم وقصد حصن كاخك فأخذه وقتل المقاتلة وسبى الذرية<sup>(١)</sup>.

وفي سنة ٦٠٢هـ / ١٢٠٥م توجه ايدغمش السلطان شمس الدين صاحب همذان وأصبهان والري إلى بلاد الاسماعيلية المجاورة لقزوين فقتل منهم مقتلة كبيرة ونهب وسبى وحصر قلاعهم ففتح منها خمسا وحاصر أموت لكنه لم يتمكن منها<sup>(٢)</sup>.

وكرر فعل على قتل الاسماعيلية أحد أمراء جلال الدين بن خوارزم شاه، استنفر جلال الدين عساكره عام ٦٢٤هـ / ١٢٢٦م وسار إلى بلاد الاسماعيلية من حدود ألموت إلى كراكوه بخراسان فخرّب الجميع وقتل أهلها ونهب الأموال وسبى الحریم واسترق الأولاد وقتل الرجال وعمل بهم الأعمال العظيمة<sup>(٣)</sup>.

الحدث الأبرز في تاريخ الاسماعيلية، ببلاد فارس، هو ارتداد جلال الدين بن محمد بن حسن بن محمد بن بزرك عن المذهب الاسماعيلي. وأرسل في عام ٦٠٨هـ / ١٢١١م، رسولا إلى الخليفة الناصر ببغداد يخبره بأنهم تركوا مذهب الاسماعيلية وبنوا الجوامع والمساجد وأقيمت الجمعة والجماعات عندهم، وصلوا التراويح في شهر رمضان فسر الخليفة والناس بذلك<sup>(٤)</sup>.

ويوازي هذا الحدث في الأهمية مسير هولوكو، إلى بلاد فارس، للقضاء على الاسماعيلية، وذلك في شهر شعبان من عام ٦٥٣هـ / ١٢٥٥م. وكان قبل مسيره وجه عدة رسائل إلى الملوك والسلاطين في إيران جاء فيها: «بناء على أمر القآن قد عزمنا على تحطيم قلاع الملاحدة وإزعاج تلك الطائفة، فإذا

(١) المرجع السابق، أخبار سنة ٦٠٠هـ.

(٢) المرجع السابق، أخبار سنة ٦٠٢هـ.

(٣) ابن تغري بردي - النجوم الزاهرة ج ٢، ص ٢٠٣.

(٤) ابن الأثير - الكامل، أخبار سنة ٦٢٤هـ.



أسرعتم وساهمتم في تلك الحملة بالجيوش والعدد والآلات فسوف تبقى لكم ولاياتكم وجيوشكم ومساكنكم وستحمد لكم مواقفكم. إما إذا تهاونتم في امتثال الأوامر وأهملتهم، فإننا حين نفرغ بقوة الله من أمر الملاحدة فإننا لا نقبل عذرکم، ونتوجه إليکم فيجري على ولاياتكم ومساكنكم ما يكون قد جرى عليهم»<sup>(١)</sup>.

ولما وصلت الرسائل الى السلاطين والملوك، أسرعوا في التوجه إلى هولاء لتقديم فروض الطاعة. وكان الخواجه نصير الدين الطوسي وجماعة من الأطباء يقيمون لدى حاكم الاسماعيلية ركن الدين خورشاه فأخذوا يحثونه على الخضوع والطاعة لهولاءكو، يخوفونه من مغبة المقاومة وعدم التسليم، فاستجاب لنصحهم وأرسل أخاه الأصغر ساهنشاه مع طائفة من أعيان مملكته إلى هولاءكو إظهاراً للخضوع والطاعة، فأمر هولاءكو بإعزازهم وإكرامهم. وأرسل رسلاً إلى خورشاه ليخبروه أنه إذا قبل الخضوع والتسليم حقاً، فعليه أن يخرب القلاع ويمثل بنفسه أمام هولاءكو. وقد برّ بوعده فخرب أجزاء من قلاع هامون ذر وآلموت ولمبسر، وحطم أبراجها، ورمى أبوابها، واشتغل بتخريب أسوارها وحصونها وطلب مهلة سنة يغادر بعدها القلعة. وأن تستثنى من التخريب قلعتا آلموت ولمبسر على أن يسلم بقية القلاع ويطيع كل ما يصدر إليه من أوامر.

لكن هولاءكو سار إلى فران وحاصر قلعة شاه ذر وفتحها في يومين، وأرسل الرسل مرة أخرى ليحثوا خورشاه على التسليم.

وفي ٢٠ شوال سنة ٦٥٤هـ / ١٢٥٦م وصلت جيوش هولاءكو الى قلعة آلموت وحاصروها لكنهم عجزوا عن فتحها لمناعتها.

وأرسل هولاءكو رسولاً برسالة الى خورشاه يقول فيها إنه إذا نزل من القلعة، وترك المقاومة، وتوجه إلى معسكر الخان، فإن تصرفه هذا يكون سبباً في إنقاذ حياة طائفة كبيرة من الضعفاء والمساكين، وإذا لم يقدم نفسه خلال

(١) رشيد الدين فضل الهمداني - جامع التواريخ، المجلد ٢ ج ١، ص ٢٣٩.

خمسة أيام فإن عليه أن يستحكم في قلاعه ويستعد للقتال

وفي يوم الأحد غرة ذي القعدة سنة ٦٥٤ هـ نزل خورشاه من القلعة بناء على مشورة أعيان دولته، وتوجه الى هولاکو في صحبة الخواجه نصير الدين الطوسي والخواجه أصيل الدين الزوزني والوزير مؤيد الدين وأبناء رئيس الدولة، فأعزه هولاکو وأكرمه وشجعه ووعد بمساعدته، وأرسل من قبله صدر الدين فتسلم من خورشاه جميع الحصون والقلاع التي كان يملكها آباؤه وأجداده في قهستان وروذربار وقومس وبلغ عدد هذه القلاع نحو المائة. وبعد إخراج الحكام منها، خربت جميعها ما عدا كردكوه ولمبسر. وكان خورشاه وأقاربه وأتباعه اعتصموا في قلعة لمبسر، وظلوا يقاومون مدة سنة ثم انتشر الوباء بين المعتصمين فأفنى كثيرين منهم ونزل الباقيون ولحقوا بالآخرين<sup>(١)</sup>.

وأخيراً سقطت كردكوه في يد المغول بعد أن ظلت تقاوم مدة ٢٠ سنة<sup>(٢)</sup> وأنزل خورشاه جميع ما يتعلق به من قلعة ميمون ذر وأهدى إلى هولاکو جميع الخزائن والدفائن الموروثة والمكتسبة، فوزعها هولاکو على قواد جيشه<sup>(٣)</sup>.

وبعد ذلك، توجه هولاکو الى آلموت وأرسل إليها ركن الدين خورشاه ليحث المدافعين على التسليم، فأبى قائد القلعة ذلك، فشن المغول هجوماً عليها دام يومين أو ثلاثة ثم أرسل هولاکو إلى المحاصرين كتاباً يؤمنهم على حياتهم.

وفي يوم الاثنين ٢٦ ذي القعدة نزل قائد القلعة وسلمها لهولاکو، وصعد المغول إليها وكسروا المجانيق وخلعوا الأبواب. وطلب السكان مهلة ثلاثة أيام لنقل أمتعتهم. وفي اليوم الرابع اقتحم الجنود القلعة وأعملوا فيها السلب والنهب.

وبعد أن فرغ هولاکو من أمر القلاع أرسل إلى خورشاه من قتله مع أقاربه

(١) المرجع السابق، المجلد ٢/ج ١/ص ٢٥٥.

(٢) المرجع السابق.

(٣) المرجع السابق.



وأفراد أسرته من النساء والرجال حتى الأطفال في المهجد، فيما بين أبهر وقزوين فلم يبق منهم أثر.

وهكذا انتهت الدولة الاسماعيلية في بلاد فارس، بعد أن عاشت ١٧٧ سنة، وتعاقب عليها /٨/ حكام هم على التوالي:

- الحسن بن الصباح توفي سنة ٥١٨هـ / ١١٢٤م.

- كيا بزرك أميد توفي سنة ٥٣٣ / ١١٣٨م.

- محمد بن بزرك أميد الذي اشتهر بلقب «على ذكره السلام» توفي سنة ٥٥٨هـ / ١١٦٢م.

- حسن بن محمد بزرك أميد توفي سنة ٥٦٢هـ / ١١٦٦م.

- محمد بن حسن بن محمد بزرك أميد توفي سنة ٦٠٧هـ / ١٢١٠م.

- جلال الدين بن محمد بن حسن «نو سلمان» توفي سنة ٦١٨هـ / ١٢٢١م.

- علاء الدين محمد بن جلال الدين بن محمد بن حسن توفي سنة ٦٥٣هـ / ١٢٥٥م.

- ركن الدولة خورشاه بن علاء الدين توفي سنة ٦٥٤هـ / ١٢٥٦م.

## الدعوة الاسماعيلية في بلاد الشام

### الدولة الاسماعيلية في مصياف

لا توجد لدينا معلومات دقيقة عن تاريخ الدعوة الاسماعيلية ببلاد الشام، نظراً لطابع السرية الذي أحاط بها.

ونستطيع القول، بالاستناد إلى ما بين أيدينا من مصادر تاريخية، إن الدعوة انتشرت في حلب ومناطقها أولاً، ثم في دمشق.

كان القائم بالدعوة في حلب، الحكيم المنجم. ولما مات سنة ٤٩٦هـ / ١١٠٢م قام بالأمر من بعده رفيقه أبو طاهر الصائغ العجمي<sup>(١)</sup>.

وبلغت الدعوة ذروتها زمن رضوان بن تثن بن ألب أرسلان (حكم بين ٤٨٨ و ٥٠٧هـ / ١٠٩٥ و ١١١٣م) وكان رضوان، مال إلى الاسماعيلية، وشايعهم، وحفظ جانبهم، وصار لهم، في حلب، بفضل جه عظيم، وقدرة زائدة، مما جعل الناس يتبعون مذهب الاسماعيلية طلباً لجاههم. وكان هذا سبباً في انتشار مذهب الاسماعيلية في حلب ومناطقها، كسرمين والجوز وجبل السماق وبني عليم وبزاعة والباب وإعزاز وفاحية.

وقد أثار موقف رضوان من الاسماعيلية، حفيظة الملوك فكتبوا إليه في هذا الأمر فلم يلتفت إليهم<sup>(٢)</sup>.

لكن وجود الاسماعيليين في حلب، سرعان ما تعرض لنكبة قاسية سنة

(١) ابن العديم - زبدة الحلب ج ٢، ص ١٤٧.

(٢) المرجع السابق.





٥٠٥هـ / ١١١١م عندما تألبت عليهم الطوائف المجاورة وقتلوا منهم ألوفاً .

وازداد الأمر سوءاً بعد وفاة رضوان بن تتش سنة ٥٠٧هـ / ١١١٣م، وقيام ابنه ألب أرسلان مكانه، لأن أهل حلب أوغروا صدره ضد الاسماعيلية، كما أن السلطان محمد بن ملكشاه كتب إليه يقول: كان والدك يخالفني في الباطنية وأنت ولدي فأحب أن تقتلهم<sup>(١)</sup>.

واستجاب ألب لكتاب السلطان، وقبض على أبي طاهر الصائغ وقتله، وقتل اسماعيل الداعي وأخا الحكيم المنجم وأعيان الاسماعيلية وقبض على زهاء ٢٠٠ نفس منهم، وحبس بعضهم واستصفى أموالهم، وشفع في بعضهم، فمنهم من أطلق سراحه ومنهم من رُمي من أعلى القلعة ومنهم من قتل، وأفلت جماعة منهم فتفرقوا في البلاد<sup>(٢)</sup>.

بعد ١١ سنة على هذه النكبة، نزلت بالاسماعيلية نكبة مماثلة على يد بلك بن بهرام بن أرتق، وذلك في سنة ٥١٨هـ / ١١٢٤م، حيث قبض بلك على نائب بهرام، داعي الاسماعيلية في حلب، وأمر بإخراجهم من المدينة، فباعوا أموالهم ورحالهم، وخرجوا منها<sup>(٣)</sup>، هذا فيما يتعلق بالدعوة الاسماعيلية في حلب.

أما في دمشق، فقد انتشرت الدعوة على يد الداعي بهرام الأسدآبادي الذي هرب من بغداد إلى دمشق بعد مقتل خاله إبراهيم. وصار داعي الاسماعيلية في الشام. وكان يتردد في البلاد ويدعو الناس الى مذهب الاسماعيلية فاستجاب له كثيرون. وأقام بحلب مدة واتصل بصاحبها ايلغازي، وأراد ايلغازي أن يتقوى به خوفاً منه ومن جماعته لأنهم كانوا يغتالون كل من يناوئهم. وأشار ايلغازي على طغتكين، صاحب دمشق، بأن يجعله عنده لهذا السبب، فأخذه طغتكين إليه وقتها أظهر شخصه، وكثر أتباعه. ولما آنس من أهل دمشق نفوراً وغلظة في التعامل معه، طلب من طغتكين حصناً يأوي إليه هو وأتباعه فأعطاه قلعة بانياس

(١) المرجع السابق، ص ١٦٨.

(٢) ابن القلانسي - ذيل تاريخ دمشق ص ١٩٠.

(٣) الذهبي - العبر في خبر من غير ج ٤، ص

فاستقل بها وتوافد إليه أصحابه من كل ناحية فعظم شأنه. وملك عدة حصون منها القدموس وغيره<sup>(١)</sup>. ولأسباب غير معروفة، لعلها صراع على النفوذ، استدريج بهرام إليه برق بن جندل أحد مقدمي وادي التيم ثم اعتقله وقتله<sup>(٢)</sup>.

وفي سنة ٥٢٢هـ / ١١٢٨م جمع بهرام جموعه وقصد وادي التيم للإيقاع بأهله، وكانوا من مذاهب مختلفة، وكان ضحاك بن جندل، شقيق برق، يترصدهم، فتركهم حتى اقتربوا من وادي التيم ونزلوا للراحة ثم باغتهم ووضع السيف فيهم، وقتل بهرام في هذا الهجوم، وقطع رأسه ويده بعد تقطيعه بالسيوف والسكاكين<sup>(٣)</sup>. وانهزم من سلم وعادوا إلى بانياس.

وكان بهرام قد استخلف في بانياس رجلاً من أصحابه اسمه اسماعيل، فقام مقامه وجمع شمل من عاد منهم، وبث دعواته في البلاد وآزره الوزير طاهر ابن سعد المزدقاني، كما كان يساعد سلفه بهرام.

ثم إن المزدقاني أقام بدمشق عوض بهرام شخصاً اسمه أبو الوفا، فقوي أمره وعلا شأنه وكثر أتباعه وقام بدمشق وصار زعيمها غير المتوج وطفى نفوذه على نفوذ تاج الملوك بوري<sup>(٤)</sup>.

ثم إن المزدقاني راسل الفرنج ليسلم إليهم مدينة دمشق، ويسلموا إليه في المقابل مدينة صور واستقر الأمر بينهم على ذلك. وتقرر بينهم الميعاد يوم جمعة حيث يكون الناس في الصلاة.

وحينما علم تاج الملوك بوري بهذه المؤامرة، استدعى وزيره المزدقاني وقتله، وأمر بقتل الاسماعيلية الذين بدمشق فثار الأهالي وقتلوا منهم ستة آلاف شخص<sup>(٥)</sup> وتتبعوهم في أماكنهم واستخرجوهم من مكانهم وأفتوهم جميعاً

- 
- (١) الكامل في التاريخ، أخبار سنة ٥٢٠هـ.
  - (٢) ابن القلانسي - ذيل تاريخ دمشق ص ٢٢١.
  - (٣) المرجع السابق.
  - (٤) ابن الأثير - الكامل في التاريخ ج ٨، أخبار سنة ٥٢٠هـ.
  - (٥) أبو الفداء - المختصر في أخبار البشر ج ٣، ص ٣.



وحملت جثة المزدقاني إلى رمادة باب الحديد فألقيت عليها وأحرقت بعد أيام بالنار (٢) وكان من جملة من قتلوا، شاذي الخادم، ربيب أبي طاهر الصائغ، فقتل وصلب مع عدة أشخاص على شرفات سور دمشق (٣).

ولما سمع الداعي اسماعيل بخبر هذه الكارثة اتصل بالفرنج لتسليمهم بانياس ومغادرتها لكن عارضاً مرضياً أصابه فمات في أوائل سنة ٥٢٤هـ / ١١٢٩م وتفرق أتباعه في البلاد (٤).

ولم يسكت الاسماعيليون على ما حل بهم، وثأروا لأنفسهم بقتل تاج الملوك بوري سنة ٥٢٦هـ / ١١٣١م.

هذه الضربات المتلاحقة التي نزلت بالاسماعيلية، في حلب ودمشق، جعلت عيونهم تتطلع إلى أماكن أكثر أمناً تستطيع بحكم طبيعتها الجغرافية أن تحقق لهم الحماية الكافية، فكان أن اختاروا مصياف وما جاورها من قلاع ومعازل وحصون، كمكان منشود، وجاء هذا الاختيار لجملة من الأسباب:

أولاً: إن منطقة مصياف عامرة بالقلاع والحصون، حافلة بالخيرات، حصينة ومنعزلة.

ثانياً: وجود عدد كبير من أنصار الدعوة فيها، وفي ما جاورها من قرى.

ثالثاً: قربها من سلمية، المقر الروحي للإسماعيلية بالشام.

فكان أن توجهت إليها جموع الإسماعيليين من حلب ودمشق، وفارس، بعد استيلاء السلطان مسعود على قلعة الموت.

ولكي يكون لهم موطن موطى قدم ثابتة، اشتروا في عام ٥٢٥هـ / ١١٣٠م حصن القدموس من صاحبه سيف الملك بن عمرو.

(١) ابن القلانسي - ذيل تاريخ دمشق ص ٢٢٣.

(٢) المرجع السابق.

(٣) المرجع السابق.

(٤) المرجع السابق.

ثم بدأوا شيئاً فشيئاً بالاستيلاء على الحصون والقلاع المجاورة، فاحتلوا الخوابي والكهف سنة ٥٣٢هـ واستخلصوا مصياف من أيدي بني منقذ سنة ٥٣٥هـ. ثم احتلوا المينقة سنة ٥٤٦هـ، وهكذا حتى بلغ مجموع ما صار بأيديهم من قلاع ١١ قلعة وحصناً أطلقوا عليها اسم قلاع الدعوة وهي: الخوابي، الكهف، القدموس، العليقة، المينقة، الرصافة، أبي قبيس، مصياف، بلاطنس، المرقب، صهيون<sup>(١)</sup>.

وجميع هذه الحصون والقلاع، كان الصليبيون بنوها لتسيطر على الممرات التي امتدت بين الأقاليم الإسلامية الداخلية والمناطق الإفريقية الساحلية<sup>(٢)</sup>.

من هذه القلاع والحصون تشكلت الدولة الإسماعيلية الجديدة، التي وصلت إلى أوج ازدهارها في عهد شيخ الجبل سنان راشد الدين.

ولد سنان واسمه الحقيقي سنان بن سليمان بن محمد وكنيته أبو الحسن، في قرية صغيرة من قرى البصرة<sup>(٣)</sup> وقيل في آلموت، سنة ٥٢٨هـ وكانت أسرته على مذهب الشيعة الاثني عشرية، ولما شب تحول هو إلى مذهب الإسماعيلية على يد داعي دعاة العراق، الذي لمس فيه مخيل النجابة والذكاء فحبب إليه الرحيل إلى آلموت ليتلقى هناك علوم الدعوة الإسماعيلية. وكان صاحب آلموت إذ ذاك محمد بن كيا بزرك أمير الذي أحسن استقبال سنان وجعله مع ولديه في طلب العلم، فتوطدت صلة سنان بولي العهد الحسن بن محمد، فلما تولى الحسن أمور الطائفة بآلموت أمر سناناً بالرحيل إلى الشام ليشرف بنفسه على شؤون الطائفة<sup>(٤)</sup>.

- 
- (١) شيخ الربوة (شمس الدين الدمشقي) - نخبة الدهر في عجائب البر والبحر ص ٢٠٨ ويقول البطريق الديهي في تاريخ الأزمنة ص ٤٦ إنهم احتلوا مصياف وجبله وحدد تاريخاً لذلك سنة ٥٣٤هـ.
- (٢) فيليب حتي - تاريخ سورية ولبنان وفلسطين ج ٢، ص ٢٤٥.
- (٣) الدكتور محمد كامل حسين - طائفة الاسماعيلية ص ٩٩.
- (٤) المرجع السابق.

توجه سنان في بادئ الأمر إلى حلب حيث رتب أوضاع الإسماعيليين هناك بعد الضربات التي نزلت بهم، والانقسامات والنزاعات التي استفحلت بينهم. ثم نقل مقره إلى مصياف، فوصلها متخفياً بزي الصوفية الدراويش، وأقام في قرية بسطريون يعلم الصبيان القراءة والكتابة، ويعالج المرضى من الأهالي، ويقدم إليهم الأدوية التي كان يركبها بنفسه من الأعشاب، فذاع صيته، وانتشر خبره. ولما وصلت أعماله إلى مسامع أبي محمد كبير دعاة الإسماعيلية وقتذاك، والذي كان يقيم في قلعة الكهف، توجه إليه واجتمع به، وعرض عليه الإقامة عنده، وهكذا انتقل سنان إلى قلعة الكهف، وأخذ يساعد الشيخ أبي محمد في شؤون الدعوة، من دون أن يكشف له عن شخصيته، أو طبيعة المهمة الموكولة إليه. وعندما مرض أبو محمد، مرض موته، خلا به سنان وأطلعته على شخصيته وعرض عليه أمر تعيينه مكانه قبل موته. فأعلن أبو محمد لأتباعه ولمجلس دعاة أن الإمام في ألموت عين سنان راشد الدين خلفاً له واحتفل بهذه المناسبة في جميع القلاع والحصون، وتسلم سنان قيادة الدعوة، ونقل مقره إلى مصياف<sup>(١)</sup> وجعلها عاصمة دولته.

كان سنان راشد الدين رجلاً فذاً اشتهر بالحزم وسعة الأفق العلمي والدهاء السياسي.

كون جيشاً من الفدائيين، مدرباً أحسن تدريب، وكان يستخدمهم في الدفاع عن أبناء طائفته، وقتل كل من يحاول أن يمسه بسوء. سواء أكان من الحكام المسلمين أم من الفرنج. وكانت جرأة وشجاعة الفدائيين الإسماعيليين مضرب المثل.

ونستطيع أن نأتي بمثال صغير على أعمال فدائيي سنان ودفاعهم عن إخوانهم، هو ما قاموا به في حلب سنة ٥٧٥هـ ففي هذه السنة قبض الملك الصالح قرية للإسماعيلية تعرف بحجيرا من ضياع نقرة بني أسد، فكتب سنان إليه كتاباً عدة في إطلاقها، فلم يطلقها، فأرسل جماعة من الرجال معهم النفط

(١) مصطفى غالب - أعلام الإسماعيلية ص ٢٩٧.

والنار فعمدوا الى الدكان التي في رأس سوق الزجاجين من الشرق في القرنة فألقوا فيها النار فنهض نائب رئيس البلد بمن معه في المربعة وحراس الأسواق وأخذوا السقائين لإطفاء الحريق فأتى الإسماعيلية من أسطحه الأسواق وألقوا النار والنفط في الأسواق فاحترق سوق البز الكبير وسوق العطارين وسوق مجد الدين والمعد للبز وسوق الخليج وسوق الشراشين وسوق السراجين والسوق الذي في غربي الجامع جميعه إلى أن انتهى الحريق إلى المدرسة الحلاوية، واحترق للتجار والسوقية من القماش والآلات شيء كثير وافتقر كثير منهم بسبب ذلك، ولم يظفروا من الإسماعيلية بأحد<sup>(١)</sup>.

وكثيراً ما كان الأمراء والملوك، يستعينون بسنان راشد الدين وفدائيته لتحقيق مآربهم السياسية، والقضاء على خصومهم. جاء في الأخبار أن كمشتكين<sup>(٢)</sup> أرسل إلى سنان أموالاً عظيمة لقتل الملك الناصر عندما هاجم حلب وحاصرها سنة ٥٧٠هـ، فأرسل سنان جماعة لقتله لكن المحاولة فشلت لأن صاحب حصن أبي قبيس تعرف إلى الإسماعيلية الذين جاءوا لقتل الملك الناصر، وسبق إلى السلطان، فأدركوه على باب الخيمة، فقتل خمارتكين - أمير جاندار - واحداً منهم واجتمع الغلمان فقتلوا الباقيين<sup>(٣)</sup> وهذا ما جعل العلاقات تسوء بين صلاح الدين والاسماعيلية، وخاصة بعد محاولتهم اغتياله للمرة الثانية، عند حصاره اعزاز سنة ٥٧١هـ وكان صلاح الدين سار إلى اعزاز ونازلها في الثالث من ذي القعدة وتسلمها حادي عشر ذي الحجة، وقيل بل أقام عليها ثمانية وعشرين يوماً. وقد نجا صلاح الدين من القتل بأعجوبة. وقد أثرت هذه الحادثة بنفسه تأثيراً كبيراً، لذلك عقد العزم على محاربة الاسماعيلية فتوجه في محرم سنة ٥٧٢هـ إلى بلدهم فنهبه وخربه وأحرقه وحاصر قلعة مصيف

(١) ابن العديم - زبدة الحلب ج ٣، ص ٣٨.

(٢) كمشتكين هو سعد الدين كمشتكين الخادم. مولى بنت الأتابك عماد الدين كان مقدم العساكر ومثولي أقطاعهم في حلب زمن الملك الصالح، جعله نور الدين والياً من قبله بالموصل.

(٣) أحمد بن إبراهيم ابن الحنبلي - شفاء القلوب في مناقب بني أيوب تحقيق ناظم رشيد بغداد ١٩٧٨، ص ٨٦.

ونصب عليها المنجنيقات وضيق على من بها، وأرسل إلى سنان يتهدده ويتوعده فرد عليه سنان بقوله:

يا للرجال من أمر هال مفظعه  
يا ذا الذي بقراع السيف هددنا  
قام الحمام إلى البازي يهدده  
أضحى يسد فم الأفعى باصبعه  
إننا منحناك ثوباً للحياة فإن  
كنت الشكور وإلا سوف نخلعه  
ما مرّ قط على سمعي توقعه  
لا قام مصرع جنبي حين تصرعه  
واستيقظت لأسود البر أضعبه  
يكفيه ما قد تلاقي منه اصبعه  
ما مرّ قط على سمعي توقعه

وقفنا على تفاصيله وجمله، وعلمنا ما هددنا به من قوله وعمله، فيا للعجب من ذبابة تطن في أذن فيل، وبعوضة تعض في التماثيل، ولقد قالها من قبلك قوم آخرون ﴿فدمرناها عليهم وما كان لهم من ناصرين﴾ أو للحق تدحضون وللباطل تنصرون، ﴿وسيعلم الذين ظلموا أي منقلب ينقلبون﴾.

وأما ما صدر من قولك في قطع رأسي، وقلعك لقلاعي من الجبال الرواسي، فتلك أماني كاذبة وخيالات غير صائبة، فإن الجواهر لا تزول بالأعراض كما أن الأرواح لا تضمحل بالأمراض، كم بين قوي وضعيف ودنيء وشريف وإن عدنا إلى الظواهر والمحسوسات وعدلنا عن البواطن والمعقولات فلنا أسوة برسول الله ﷺ في قوله «ما أؤذي نبي ما أؤذيت» ولقد علمتم ما جرى على عترته وأهل بيته وشيعته، والحال ما حال والأمر ما زال، والله الحمد في الأولى والآخرة، إذ نحن مظلومون لا ظالمون، ومغصوبون لا غاصبون، وإذا جاء الحق زهق الباطل ﴿إن الباطل كان زهوقاً﴾ ولقد علمتم ظاهر حالنا وكيفية رجالنا وما يتمنونه من الفوت ويتقربون به إلى حياض الموت ﴿قل فتمنوا الموت إن كنتم صادقين، ولا يتمنونه أبداً بما قدمت أيديهم والله عليم بالظالمين﴾، وفي أمثال العامة السائرة (أو للبط تهددون بالشط) فهىء للبلايا جلباباً وتدرع للرزايا أثواباً، فلأظهرن عليك منك، ولأفنينهم فيك عنك، فتكون كالباحث عن حتفه بظلفه والجادع أنفه بكفه، وما ذلك على الله بعزيز. فإذا وقفت على كتابنا هذا فكن لأمرنا بالمرصاد، ومن حالك على اقتصاد، واقرأ

أول النحل وآخر صاد<sup>(١)</sup>.

ثم كتب إليه ثانية<sup>(٢)</sup>.

بنا نلت هذا الملك حتى تأملت بيوتك فيها واشمخر عمودها  
فأصبحت ترمينا بنبل بنا استوى مغارسها منا وفينا حديدها

وتذكر المصادر التاريخية أن سناناً أرسل إلى شهاب الدين الحارمي صاحب حماة، وهو خال صلاح الدين يسأله أن يدخل بينهم ويصلح الحال ويشفع فيهم، ويقول له: إن لم تفعل قتلناك وجميع أهل صلاح الدين، فشفع فيهم وسأل صلاح الدين الصفح عن الاسماعيليين فأجابه إلى ذلك وصالحهم ورحل عنهم<sup>(٣)</sup>.

لكن المصادر الاسماعيلية تروي حادثة حصار صلاح الدين لمصياف ثم رحيله عنها بشكل مغاير. فهي تقول إنه لما قصد صلاح الدين معقل سنان راشد الدين في مدينة مصياف ونصب عليها المنجنيقات وعسكر بضواحيها، أخذ سنان يتجول في القرى يتفقد أمرها، ويعدها لليوم الفاصل وللمعركة الحاسمة، وصعد إلى قمة جبل مشهد ليرقب الجيش، ويستقبل الوفد الذي سيره إليه صلاح الدين لمفاوضته على التسليم برئاسة محمد الكردي... ولما شعر سنان أن الرسائل لا تجدي نفعاً، أرسل أحد الفدائية ليلاً فدخل خيمة صلاح الدين برغم حيطته في فرض الحراسة المشددة، فبدل موضع المصابيح التي كانت تنير الخيمة ووضع خنجراً مسموماً غرسه في رغيف حار قرب رأس صلاح الدين وبجانبه قطعة من الورق كتب عليها:

إننا منحناك ثوباً للحياة فإن كنت الشكور وإلا سوف نخلعه  
قد قام قف إلى قاف يزعزعه كضفدع تحت صخر رام يقلعه  
ما يستحي ثعلب من صغر همته يرسل إلى أسد الغابات يفزعه

(١) الدكتور محمد كامل حسين - طائفة الاسماعيلية ص ١٠٢.

(٢) مصطفى غالب - أعلام الإسماعيلية ص ٣٠١.

(٣) ابن الأثير - الكامل ج ٩، ص ١٣٩ أحداث سنة ٥٧٢هـ - أيضاً أبو الفداء المختصر في أخبار البشر ج ٣، ص ٥٨ وتاريخ ابن الوردي ج ٢، ص ١٣٣.



وعندما استيقظ صلاح الدين من نومه، ورأى الخنجر والكتاب تيقن أن سنناً من أشرف الرجال، لأنه لو أراد قتله لفعل، وعلى الفور استدعى خاله أمير حماة شهاب الدين الحارمي وكان صديقاً لسنان، وطلب إليه أن يتوسط بينه وبين سنان شريطة أن تشارك فدائية الإسماعيلية في الحروب الصليبية<sup>(١)</sup> وقد نفذ سنان شروط الإتفاقية، وأرسل فدائيين قتل أمير صور الصليبي كونراد مونفرتي، وقدما رأسه لصلاح الدين الذي كافأهما وأعطى سنناً عشر قرى ألحقها بمصيف<sup>(٢)</sup>.

توفي سنان راشد الدين سنة ٥٨٨ هـ.

وكان رجل دولة من طراز فريد. يقضي أيام الأسبوع متنقلاً بين القلاع والحصون، وخصص يومين للإقامة بجبل مشهد حيث ينقطع للتأليف، ورصد النجوم، والعبادة والتأمل. وكان يسير بين القلاع في طرق ومعابر سرية مشياً على الأقدام حتى لا يعرفه أحد. ويكثر من الذهاب إلى شيزر وحماة وحمص والشام متخفياً<sup>(٣)</sup>.

بعد وفاة سنان، تولى الأمر من بعده شخص لا نعلم عنه شيئاً إلا أن اسمه أسد الدين<sup>(٤)</sup>.

وفي عهده، قتل الإسماعيلية ابن البرنس بكنيسة طرطوس، فجمع والده الفرنج ونزل على حصون الإسماعيلية وقتل وسبى ثاراً لولده وحصر حصن الخوابي فكتبوا إلى السلطان يستغيثون به ويستنجدونه فاستخدم السلطان مائتي راجل وسير جماعة من عسكر حلب يحفظونه، ليدخلوا إلى حصن الخوابي،

- 
- (١) مصطفى غالب - أعلام الإسماعيلية ص ٣٠١ نقلاً عن مخطوطات اسماعيلية. وكذلك عارف تامر - سنان وصلاح الدين ص ٩٠.
  - (٢) مصطفى غالب - أعلام الإسماعيلية ص ٣٠٣.
  - (٣) عارف تامر - سنان وصلاح الدين ص ٣٣ نقلاً عن كتاب فصول وأخبار. وكذلك مصطفى غالب - أعلام الإسماعيلية ص ٢٩٨.
  - (٤) محمد بن علي بن نظيف الحموي - تاريخ المنصوري، تحقيق الدكتور أبي العيد دودو مجمع اللغة العربية بدمشق ١٩٨٢، ص ٩٦.

ويمنعوا الفرنج من الإستيلاء عليه<sup>(١)</sup>.

توفي أسد الدين سنة ٦١٩/هـ، فولي الأمر أخوه صلاح الدين الذي بقي مدة ثم مات، فولياها أخوهما تاج الدين فبقي مدة ثم جاء الأمر من ألموت بعزله واستدعائه إليهم وولوا مكانه محيي الدين أعجمي<sup>(٢)</sup>.

وكما كان الحال في زمن سنان، بقيت الدولة الإسماعيلية في مصيف، في زمن محيي الدين أو مجد الدين كما ورد اسمه في بعض الروايات، تلعب دوراً مؤثراً في سياسة بلاد الشام، وكان الملوك والأمراء من مسلمين وافرنج يخطبون ودها ويتقربون من متوليها بالهدايا لتحقيق مصالحهم، ومآربهم.

ونكتفي هنا بعرض بعض ما وصلنا من أخبار عن ذلك.

\* في سنة ٦٢٤/هـ سير مجد الدين متولي حصون الإسماعيلية بالشام إلى ملك الروم، علم الدين كيقباز يطلب منه المقرر لهم عليه، وهو ألف دينار التي كانت جرت العادة بحملها إلى ألموت، فأبوا ذلك وسير الرومي إلى جلال الدين بألموت في ذلك، فقال له: تحملها إليهم بالشام فقد عيناها لهم ذخيرة<sup>(٣)</sup>.

\* في سنة ٦٣٠/هـ سير الملك شيركوه بن محمد بن شيركوه الأيوبي هدية للفرنج وللإسماعيلية<sup>(٤)</sup>.

\* وفي سنة ٦٣٦/هـ اتفق الملك الجواد وصاحب حمص ووافقهما الأمير عماد الدين بن قلعج نائب الملك الجواد بدمشق فرأوا أن أمرهم لا يتم إلا بقتل عماد الدين بن عمر ابن شيخ الشيوخ فبعثوا إلى نواب الإسماعيلية في ذلك ودفعوا إليهم مالاً وقرية فسيروا فدائين قتلاه على باب الجامع في سادس

---

(١) ابن واصل - مفرج الكروب في أخبار بني أيوب، تحقيق الشيال - القاهرة ١٩٥٣ - ١٩٥٨، ج ٢، ص ٢٢٤.  
(٢) محمد بن نظيف الحموي - تاريخ المنصوري ص ٩٦.  
(٣) المرجع السابق ص ١٤٥.  
(٤) محمد بن نظيف الحموي - تاريخ المنصوري ص ٢٥٩.

\* في سنة ٢٣٨ هـ عندما بلغ القاضي بدر الدين سنجار أن الملك الصالح نجم الدين ملك مصر يطلبه، مضى إلى مصيف وأخذ يتحيل في الوصول إلى مصر، فبلغ ذلك الملك الصالح إسماعيل، فأرسل إليه ليحضر، فامتنع من الحضور، واستجار بالإسماعيلية فأجاروه ومنعوا الصالح منه، وأوصلوه إلى حماه (٢).

لكن هذا العز لم يطل أمده، وسرعان ما وجدت الدولة الإسماعيلية نفسها وجهاً لوجه أمام الكارثة. وذلك عندما اقتحمت جحافل التتار قلاعها وحصونها في سنة ٦٥٨ هـ واستولوا على مصيف والكهف والقدموس والخوابي.

وعندما سار الملك المظفر سيف الدين قطز، من مصر إلى الشام لملاقاة التتار ومنازلتهم، انضم الإسماعيليون إليه وقاتلوا معه في عين جالوت.

ولما انهزم جيش التتار في هذه المعركة، انتهب الداعي أبو المعالي هذه الفرصة وجمع رجاله، واسترد بهم القلاع التي كان التتار استولوا عليها (٣).

ولئن كانت القلاع عادت إلى الإسماعيلية، إلا أن الدولة الإسماعيلية التي كانت تتشكل من هذه القلاع، لم تعد إلى ما كانت عليه من التآلق والازدهار والقوة. ولم تعش بعد ذلك أكثر من اثنتي عشرة سنة ثم انتهت. وكانت نهايتها على يد الملك الظاهر بيبرس.

وتتضارب الأقوال عن كيفية انتهائها، وتتباعد بحيث لا يمكننا رسم فكرة واضحة عن نهايتها.

ويستفاد مما ذكره أبو الفداء وابن الوردي في تاريخيهما أن الظاهر بيبرس تسلم قلاع وحصون الإسماعيلية على مراحل.

(١) المقرئزي - كتاب السلوك لمعرفة دول الملوك ج١، ص ٢٧٦.

(٢) المرجع السابق ص ٣٠٢.

(٣) الدكتور محمد كامل حسين - طائفة الاسماعيلية ص ١٠٧.

في سنة ٦٦٧/هـ تسلّم حصن بلاطس من عز الدين عثمان صاحب صهيون.

وفي سنة ٦٦٨/هـ تسلّم مصياف.

وفي سنة ٦٦٩/هـ تسلّم قلعة العليقة وبلادها.

وفي سنة ٦٧٠/هـ تسلّم نوابه ما تأخر من الحصون وهي الكهف والمينقة وقدموس<sup>(١)</sup>.

بينما يفهم مما كتبه المقرئزي أنه في ٦٦٨/هـ عندما حضر الملك الظاهر إلى حماه، حضر إلى خدمته كثير من أصحاب البلاد المجاورة، ولم يمتنع عن الحضور إلا نجم الدين حسن بن الشعراني صاحب قلاع الإسماعيلية، الذي بعث يطلب تنقيص القطيعة التي حملوها لبيت المال بدلاً مما كانوا يحملونه إلى الفرنج.

وكان الملك الظاهر تغير على صاحب العليقة صارم الدين مبارك ابن الرضى، فدخل صاحب صهيون بينه وبين الملك في الصلح وأحضره إلى الخدمة. فقلده السلطان بلاد الدعوة استقلالاً وعزل نجم الدين حسن ابن الشعراني وولده من نيابة الدعوة وتوجه صارم الدين إلى مصياف في سابع عشري جمادى الآخرة وصحبته جماعة لتقرير أمره<sup>(٢)</sup>.

وذكر المقرئزي في أخبار سنة ٦٧٠/هـ ما نصه:

في سادس عشره - أي شهر صفر - قدم شمس الدين بن نجم الدين صاحب الدعوة الإسماعيلية فقبض عليه وعلى أصحابه وسيروا إلى مصر واستمرت مضايقة حصونهم حتى تسلّم نواب السلطان حصن الخوابي وحصن العليقة<sup>(٣)</sup>.

(١) أبو الفداء - المختصر في أخبار البشر ج ٤، ص ٦ و ٧ وتاريخ ابن الوردي ج ٢، ص ٣١٤.

(٢) المقرئزي - كتاب السلوك ج ١، ص ٥٨٦.

(٣) المرجع السابق ص ٥٩٩.

وذكر أيضاً: في ثاني عشر ذي الحجة - سنة إحدى وسبعين وستمائة - استولى السلطان على بقية حصون الدعوة الإسماعيلية وهي: المينقة والقدموس والكهف، وأقيمت هناك الجمعة وترضي عن الصحابة بها، وعفيت المنكرات منها وأظهرت شرائع الإسلام وشعائره<sup>(١)</sup>.

ومن جهة أخرى جاء في كتاب «الإعلام والتبيين في خروج الفرنج الملاعين على بلاد المسلمين» ما نصه:

«وفي سنة ثمان وستين فتح الملك الظاهر الحصون الإسماعيلية وأمر على الحصون الإسماعيلية نجم الدين حسن بن المشغراني، وقرر عليه أن يحمل في كل عام مائة ألف درهم. والمشغراني نسبة إلى مشغرة وهي قرية كبيرة نزهة كثيرة المياه، وهي بسفح لبنان الشرقي بين صيدا ودمشق»<sup>(٢)</sup>.

وأياً ما كان الأمر، فإن الدولة الإسماعيلية انتهت بإجماع المصادر سنة ٦٧٠هـ - ١٢٧٢م بعد أن عاشت ١٣٥ سنة. منها ٥٣ سنة بعهد سنان راشد الدين و٨٢ سنة بعده.

(١) المرجع السابق ص ٦٠٨.

(٢) أحمد بن علي الحريري - الاعلام والتبيين في خروج الفرنج الملاعين على ديار المسلمين، تحقيق الدكتور سهيل زكار - دمشق ١٩٨١، ص ١٠٢.

## القسم الثالث

\* الحياة الثقافية والاجتماعية والفكرية



## المآثر العمرانية

سطر الإسماعيليون، في سجل الإنسانية، صفحات ذهبية تشع من بين سطورها آيات المجد والعظمة .

وتركوا للتاريخ آثاراً عمرانية وفكرية خالدة، تحدث عنها المتحدثون، وما زالوا، بإعجاب كبير. أبرزها في مجال العمارة، المدن والجموع ودور العلم التي بنوها في هذا البلد الإسلامي أو ذاك، والتي تشهد لهم بالتفوق والتفرد.

### أولاً: المدن

- بنى الإسماعيليون، خلال فترة الدولة الفاطمية، أكثر من مدينة أهمها:
- \* المهديّة، المعروفة بالبيضاء.
  - \* المنصورية، أو المنصورة في الديار التونسية.
  - \* القاهرة، في بلاد مصر.

### المهديّة، البيضاء:

كانت المهديّة أول مدينة بناها الفاطميون بعد أن استتب لهم الأمر في المغرب. بنيت هذه المدينة للسياسة، وأقيمت للدفاع، ووسعت للامتناع وقويت للحصانة<sup>(١)</sup>. وصفت بأنها من أعجب الآثار<sup>(٢)</sup> جليل قدرها، شهير في قواعد الإسلام ذكرها<sup>(٣)</sup>.

(١) نقولا زيادة - مدن عربية ص ٨٤.

(٢) القاضي النعمان - كتاب افتتاح الدعوة ص ٢٩٦.

(٣) نقولا زيادة - مدن عربية ص ٨٤، عن رحلة التيجاني.



ولدينا أكثر من إشارة يفهم منها أن أهل المغرب كانوا يعلمون، عن طريق الكتب القديمة التي يتداولونها، أن دولة جديدة ستظهر في ديارهم بزعامة المهدي، وأن المهدي سيبنى مدينة يطلق عليها اسم البيضاء.

قال يحيى بن عبد الله بن أبي عقب الليثي، في قصيدة له:

قد قلت لما طار عني الكرى  
 عذابي الحزن وفقد الكرى  
 وكيف لا يحزن من لا يرى  
 دهرأ يرى فيه إمام الهدى  
 وبيتني البيضاء في لجة  
 ينجو من الأهوال سكانها  
 لوئد من عمري إلى عمره  
 هيهات ماذا العمر مما أرى  
 حتى متى ذا الليل لا يصبح  
 كلاهما أقسم لا يبرح  
 بأنه يبلغ يا مسطح  
 بالله بالمغرب يستفتح  
 خضراء فيها نونها يسبح  
 والأرض منها كلها تفتح  
 لكنت في القرن الذي يفلح  
 فيما أرى الموت به يسمح

وذكروا أن يعقوب بن المضا بن سودة بن سفيان - أخو الأغلب - بن سالم بن عقال كان له ضياع بناحية جمعة. وكان إذا جاء إليها، أتى الجزيرة التي بنيت عليها المهديّة، فيقف عندها وينظر إليها ويقول: هذه صفة الجزيرة التي يقال إن المهدي يبني مدينته عليها<sup>(١)</sup>.

بنى المهديّة عبيد الله المهدي، أول الخلفاء الفاطميين، لتعصم بها بناته، الفواطم، ساعة من النهار<sup>(٢)</sup>.

وكان المهدي، بالعلم الحدثاني الذي يعلمه، يعرف أن خارجياً اسمه مخلد بن كيداد - صاحب الحمار - سيخرج عليه فأراد أن يبني مدينة حصينة، يأمن فيها على بناته وأزواجه.

ولاختيار المكان المناسب، جاب الشاطيء التونسي من أقصاه إلى

(١) القاضي النعمان - كتاب افتتاح الدعوة ص ٧٦.

(٢) المقرئزي - اتعاظ الحنفا بأخبار الأئمة الفاطميين الخلفاء ص ١٠٢.

أقصاه، فقاده المسير إلى جزيرة متصلة بالبر كهيئة كف متصلة بزند. هناك وجد راهباً في مغارة فسأله عن اسم هذا الموضع، فأجابه الراهب يسمى جزيرة الحلفاء فأعجبه الاسم<sup>(١)</sup> والمكان. وفي يوم السبت السادس من ذي القعدة سنة ٣٠٣هـ / ٩١٥م شرع في بناء المدينة. واستغرق بناؤها ما يقرب من خمسة أعوام. وكان المهدي يشرف بنفسه على أعمال البناء، ويوجه الصناع إلى ما يفعلونه، ويجد لكل عقبة تعترضهم حلاً يدل على عبقريته الفذة. فعندما وجدوا مسامير الأبواب تتقلقل أمر بتسميرها ثم أمر بإيقاد النار تحت الباب حتى التهب واتصلت المسامير بالصفائح وصارت كلها قطعة واحدة. ولما ركبوا الأبواب وصعب عليهم فتحها وإغلاقها لثقل أوزان مصاريعها، أمر أن يكون مدار الأبواب على الزجاج فسهل فتحها وإغلاقها.

كانت المهديّة محاطة بسور محكم ذي أبواب عظيمة، مصنوعة من الحديد المصمت، لكل باب مصراعان وزن كل مصراع مائة قنطار<sup>(٢)</sup>.

وإلى جانب الدور والقصور التي بنيت داخل المدينة. حفر فيها مخازن للطعام، وصهاريج عظيمة للماء، عددها ٣٦٠ صهريجاً، جلب إليها الماء من قرية ميانس القريبة من المهديّة. وكان الماء يصب في صهريج عند جامع المدينة، ويرفع من الصهريج إلى القصر بواسطة الدواليب<sup>(٣)</sup>.

وباعتبار أن المدينة تقع على شاطئ البحر، حفر في صخر الشاطئ ميناء يسع ثلاثين مركباً. وبنى على طرفي الميناء برجين بينهما سلسلة من حديد، فإذا أريد إدخال سفينة أرخى حراس البرجين أحد طرفي السلسلة حتى تدخل السفينة ثم مدّوها كما كانت.

ولما فرغ المهدي من بناء المدينة، وعابنها وجدها صغيرة فردم من البحر ما يساوي مساحتها وأدخله في المدينة فأتسعت<sup>(٤)</sup> وانتقل إليها وسكنها مع أهله

(١) ياقوت الحموي - معجم البلدان.

(٢) ابن السراج - الحلل السندسية في الأخبار التونسية ص ٤٥٨.

(٣) ياقوت الحموي - معجم البلدان.

(٤) ابن السراج - الحلل السندسية في الأخبار التونسية ص ٤٥٨.

وأولياؤه وجنده في شوال سنة ٣٠٨هـ / ٩٢٠م. وبنى لعامة الناس مدينة أخرى تدعى زويلة، ملاصقة للمهدية، وجعل فيها الأسواق والفنادق.

كانت المهدية من أعجب المدن، وأحسنها بناء، وأعجبها هيئة. زارها المقدسي بعد ما يقرب من ثلاثين سنة على بنائها، وكتب يصفها لنا: «والمهدية على البحر مسورة بالحجر والجير. شربهم من آبار وجباب ماء المطر. وهي خزانة القيروان ومطرح صقلية ومصر. عامرة، آهلة، ومن أحب أن ينظر إلى القسطنطينية فليُنظر إليها ولا يتعنَى إلى بلد الروم، فإن على عملها في جزيرة يدخل إليها من طريق واحد مثل الشرك»<sup>(١)</sup>.

زارها أيضاً ابن حوقل سنة ٣٣٦هـ / ٩٤٧م وقال عنها: «المهدية مدينة صغيرة... كثيرة التجارة حسنة السور والعمارة منيعة. ولها سور من حجارة له بابان ليس لهما فيما رأيت من الأرض شبيه ولا نظير... كثيرة القصور نظيفة المنازل والدور. حسنة الحمامات والخانات، خصبة رفهة الفواكه والغلات، طيبة الداخل نزهة الخارج بهية المنظر»<sup>(٢)</sup>.

لكن حال المهدية تبدل مع الأيام فاندurst معالمها بفعل الزمن وتعاقب الحدثان ولم يبق من مجدها وآثارها الفاطمية غير جامعها الأعظم، وباب زويلة الذي يطلق عليه، اليوم، اسم «السقيفة الكحلاء» أي السقيفة السوداء، وهو يقع على الخط الفاصل بين المدينة العتيقة، والمدينة الحديثة<sup>(٣)</sup>.

ويظن علماء الآثار أن موقع المهدية الفاطمية، هو نفس مكان المقبرة الكبرى. عثر في أطلال المهدية على لوح من مرمر عليه نقش بارز يمثل رسم أمير يلبس تاجاً وفي يده كأس وأمامه فتاة تعزف على مزمار<sup>(٤)</sup>.

- 
- (١) المقدسي - أحسن التقاسيم ص ٢٢٦.  
 (٢) نقولا زيادة - مدن عربية ص ٨٣، نقلاً عن ابن حوقل.  
 (٣) حسونة المصباحي - جريدة الشرق الأوسط - العدد ٧٠٠٠ تاريخ ٢٧ يناير (كانون الثاني) ١٩٩٨.  
 (٤) الدكتور زكي محمد حسن - كنوز الفاطميين ص ٩٧.





زقاق قديم في المهديّة

٢٨٤

تحدثت عنها الكتب تلميحاً، وبإشارات عابرة. لا تفيدنا هذه الإشارات إلا في معرفة موقعها وتاريخ بنائها واسم بانيتها.

تقع بقرب القيروان، في المكان الذي جرت فيه المعركة الفاصلة بين الخليفة المنصور بن القائم ومخلد بن كيداد الخارجي، صاحب الحمار. بناها الخليفة المنصور سنة ٣٣٦هـ / ٩٤٧م، عمر أسواقها واستوطنها وجعلها منزلاً للخلفاء الفاطميين.

بقيت هذه المدينة قائمة إلى أن تهدمت، عندما دخل العرب إفريقية، بُعيد سنة ٤٤٢هـ / ١٠٥٠م<sup>(١)</sup>.

### القاهرة، المنصورية:

إذا كانت المهديّة أول مدينة بناها الفاطميون في بلاد المغرب. فإن القاهرة أول مدينة بنوها في الديار المصرية.

والقاهرة، ثالث عواصم مصر بعد الفسطاط، التي بناها عمرو بن العاص (٢١هـ / ٦٤١م).

ومدينة العسكر، التي أنشأها العباسيون (١٣٣هـ / ٧٥٠م).

والقطائع، التي أقامها أحمد بن طولون (٢٥٦هـ / ٨٧٠م).

بناها جوهر الصقلي، قائد جيش المعز لدين الله، رابع الأئمة الفاطميين الخلفاء، سنة ٣٥٨هـ / ٩٦٨م.

وقد اختار جوهر الصقلي مكاناً لمدينته، بستاناً لبني طولون بالقرب من منازلهم المعروفة بالقطائع<sup>(٢)</sup>.

(١) ياقوت الحموي - معجم البلدان.

(٢) القلقشندي - صبح الأعشى ج/٣، ص ٣٤٨، نقلاً عن ابن سعيد.

ولتسمية المدينة باسم القاهرة قصة هي: أن جوهر الصقلي لما أراد بناء المدينة، جمع المنجمين وطلب إليهم أن يختاروا طالعاً لحفر الأساس، وطالعاً آخر لرمي حجارته. فوضع المنجمون بدائر السور قوائم خشبية ربطوا بينها حبلاً علقوا فيه أجراساً وقالوا للعمال، متى سمعتم صوت الأجراس ارموا ما بأيديكم من طين وحجارة في الأساس.

وجلسوا ينتظرون الوقت المناسب لأخذ الطالع. وفيما هم ينتظرون، وقف غراب على الحبل فاهتز، باهتزازه جلجلت الأجراس فقام العمال برمي ما بأيديهم من طين وحجارة في الأساس فصرخ المنجمون عليهم لا، لا، القاهرة في الطالع. وكان المريخ في الطالع، وهو يسمى عند المنجمين القاهرة، فسموها القاهرة<sup>(١)</sup>.

لم تقنع هذه القصة الأستاذ فؤاد فرج، فعلق عليها قائلاً: إن القاهرة لم تعرف بهذا الاسم إلا بعد حضور المعز إلى مصر ومرور أربع سنوات على تأسيسها<sup>(٢)</sup>.

ويرى أن سبب تسميتها بالقاهرة هو أن المعز، العالم المتبحر في التاريخ واللغات، فكر ملياً واستعاد في ذاكرته ما سمعه ودرسه عن تاريخ مصر الطويل، وعن تاريخ مدينة منف «قاهرة الوجهين» ثم أصدر أمراً بتسمية هذا المكان مدينة القاهرة<sup>(٣)</sup>.

لكن الأستاذ فؤاد فرج، الذي طرح جانباً قصة الغراب، لم يتعرض للقولين الآخرين، في سبب تسميتها بالقاهرة. وأولهما أنه كان بقصور المدينة قبة تسمى القاهرة فسميت المدينة على اسمها<sup>(٤)</sup>. والثاني هو أنه لما أراد المعز تسيير جيوشه لأخذ مصر، التفت إلى المشايخ الذين وجههم مع قائده جوهر الصقلي، وقال: والله لو خرج جوهر هذا وحده لفتح مصر ولتدخلن إلى مصر

(١) المقريري - المواعظ والاعتبار ج/١، ص ٣٧٧.

(٢) فؤاد فرج - القاهرة ج/٣، ص ٤١١.

(٣) المرجع السابق.

(٤) ابن تغري بردى - النجوم الزاهرة ج/٤، ص ٤٢.

بالأردية من غير حرب، ولتنزلن في خرابات ابن طولون وتبني مدينة تسمى القاهرة تقهر الدنيا<sup>(١)</sup>.

وأياً ما كان الأمر، فإن المعز لدين الله الفاطمي هو الذي أطلق على المدينة اسم القاهرة عندما قدم من بلاد المغرب إلى مصر ونزل بها. وكان جوهر الصقلي سماها المنصورية نسبة إلى المنصور والد المعز.

كانت القاهرة تقع شمالي الفسطاط على بعد ثلاثة أميال منه، مساحتها حوالي ٣٥٠ فداناً. وقيل: ٤٠٠ فدان. يحيط بها سور ضخّم من اللبن طوله من أوله إلى آخره ٢٩٣٠٢ ذراعاً بالهاشمي، اندثر وبقيت أجزاء منه حتى القرن التاسع الهجري - الخامس عشر الميلادي - أدرك المقرئزي (ت: ٨٤٥هـ/ ١٤٤١م) قطعة كبيرة من هذا السور، قال يصفها: «وقد أدركت من هذا السور اللبن قطعاً. وآخر ما رأيت منه قطعة كبيرة كانت فيما بين باب البرقية ودرج بطوط هد منها شخص من الناس في سنة ثلاث وثمانمئة فشاهدت من كبر لبنها ما يتعجب منه في زمننا، حتى أن اللبنة تكون قدر ذراع، في ثلثي ذراع وعرض جدار السور عدة أذرع يسع أن يمر به فارسان»<sup>(٢)</sup>.

وكان في كل جهة من جهات السور الأربعة، بابان:

في الجهة الشرقية: باب البرقية، وباب القراطين الذي أطلق عليه فيما بعد اسم المحروق لأنه سقط بحريق عام ٦٥٠هـ/ ١٢٥٢م.

في الجهة الغربية، المطلّة على الخليج الكبير: باب السعادة وباب الفرج الذي يسمى أيضاً بباب القنطرة، لأن جوهر الصقلي بنى هناك قنطرة فوق الخليج الذي بظاهر القاهرة.

وكان هناك باب ثالث يعرف بباب الخوخة، ورابع يسمى باب الفرج<sup>(٣)</sup>.

في جهة القاهرة البحرية: باب النصر، بأول الرحبة التي تقع أمام الجامع

(١) المقرئزي - المواعظ والاعتبار ج/١، ص ٣٧٨.

(٢) المقرئزي - المواعظ والاعتبار ج/١، ص ٣٧٧.

(٣) علي مبارك - الخطط التوفيقية ج/١، ص ٣٦.



الحاكمي، وباب الفتوح. شاهد المقرئ من بقايا هذا الباب عقدة مع عضادته اليسرى وما عليها من كتابة بالخط الكوفي<sup>(١)</sup>.

في الجهة القبليّة: بابا زويلة. أحدهما يدعى باب القوس لأن المعز دخل منه عند قدومه إلى مصر، وفي عام ٤٠٨هـ / ١٠١٧م بنى أمير الجيوش بدر الجمالي السور الثاني، وزاد فيه الزيادات فيما بين بابي زويلة وباب زويلة الكبير، وفيما بين باب الفتوح عند حارة بهاء الدين وباب الفتوح الحديث. وزاد عند باب النصر الرحبة الواقعة تجاه جامع الحاكم.

بني السور من اللبن، والأبواب من حجارة<sup>(٢)</sup>.

لم يكن تخطيط القاهرة، يتعد كثيراً عن تخطيط المدن اليونانية والرومانية. حيث نجد شارعاً رئيسياً يشطرها شطرين، يمر بين القصرين، يمتد من باب الفتوح في وسط أسوارها الشمالية إلى باب زويلة في الجنوب واتجاهه من البحري إلى القبلي. وكانت سعة هذا الطريق ١٥ متراً ثم تزداد أمام القصرين فيتكون منه ميدان فسيح. تتقاطع مع هذا الشارع الرئيسي شوارع عرضية على شكل زوايا قائمة، تخترق المدينة من الشرق إلى الغرب.

كانت القاهرة في أول أيامها مدينة صغيرة، لا يوجد فيها غير قصر الخليفة، ودور وقصور وزرائه وقواده، وثكنات الجنود. ثم أخذت تكبر وتوسع بصورة مذهلة فأقيمت فيها القصور الفخمة والمناظر والمنتزهات والأسواق والمدارس والمساجد.

وكثرت فيها الشوارع والحارات.

وكان أهم أحياء وحارات القاهرة:

- حارة برجوان: المنسوبة إلى الخادم برجوان.

- حارة زويلة: نسبة إلى قبيلة زويلة البربرية التي كان رجالها مع جيش

(١) المقرئ - المواعظ والاعتبار ج/١، ص ٣٧٧.

(٢) المرجع السابق.

- حارة الجودرية: والجودرية طائفة تنسب إلى جودر خادم عبيد الله المهدي .

- حارة الأمراء: التي سميت فيما بعد باسم درب شمس الدولة .

- حارة الديلم: أو حارة الأتراك .

- حارة الروم: (العليا والسفلى) اختطها الروم الذين قدموا مع جوهر الصقلي .

- حارة الباطلية: نسبة إلى طائفة من المغاربة جاءوا إلى مصر مع المعز .

- حارة الملوخية: نسبة إلى أحد فراشي القصر الذي يدعى الملوخية، وكان صاحب ركاب الخليفة الحاكم بأمر الله .

- حارة الكافوري: أو خط الكافوري .

- حارة العطوف: منسوبة إلى عطوف أحد خدام القصر .

- حارة الوزيرية: نسبة إلى الوزير يعقوب بن كلس .

- حارة كتامة: نسبة إلى قبيلة كتامة .

- حارة البرقية: وهي منسوبة إلى أهل برقة .

- حارة المحمودية: أو حارة المصامدة . وهي منسوبة إلى طائفة المحمودية التي قدمت إلى مصر أيام العزيز بالله الفاطمي .

وجميع هذه الحارات داخل السور . أما الحارات أو الخطط خارج السور فهي:

- الحسينية: وهي ثمان حارات خارج باب الفتوح هي: حارة حامة،

الحارة الكبيرة، المنشأة الكبرى، المنشأة الصغرى، حارة عبيد الشراء، الحارة الوسطى، سوق الكبير، الوزيرية .

- الخندق .

- أرض الطبالة .
- ميدان القمح .
- خط حارة المصامدة .
- الهلالية .
- المنتجبية .
- البيانية .

وكانت القاهرة الفاطمية تمتد من بوابتي الفتوح والنصر شمالاً إلى مسجد ابن طولون جنوباً<sup>(١)</sup> . بعيدة عن النيل تتزود باحتياجاتها من الماء عن طريق السقائين الذي يمضون بجمالهم البالغ عددها خمسة عشر ألفاً مرتين يومياً إلى النيل ليملأوا أزيار المنازل، وقرب السقائين المتجولين في الشوارع . ولهذا فقد أقام أهل اليسار أسبلة عامة تضمن السقاية مجاناً لعبري السبيل والفقراء، حيث يحصلون على الماء من خلال صنابير بواسطة أكواب مثبتة بسلاسل وكلها من النحاس الأصفر اللامع<sup>(٢)</sup> .

وعلى الرغم من أن القاهرة كانت مدينة جديدة بالقياس إلى غيرها من المدن . إلا أن سرعان ما علا نجمها وسمت مكانتها، وصارت في العصور الوسطى عروس مدن العالم وجميلة جميلاتها . وهذا ما دفع ابن خلدون إلى القول في مقدمته : «من لم ير القاهرة لا يعرف عز الإسلام، فهي حاضرة الدنيا وبستان العالم» .

ودفعت غيره إلى القول : «هي المدينة العظمى التي ليس لها نظير في الآفاق، ولا يسمع بمثلها في مصر من الأمصار»<sup>(٣)</sup> .

ويقودنا الحديث عن القاهرة إلى الحديث عن قصورها، وأشهرها القصر الكبير الشرقي، القصر الصغير الغربي أو قصر البحر . .

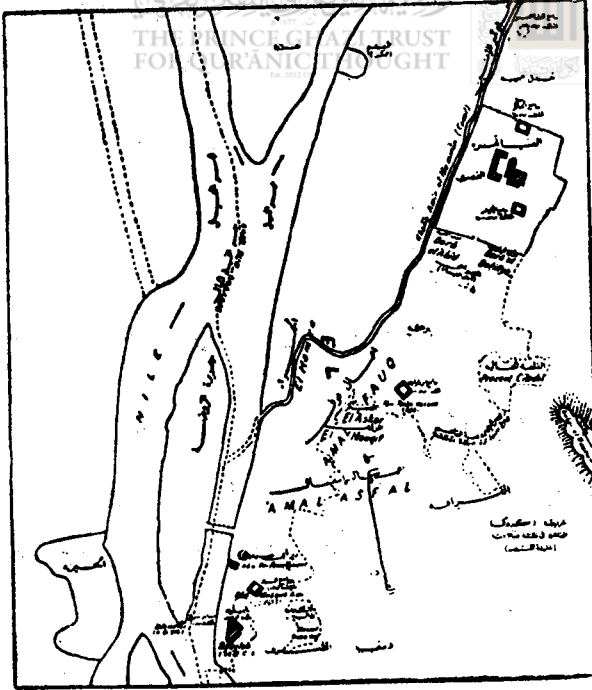
(١) الدكتور أحمد تيمور - جريدة الأهرام - العدد ٤٠٦٦٣ تاريخ ١٦ إبريل (نيسان) ١٩٩٨ .

(٢) المرجع السابق .

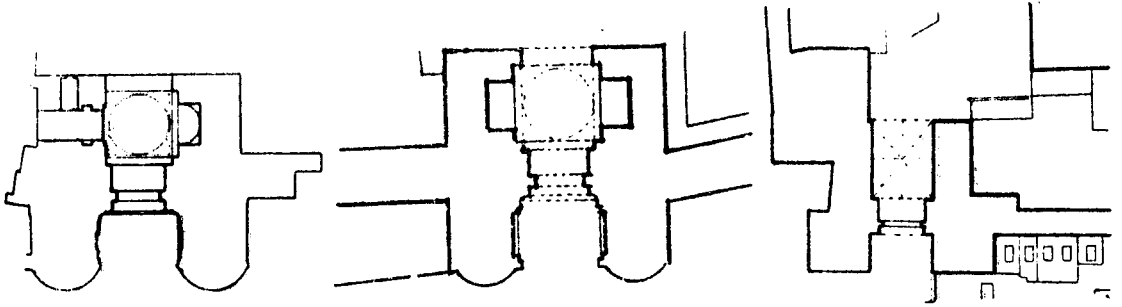
(٣) القلقشندي - صبح الأعشى ج/٣، ص ٣٤٨ .



سور جوهر ----- جامع ----- سور بدر الجمالي



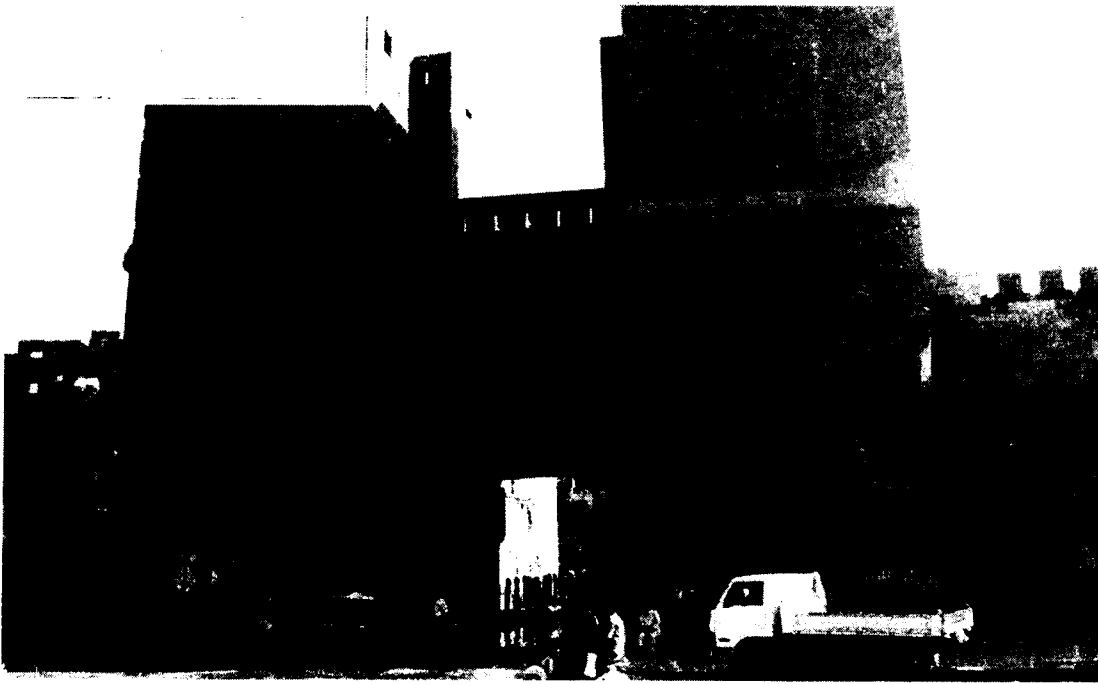
الموقع الذي انتخبه جوهر لإقامة ضاحية على الشاطئ  
 الأيمن للخليج المصري وترى في الرسم السور الثاني الذي  
 بناه بدر الجمالي في عهد الخليفة المستنصر



باب زويلة

باب الفتوح

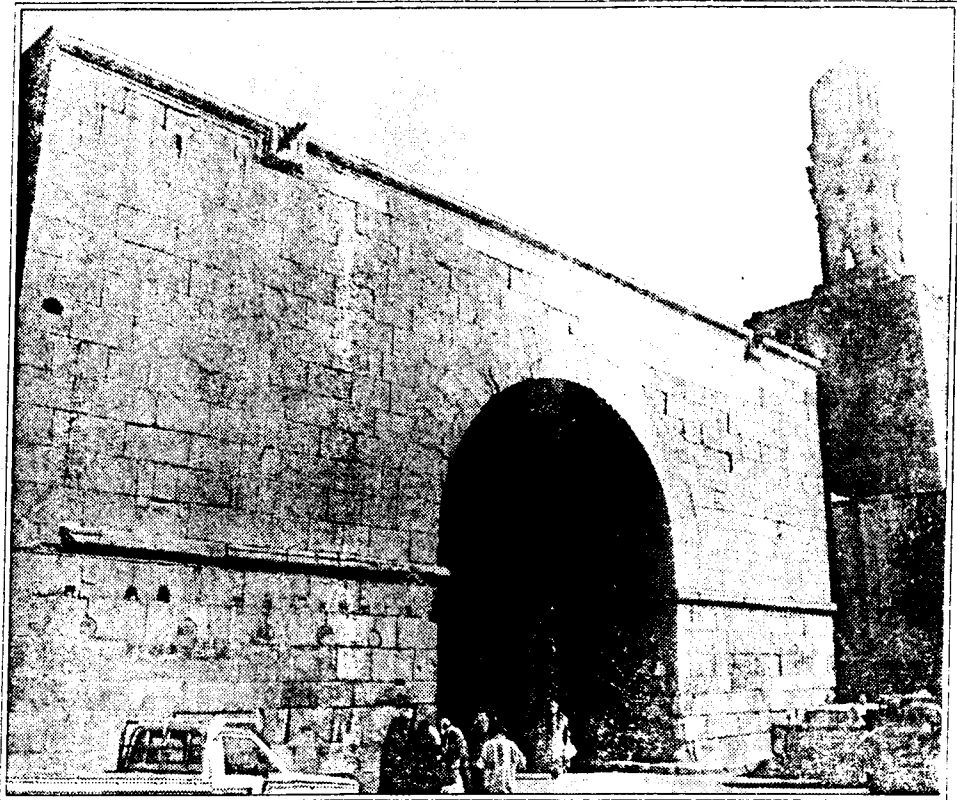
باب النصر



باب النصر أحد أبواب القاهرة الفاطمية



باب زويلة . . .



بوابة الفتوح تعتليها مئذنة جامع الحاكم بأمر الله



## القصر الكبير الشرقي:

كان يقع في الجهة الشرقية من القاهرة، لذلك سمي بالقصر الكبير الشرقي. وكانت دار الخلافة بهذا القصر، وبه سكن الخلفاء إلى آخر أيامهم.

اختطه القائد جوهر الصقلي، وحفر أساساته ليلة الأربعاء الثامن عشر من شعبان سنة ٣٨٥هـ / ٩٩٥م، وأدخل فيه أحد أديرة النصارى المعروف بدير العظام.

كان هذا القصر في غاية الفخامة، وله تسعة أبواب هي:

\* باب الذهب: وهو أكبر الأبواب، ومنه تدخل العساكر وجميع أركان الدولة في يومي الاثنين والخميس.

كان يعلو هذا الباب منظره يشرف الخليفة فيها من طاقات في أوقات معلومة.

هدم هذا الباب جمال الدين يوسف الاستادار. ثم مع الأيام صار محله محراب مدرسة الظاهر بيبرس.

\* باب البحر: أنشأه الحاكم بأمر الله. أطلق عليه فيما بعد اسم قصر بشتاك. في عام ٦٧٢هـ / ١٢٧٣م أمر الظاهر بيبرس بهدم هذا الباب، ونقل أعمدته إلى بعض العمائر السلطانية، فعثر فيه على طلسم لحماية مصر وصونها من الأعداء وحفظها من كل شر. وتضمن هذا الطلسم كتابة بالقلسطينيات وأوفاقاً وصوراً<sup>(١)</sup>.

\* باب الريح: كان باباً مربعاً يسلك فيه من دهليز مستطيل مظلم ينتهي إلى ما بين القصرين تجاه حمام البيسرى.

أطلق على هذا الباب في زمن المقرئ اسم باب القصر. وكان على حالته له عضادتان من حجر ويعلوه اسكفة حجرية عليها كتابة بالخط الكوفي.

(١) المقرئ - المواعظ والاعتبار ج/١، ص ٤٣٤.

هدم هذا الباب سنة ٨١١هـ / ١٤٠٨م. وظهر بداخله شخص من حجر قصر القامة، إحدى عينيه أصغر من الأخرى، فحطم<sup>(١)</sup>.

\* باب الديلم: وهو باب مشهد الحسين<sup>(٢)</sup>.

\* باب الزمرد: منه يصل الداخل إلى قصر الزمرد، كان يقع إلى جانب باب العيد.

\* باب العيد: وهو عقد محكم البناء تعلوه قبة تدعى القاهرة، حولت إلى مسجد، وتحتها حانوت سمي باب العيد، لأن الخليفة كان يخرج منه لصلاة العيد.

عندما تولى الظاهر بيبرس زمام السلطة، أمر ببناء خان للسييل بظاهر مدينة القدس، ونقل باب العيد وجعله باباً للخان المذكور وذلك في عام ٦٦١هـ / ١٢٦٢م<sup>(٣)</sup>.

\* باب قصر الشوك: تحول مع الأيام إلى زقاق ينتهي إلى بئر يسقى منها بالدلاء.

\* باب تربة الزعفران: ويسمى اختصاراً باب التربة. وهي مقبرة أهل القصر.

\* باب الزهومة: أو باب الزفر سمي بهذا الاسم، لأن اللحوم وكل حاجات مطبخ القصر كانت تدخل من هذا الباب.

وكان يلحق بالقصر الكبير: التربة المعزية، وكذلك:

- الإيوان الكبير: وكان الخلفاء يجلسون به يومي الاثنين والخميس من

كل أسبوع.

- السقيفة: التي كان يقف عندها المظلومون. وكان من عادة الخليفة أن

(١) المرجع السابق.

(٢) القلقشندي - صبح الأعشى ج/٣، ص ٣٥٠.

(٣) المرجع السابق.

يجلس هناك كل ليلة لمن يأتيه من المتظلمين، فإذا ظلم إنسان وقف تحت السقيفة وصاح بأعلى صوته، لا إله إلا الله محمد رسول الله عليّ وليّ الله فيسمعه الخليفة فيأمر بإحضاره ويستمع إليه، أو يفوض أمره إلى الوزير أو القاضي<sup>(١)</sup>.

- دار الضرب .

- المارستان العتيق .

وكان بالقصر الكبير من الخزائن منها: خزانة الكتب وخزانة البنود وخزائن الدرق وخزائن السروج وخزانة الفرش وخزانة الكسوات وخزائن الأدم وخزائن الشراب وخزانة التوابل وخزائن الخيم ودار التبعية ودار الفطرة وخزانة الجواهر والطيب وخزائن السلاح . . . وغيرها . . .<sup>(٢)</sup>.

وصلنا عن هذا القصر وصفان، الفاصل الزمني بينهما (١٢٢) سنة .

الأول على لسان الرحالة ناصر خسرو علوي، والثاني على لسان غليوم رئيس أساقفة صور، الذي وصف رحلة الرسولين الصليبيين اللذين أرسلهما الملك عموري (أمريك) سنة ٥٦٢هـ / ١١٦٧م ليعقدا حلفاً مع العاضد آخر الخلفاء الفاطميين .

قال ناصر خسرو: «يقع قصر السلطان في وسط القاهرة، وهو طلق من جميع الجهات، ولا يتصل به أي بناء. وقد مسح المهندسون فوجدوه مساوياً لمدينة ميفارقين، وكل ما حوله فضاء، ويحرسه كل ليلة ألف رجل، خمسمائة راجل وخمسمائة فارس، وهم ينفخون البوق ويدقون الطبل والكوس من وقت صلاة المغرب، ويدورون حول القصر حتى الصباح، ويبدو هذا القصر من خارج المدينة، كأنه جبل، لكثرة ما فيه من الأبنية المرتفعة. وهو لا يرى من داخل المدينة، لارتفاع أسواره. وقيل إن به اثني عشر ألف خادم مأجور، ومن يعرف عدد من فيه من النساء والجواري؟ إلا أنه يقال به ثلاثين ألف آدمي. وهذا

(١) المقرئزي - المواعظ والاعتبار ج/١، ص ٤٠٥ .

(٢) المرجع السابق .

القصر يتكون من اثني عشر بناء، وله عشرة أبواب فوق الأرض فضلاً عن أبواب أخرى تحتها، وأسماء أبوابه الظاهرة هي: باب الذهب، باب البحر، باب السريج، باب الزهومة، باب السلام، باب الزبرجد، باب العيد، باب الفتوح، باب الزلاقة، باب السرية، وتحت الأرض باب يخرج منه السلطان راكباً، وهذا الباب على سرداب يؤدي إلى قصر آخر خارج المدينة. ولهذا السرداب الذي يصل بين القصرين سقف محكم، وجدان القصر من الحجر المنحوت بدقة، تقول إنها قدت من صخر واحد. ويتألف القصر من المناظر والإيوانات العالية، وفي داخله دهليز به دكك<sup>(١)</sup>.

أما غليوم رئيس أساقفة صور فكتب يقول: «وسار السفراء الفرنج يقودهم الوزير ساور بنفسه إلى قصر له رونق وبهجة عظيمان، وفيه زخارف أنيقة نضيرة. وكان هؤلاء المبعوثون متأثرين بما حولهم جد التأثر، دون أن يتطرق إلى نفوسهم أي خوف أو رهبة. ووجدوا في هذا القصر حراساً عديدين. وسار الحراس في طليعة الموكب، وسيوفهم مسلولة، وقادوا الفرنج في ممرات طويلة وضيقة، وأقبية حالكة الظلمة، لا يستطيع الإنسان أن يتبين فيها شيئاً.

..... فلما خرجوا إلى النور اعترضتهم أبواب كثيرة متعاقبة، كان يسهر على كل منها عدد من الحراس المسلمين، الذين كانوا ينهضون عند اقتراب ساور، ويحيونه باحترام. ثم وصل الموكب إلى فناء مكشوف، يحيط به أروقة ذات أعمدة، وأرضيته مرصوفة بأنواع من الرخام متعددة الألوان، وفيها تذهيب خارق العادة بنضارته وبهائه، كما كانت ألواح السقف تزينها الزخارف الذهبية الجميلة.

وكان كل ذلك مونقاً رائعاً وبهياً رائعاً، بحيث لا يملك أشغل الناس بالاً، وأكثرهم همماً إلا أن يقف للإعجاب به، وكان في وسط الفناء نافورة، يجري الماء الصافي منها في أنابيب من الذهب والفضة إلى أحواض وقنوات مرصوفة بالرخام. وكانت ترفرف في الفناء أنواع لا حد لها من الطيور الجميلة، ذات

(١) ناصر خسرو علوي - سفرنامه، ص ٤٨.

الألوان المفرطة في الندرة، مجلوبة من شتى أنحاء الشرق. ولم يكن أحد يرى هذه الطيور دون أن تصيبه الحيرة والدهشة إعجاباً بها، ودون أن يقول إن الطبيعة كانت تمرح وتلعب، حين كونت هذه المخلوقات الجميلة. ومن هذه الطيور ما كان يلزم النافورة، ومنها ما كان يظل بعيداً عنها، كل بحسب طبيعته، وكان لكل منها من الغذاء ما يوافقه .....

وسار هؤلاء الأمراء بالسفيرين الفرنجيين في أقنية جديدة، أشد جمالاً وإبداعاً، ثم إلى حديقة لطيفة غناء، لم تكن الحديقة الأولى شيئاً بجانبها. ورأوا في هذه الحديقة أنواعاً من الحيوانات ذوات الأربع، غريبة بحيث يتهم المرء بالكذب إذا وصفها، أو تحدث عنها، وبحيث لا يستطيع أي مصور أن يتخيل أو أن يحلم بمثل هذه الكائنات العجيبة .....

وبعد أن عبروا أبواباً عديدة أخرى، وساروا في تعاريج كثيرة، كانوا يرون فيها أشياء جديدة تزيدهم دهشة وإعجاباً، وصل الفرنج إلى القصر الكبير، حيث يقطن الخليفة. وفاق هذا القصر كل ما رأوه قبل ذلك»<sup>(١)</sup>.

### القصر الصغير الغربي، قصر البحر:

كان من القصور التي يعز نظيرها في الشرق والغرب<sup>(٢)</sup>. بناه العزيز بالله لسكنى ابنته ست الملك. ابتدء في عمارته سنة ٤٥٠هـ / ١٠٥٨م واستغرق بناءه مدة سبع سنين متواصلة، وصرف عليه مليوني دينار. كان في غاية الاتساع. حده الشرقي النهاية الغربية للميدان الواقع بين القصرين، وحده الغربي سور القاهرة المطل على الخليج، وحده البحري ميدان الخرشف<sup>(٣)</sup>.

لهذا القصر عدد من الأبواب منها: باب التبانين، وباب الزمرد، وباب السباط، وقد جرت العادة أن تذبح في هذا الباب الذبائح وتفرق على الناس في

(١) الدكتور زكي محمد حسن - كنوز الفاطميين، ص ٧٢.

(٢) المقرئزي - المواعظ والاعتبار ج/١، ص ٤٥٧.

(٣) علي مبارك - السخط التوفيقية ج/١، ص ٤٤.

أيام النحر وعيد الغدير .

يلحق بالقصر عدة أماكن منها: الميدان، والبستان الكافوري، والقاعة التي كانت تسكنها ست الملك، أخت الخليفة الحاكم بأمر الله .

عندما قضى صلاح الدين الأيوبي على الدولة الفاطمية، أعطى هذا القصر لأخيه أبي بكر بن أيوب . ثم اشتراه عثمان بن سنقر الكاملي المهمندار فأصبح من يومها يعرف بفندق المهمندار<sup>(١)</sup> .

### ثانياً: الجوامع

بنى الفاطميون في مصر عدداً من الجوامع أهمها: جامع الأزهر، جامع الحاكم، جامع الأقمر، جامع الظافر، جامع راشدة، جامع المقس، جامع الغيلة، جامع المقياس، وجامع الصالح، وغيرها . . .

امتازت، الجوامع التي بناها الفاطميون، بعدة ظواهر معمارية هي:

- ١ - استعمال الأكناف والمجاز المرتفع الذي يقطع رواق القبلة .
- ٢ - استخدام الحجر المنحوت في واجهات المساجد بدلاً من الطوب .
- ٣ - تزيين الواجهات بالزخارف المنوعة المحفورة على الحجر .

### جامع الأزهر، جامع القاهرة:

بناه جوهر الصقلي، يوم السبت الواقع في ٢٤ جمادى الأولى سنة ٣٥٩هـ / ٩٦٩م، قبلي القصر الكبير الشرقي . بينه وبين القصر اصطبل الطارقة<sup>(٢)</sup> . استغرق بناؤه مدة ٢٧ شهراً، وافتتح للصلاة يوم الجمعة السابع من رمضان سنة ٣٦١هـ / ٩٧١م،

كان جامع الأزهر يسمى عند إنشائه بجامع القاهرة، وأطلق عليه اسم

(١) المقرئزي - المواعظ والاعتبار ج/١، ص ٤٨٧ .

(٢) علي مبارك - الخطط التوفيقية ج/١، ص ٣٨ .

جامع الأزهر بعد إنشاء القصور الفاطمية المسماة القصور الزاهرة، في عصر العزيز بالله، تيمناً باسم السيدة فاطمة الزهراء (ع) التي ينتسب إليها الفاطميون<sup>(١)</sup>.

كتب بدائر القبة التي في الرواق الأول على يمين المحراب ما نصه: «بسم الله الرحمن الرحيم مما أمر ببناؤه عبد الله ووليه أبو تميم معد الإمام المعز لدين الله أمير المؤمنين صلوات الله عليه وعلى آبائه وأبنائه الأكرمين على يد عبده جوهر الكاتب الصقلي وذلك في سنة ستين وثلثمائة».

وقد اندثرت هذه الكتابة مع القبة.

كان الجامع وقت بنائه مكوناً من ثلاثة إيوانات حول الصحن. الشرقي منها مكون من خمسة أروقة، وبكل من الجانبين القبلي والبحري ثلاثة أروقة. المشرف منها على الصحن قائم على أكتاف مبنية. أما الحد الغربي فلا أروقة به ويتوسطه الباب الرئيسي الذي كانت تعلوه المنارة.

فتحت بأعلى الجدران شبابيك جصية مفرغة بأشكال هندسية تتخللها مضاهيات مزخرفة أحيطت بإفريز مكتوب فيه بالخط الكوفي المزخرف آيات من القرآن. يشطر الإيوان الشرقي مجاز يتجه مباشرة إلى المحراب، ارتفعت عقودها كما ارتفع سقفه عن مستوى ارتفاعات الإيوان. وقد حليت حافات عقودها بآيات من القرآن مكتوبة بالخط الكوفي، كما حليت وجهاً عقودها بزخارف نباتية مورقة. وينتهي هذا المجاز إلى المحراب القديم.

يعلو المحراب قبة مملوكية حلت محل القبة الفاطمية القديمة، كما كان ينتهي طرف هذا الإيوان بقبتين غير موجودتين الآن<sup>(٢)</sup>.

لم يبق الجامع الأزهر على هيئته الأولى، بل لحقت به مع الأيام إضافات وتغييرات كثيرة. ففي سنة ٣٧٨هـ / ٩٨٨م جدد فيه العزيز بالله أشياء<sup>(٣)</sup>، وفي

(١) محمد عبد الله عنان - مجلة العربي - العدد ٢٨٧ أكتوبر ١٩٨٢.

(٢) حسن عبد الوهاب - تاريخ المساجد الأثرية ج/١، ص ٤٩.

(٣) المقرئزي - المواعظ والاعتبار ج/٢، ص ٢٧٣.

عام ٤٠٠هـ / ١٠٠٩م جده الحاكم بأمر الله وجعل فيه تنورين (موقدين) وعشرين قنديلاً من فضة، ووقف عليه وعلى جامع المقس والجامع الحاكمي ودار العلم أعياناً دونها في وقفية كبيرة، نال الأزهر حصة الأسد منها، ومما جاء في الوقفية:

«يصرف فيما فيه عمارة له ومصلحة وهو من العين المعزي الوازن ألف دينار واحدة وسبعة وستون ديناراً ونصف دينار، وثمان دينار من ذلك للخطيب بهذا الجامع أربعة وثمانون ديناراً، ومن ذلك لثمان ذراع حصر عيدانية تكون عدة له بحيث لا ينقطع من حصره عند الحاجة إلى ذلك، ومن ذلك لثمان ثلاثة عشر ألف ذراع حصر مظفورة لكسوة هذا الجامع في كل سنة عند الحاجة إليها مائة دينار واحدة وثمانية دنانير، ومن ذلك لثمان ثلاثة قناطير زجاج وفراخها اثنا عشر ديناراً، ونصف وربع دينار ومن ذلك لثمان عود هندي للبخور في شهر رمضان وأيام الجمع من ثمن الكافور والمسك وأجرة الصانع خمسة عشر ديناراً، ومن ذلك لنصف قنطار شمع بالفلفلي سبعة دنانير، ومن ذلك لكنس هذا الجامع ونقل التراب وخطاطة الحصر، وثمان الخيط وأجرة الخياطة خمسة دنانير ومن ذلك لثمان مشاققة لسرج القناديل عن خمسة وعشرين رطلاً بالرطل الفلفلي دينار واحد، ومن ذلك لثمان فحم للبخور عن قنطار واحد بالفلفلي نصف دينار، ومن ذلك لثمان اردبين ملحاً للقناديل ربع دينار، ومن ذلك ما قدر لمؤنة النحاس والسلاسل والتنانير والقباب التي فوق سطح الجامع أربعة وعشرون ديناراً، ومن ذلك لثمان سلب ليف وأربعة أحبل وست دلاء آدم نصف دينار ومن ذلك لثمان قنطارين خرقاً لمسح القناديل نصف دينار، ومن ذلك لثمان عشر قفاف للخدمة وعشرة أرطال قنب لتعليق القناديل ولثمان مائتي مكنسة لكنس هذا الجامع دينار واحد وربع دينار، ومن ذلك لثمان أزيار فخار تنصب على المضع ويصب فيها الماء مع أجرة حملها ثلاثة دنانير، ومن ذلك لثمان زيت وقود هذا الجامع راتب السنة ألف رطل ومائتا رطل مع أجرة الحمل سبعة وثلاثون ديناراً ونصف ومن ذلك لأرزاق المصلين يعني الأئمة وهم ثلاثة وأربعة قومة وخمسة عشر مؤذناً خمسمائة دينار وستة وخمسون ديناراً ونصف منها للمصلين لكل رجل منهم ديناران وثلث دينار وثمان دينار في كل شهر من



شهور السنة والمؤذنون والقومة لكل رجل منهم ديناران في كل شهر ومن ذلك للمشرف على هذا الجامع ونقل ما يخرج منه من الطين والوسخ ديناراً ومن ذلك للمصنع بهذا الجامع ونقل ما يخرج منه من الطين والوسخ دينار واحد ومن ذلك لمرمة ما يحتاج إليه في هذا الجامع من سطحه وأترابه وحياطته وغير ذلك مما قدر لكل سنة ستون ديناراً، ومن ذلك لثمن مائة وثمانين حمل تبين ونصف حمل جارية لعلف رأسي بقر للمصنع الذي لهذا الجامع ثمانية دنانير ونصف وثلاث دينار ومن ذلك للتبين لمخزن يوضع فيه بالقاهرة أربعة دنانير ومن ذلك لثمن فدانين قرط لتر بيع رأسي البقر المذكورين في السنة سبعة دنانير، ومن ذلك لأجرة متولي العلف واجرة السقاء والحبال والقواديس وما يجري مجرى ذلك خمسة عشر ديناراً ونصف ومن ذلك لأجرة قيم الميضأة إن عملت بهذا الجامع اثنا عشر ديناراً<sup>(١)</sup>.

وقام الخليفة المستنصر، أيضاً، بتجديد الجامع، وجدده بعده الحافظ لدين الله وأنشأ فيه مقصورة فاطمة تجاه الباب الغربي<sup>(٢)</sup>.

وفي عام ٥١٩هـ / ١١٢٥م أمر الخليفة الأمر بأحكام الله أن يعمل للجامع محراب من الخشب. وهو محراب مزخرف بالنقوش، بطرفيه عمودان رشيقيان وعظمه من خشب قرو تركي وتجويفته من فلق، ويعلوه لوح مكتوب فيه بالخط الكوفي «بسم الله الرحمن الرحيم حافظوا على الصلوات والصلوة الوسطى وقوموا لله قانتين. إن الصلاة كانت على المؤمنين كتاباً موقوتاً. مما أمر بعمل هذا المحراب المبارك برسم الجامع الأزهر الشريف بالمعزية القاهرة مولانا وسيدنا المنصور أبي علي الإمام الأمر بأحكام الله أمير المؤمنين وأبنائه الأكرمين ابن الإمام المستعلي بالله أمير المؤمنين ابن الإمام المستنصر بالله أمير المؤمنين صلوات الله عليهم أجمعين، وعلى آبائهم الأئمة الطاهرين بني الهداة الراشدين وسلم تسليمأ إلى يوم الدين في شهور سنة تسع عشرة وخمس مائة الحمد لله

(١) المقرئزي - المواعظ والاعتبار ج/١، ص ٢٧٣.

(٢) المقرئزي - المواعظ والاعتبار ج/٢، ص ٢٧٣.

وحده» (١).

في المدة بين ٥٢٤ - ٥٤٤هـ / ١١٢٩ - ١١٤٩م أضاف الخليفة الحافظ لدين الله إلى صحن الجامع رواقاً يحيط به من جوانبه الأربعة وقبة على رأس المجاز، حفلت جوانبها وقطبها بالزخارف والكتابات الكوفية وكلها آيات من القرآن، آية الكرسي وآيات من سورة يس (٢).

كان جامع الأزهر في بداية الأمر مسجد الخلافة الرسمي، تقام فيه الصلوات الجامعة يوم الجمعة، وفي المواسم والمناسبات الدينية الهامة، وتقام فيه أيضاً طائفة من الحفلات الدينية والاجتماعية الباهرة.

بدأت فكرة الدراسة بالأزهر في صفر سنة ٣٦٥هـ / أكتوبر ٩٧٥م عندما جلس، قاضي القضاة، أبو الحسن علي بن النعمان القيرواني بالجامع وقرأ كتاب أبيه [الاختصار] في فقه آل البيت، في جمع حافل من العلماء والكبراء، وسجلت أسماء الحاضرين. فكانت هذه أول حلقة للدرس بالجامع الأزهر.

بعد أربع سنين، وعلى وجه الدقة في رمضان سنة ٣٦٩هـ / ٩٨٠م، جلس يعقوب بن كلس، وزير المعز لدين الله ثم وزير ولده العزيز من بعده، بالجامع الأزهر، وقرأ على الناس كتابه [الرسالة الوزيرية] في الفقه الشيعي على مذهب الإسماعيلية.

وكان يقرأه بنفسه في خاصة الناس وعامتهم، ويهرع إلى سماعه الفقهاء والقضاة والأدباء وأكابر القصر والدولة.

ثم فكر ابن كلس في اتخاذ الجامع الأزهر معهداً للدراسة المنظمة المستقرة. فاستأذن الخليفة العزيز بالله، سنة ٣٧٨هـ / ٩٨٨م، في أن يعين بالأزهر جماعة من الفقهاء للقراءة والدرس يحضرون مجلسه ويلازمونه، ويعقدون مجالسهم بالأزهر في كل جمعة بعد الصلاة حتى العصر. وكان عددهم (٣٧) فقيهاً، رئيسهم ومنظم حلقتهم الفقيه أبو يعقوب قاضي الخندق،

(١) حسن عبد الوهاب - تاريخ المساجد الأثرية، ص ٥١.

(٢) المرجع السابق.

ورتب لهم العزيز أرزاقاً وجرايات شهرية حسنة، وأنشأ لهم داراً للسكنى بجوار الجامع وخلع عليهم في يوم عيد الفطر وحملهم على بغلات تشریفاً لهم وتكريماً، وأجرى عليهم ابن كلس أيضاً أرزاقاً من ماله الخاص.

وقد استمر الأزهر أيام الدولة الفاطمية في تقدم ونماء، واتسعت حلقاته وتنوعت دراساته، وزاد عدد طلابه حتى تجاوزوا الآلاف.

وكان فضلاً عن صفته الجامعية، مركزاً لكثير من المناسبات الرسمية من ذلك أنه كان مركز الاحتفال الرسمي بالمولد النبوي الكريم، ويوم عاشوراء، كما كان فيه أيضاً، مركز المحتسب.

وكانت الخطبة تقام فيه فلما بني الجامع الحاكمي انتقلت الخطبة إليه.

كان بجوار الجامع الأزهر، من قبله، منظره تشرف على الجامع الأزهر تدعى منظره الجامع الأزهر يجلس الخليفة فيها لمشاهدة ليالي الرقود، وهي ليلة أول رجب وليلة نصفه وليلة أول شعبان وليلة نصفه<sup>(١)</sup>.

عرفنا ممن تولوا التدريس بالجامع الأزهر علي بن النعمان القيرواني وأولاده، علي ومحمد والحسين، والحسن بن زولاق فقيه مصر ومؤرخها الكبير، المتوفى سنة ٣٨٧هـ / ٩٩٧م وغيرهم...

## جامع الحاكم، الجامع الحاكمي، جامع الخطبة، الجامع الأنور:

تاج مساجد القاهرة، ودرتها الغالية التي تزين جبينها<sup>(٢)</sup>.

يقع بالقرب من باب الفتوح، وباب النصر.

أسسه الخليفة العزيز بالله الفاطمي سنة ٣٨٠هـ / ٩٩٠م وخطب فيه

(١) علي مبارك - الخطط التوفيقية ج/١، ص ٤٧.

(٢) محمد عبد العزيز مرزوق - مساجد القاهرة، ص ٦٧.

وصلى بالناس، ثم أكمله ابنه الحاكم بأمر الله سنة ٣٩٣هـ / ١٠٠٢م، وأنفق عليه أربعين ألف دينار، وعلق فيه أربع تنانير فضة، وعدد كبير من قناديل الفضة، وفرش أرضيته بالحصر، ونصب فيه المنبر وكمل فرشته وتعليقه وأذن فيه ليلة الجمعة سادس شهر رمضان سنة ٤٠٣هـ / ١٠١٢م وهو جامع كبير، تبلغ مساحته ١٤٧٨٤,٢٣ متراً مربعاً. يتوسطه صحن واسع تبلغ مساحته ٥٦١٢,٧٢ متراً مربعاً<sup>(١)</sup>.

لهذا الجامع واجهة لا مثل لها. يقوم في زاويتها الشمالية والجنوبية برجان عظيمان يتكون كل منهما من مكعبين أجوفين يعلو أحدهما الآخر. ويخرج منهما مئذنتان عاليتان من أجمل المآذن الإسلامية<sup>(٢)</sup>.

في منتصف واجهة الجامع، يقع المدخل الرئيسي ويبرز عن سمتها بنحو ستة أمتار. فوق المدخل لوح من الرخام نقش عليه: «بسم الله الرحمن الرحيم ونريد أن نمّن على الذين استضعفوا في الأرض ونجعلهم أئمةً ونجعلهم الوارثين. مما أمر بعمله عبد الله ووليه أبو علي المنصور الإمام الحاكم بأمر الله أمير المؤمنين صلوات الله عليه وعلى آبائه الطاهرين في شهر رجب سنة ثلاث وتسعين وثلاثمائة».

تخطيط الجامع قريب من المربع، وهو عبارة عن صحن مكشوف تحيط به أروقة مسقوفة. وفي ناحية المحراب خمسة أروقة تسير عقودها موازية لحائط القبلة، وفي كل من الجانبين الشرقي والغربي ثلاثة أروقة تتجه عقودها عمودية على الجدار، في الجهة البحرية رواقان تسير عقودها موازية لحائط المحراب، وكلها محمولة على أكتاف. ويقطع رواق القبلة مجاز مرتفع في نهاية المجاز، فوق المحراب قبة تحمل كتابة كوفية من الجص، وفي أقصى يسار حائط القبلة قبة مهدمة<sup>(٣)</sup>.

(١) فؤاد فرج - القاهرة ج/٣، ص ٤٢٧.

(٢) محمد عبد العزيز مرزوق - مساجد القاهرة، ص ٦٨.

(٣) أبو صالح الألفي - الفن الإسلامي، ص ١٨١.

احتفظ جانب القبلة بكثير من العناصر المعمارية. ففيه نافذتان قديمتان، وفيه جانب من الدعائم. وما تحمله من عقود وفيه جزء من السقف وطراز الكتابة الذي يحف به من أسفل.

للمسجد تسعة أبواب. خمسة منها في الواجهة، واثنان في الجدار الشرقي، وواحد في كل من الجدارين الغربي والقبلي<sup>(١)</sup>.

لم يبق من نوافذ هذا الجامع غير نافذتين في جدار القبلة على يسار المحراب تزدان إحدهما بزخارف نباتية وكتابة كوفية جميلة تتضمن عبارة «الملك لله» مكتوبة طرداً وعكساً.

امتزجت في النافذة الثانية، الزخرفة الهندسية بالزخرفة النباتية امتزاجاً تاماً<sup>(٢)</sup>.

كتب في دائر القبة الوسطى للجامع العبارة التالية: «بسم الله الرحمن الرحيم إنا فتحنا لك فتحاً مبيناً ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تأخر ويتم نعمته عليك ويهديك صراطاً مستقيماً. وينصرك الله نصراً عزيزاً. هو الذي أنزل السكينة في قلوب المؤمنين ليزدادوا إيماناً مع إيمانهم والله جنود السموات والأرض وكان الله عليمًا حكيمًا».

كتب على باب الجامع «أمر بعمله الحاكم أبو علي المنصور في سنة ثلاث وتسعين وثلاثمائة».

وكتب على منبره: «أمر بعمل هذا المنبر للجامع الحاكمي المنشأ بظاهر باب الفتوح في سنة ثلاث وأربعمائة».

في يوم الخميس ١٣ ذي الحجة سنة ٨٠٢هـ / ١٣٩٩م زلزلت أرض مصر والقاهرة وأعمالهما، ألحقت هذه الزلزلة بالجامع أضراراً فادحة فسقطت منه بدنان كثيرة، وخرب أعالي المئذنتين وتشعثت سقوفه وجدرانه، فأمر الأمير ركن الدين بيبرس بإعادة بناء ما تهدم. ولما شرع البنائون في إعادة بناء المئذنة

(١) محمد عبد العزيز مرزوق - مساجد القاهرة، ص ٧٤.

(٢) المقرئزي - المواعظ والاعتبار ج/٢، ص ٢٧٧.

الكائنة من جهة باب الفتوح وجدوا صندوقاً بداخله كف إنسان بزنده ملفوفة بقطن طرية كأنها مقطوعة من ساعات. وعلى الصندوق كتابة لم يهتد أحد إلى فك حروفها<sup>(١)</sup>.

عندما دخل الصليبيون إلى القاهرة، جعلوا الجامع مقراً لجندهم، وبنوا فيه كنيسة. وفي العصر الحديث، جعلت وزارة الأوقاف أروقة محرابه مخزناً لبعض أدواتها، واتخذت من فضاء الصحن مكاناً لسقط متاعها<sup>(٢)</sup>.

في عام ١٩٨٦م قام سلطان البهرة بترميم المسجد، إلا أن منظمة اليونسكو انتقدت عملية الترميم، واعتبرتها غير مطابقة للمواصفات لأنها لم تحافظ على السمات الأصلية للأثر مثل لون الأحجار القديمة.

### جامع راشدة:

بناه الحاكم بأمر الله سنة ٣٩٣هـ / ١٠٠٢م. بني باديء الأمر بالطوب ثم هدم وبني بالحجر وزيد فيه. وكان الحاكم يشرف بنفسه على بنائه.

فرش وعلقت فيه قناديل وتنور من فضة زنتها ألوف كثيرة. وأقيمت فيه الجمعة. قيل: إنه لم يكن في بناء الجوامع أحسن منه<sup>(٣)</sup>.

جدد هذا الجامع أكثر من مرة. ظل قائماً حتى القرن التاسع الهجري - الخامس عشر الميلادي - . أدركه المقرئزي وقال عنه: «أدركته عامراً تقام فيه الجمعة ويمتلئ بالناس لكثرة من حوله من السكان. وإنما تعطل من إقامة الجمعة بعد حوادث سنة ست وثمانمائة»<sup>(٤)</sup>.

(١) المرجع السابق.

(٢) محمد عبد العزيز مرزوق - مساجد القاهرة، ص ٦٧.

(٣) المقرئزي - المواعظ والاعتبار ج/٢، ص ٢٨٢.

(٤) المرجع السابق.



مسجد الحاكم بأمر الله  
في القاهرة القديمة

بناه الحاكم بأمر الله على شاطئ النيل، بالمقس بباب البحر، سنة ٣٩٣هـ / ١٠٠٢م، بنفس العام الذي بني فيه جامع راشدة. وأوقف له أربع حوانيت، والمنازل التي فوقها، والحوانيت المعروفة بحصص القيسي بالراية بفسطاط مصر.

تصدع هذا الجامع وأوشكت زريته على السقوط في رمضان سنة ٥٨٧هـ / ١١٩١م لكثرة زيادة ماء النيل فأعيدت عمارتها.

وفي سنة ٧٧٠هـ / ١٣٦٨م جده الوزير صاحب شمس الدين عبد الله المقس، وبيضه وجعل له أوقافاً<sup>(٢)</sup>.

كان بجوار هذا الجامع منظره معدة لنزول الخليفة بها عند تجهيز الأسطول إلى غزو الفرنج.

### جامع الفيلة:

بناه الأفضل ابن أمير الجيوش بدر الجمالي في شعبان سنة ٤٧٨هـ / ١٠٨٥م وبلغت تكاليف بنائه ستة آلاف دينار.

سمي جامع الفيلة لأن قناطر قبابه تبدو للناس من بعيد كمدرعين على فيلة، كالتي كانت تعمل في المواكب أيام الأعياد وعليها السرير وفوقها المدرعون أيام الخلفاء<sup>(٣)</sup>.

### جامع الأقرم:

بناه الخليفة الأمر بوساطة وزيره المأمون البطائحي، وكمل بناؤه سنة ٥١٩هـ / ١١٢٥م.

(١) القلقشندي - صبح الأعشى ج/٣، ص ٣٦٥.

(٢) المقرئزي - المواعظ والاعتبار ج/٢، ص ٢٨٣.

(٣) المرجع السابق، ص ٢٨٩.



يعد هذا الجامع تحفة من تحف الفن الجميل وجوهرة من أكثر أعمال الفاطميين جمالاً.

كان مكانه مجموعة من تجار العلافه، وعندما تقرر بناء الجامع في هذا المكان قام الوزير المأمون البطائحي بهدم الدكاكين واشترى حماماً وداراً وأوقفهما على أجور خدم هذا الجامع والعاملين به ولإيقاد مصابيحهم.

واجهه الجامع الغربية مبنية بالحجر، وهي واجهه جميلة حافلة بالنقوش والكتابات الكوفية، من آيات قرآنية ونصوص تاريخية، كما اشتملت على مقرنصات وعقود تتوسطها دوائر مكتوب عليها (محمد) مكررة و(علي) وأجملها الدائرة الكبيرة فوق الباب التي كتب عليها «بسم الله الرحمن الرحيم إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيراً».

ويتوسط العقد الأيسر للباب دائرة كتب حولها (محمد) مكررة و(علي).

وفي الواجهة أيضاً، حنايا وشبابيك صغيرة، تكتنفها عمد صغيرة حلزونية يتوسطها قنديل، مكتوب أعلاها «لا إله إلا الله وحده لا شريك له».

على يسار الباب مفارق لم يبق منها غير جزء صغير.

دُون على واجهه الجامع تاريخ إنشائه في موضعين: أولهما بخط كوفي كبير، في الوجهتين الغربية والبحرية، ونصه: «بسم الله الرحمن الرحيم مما أمر بعمله... فتى مولانا وسيدنا الإمام الأمر بأحكام الله ابن الإمام المستعلي بالله أمير المؤمنين صلوات الله عليهما وعلى آبائهما الطاهرين وأبنائهما الأكرمين تقريباً إلى الله الملك الجواد... آمين، وأقام... اللهم انصر جيوش الإمام الأمر بأحكام الله أمير المؤمنين على كافة المشركين السيد الأجل المأمون أمير الجيوش سيف الإسلام ناصر الإمام كافل القضاة المسلمين وهادي دعاة المؤمنين أبو عبد الله محمد الأمري عضد الله به الدين وأمتع بطول بقائه أمير المؤمنين وأدام قدرته وأعلى كلمته في سنة تسع عشرة وخمسمائة... لإقامة البرهان».

والثاني: بخط كوفي صغير، يمتد مع الوجهة فوق عتب الباب ونصه: «بسم الله الرحمن الرحيم أمر... فتى مولانا وسيدنا الإمام الأمر بأحكام الله ابن الإمام المستعلي بالله أمير المؤمنين صلوات الله عليه وعلى آبائه الطاهرين وأبنائه الأكرمين السيد الأجلّ المأمون أمير الجيوش (سيف الإسلام) ناصر الإمام (كافل قضاة) المسلمين وهادي دعاة المؤمنين أبي عبد الله محمد الأمري عضد الله به الدين وأمتع بطول بقائه أمير المؤمنين وأدام قدرته وأعلى كلمته (في سنة) تسعة عشرة وخمسمائة والحمد لله وحسبنا الله ونعم الوكيل».

يمتاز الجامع بصغر حجمه. يؤدي إليه باب بارز قليلاً عن الواجهة. يتألف الجامع من صحن مكشوف يحيط به أربعة إيوانات، أكبرها إيوان المحراب المشتمل على ثلاثة أروقة بها عمدة رخامية تحمل عقوداً فارسية مغطاة بقبوات صغيرة<sup>(١)</sup>.

كانت العقود حول الصحن محاطة بكتابات كوفية من آيات قرآنية يقرأ منها: «بسم الله الرحمن الرحيم الله نور السموات والأرض مثل نوره كمشكاة فيها مصباح المصباح في زجاجة الزجاج كأنها كوكب دري يوقد من شجرة مباركة زيتونة لا شرقية ولا غربية يكاد زيتها يضيء»<sup>(٢)</sup>.

اللافت في هذا الجامع أنه منحرف في تخطيطه حتى يواجه القبلة<sup>(٣)</sup>.

جدد هذا الجامع أكثر من مرة. أهم هذه التجديدات قام بها الوزير يلبغا ابن عبد الله الساعي، أحد مماليك الظاهر، سنة ٧٩٩هـ / ١٣٩٦م حيث أنشأ ببابه حوانيت، وجعل في صحنه بركة لطيفة يصل إليها الماء من ساقية مرتفعة ينزل منها الماء إلى من يتوضأ من بزايبز نحاسية، وجعل فيه منبراً، وبنى على يمنة المحراب البحري مئذنة وبيض الجامع كله ودهن صدره بلازورد

(١) حسن عبد الوهاب - تاريخ المساجد الأثرية، ص ٧٢.

(٢) المرجع السابق، ص ٧٣.

(٣) محمد عبد العزيز مرزوق - مساجد القاهرة، ص ٩٣.



الواجهة الرئيسية ومئذنة جامع الأقرم

وذهب<sup>(١)</sup>. ولما ولى نظر بعض الفقهاء سنة ٨١٥هـ/ ١٤١٢م رأى هدم المئذنة التي جردها السالمي من أجل ميل حدث فيها، وأبطل الماء من البركة<sup>(٢)</sup>.

### جامع الظافر، الجامع الأفخر، جامع الفاكهيين، الفكاكين<sup>(٣)</sup>

بناه الخليفة الظافر بنصر الله أبو المنصور إسماعيل، داخل باب زويلة، سنة ٥٤٣هـ/ ١١٤٨م. وكان بالأصل زريبة للكباش.

وسبب بنائه جامعاً هو أن خادماً كان يشرف على الزريبة فرأى ذات يوم ذباحاً أخذ رأسين من الغنم للذبح، فذبح أحدهما ورمى بسكينه جانباً وذهب لقضاء حاجة له، فأتى رأس الغنم الآخر وأخذ السكين بفمه ورمها في بالوعة قريبة. وعندما عاد الذباح لم يجد السكين، فاستصرخ الخادم وخلصه منه. وعندما سمع أهل القصر بهذه القصة أمروا بعمارة الجامع<sup>(٤)</sup>.

يلحق بالجامع عدة حوانيت وقفها الظافر على سدنة الجامع ومن يقرأ فيه. وكان تعقد فيه حلقة تدريس وفقهاء ومتصدرين للقرآن.

### جامع الصالح، الجامع الصالحي

هذا الجامع، هو آخر جامع أنشء في الدولة الفاطمية. بناه الصالح طلائع ابن رزيك سنة ٥٥٥هـ/ ١١٦٠م بقصد نقل رأس الحسين (ع) من عسقلان خوفاً عليه من الفرنج. لكن الخليفة الفائز لم يوافق على وضع الرأس في هذا الجامع، وابتنى له المشهد المعروف بمشهد الحسين بجوار القصر.

يشتمل هذا الجامع على مميزات معمارية قلما تتوافر في جامع آخر. منها أرضيته التي كانت ترتفع عن مستوى الشارع بنحو ٣,٨٠م. وله أربع واجهات

(١) المقرزي - المواعظ والاعتبار ج/٢، ص ٢٩٠.

(٢) المرجع السابق.

(٣) القلقشندي - صبح الأعشى ج/٣، ص ٣٦٥.

(٤) المقرزي - المواعظ والاعتبار ج/٢، ص ٢٩٣.



مبنية بالحجر، أهمها الواجهة الغربية. وبها الباب الرئيسي للجامع. أمام هذا الباب رواق محمول على أربع أعمدة رخامية تحمل عقوداً حليت حافاتها بالزخارف وينتهي من طرفيه بحجرتين. على نهاية هذه الواجهة وأول الواجهة البحرية نقش يتضمن العبارة التالية: «بسم الله الرحمن الرحيم أمر بإنشاء هذا المسجد بالقاهرة المعزية المحروسة فتى مولانا وسيدنا الإمام عيسى أبي القاسم الفائز بنصر الله أمير المؤمنين صلوات الله عليه وعلى آبائه الطاهرين وأبنائه الأكرمين السيد الأجل الملك الصالح ناصر الأئمة، وكاشف الغمة أمير الجيوش سيف الإسلام غياث الأنام كافل قضاة المسلمين وهادي دعاة المؤمنين أبو الغارات طلائع الفاتزي عضد الله بن الدين وأمتع بطول بقائه أمير المؤمنين وأدام قدرته وأعلى كلمته ونصر أوليته وفتح له وعلى يديه مشارق الأرض ومغاربها في شهور سنة خمس وخمسين وخمسائة والحمد لله وصلى الله على سيدنا محمد خاتم النبيين وسيد المرسلين وعلى أمير المؤمنين علي بن أبي طالب أفضل الوصيين، وعلى ولديه المنتجبين الطاهرين أبي محمد الحسن وأبي عبد الله الحسين وعلى الأئمة من ذريتهم أجمعين وسلم وشرف وكرم وعظم إلى يوم الدين. وجعلناهم أئمة يهدون بأمرنا وأوحينا إليهم فعل الخيرات وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة وكانوا لنا عابدين. رحمة الله وبركاته عليكم أهل البيت إنه حميد مجيد...»<sup>(١)</sup>.

يتكون الجامع من أربعة أواوين يتوسطه صحن كبير به صهريج له ساقية ينقل إليها الماء من الخليج أيام النيل، بالقرب من باب الخرق<sup>(٢)</sup>. يعتبر إيوان الشرقي من أهم أواوين الجامع وهو إيوان كبير مكون من ثلاثة أروقة ذات عقود محمولة على أعمدة رخامية حليت حافاتها من الداخل والخارج بكتابة آيات من القرآن بالخط الكوفي المزهر<sup>(٣)</sup>.

تهدم هذا الجامع بالزلزلة التي حدثت سنة ٧٠٢هـ / ١٣٠٢م، فعمره

- 
- (١) حسن عبد الوهاب - تاريخ المساجد التاريخية، ص ٩٩.  
(٢) المقرئزي - المواعظ والاعتبار ج/٢، ص ٢٩٣.  
(٣) حسن عبد الوهاب - تاريخ المساجد التاريخية، ص ٩٩.

## جامع القرافة، جامع الأولياء:

بنته السيدة تغريد أم العزيز، على يد الحسن بن عبد العزيز الفارسي المحتسب.

كان هذا الجامع في غاية الجمال، يحتوي على نقوش سماوية اللون وحمراء، وخضراء ورسوم ذات ألوان أخرى.

وكانت السقوف مزوقة كلها. وكذلك الحنايا وباطن العقود وظاهرها. وكان أمام الباب السابع قنطرة قوس منقوش، في باطن عقدها رسم شادروان (سبيل) مدرج، عليه نقوش ورسوم سوداء وبيضاء وحمراء وخضراء وزرقاء وصفراء، إذا تطلع إليها الواقف في سهم قوسها، رافعاً رأسه إليها ظن أن المدرج المزوق كأنه خشب كالمقرنص. وإذا أتى إلى أحد قطري القوس عند تمام نصف الدائرة، ووقف عند أول القوس منها، ورفع رأسه رأى أن النقوش مسطحة لا تتواء فيها<sup>(٢)</sup>.

\*\*\*

كان من رسوم هذه الجوامع والمساجد أن قاضي القضاة يتولى أحباسها، وإليه أمرها ولها ديوان مفرد. وفي سنة ٣٦٣هـ / ٩٧٣م جمعت أحباسها فبلغت في السنة مليون وخمسمائة درهم، وكان مرتب كل مشهد ٥٠ درهماً في الشهر يرسم الماء لزوارها.

وكانت العادة قبل رمضان بثلاثة أيام أن تطوف القضاة على المساجد والمشاهد بمصر والقاهرة ليتفقدوا حصرها وقناديلها وعمائرها وما تشعث منها وغير ذلك. فيبتدئون بجامع المقس ثم جامع الأزهر ثم المشاهد ثم القرافة ثم

(١) المقريري - المواعظ والاعتبار ج/٢، ص ٢٩٣.

(٢) الدكتور زكي محمد حسن - كنوز الفاطميين، ص ٩١.

### ثالثاً: دار العلم / دار الحكمة

اشتهر الفاطميون بحب العلم والعلماء، وبلغ حبهم للعلم مبلغاً عظيماً، حتى كان لهم في قصر الخلافة، وحده، أربعون خزانة مملوءة بنفائس الكتب، تحتوي إحداها على ثمانية عشر ألف كتاب من العلوم القديمة<sup>(٢)</sup>.

وكانت مكتبة القصر تتألف من عدة رفوف مقطعة بحواجز، على كل حاجز باب مقفل بمفصلات وقفل. وتضم نحو مليون وستمائة ألف كتاب، وقيل مليونين، في الفقه والنحو واللغة والحديث والتواريخ وسير الملوك وعلوم التنجيم والروحانيات والكيمياء...<sup>(٣)</sup>.

وكان فيها ناسخان، وفراشان. ومن الخطوط المنسوبة أشياء كثيرة. ومن جملة ما كانت تحتويه نيفاً وثلاثين نسخة من كتاب العين للخليل بن أحمد منها نسخة بخط الخليل، وما ينيف على عشرين نسخة من تاريخ الطبري منها نسخة بخطه، ومائة نسخة من كتاب الجماهرة لابن دريد... وصناديق مملوءة أقلاماً مبرية من براية ابن مقلة وابن البواب..

اعتبرت هذه المكتبة من عجائب الدنيا لأنه لم يكن في بلاد الإسلام أعظم منها<sup>(٤)</sup> لكن وبالأسف تبدد قسم كبير منها بالشدة العظمى التي حدثت في مصر سنة ٤٦١هـ/ ١٠٦٨م، حين وقع الخلاف بين الجنود السودانيين والأتراك. وضاع القسم الباقي عند استيلاء صلاح الدين الأيوبي على السلطة والقضاء على الفاطميين سنة ٥٦٧هـ.

كان يقف على قدم المساواة مع هذه الخزانة العظيمة، دار العلم التي

(١) علي مبارك - الخطط التوفيقية ج/١، ص ٤٧.

(٢) المقرئزي - المواعظ والاعتبار ج/١، ص ٤٠٨.

(٣) المرجع السابق.

(٤) المرجع السابق.

بناها الحاكم بأمر الله سنة ٣٩٥هـ / ١٠٠٤م، والتي تسمى أيضاً بدار الحكمة. وكانت جامعة بكل معنى الكلمة. تضم عدة حلقات وكليات دينية وعلمية وأدبية.

خصص لهذه الجامعة دار مختار الصقلي الملاصقة للقصر الصغير بجوار باب التبانين وعين لها كبار الأساتذة في كل علم وفن. وعني بتأثيرها وزخرفتها عناية فائقة. فرشت أرضها بالسجاد الفاخر، والبسط والحصير وعلقت الستائر السميقة على النوافذ والأبواب لمنع الغبار، واتقاء البرد شتاء، وحر الشمس صيفاً، حماية للقراء والكتب.

دخل أحد السياح دار الحكمة في أوج ازدهارها فشهد فيها قطعاً من الحرير الأزرق غريب الصنعة فيها صورة أقاليم الأرض وجبالها وبحارها ومدنها وأنهارها وطرقها وجميع الأماكن المقدسة، ومكتوب على كل مدينة وجبل وبلد ونهر وبحر وطريق اسمه أو اسمها بالذهب<sup>(١)</sup>.

وحملت إلى دار الحكمة، من خزائن القصر، مجموعات عظيمة من الكتب في سائر العلوم والفنون، ورصدت للإنفاق عليها وعلى أساتذتها وخدمها أموال ضخمة.

كان التعليم في هذه الجامعة حراً، على نفقة الدولة. وكان يقدم للطلاب والباحثين، مجاناً، كل ما يحتاجون إليه من أقلام وأوراق وأدوات كتابة.

وكان للنساء فيها مجالس خاصة<sup>(٢)</sup>. كما فتحت أبوابها لسائر الناس من مختلف الطبقات فجاءوا إليها من كل حذب وصوب مدفوعين بدوافع شتى، منهم من جاء للقراءة، ومنهم لنسخ ما يروق له من كتب، ومنهم للتعلم، فيجدون كل التسهيلات، ويعطى لهم ما يحتاجون من أقلام وورق وحبر وغير ذلك<sup>(٣)</sup>.

(١) الدكتور عبد اللطيف الصوفي - لمحات من تاريخ الكتب والمكتبات ص ٢٠٦.

(٢) محمد عبد الله عنان - مجلة العربي - العدد ٢٨٧ / أكتوبر ١٩٨٢.

(٣) المقرئزي - المواعظ والاعتبار ج/١، ص ٤٥٨.





ولكي تستمر هذه الجامعة في أداء رسالتها العلمية، وقف الحاكم بأمر الله أماكن في فسطاط مصر على عدة مواضع للإنفاق على هذه الجامعة. ومما جاء في صك الوقفية: «... يكون العشر وثمان العشر لدار الحكمة لما يحتاج إليه في كل سنة من العين المغربي مائتان وسبعة وخمسون ديناراً من ذلك لثمن الحصر العبداني وغيرها لهذه الدار عشرة دنانير، ومن ذلك لورق الكاتب (الناسخ) تسعون ديناراً ومن ذلك للخازن بها ثمانية وأربعون ديناراً ومن ذلك لثمن الماء اثنا عشر ديناراً ومن ذلك للفراش خمسة عشر ديناراً ومن ذلك للورق والحبر والأقلام لمن ينظر فيها من الفقهاء اثنا عشر ديناراً ومن ذلك لمرمة الستارة دينار واحد ومن ذلك لمرمة ما عسى أن ينقطع من الكتب وما عساه أن يسقط من ورقها اثنا عشر ديناراً ومن ذلك لثمن لبود للفرش في الشتاء خمسة دنانير ومن ذلك لثمن طنافس في الشتاء أربعة دنانير.»<sup>(١)</sup>.

بقيت دار الحكمة تقوم بدورها العلمي الكبير مدة طويلة من الزمن، إلى أن أغلقها الأفضل شاهنشاه ابن أمير الجيوش بدر الجمالي لما ذاع عنها من إفساد للعقول. فلما توفي الأفضل، أمر الخليفة الأمر بأحكام الله وزيره المأمون البطائحي بفتحها من جديد، على أن يتولاها رجل ديين، ويقام فيها متصدر برسم قراءة القرآن فتولاها أبو محمد حسن بن آدم سنة ٥١٧هـ / ١١٢٣م<sup>(٢)</sup>. انتهت هذه الجامعة بانتهاة الدولة الفاطمية.

(١) المرجع السابق.

(٢) المقرئزي - المواعظ والاعتبار ج/١، ص ٤٦٠.

## نظام الحكم عند الفاطميين

مهما اختلفت نظرنا إلى الدولة الفاطمية، فثمة حقيقة لا يمكن نكرانها أو تجاهلها، هي أن هذه الدولة كانت أول دولة مستقلة بمصر. منظمة أحسن تنظيم.

وكانت مقسمة إدارياً إلى ثلاث ممالك، أو أقطار كبيرة هي:

\* البلاد المصرية: وفيها القاهرة مركز الخلافة

\* الشام: مع سائر فلسطين ويحكمها نواب الخليفة.

\* إفريقية: ويحكمها نواب باسم الخليفة.

وكانت الديار المصرية مقسمة إلى أربع ولايات، هي، بحسب أهميتها:

- ولاية قوص: كانت أعظم ولايات الديار المصرية، وواليها يحكم على جميع بلاد الصعيد.

- ولاية الشرقية: متوليها يحكم على عمل بلبس وقلوب وأشمووم.

- ولاية الغربية: متوليها يحكم على عمل المحلة ومنوف وأبيار.

- ولاية الإسكندرية: متوليها يحكم أعمال البحيرة بأجمعها.

وكان يخلع على ولاة هذه الولايات من خزانة الكسوة بالبدنة، وهو نوع من اللباس يلبسه الخليفة يوم فتح الخليج<sup>(١)</sup>.

كان الخليفة يجلس على هرم السلطة. والخلافة تنتقل بطريق الإرث من

(١) علي مبارك - الخطط التوفيقية ج/١، ص ٤٨.

الآباء إلى الأبناء ويتم جلوس الخليفة على العرش في موكب عظيم تسوده مظاهر الأبهة والعظمة، ويشارك فيه أرباب الدولة، والآلات الملوكية المختصة بالموكب العظام وهي: التاج وقضيب الملك والسيف الخاص والدواة والرمح والدرقة والحافر والمظلة والأعلام والمذبتان والنقارات والخيام والفساطيط.

وكان الخليفة يقيم في القصر الكبير الشرقي مع أفراد أسرته وحاشيته الكبيرة. ويحمل العديد من الألقاب هي: الإمام، السلطان، سيدنا، مولانا، سيف الإسلام، ناصر الإمام أو الأئمة، كافل قضاة المسلمين، هادي دعاة المؤمنين، كاشف الغمة، غياث الأنام... (١).

وجرت العادة أن يعهد الخليفة إلى أكبر أولاده بولاية العهد. وقد وصلنا من كتب ولاية العهد نسختان: واحدة خاصة، والثانية عامة. الخاصة من الخليفة الحافظ لدين الله إلى ولده حيدرة ونصها:

من عبد الله ووليّه عبد المجيد أبي الميمون الحافظ لدين الله أمير المؤمنين، إلى ولده ونجله، وسُلّالته الطاهرة ونسّله، والمُجمَع على شرفه والعامِل بمرضاة الله في قوله وفعله، وعقده وحلّه؛ الأمين أبي تراب حيدرة، وليّ عهد أمير المؤمنين، عليه السلام.

سلامٌ عليك: فإنّ أمير المؤمنين يحمّد إليك الله الذي لا إله إلا هو، ويسأله أن يصلّي على جدّه محمد خاتم النبيين، وسيّد المرسلين، صلى الله عليه وعلى آله الطاهرين، الأئمة المهديّين؛ وسلّم تسليمًا.

أما بعد، فإنّ الله تعالى لبديع حكمته، ووسيع رحمته، استودع خُلفاءه مَنْ خَلَقه وبرأه، وأستكفى أمّناءه مَنْ صَوّره وذرّأه؛ وربّهم مرّتبة النفوس من الأجساد، ونزّلهم بمنزلة الضياء من الأznاد؛ وجعلهم مستخدمين لأفكارهم في مصالح البرية التي غدث في أمانهم، وحصلت في ضمّانهم؛ فظلت في ذمامهم، وسعدت في عزّ مقامهم وظلّ أيّامهم: لأنهم نُصّبوا للنظر فيما جلّ ودق، وتعبوا لراحة الكافة تبعاً صعباً وعظماً وشقّاً؛ وكان ذلك سرّاً من أسرار

(١) الدكتور عطية مصطفى مشرفة - نظم الحكم بمصر في عصر الفاطميين، ص ٧٣.

الحِكمَة، وضرباً من أفضل تدبير الأمة؛ إذ لو ساوى بين الرئيس والمرؤوس، والسائس والمَسُوس؛ لاختلط الخُصوص بالعموم، ولم يبق فرق بين الإمام والمأموم.

وقد أستخلص الله أمير المؤمنين من أشرف أسرة وأكرم عصابة، وأئده في جميع آرائه بالحزامة والجزالة والأصالة والإصابة؛ وقضى لأغراضه أن يكون السعد لها خادماً، وحتّم لمقاصده أن يُصاحبها التوفيق ولا ينفك لها مُلازماً؛ وجمع له ما تفرّق في الخليقة من المفاخر والمناقب، وألهمه النظر في حُسن الخواتم وحميد العواقب.

ولما كان وليُّ عهد أمير المؤمنين أكبر أبناء أمير المؤمنين، والمنتَهِي لأشرف المراتب من تقادم السنين؛ وقد أستولى على الفخر باكتسابه وأنتسابه، وتصدّت له مخطوبات الرُتب ليحوزها باستحقاقه وأستيجابه؛ وله من فضيلة ذاته ما يدلُّ على النبإ العظيم، وعليه من أنوار النبوة ما يهتدي به الساري في الليل البهيم؛ وحين حوى تالد الفخر وطارفه ولم يستغن بالقديم عن الحديث ولا بالحديث عن القديم؛ والصفات إذا اختلفت أربابها لا تقع إلا دونه، والثواب الجزيل مما أعدّه الله للذين يُخلصون فيه ويتولّونه؛ وليفخر بأن حُصّ من العناية الملكوتية بالحظّ الأجل، وليتسمّح على البرايا ليكون ممدوحاً بالكتاب المنزّل؛ وليبدخ فإن وصفه لا تبلغ غايته وإن أستخدمت فيه الفكر، ولينجح فإن فضله لا يدرك حقيقة إلا إذا تليت الشور، فأمتعه الله بمواهبه لديه وأمتع أمير المؤمنين به، وأجرى أموره عاجلاً وأجلاً بسببه.

رأى أمير المؤمنين أن يختصّه بولاية عهد أمير المؤمنين تمييزاً له بهذا النعت الشريف، وسُمّواً به إلى ما يجب لمجده الشامخ ومحلّه المنيف؛ وأقتداءً بأسلافه الأئمة الأطهار فيما يُشرفون به أبناءهم الأكرمين، وتخصيصاً له بما يبقى فخره على متجدّد الأزمان ومُتطاول السنين. وأمر أمير المؤمنين أن يُتخّر من رجال دولته، ووجوه أجناده وشيعته؛ طائفة يكون إليه انتماؤها، وإلى شرف هذا النعت أنتسابها وأعتزاؤها؛ فتوسّم بالطائفة العهديّة، وتحظى إذا أخلصت في الولاية بالسعادة الدائمة الأبدية؛ وتظلّ موقوفة على خدمته، متصرفّة على



أوامره وأمثله؛ منهية في طاعته إلى أغراضه ومآربه، ملازمةً لِلأَزمِ المتعين من مُلازمة الخِدمة في مواكبه؛ والله تعالى يجعل ما رآه أمير المؤمنين من ذلك كافلاً بالخيرات، ضامناً لشمول المنافع وعموم البركات، إن شاء الله تعالى: والسلام على وليِّ عهد أمير المؤمنين ورحمة الله وبركاته<sup>(١)</sup>.

أما النسخة العامة فصيغتها كما يلي:

من عبد الله ووليِّه فلان أبي فلان الإمام الفلانيّ إلى فلان الفلاني، والصلاة والسلام على النبيّ صلى الله عليه وسلم على نحو ما تقدّم في العهد قبله.

أما بعدُ، فالحمد لله الذي أستحقّ الحمد بفضلِهِ، وأجرى القضاء [على ما أَرادَه] ووسّع الجرائم بعفوه وعذله؛ وصرف المراحم بين قوله وفعله، وأعلى عمار الحقّ وأرشد إلى أهله؛ واختار الإسلام ديناً وعصم المعتقلين بحبله، وأوضح سُبُل النَّجاة بما أوضح لسالكيه من سُبُلِهِ؛ وتعالى علاه إلى الصِّفات، فلم يُوصف بمثل قوله: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ﴾ وتنزّه عن أشراك التشبيهات، في كل جليل الوصف مستقلةً وغير مستقلة؛ علم ما أشتملت عليه خطرات الأسرار، وأشارت إليه نظراتُ الأبصار، وأنفجرت عنه غمرات الأخطار، وأخفته ستراتُ الظلماء وباحث به جهرات الأنوار: ﴿سِوَاءَ مِنْكُمْ مَنْ أَسْرَعَ الْقَوْلَ وَمَنْ جَهَرَ بِهِ وَمَنْ هُوَ مُسْتَخْفٍ بِاللَّيْلِ وَسَارِبٌ بِالنَّهَارِ﴾.

والحمد لله الذي جعل الدين عنده الإسلام، فمن أبتغى غيره ضلّ المنهج، وأبعد المعرج، وأستلحق المُخدج، وغلط المخرج، وفارق الثور الأبلج، وركب الطريق الأعوج، وأتى يوم القيامة باللِّسان المُلجج؛ ومن أسلم وجهه إليه فاز بالسَّعي التَّجيج، وحاز المتجر الرِّبيع؛ وورد المورد الأحمد، ويَمِّم القصد الأqvسد، ووجد الجدَّ الأسعد، وسلك المنهج الأرشد؛ فهو العُروة الوثقى، والطريقة المثلى، والدرجة العليا؛ وأمر به خيرُ المرسلين، المنعوت في سير الأولين، المبعوث بالحق المُبين، والقائم رسولاً في الأميين، والهادي

(١) القلقشندي - صبح الأعشى ج/٩، ص ٣٧٧.

إلى الحقِّ وإلى طريق مستقيم؛ والداعي الذي مَنْ أجابه وآمَن به غُفِرَ له ما تقدَّمَ من ذنبه وأُجِرَ من عذابِ أليم، والمستقلُّ [بالعبء] العظيم، بفضل ما مُنِحَ من الخُلُقِ العظيم، والممدوح بقوله: ﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنْفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ﴾.

والحمد لله الذي وصل النبوة بالإمامة، وجعلها كلمةً باقيةً في عقبه إلى يوم القيامة، وخصّها بالخصائص التي لا تنبغي إلا لِإِثْمِ الكرامة، وأجار بها خلقه من متالف الطائفة وبوادي التَّدامة، وهدى بشرف مقامه إلى دار المُقامة؛ وأسترَدَّ بأنوار تدبيره من ظلام الباطل الظُّلّامة، وأحسن بما أجراه من نظره النظر للخاصة والعامة، ﴿إِنَّ هَذَا لَهُوَ الْفَضْلُ الْمُبِينُ﴾.

يحمده أمير المؤمنين أن رفعه إلى ذلك المحلِّ المُنيف، وأستعمر به المقام الشريف، وأظهر كلمة الدِّين الحنيف، ونفى عنه تغالي التعمُّق وتجديف التحريف، وبيّن بموافقة توفيق هديه طريق التكليف، وأمدّه بموادَّ إلهية تشتهر فتستغني عن التعريف، وتتصل فتقطع موادَّ التكييف.

ويسأله أن يصلِّي على جدّه محمدٍ الذي نسخ بشريعته الشرائع، وهذب بهدايته المشارع، وأيّدته بالحُجج القواطع، والأنوار السَّواطع، وجعل من ذُرِّيَّته جبال الله القوارع، ومن مشكاته نُجوم الهدى الطَّوالع، وعُدِدَت صنائعه بالله إذا أفتخرت المُنعمون بالصَّنائع؛ وعلى أخيه وأبينا أمير المؤمنين علي بن أبي طالب المخصوص بأخوته، وأبي الثقلين من عترته، والسابق إلى الإسلام فهو بعده أبو عُذْرته؛ وإلى تفريج الكرب عن وجهه في الحرب فهو ابنُ بجدّته، وعلى الأئمة من ذرِّيتهما مصابيح الظُّلّمات، ومفاتيح الشُّكوك المُبهمات، والممنوحين من شرف السَّمات، ما جلَّ عن المُسامات، والممدوحين بفضل الجاه في الأرضين والسَّموات.

وإن الله بحكمته البديعة، ورحمته الوسيعة؛ أقام الخلفاء لخلقهم قواماً وبحقّه قواماً، وجعل نار الحوادث بُنورهم برُداً وسلاماً، وجعل لهم الهداية بأمره لِإِثْمِها، وأستصرف بهم عن الخلق عذاب جهنّم ﴿إِنَّ عَذَابَهَا كَانَ غَرَاماً﴾؛ فهم أرواحٌ والخلائق أجسام، وصباحٌ والمسالكُ أظلام، وثمراتٌ والوجود

أَكْمَامَ، وَحُكَّامَ وَالْحَقَائِقَ أَحْكَامَ، يَسْهَرُونَ فِي مَنَافِعِ الْأَنْامِ وَهَمَّ نِيَامَ، وَيَنْفَرُدُونَ  
بِوَصْبِ النَّصَبِ وَيُفْرَدُونَهُمْ بِلَذَاتِ الْجَامِ، وَيَهْتَدُونَ بِهَدَايَاتِهِمْ إِلَى مَا تَدِقُّ عَنْهُ  
حَوَائِطُ الْأَفْهَامِ، وَلَا يُدْرِكُ إِلَّا بِوَسَائِطِ الْهَامِ. وَقَدْ أَصْطَفَى اللَّهُ الْأَمِيرَ مِنْ تِلْكَ  
الْأُسْرَةِ، وَرَفَّاهُ شَرَفَ تِلْكَ الْمَنَابِرِ وَمُلْكَ تِلْكَ الْأُسْرَةِ، وَأَنَارَ بِمَقَامِهِ نُجُومَ  
السَّعَادَةِ الْمَسْتَسِرَّةِ؛ وَأَسْتَعْمَدَ الْعَالَمَ لِأَغْرَاضِهِ، وَسَدَّدَ كُلَّ سَهْمٍ فِي رَمِيهِ إِلَى  
أَغْرَاضِهِ، وَأَقْرَضَ اللَّهُ قَرْضاً حَسَناً فَهُوَ وَائِقٌ بِحُسْنِ عَوَاقِبِ إِقْرَاضِهِ، وَأَفْتَرَضَ  
طَاعَتَهُ فِي خَلْقِهِ فَالسَّعِيدُ مَنْ تَلَقَّى طَاعَةَ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ بِأَفْتَرَاضِهِ، وَأَمْضَى أَمْرَهُ  
عَلَى الْآيَاتِ فَمَا يَقَابِلُهَا صَرْفٌ مِنْ صُرُوفِهَا بِاعْتِرَاضِهِ، وَأَدَارَ الْحَقَّ مَعَهُ حَيْثُ دَارَ،  
وَكَشَفَ لَهُ مَا أَسْتَجَنَّ تَحْتَ أَسْتَارِ الْأَقْدَارِ، وَوَقَفَ الْخَيْرَةَ وَالنُّصْرَةَ عَلَى آرَائِهِ  
وَرَايَاتِهِ فَهُوَ الْمَسْتَشَارُ وَالْمَسْتَخَارُ؛ وَالْهَمُّ أَنْ يَحْفَظَ لِلْأُمَّةِ غَدَهَا كَمَا حَفِظَ لَهَا  
يَوْمَهَا، وَأَنْ يُجْرِيَ لَهَا مَوَارِدَ تَوْفِيقِ الْأَرْتِيَادِ وَلَا يُطِيلَ حَوْمَهَا؛ وَأَنْ يَجْعَلَ  
الْمُؤْمِنَ عَلَى ثَلَجٍ مِنَ الصُّدُورِ، وَفَلَجٍ مِنَ الظُّهُورِ، وَيُودِعَ عِنْدَهَا بَرْدَ الْيَقِينِ  
بِالْإِشَارَةِ إِلَى مَسْتَوْدَعِ الثُّورِ؛ وَيَجْعَلُهَا عَلَى شَرِيحَةٍ مِنَ الْأَمْرِ فَتَتَّبِعُهَا، وَيُحَلِّهَا  
بِمَنْزِلَةِ الْخُضْبِ فَتَرْتَبِعُهَا؛ وَيُعَلِّمُ نَدِيَّ خَيْرِهِ لِيَكُونَ غَايَتِهَا وَمَفْرَعَهَا، وَيُعَرِّفُهَا مِنْ  
تَنْتَظَرُهَا فَتَسْتَحِذُهَا مَالِهَا وَمَرْجِعُهَا؛ وَيَقْتَدِي فِي ذَلِكَ بِسَيِّدِ الْمُرْسَلِينَ فِي يَوْمِ الْغَدِيرِ،  
وَيُشِيرُ إِلَى مَنْ يَقُومُ بِهِ الْمَشِيرَ مَقَامَ الْبَشِيرِ.

وَلَمَّا كُنْتَ حَافِظَ عَهْدِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ وَالسَّيِّدِ الَّذِي لَا بُدَّ أَنْ يُتَوَجَّعَ بِهِ  
السَّرِيرِ، وَالنَّجْمِ الَّذِي لَا بُدَّ أَنْ نَسْتَطِيلَ إِلَى أَنْوَارِهِ وَنَسْتَطِيرَ، وَالذَّخِيرَةَ الَّتِي  
أَدَّخَرَهَا اللَّهُ لِئَلَّا يَنْبَغَ كُلَّ خَطَرٍ وَدَفَعَ كُلَّ خَطِيرٍ، وَالسَّحَابَ الَّذِي فِيهِ الثَّجُّ الْمَطِيرُ،  
وَالنَّجْمَ الْمُنِيرَ، وَالرَّجْمَ الْمُبِيرَ، وَقَدْ تَجَلَّتْ لَكَ أَوْجُهُ الْكِرَامَاتِ وَتَبَدَّتْ،  
وَتَبَرَّجَتْ لَكَ مَخْطُوبَاتِ الْمَقَامَاتِ وَتَصَدَّتْ، وَطَلَبْتِكَ كُفّاً لِنَيْلِ عَقِيلَتِهَا وَسُكْنَى  
مَعْقِلِهَا فَمَا تَعَدَّتْ، وَأَدَّتْ إِلَيْكَ لَطَائِفَ فَهْمِكَ مِنْ أَسْرَارِ الْحَقَائِقِ مَا أَدَّتْ؛  
وَعَرَفْتَ مِنْ سِيْمَاكِ هَذِي النَّبُوءَةِ، وَأَجْتَمَعَ لَكَ مَزِيَّةُ الشَّرِيفِينَ مِنَ الطَّرْفِينَ الْأَبُوءَةِ  
وَالْبُوءَةِ، وَأَخَذْتَ كِتَابَ الْحِكْمَةِ وَمَصُونَةَ الْعِصْمَةِ بِقُوَّةِ، وَأَجْرَتِ الْقُلُوبِ الَّتِي  
بِعَوَارِضِ الشُّكِّ مَمْنُوءَةِ، وَأَثَرَتِ الْعَقَائِدِ الَّتِي بِنَوَاقِضِ الْعَقْدِ مَمْلُوءَةِ، وَغَدَتْ وَجُوهَ  
الْأَنْامِ بِأَيَّامِكَ مَجْلُوءَةِ، وَتَوَافَقَتِ الْأَلْسُنُ عَلَى مَدْحِكَ وَلَا مِثْلَ مَا مُدِحَتْ مِنْ  
الْآيَاتِ الْمَتْلُوءَةِ، وَكُنْتَ بِحَيْثُ تَذْهَبُ بِالْأَهْوَالِ الْمَسْلُوءَةِ، وَتُقْبَلُ بِالْأَمَالِ

المرجوة؛ ولو أن ركباً ضلَّ لهداهُ نورُكَ في الليل البهيم، ولو أن ذِكرَكَ شدَّ لتبدى في الآيات والذِّكر الحكيم، ولو أنك طلعت على الأولين لما تساءلوا ولا اختلفوا في التَّبِ العظيم، ولو أن قديماً علا فوق كل حديثٍ لقام لك الحديث مقام القديم، ولو أن جميع الأنام في صعيدٍ واحدٍ لصعدتْ دُونهم المقام الكريم، ولو أن يدك البيضاء تجسّمت للناظرين لأعدتْ آية موسى الكليم، ولو أن هدايتك الغراء تنسّمت للذاكرين لأحييت بها العظام وهي رميم، ولو أن علومك أنتشرت بين العلماء لتلوا: ﴿وَفَوْقَ كُلِّ ذِي عِلْمٍ عَلِيمٌ﴾ ولو أن ليلة ولادتك رصدتها البصائر، رأيت كيف يُفرقُ فيها كل أمرٍ حكيم؛ والصفات إذا احتفل أربابها وقفت لك عبيداً، والأيام إذا كانت ظروفاً لفضائلك كان كل يوم منها للعيد عيداً، والأنساب إذا عددتها كان الجدُّ سعيداً؛ فلتفخرْ قبل السير بأن أمليت عليها السور، وأبشّر بأن المنتظر من فضل الله لك فوق ما تعجّله النظر، وأشمخ بأن سادة القبائل مُضّر وأنك بعد أمير المؤمنين سيّد مُضّر، وأبذخ بأنك عوّض من كل من غاب وما عنك عوّض في كل من حضر، وأبجح بأنك قد أهلت لأمر أبي الله له إلا أولي العزم والخطر، وأشكر الله على نعمة خلقك لها بقدر، ومزيّة لا يُوفي حقها من أضمر فأغرّق أو نطق فشكر، وقل: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي هَدَانَا لِهَذَا وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِيَ لَوْلَا أَنْ هَدَانَا اللَّهُ﴾ ﴿وَقُلْ رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَى وَالِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحاً تَرْضَاهُ﴾.

فإليك هذا الأمر بصير، وأنت له والله لك نعم المولى ونعم النصير؛ وتأهب له في درجته التي لا ينالها باعٌ قصير، ولا يمتطيها إلا من أختاره الله على علم من أهل الثقلين ولو أن بعضهم لبعضٍ ظهير، ولا نرى لها أهلاً إلا مَنْ أراه الله من آياته إنه هو السميع البصير، وفاوض أمير المؤمنين في مُشكلات الأمر ولا يبنّك مثلُ خبير، وأقتد منه بمن هو في أهل دهره وصي الوصي ونظير التذير، وأهتد بنوره الذي هو بالتور البائن دون الخلق بشير، وسر إذا أستعملك الله فيهم بما رأيت أمير المؤمنين به فيهم يسير، وأدع الله بأن يُيسر على يدك مناجحهم إن ذلك على الله يسير، وأعرف ما أترك الله به من أنه لم يجعل ليديك كفوّاً إلا ذا الفقار ولا لقدمك كفوّاً إلا المنبر والسرير، وتحدث بنعمة الله وإجرائها فأمر المؤمنين اليوم عليك أميرٌ وأنت غداً على المؤمنين أمير: ﴿هَذَا



مِنْ فَضْلِ رَبِّي لِيَبْلُغَنِي أَشْكُرُ أَمْ أَكْفُرُ وَمَنْ شَكَرَ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ ﴿١٠٠﴾ .

وأما العدل وإفاضة، والجور وإغاضته، والصَّغْب ورياضته؛ والجذب وترويضه، والخطب وتفويضه؛ والجهد ورفع علمه، والذب عن دين الله وحفظ حرمة؛ والأمر بالمعروف ونشر دوائه، والنهي عن المنكر وطبّي أعتدائه؛ وإقامة الحدّ بالصَّفْح والحد، والمساواة في الحقّ بين المولى والعبد؛ وبثّ دعوة الله في كل غور من البلاد ونجد، وأمر عباد الله إن عباد الله في زمنك الرغد؛ فذلك عهدُ الأئمة الراشدين، وهو إليك من أمير المؤمنين، عهدٌ مؤكّد العقد: وهو سنة فضل الخلفاء التي لا تجد لها تحويلاً، ومعنى العهد الذي أمر الله بالوفاء به فقال: ﴿إِنَّ الْعَهْدَ كَانَ مَسْئُولًا﴾ .

وهل يُوصى البحر بتلاطم أمواجه؟ وتدافع أفواجه؟ وبتزأخر عجاجه؟ وهل يُحضُّ البدر المنير على أن يُنير سراجُه، ويطلع ليتضح للسالك منهاجه؟ أو يُنبئه على هدايته إذا تهادته أبراجُه؟ وعليك من سرائر أنوار الله ما يُغنيك أن تُوصى، ولديك من ظواهر لطائف الله ما تميّز به عن الخلق إذ أضحيت به مخصوصاً، ومن شواهد اختيار الله ما تظاهرت عليك آياته نُصوصاً؛ فإسلام الله يُحييكَ المؤمنون، وبالاعتلاق بعظمة ولائك في يوم الفزع الأكبر يأمنون، والله منجز لك وعده كما أنجزه لمن جعلهم أئمةً لما صبروا وكانوا بآياتنا يوقنون؛ والله سبحانه يُهدي إليك تحيةً من عنده مباركةً طيبةً، ويُسدي إلى مقام شرفك سحابةً رحمةً غدقةً صيبةً؛ ويجعل ما رآه أمير المؤمنين من ولايتك عهده، وكفالتك للأمة بعده، للمسرات ناظماً، وللمساءات حاسماً؛ وللمبركات جامعاً، وللباطل خافضاً وللحق رافعاً. وأمر أمير المؤمنين أن يعيّن على رجال من أولياء دولته، ووجوه شيعته؛ وأنصار سرّيته، عِدَّةً يكون إليك أعتراؤها وبك أعترازها، وبيابك العالي إقامتها وإلى جنابك أنحيازها؛ فتكون مؤسومةً بالعبودية، ومتعرضةً بالولاء للسعادة الأبدية؛ فتمثّل على ما تمثّله من المراسم، وتتصرّف على ما تُصرّفها عليه من العزائم؛ وتكون أبداً لما يُنفذ عنك من أحكام الهبات والمكارم، وتقوم من ملازمة الخدمة في مواجيبك بما هو لكل خادم فرضٌ لازم؛ وتسارع في مطالبك إلى ما يُسارع إليه الحازم، وتجوّد يا

سماء الإنعام بالغدق الساجم. وتُقدَّر لها من الواجبات والزِّيادات ما تقتضيه هِمَمُ المكارم؛ تبذل في الخدمة الاجتهاد، وتنافس فيما تستمدُّ به الحظوة والإحماد؛ وعرضها من الإحسان الجَمُّ للأزدياد، وبلغها المُراد بما تبلغُ بها من المُراد: لتتشرَّف بأن تكون تحت ركابه العالِي متصرِّفة، وتفتخر بأن تكون أنسابها باسمه العالِي متشرِّفة؛ إن شاء الله تعالى<sup>(١)</sup>.

وكان هيكل الدولة، أو ما أطلق عليه اسم ترتيب المملكة، على الشكل التالي:

### أولاً: مراتب أرباب السيوف

وهم ثلاثة أصناف:

الصنف الأول: الأمراء، وهم على ثلاث مراتب:

المرتبة الأولى: الأمراء المطوقون الذين يخلع عليهم بأطواق الذهب في أعناقهم.

المرتبة الثانية: أرباب القضب: الذين يركبون في الموكب بالقضب الفضة التي يخرجها الخليفة من خزانة التجمل.

المرتبة الثالثة: أدوات الأمراء.

الصنف الثاني: خواص الخليفة، وهم ثلاثة أنواع:

- الأستاذون: وأرفعهم شأنًا المحنكون الذين يدورون عمائمهم على أحناكهم، وعددهم يزيد على الألف شخص.

- صبيان الخاص: وهم جماعة من أخصاء الخليفة يبلغ عددهم نحو ٥٠٠ شخص.

- صبيان الحجر: وهم جماعة من الشباب يزيد عددهم على الخمسة

(١) القلقشندي - صبح الأعشى ج/٩، ص ٣٧٩.

آلاف، يقيمون في حجر منفردة، لكل حجرة منها اسم يخصها.  
الصف الثالث: طوائف الأجناد، وهم أعداد كبيرة من مختلف الأجناس.

## ثانياً: أرباب الوظائف

وهم قسمان:

القسم الأول: ما بحضرة الخليفة، وهم أربعة أصناف:

الصف الأول: أرباب السيوف، وهم نوعان:

- وظائف عامة الجند. وهي تسع وظائف: الوزارة - صاحب الباب -  
الاسفهلارية - حمل المظلة - حمل سيف الخليفة - حمل رمح الخليفة - حمل  
السلاح - ولاية القاهرة - ولاية مصر.

- وظائف الأستاذين، وهي نوعان:

(أ) ما يختص بالأستاذين المحنكين وهي: شد التاج - صاحب المجلس  
- صاحب الرسالة - زمام القصور - صاحب بيت المال - صاحب الدفتر - حامل  
الدواة - زم الأقراب - زم الرجال.

(ب) ما يختص به غير المحنكين، أشهر هذه الوظائف نقابة الطالبين،  
وزم الرجال.

الصف الثاني: أرباب الأقلام، ينضوي تحت هذا الباب:

- أرباب الوظائف الدينية، وهم: قاضي القضاة - داعي الدعاة - المحتسب  
- وكالة بيت المال - النائب - القراء (قراء الحضرة).

- أصحاب الوظائف الديوانية، تشمل:

(أ) الوزارة - إذا كان الوزير صاحب قلم.

(ب) ديوان الإنشاء: حجابة ديوان الإنشاء والمكاتبات - التوقيع بالقلم  
الدقيق في المظالم - التوقيع بالقلم الجليل.

(ج) ديوان الجيش والرواتب: ويشمل أيضاً ديوان الاقطاع.

(د) نظر الدواوين: (ديوان التحقيق - ديوان المجلس - ديوان خزائن الكسوة - الطراز - الخدمة في ديوان الأحباس - الخدمة بديوان الرواتب - الخدمة في ديوان الصعيد - الخدمة في ديوان أسفل الأرض - الخدمة في ديوان الثغور - الخدمة في الجوالي والمواريث الحشرية - الخدمة في ديوان الكراع - الخدمة في ديوان الجهاد).

الصف الثالث: أصحاب الوظائف الصناعية، أعظمها وظيفه الأطباء.

الصف الرابع: الشعراء، وهم جماعة كبيرة من أهل ديوان الإنشاء وغيره.

القسم الثاني: ما هو خارج عن حضرة الخليفة

هم النواب والولاة. ولاية قوص، ولاية الشرقية، ولاية الغربية، ولاية الإسكندرية.

وكان والي القاهرة أهم الولاة. ويليه في المكانة والي الفسطاط ثم والي قوص ثم والي الشرقية ثم والي الغربية ثم والي الإسكندرية. وكان منصب الوزارة من أهم المناصب.

وللوزير مكانة ممتازة بين سائر رجال الدواوين. فهو المقدم عليهم، وصاحب الكلمة النافذة بعد الخليفة<sup>(١)</sup> وتقع على عاتقه مسؤولية إدارة مالية البلاد وللوزراء زي خاص بهم، فهم يلبسون المناديل الطبقيات بالأحناك تحت حلوقهم، وينفردون بلبس ثياب قصار يقال لها الدراريع وهي مشقوقة أمام وجهه إلى قريب من رأس الفؤاد بإزار وعري، ويحمل له الدواة المحلاة بالذهب ويقف بين يديه الحجاب، وأمره نافذ في أرباب السيوف من الأجناد وأرباب الأقلام<sup>(٢)</sup>.

(١) الدكتور عطية مصطفى مشرفة - نظم الحكم بمصر في عصر الفاطميين، ص ١٠٨.

(٢) المقرئزي - المواعظ والاعتبار ج/١، ص ٤٣٩.

وكان الوزير يحمل ألقاباً كثيرة منها: أمين الدولة، عميد الدولة، تاج الدولة، ولي الدولة... ومن الوزراء من تلقب بأسماء الملوك والخلفاء<sup>(١)</sup> وعلا شأن بعضهم وأصبحوا هم الحكام الحقيقيين للبلاد، وعظمت ثروتهم. من أشهر وزراء الدولة الفاطمية:

- يعقوب بن يوسف بن كلس وزير المعز لدين الله وابنه العزيز بالله.
- عيسى بن نسطوروس، وزير العزيز بالله.
- محمد بن عبد الله بن أحمد الحراني وزير الحاكم بأمر الله.
- أحمد بن علي الجرجاني وزير الظاهر والمستنصر<sup>(٢)</sup>.
- صدقة بن يوسف الفلاحى وزير المستنصر.
- الحسن بن علي بن عبد الرحمن اليازوري وزير المستنصر.
- عبد الله بن محمد البابلي وزير المستنصر.
- محمد بن جعفر بن محمد بن الحسين المغربي وزير المستنصر.
- عبد الكريم بن عبد الحاكم بن سعيد الفارقي.
- أحمد بن عبد الحاكم بن سعيد الفارقي.
- عبد الله بن يحيى المدبر.
- علي بن الأنباري.
- عبد الظاهر بن فضل المعروف بابن العجمي.
- بدر بن عبد الله الجمالي وزير المستنصر.
- الأفضل بن بدر الجمالي وزير المستنصر ثم المستعلي.
- محمد بن مختار بن بابك البطائحي<sup>(٣)</sup> الملقب بالمأمون وزير الأفضل والآخر.
- أبو الفتح الحافظي.

(١) الدكتور عطية مصطفى مشرفة - نظم الحكم بمصر في عصر الفاطميين، ص ١١٤.  
(٢) وهناك من ذكر اسمه علي بن أحمد الجرجاني، راجع معجم الأدباء ج/٣ ص ٤٠٧.  
(٣) ذكر ياقوت الحموي اسمه كما يلي: المأمون أبا عبد الله محمد بن أبي شجاع فاتك بن أبي الحسن مختار المعروف بابن فاتك البطائحي، راجع معجم الأدباء ج/٥ ص ٧٢٤.

- الحسن بن أبي الفتح الحافظي .
  - أحمد بن الأفضل بن بدر الجمالي وزير الحافظ .
  - يانس ، وزير الحافظ .
  - بهرام الأرمني وزير الحافظ .
  - رضوان بن ولخشي وزير الحافظ .
  - علي بن السلار وزير الظافر .
  - عباس الصنهاجي بن يحيى بن تميم بم المعز بن باديس .
  - طلائع بن رزيك وزير الفائز .
  - العادل بن طلائع بن رزيك .
  - شاور بن مجير السعدي وزير العاضد .
  - ضرغام بن علي بن سوار (فارس المسلمين) وزير العاضد .
  - أسد الدين شيركوه وزير العاضد .
- ومن هؤلاء الوزراء من كان من أرباب القلم ، ومنهم من كان من أرباب السيف ، ومنهم من كان من أرباب السيف ، ومنهم من كان من أرباب القلم .
- ومن جهة أخرى دامت وزارة بعضهم مدة طويلة . في حين لم يبق البعض الآخر في الوزارة غير شهور قليلة .
- وقد جرت العادة أن يكتب الخليفة للوزير الذي وقع عليه الاختيار كتاباً يرسم له فيه الخطوط العامة التي يجب أن يسير عليها في ممارسة مهماته .
- وفيما يلي صورة نسخة من هذه الكتب . وهو كتاب العاضد بولاية ابن شاور السعدي نيابة الوزارة عن أبيه .
- من عبد الله ووليه (بالقباب الخلافة) إلى فلان (بالنعوت اللائقة به) .
- سلامٌ عليك (إلى آخر الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم على نحو ما تقدم في سجل الوزارة لأبيه) .
- أما بعدُ ، فالحمد لله مؤيِّد الحقائق بأفضل الأنصار ، ومُعزِّ الممالك بأكمل ذوي التَّفَازِ والاستبصار ؛ وجاعِلِ الوَلَدِ البارِّ لوالده رُكْنًا وسِنْدًا ، والنَّجْلِ



المختار لناجِلِه نَجْدَةً وَمَدَدًا؛ مَرَّتَبَ الْمَمَالِكِ عَلَى أَفْضَلِ نِظَامِهَا، وَمُرْقِي الدُّوَلِ إِلَى الْمُؤَثَّرِ مِنْ إِجْلَالِهَا وَإِعْظَامِهَا: لِيَتَّصِحَ لِلْمُتَمَلِّينَ فَضْلَ تَأَكُّدِ الْأَوَاصِرِ، وَيَسْتَبِينَ لِلنَّاطِرِينَ فَضْلَ تَبَايُنِ الْعِنَاصِرِ، إِبْرَامًا مِنْهُ - جَلَّ وَعَزَّ - لِأَسْبَابِ الْحِكْمَةِ، وَتَوْسَعًا لِسَبِيلِ الْحِنَانِ وَالرَّحْمَةِ؛ وَشُمُولًا لِمَا يَتَّبَعُ بِهِ إِحْسَانُهُ مِنَ الْمَنْ الْجَسِيمِ ﴿فَضْلًا مِنْ اللَّهِ وَنِعْمَةً وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾.

والحمد لله مُعَلِّي الدَّرَجَاتِ وَرَافِعِهَا، وَمُفِيدِ الْأُمَمِ وَنَافِعِهَا؛ وَمُزِيلِ الْبِأْسَاءِ وَدَافِعِهَا، وَمُجِيبِ الدَّعَوَاتِ وَسَامِعِهَا، وَمُضَاعِفِ الْمَصَالِحِ وَجَامِعِهَا؛ الَّذِي وَقَفَ عَلَى الدَّوْلَةِ الْعُلُوِّيَّةِ أَحْسَنَ السِّيَرِ، وَخَصَّهَا فَيَمُنُ تَوْثُرُ أَصْطِفَاءِهَا بِمُسَاعَدَةِ الْقَدَرِ، وَيَسِّرُ لَهَا رَائِقَ التَّدْبِيرِ بَعْدَ مَلَاسَةِ الرَّثْقِ وَالْكَدْرِ؛ وَأَدْخِرُ لَهَا مِنَ الْأَصْفِيَاءِ مَنْ تُشْرِقُ الدُّنْيَا بِأَنْوَارِهِ، وَتَتَزَيَّنُ الدُّهُورُ بِمَحَاسِنِ آثَارِهِ؛ وَتَسْمُو الْمَفَاخِرُ بِمَفَاخِرِهِ، وَيَتَوَالَى الشُّنَاءُ عَلَى مَا أَبْتَكِرَهُ مِنَ الْمَكَارِمِ فِي أَوَّلِ نَشْئِهِ وَآخِرِهِ؛ وَيَتَّبَعُ الْإِحْمَادَ لِمَنْ يَخْتَارُهُ وَيَجْتَبِيهِ، وَتَتَضَاعَلُ أَقْدَارُ الْمُلُوكِ إِذَا ذُكِرَ فَضْلُهُ وَفَضْلُ أَبِيهِ؛ وَتَسْكُنُ النُّفُوسُ إِلَى تَمَامِ وَرَعِهِ وَدِينِهِ، وَيَنْطِقُ لِسَانُ الْإِجْمَاعِ بِصِحَّةِ مَعْتَقَدِهِ وَيَقِينِهِ.

والحمد لله الَّذِي شَمَلَ الْبِرَايَا فَضْلَهُ، وَعَمَّ الْخَلَائِقَ عَدْلَهُ؛ وَأَقْرَبَتِ الْعُقُولُ بِأَنَّ إِلَيْهِ يَرْجِعُ الْأَمْرُ كُلُّهُ.

يَحْمَدُهُ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى نِعْمَةِ الظَّاهِرَةِ، الَّتِي أَحْظَتِ دَوْلَتَهُ الظَّاهِرَةَ بِمُؤَاظَرَةِ الْبَيْتِ الْجَلِيلِ الشَّوَارِي، وَأَيَّدَتْ مَمْلَكَتَهُ الْقَاهِرَةَ، بِمَحَامَاتِهِ عَنْ حَوْزَتِهَا بِالْعُضْبِ الْمُزْهَفِ وَالسَّمْهَرِيِّ؛ وَيَشْكُرُهُ عَلَى مَنِّهِ الَّتِي أَسْتَخْلَصَتْ لَهُ مِنْهُ أَنْصَارًا يُرْهِفُونَ فِي طَاعَتِهِ الْعِزَائِمَ، وَيُحَقِّقُونَ فِي إِرَادَتِهِ الْعِظَائِمَ، فَيَذُبُّونَ عَنْ حَوْزَتِهِ وَلَا يَخَافُونَ فِي ذَاتِ اللَّهِ لَوْمَةَ لَائِمٍ؛ وَيَسْأَلُهُ أَنْ يَصَلِّيَ عَلَى جَدِّهِ مُحَمَّدٍ الدَّاعِي إِلَى الْهُدَى، وَالْمَبْعُوثِ إِلَى الْخَلَائِقِ وَهُمْ إِذْ ذَاكَ سُدَى؛ وَالْمُنَاضِلِ فِي نُصْرَةِ الْإِسْلَامِ بِالْأُسْرَةِ وَالْآلِ، وَالْمُطْرَحِ عَاجِلِ الدُّنْيَا الْفَانِيَةِ لِأَجْلِ الْمَالِ؛ وَعَلَى أَبِيهِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ الَّذِي أَقَامَ مِنْ دِينِ اللَّهِ مَنكَرَ الْأَوْدِ، وَقَامَ لِنَبِيِّ اللَّهِ مَقَامَ النَّجْلِ الْمَرْتَضَى وَالْوَلَدِ؛ وَقَطَّ مِنْ طَوَاغِيَتِ الْكُفْرِ شَامِخَ الْهَامِ، وَأَوْضَحَ غَامِضَ التَّنْزِيلِ بِمَا أْفَرَدَهُ اللَّهُ بِهِ مِنْ مَزَايَا الْإِلْهَامِ؛ وَعَلَى الْأُئِمَّةِ مِنْ ذُرِّيَّتِهِمَا أَبْنَاءَ

الرَّسَالَةِ وَالْإِمَامَةِ، وَالْمَخْتَصِينَ بِإِرْثِ بَيْتِهِ الْمَحْبُوبِ بِتَضَلُّلِ الْغَمَامَةِ؛ وَالْقَائِمِينَ  
بُنُصْرَةِ الدِّينِ، وَالْمَتَفَرِّدِينَ بِإِمْرَةِ الْمُؤْمِنِينَ.

وإنَّ أمير المؤمنين لِمَا أقامه الله له من تمكين قواعد الدِّينِ، وأختره  
لإيضاحه من إرشاد فرق المسلمين؛ وأفضى به إليه من سرِّ الإمامة المكنون،  
وألغاه إليه من خفايا الإلهام الذي تُستنبط من أنوارها علَّة ما كان ويكون؛ وأمدَّه  
[به] من التأييد الذي يستأصل طواغيت النِّفاق بقوارع المهالك، ويسلك بمرَّة  
أهل العناد أوعر السُّبل والمسالك؛ وأنجده في كلِّ الحالات بالألطف الخفيَّة  
التي تتكفَّل بإعلاء كلمته، وتتضمَّن نصر أعلامه ونشر دعوته؛ وآتاه جوامع  
المعارف والحكم، وفرض طاعته على من دان بالتوحيد من جميع الأمم؛ وألزم  
مقاصده وأنحاءه التوفيق، وأوجب لها السعادة في كلِّ جليل ودقيق - يفوض  
أمره إلى الخالق، ويُفيض جوده وبرّه في الخلائق؛ فلا يزال لأحوال دولته  
مُراقباً، ولا ينفكُّ يُفيد كلَّ ما يتعلَّق بها نظراً ثاقباً؛ فإذا لاحت له لائحة صلاح،  
أو بدت لنظره مخيلة نجاح، أجتهد في توسيع مجالها، وحرَّض على حثها  
وقصد إعجالها؛ وألتمس للدَّولة أجتلابها، وفتح إلى استدعاء النَّفع بابها؛  
لينمي الخير العميم، في دولته، ويتضاعف النَّفع الجسيم، لرعيته؛ وتكون كافة  
الخلق فيها بالأمانة والسُّكون مغمورين، وبحسن صنيع الله بهم فرحين  
مسرورين.

ولمَّا تصفَّح أمير المؤمنين أحوال دولته، وتأمَّلها تأمُّل من يُؤثر أن يفقه  
الفحص في كلِّ مهم على حقيقته، رأى أن الله جل وعلا قد منح أمير المؤمنين  
من خالصته وصفيه، ووزيره وكافيه ووليّه؛ السيد الأجلِّ (بالنعوت والدعاء)  
الذي قام بنُصْرته، وكفَّل أهوال الحروب بنفسه وأولاده وأسرته؛ وحالف  
التغرُّب والأسفار، واستبدل من لين العيش بملاقاة السَّهام واللَّهاذم والشُّفار؛  
وأتخذ ظهور الجياد عوضاً من الحشايا، ومنازلة الأبطال دأباً في الحنادس  
والبكر والعشايا؛ وآثر على لبس الغضِّ المونق الجديد، لباس اليلب ولأمامات  
الحديد؛ ولازم في ذات الله قرع أبواب الحُتوف، والتهجُّم على كلِّ مخشي  
مخوف؛ حتى ذلَّ الأعداء، وقمع الاعتداء، وحسم الأدواء، وألزم الدَّهر بعد



خطئه الاستهواء؛ وأفاد دولة أمير المؤمنين باجتهاده عِزّاً، وأدخرها لها عند الله من الأجر والمثوبة كنزاً؛ وسير عنها في الآفاق أحسن الأحاديث، وبين فضلها على غيرها في القديم من الدهر والحديث؛ وأخلص لأمير المؤمنين في الطاعة حتى أستخدم المُوَالِي الموافق، والمُبَايِن المنافق؛ وكَمَّل فضائله التي لا تُحَدّ، ومحاسنه التي لا تُنحصر ولا تُعَدّ؛ بفضيلة تَفُوت الفضائل، ومنقبة تَفُوق بفخرها المناقب الجلائل: وهي ما وَجَّهه الله [له] من بُنُوَةِ الأَجَلِّ فلان الذي لم يزل للدولة عِزّاً حاضراً، وولياً ناصراً؛ وِعُوناً قاهرأ، ومجدأ ظاهراً؛ وجمالأ باهراً، وما برح لله - جلَّ وعلا - مُراقبأ، ولرضاه وُغفرانه طالبأ، قد جمع إلى كمال الدِّين وصحَّة اليقين، الخالصة في طاعة أمير المؤمنين؛ لا يفتر منذ مدة الطُفُولِيَّة [عن] درس القرآن، ولا يُباري بغير الأمور الدينية نُجباء الأقران؛ إن تصفحت محاسنه الدنيوية عُدَّ ملكأ مُهذبأ، وإن تأملت مناقبه الدينية حُسب ملكأ مقربأ؛ وكم له من منقبة تستنقص الغيوث، وشجاعة تستجيب اللُّيُوث؛ ومهابة ترد أحاديثها الجيوش على الأعقاب، وتُغريها بموالة الحذر والأرتقاب؛ إذا أسهبت الخُطوب أوجز تدبيره، وإذا أستطالت الحوادث قصّر طولها فأعجب تقريره؛ فالدولة العلوية من ذبّه في الحرم الآمن، والخلافة العاضدية من ملاحظاته في تدبير يجمع أشتات الميامن؛ فاجتماع المآثر قد وحّده، بشهادة الإجماع، وتوالي المحامد قد أفرده، بما شاع منه في الممالك وذاع؛ تتحاسد عليه غرُّ الأخلاق، وتتنافس فيه المكارم منافسة ذوات الإشراق؛ فلا تُوجد خلة فضلٍ بارع إلا وقد جمّعها، ولا مكنة جبر قارع إلا وهو الذي مهّد محجّتها ووسّعها؛ ومقاماته في الجهاد والجلاد مقاماتٌ أوضحت الحقائق للأفهام، وثبّتت الدقائق تشبثاً يبقى على غابر الأيام؛ وأعزّت دعوة الدولة العلوية وأيدتها، ونصرت أعلامها ونشرتها؛ واكتنفت بالفضل والإحسان رجالها، وأزالت بالجدّ والتشمير أوجالها؛ ومحت آثار عُداتها بالسُّيوف، وألفتهم عن النكيات المُجحفة بوزع المنايا والحُتوف.

والحروب فمرباه في مُهُودها، ومنشاه بين أسودها، ورُعَاتُها وقفٌ على إضرارها وإخماد وقودها؛ فإذا تورّدها تورّدها باسمأ متمهلاً، وإذا أقتحم مضايقتها تصرّف فيها متوقفاً متمهلاً؛ لا يحفل بأهوالها، ولا يرى لقارعة من

عظائم قوارعها وإلهاء؛ وحسبك فتكاته في طغاة الكفار، وقصد أولياء الدولة بالإظهار: فإن الكفار حين نهّدوا للنفاق، وأجتلبوا أشباههم من بعيد الآفاق؛ وتهجّموا على الأعمال فجأهم بعزيمة من عزماته أقامت راية الدين، وجعلتهم حصيداً خامدين؛ وأفنت منهم الصناديد، وأصطلمّتهم ببلايا تزيد على التعديد؛ وأجتحفتهم بالقتل والأسر والتفريق، ورمتهم بدواه لا يقدر بشريّ على دفاعها ولا يطيق؛ ولما ألتجأ طاغية الكفر إلى الحيرة وركد، ورام الاعتصام بعروتها وأجتهد، وأغترّ بما معه من الجمع وكثرة العدد؛ نهّد إليه في الأبطال الأنجاد، ونهض نحوه نباتاً للقراع والجلاد؛ فأزاله عن مجثمه، وذعره ذُعرأ شرّده عن معلّمه؛ ورماه بالحراك بعد الشكون، والتعب الذي قدّر بأغتراره أنّ مثله لا يكون؛ وكم له فتكة في أهل العمود ذلّت جماعهم، وأستلبت أرواحهم، وأعادت ليلاً بالنقع صباحهم.

وعند تمادي عتاة الكفار في الإصرار، وجوسهم خلال الديار؛ ونفثهم في وجوه الأذى والإضرار، وطمعهم في اجتياح أهل الأعمال والأقطار - عول أمير المؤمنين في أستئصالهم على عزمه، وأعتضد بذبه وحسمه؛ وجعل إليه التدبير بالقاهرة المحروسة التي هي عمدة الإيمان والإسلام، ودار هجرة الإمام، ومعقل الخلافة منذ غابر الأيام؛ وأطلق يده في ربّ جميع الأعمال، وتأمينها من بوائق الأوجال؛ فبثّ بالحضرة وبالأعمال من مهابته ما شرّد الأوغار، وسهّل الأمصار، ومحق الضلال، وأذاقهم التكال؛ فعمّ الشكون والأمنة، وأستولت على الأعمال السياسة المستحسنة؛ فجادت بنصرة الأيام وصلاح الوجود، وأغتبطوا من تدبيره بصعود الجُدود، ورتعوا من عنايته في عيشٍ يُضاهي عيش جنان الخلود؛ فالبلاغات بأسرها لا تقوم بمدح ما أوتي من الفضائل، ولا يُوازي مجموعها منقبة من مناقبه التي أربى بها على الملوك الأواخر والأوائل؛ والخصائص الملوكية بجُمْلتها فيه جبلة وفطرة، وإذا قيست نادرة من نوادر فضله بما تفرّق في جميع الملوك كانت فضائله بمنزلة البحر ومجموع فضائل الملوك بمنزلة القطرة؛ وقد طرّز فضائله البديعة، وخلاله السامية الرفيعة، من موالاة أمير المؤمنين ومناصحة دولته بما تكفّل بسعادة الدنيا والآخرة، ونهايات مغنم الثواب الشريفة الفاخرة؛ فليُله ونهاره مصروفان إلى المجاهدة عن دولة

أمير المؤمنين التي هي دولة التوحيد، والمُخلص فيها مُعرض لكلِّ مقام سعيد؛ فمحاسنُه ترتفع عن قدر التقريظ والمديح، ولا تُقابل إلا بموالاتة التسييح.

ولما أحمد أمير المؤمنين أثرهما في خدمته، وشكر قصدهما في دولته؛ وكان السيد الأجلُّ قد بلغ إربه في الحلال، وحلَّ المحلَّ الذي لا تتعاطاه جوامح الآمال؛ وقدره يشرف على كلِّ تكريم، وموضعه يتميّز عن كلِّ منٍّ جسيم، ومنزلته تسمو عن كلِّ تعظيم - فأوصى أمير المؤمنين السيد الأجل أن يُقرَّر له جميع خِدمه، ويُسبغ عليه في المستأنف أضفى نِعمه: فإن محلّه يرتفع عن محلِّ الخِدم الجليلة، ويسمو عن كلِّ تصرّف يسّمه في الدولة بسِمّة جميلة؛ ورأى أمير المؤمنين والسيد الأجل أن يُعلن بإسناد النيابة عن والده في أمور المملكة إليه، ويُشهر أنّ ذلك معوّل فيه عليه: ليخفّف عن السيد الأجلَّ أمير الجيوش أمر أثقالها، ويتحمّل عنه تكليفه بعض أحوالها؛ ترفهياً للسيد الأجل عن التعب، وتخفيفاً من كثرة النَّصب؛ على أنّ علو قدره الأجلُّ لم يُخله في وقتٍ من الأوقات من مشاركة في التدبير، ولا صدّه عن ممازجة في مُهمٍّ كبير؛ بل ما برحت يده في جميع أحوال الدولة جائلة، وجلالة منصبه تقضي بأن تكون تصريفاته لجميع الأمور شاملة؛ وتوقيعاته ماضية في الأموال والرجال، والجهات والأعمال؛ وأمير المؤمنين والسيد الأجل يستسعدان بأداته، ويتتبعان في كل السياسات ما هو موافق لإراداته: لما خصّه الله [به] من المرامي الصائبة، والمقاصد التي السعادة على ما يرد منها مواظبة، وجبله عليه من المحافظة على حسن المرجع وحميد العاقبة - خرج أمر أمير المؤمنين إلى السيد الأجل بالإيعاز إلى ديوان الإنشاء بكتب هذا السّجلِّ لك: فتقلّد ما قلّدت من النيابة عن والدك فيما إليه من أمور مملكته، وأحوال دولته؛ معتمداً على تقوى الله التي بها نجاه أهل اليقين، وفوز سُعداء المتقين؛ لقول الله عز من قائل: ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ﴾. وأحمل عن السيد الأجل والدك ما يُؤثر أن تحمله عنه من الأثقال، وتكفل ما يُكلّفك إياه من الأشغال؛ ونفد ما يختار أن تُنفذه، وأنجز ما يُؤثر أن تُنجزه؛ وأمض ما يُشير إليك بامضائه من أساليب التوقيعات، وفنون المُهمّات؛ وقم في كل من أمور نيابتك المقام الذي يُرضيه، ويوجهه بِرُكِّه ويقتضيه؛ وقد جعلك الله ميمون النّقية، مسعود

الضريبة؛ مُكَمَّل الأدوات، مؤهلاً لترقي الغايات؛ لا تكبر عن مباشرتك كبيرة، ولا تشف عن رتبك رتبة خطيرة؛ وأجر على عادة والدك في حسن السياسة والتدبير، والإجمال للأولياء لكما في كل صغير من الأمور وكبير.

والوصايا متسعة الفنون، كثيرة الشجون؛ ولك من مزية الكمال، وفضيلة الجلال، ومساعدة الإقبال، والخبرة بالجهات والأعمال، وطوائف الأولياء والرجال؛ ما يُعينك على أستنباط دقائقها، والعمل بحقائقها، وسلوك أحسن طرائقها.

هذا عهد أمير المؤمنين إليك، وحثه عليك؛ فاعمل بأحكامه، وأجر أمورك على نظامه؛ وبالغ أيها السيد الأجل أمير الجيوش في شكر نعمة الله التي ألهمت الملوك إشاعة فضلك، ورتبت السُعود على أكتناف عقدك وحلك، ومنحتك آية كليم الله فجعلت لك وزيراً من أهلك؛ فاعلم هذا وأعمل به إن شاء الله تعالى، والسلام عليك ورحمة الله وبركاته<sup>(١)</sup>.

وكان للقضاة، في الدولة الفاطمية، منزلة لا تقل عن منزلة الوزراء وهم:

\* قاضي القضاة

\* قاضي المظالم

\* المحتسب.

كان قاضي القضاة من أجلّ أرباب الوظائف وأعلاهم شأنًا وأرفعهم قدراً. يقدم له من اصطبلات الخليفة بغلة شهباء يركبها دائماً، ويخرج له من خزانة السروج مركب ثقيل وسرج برادفتين من الفضة، وفي المواسم الأطواق<sup>(٢)</sup>.

وكان له النظر في الأحكام الشرعية ودور الضرب وضبط عيارها.

وكان يشترط فيمن يولى القضاء أن يكون حراً، عاقلاً، بالغاً، مسلماً، صادق اللهجة، ظاهر الأمانة، عفيفاً عن المحارم، متوقياً المآثم، بعيداً من

(١) الفلقشندي - صبح الأعشى ج/١٠، ص ٣١٨.

(٢) المقرئزي - المواعظ والاعتبار ج/١، ص ٤٧٥ وما بعدها.



الريب، مأموناً في الرضا والغضب، مستعملاً لمروءة مثله في دينه وديناه، سليم السمع والبصر واللسان، عالماً بالأحكام الشرعية، غير محدود في قذف.

وجرت العادة أن يرافق تعيين القاضي رسوماً معينة. فبعد أن يخلع عليه في قصر الخليفة، بحضرة الأمراء وغيرهم، أن يتوجه ومعه الناس والشهود إلى المسجد الجامع على بغلة مسرجة، وتساق بين يديه اثنتان، وبين يديه خلع من تحف الثياب في مناديل يبلغ عددها سبعة عشر، ومتقلداً سيفاً، يقرأ سجله هناك وهو قائم على قدميه<sup>(١)</sup>.

ويمنح القاضي عند توليه خلعاً تنسج بلحمة من الذهب أو الفضة أو الخطوط المتعددة الألوان<sup>(٢)</sup>.

وكانت مناصب القضاء وراثية، توارثتها بعض الأسر من سنية وشيعية كأسرة النعمان وأسرة اليازوري وأسرة العوام وغيرهم. وكان يطلق على القاضي العديد من الألقاب منها: قاضي القضاة، أستاذ الدعوة بالقصر، داعي الدعاة، أمين الأئمة، وأمير الأمراء، أمين أمير المؤمنين، الموفق في الدين، الأجل المكين، الناصر لدين الله... وغيرها.

وكان القاضي يفصل في الخصومات المدنية والجنائية والحكم في الفروج والأنكحة والطلاق والنفقات وتنصيب الأولياء وصحة العقود وبطلانها. وكان عليه، فضلاً عن ذلك، أن يرافق الخليفة ويؤدي أعمالاً وفقاً لرسوم وتقاليد معينة أيام المواسم والحج والأعياد الرسمية وركوب الخليفة في المواكب.

ويعاون القاضي الجلاوزة، وهم الأمناء الذين يقفون على باب مجلس القضاء وقت انعقاد الجلسة، وظيفتهم المحافظة على انضباط الجلسات واستدعاء الخصوم الذين طلب القاضي استدعاءهم.

أما قاضي المظالم فكان يعين غالباً بمرسوم من الخليفة، ويقرأ سجله في المسجد الجامع حيث كان يعقد جلساته عادة.

(١) الدكتور عطية مصطفى مشرفة - نظم الحكم بمصر في عصر الفاطميين، ص ٢١٤.

(٢) المرجع السابق.

يقوم قاضي المظالم بالنظر في القضايا التي يرفعها الأفراد والجماعات على الولاة الذين ظلموهم، أو لم يسلكوا طريق العدل معهم، وعلى عمال الخراج إذا توسعوا في جباية الضرائب منهم.

ومن مآثر الفاطميين أنهم خصصوا موضعاً في دار الخلافة يعرف بالسقيفة يقف عنده المتظلمون، وكانت عادة الخليفة أن يجلس هناك كل ليلة لمن يأتيه من المتظلمين. وكان إذا ظلم أحد وقف تحت السقيفة وقال بصوت عالٍ: «لا إله إلا الله محمد رسول الله، علي ولي الله» فيسمعه الخليفة فيأمر بإحضاره إليه أو يفوض أمره إلى الوزير أو القاضي أو أحد موظفي الدولة الكبار.

أشهر من تولى منصب قاضي القضاة في الدولة الفاطمية:

- النعمان بن محمد بن منصور القيرواني (ت: ٣٦٣هـ).

- علي بن النعمان بن محمد بن منصور وكان شاعراً مجوداً، وهو أول من لقب بقاضي القضاة في مصر (ت: ٣٧٤هـ).

- محمد بن النعمان بن محمد بن منصور، عرف بالعلم والصيانة وإقامة الحق. قال ابن زولاق: لم نشاهد بمصر لقضاة من الرئاسة ما شاهدناه له، وما بلغنا ذلك عن قاضي بالعراق... استحقاقاً لما فيه من العلم والصيانة والهيبة وإقامة الحق، وقد ارتفعت رتبته حتى أن العزيز أجلسه معه يوم الأضحى على المنبر وزادت عظمته في دولة الحاكم (ت: ٣٨٩هـ)<sup>(١)</sup>.

- الحسين بن علي بن محمد بن منصور (ت: ٣٩٤هـ).

- عبد العزيز بن محمد بن النعمان بن محمد بن منصور (ت: ٤٠١هـ).

- الحسن بن علي بن عبد الرحمن اليازوري ولي القضاء سنة ٤٤١هـ، ثم أضيف إليه الوزارة، وهو أول من جمع بينهما ثم صرف عنهما سنة ٤٤٥هـ.

- عبد الحاكم بن وهب.

(١) الذهبي - العبر في خبر من غير ج/٣، ص ٤٧.

- مجد بن سلامة بن جعفر القضاعي (ت: ٤٥٤هـ).

- هبة الله بن كامل المصري التنوخي، قاضي الخليفة العاضد، وأحد الثمانية الذين سعوا لإعادة الدولة الفاطمية، فشقهم صلاح الدين الأيوبي سنة ٥٦٩هـ<sup>(١)</sup>.

ومن أشهر القضاة:

- الحسين بن علي بن إبراهيم بن الزبير الملقب بالقاضي المهذب وأخوه القاضي الرشيد.

- عبد العزيز بن الحسين بن الحباب المعروف بالقاضي الجليس.

- محمود بن إسماعيل بن حميد الفهري المعروف بابن قادوس (ذي البلاغتين).

- محمود بن الموفق بن قادوس (كافي الكفاة).

- أبو طاهر الهزكي.

- ولي الدين أحمد بن علي بن خيران.

- الموفق بن الخلال.

- جلال الدين محمود الأنصاري.

والآن نذكر نسخة كتاب تعيين قاضي القضاة، ونسخة من كتاب تعيين قاض.

هذا ما عهد عبد الله ووليه... (يذكر اسم الخليفة الفاطمي ولقبه) للقاضي... (وهنا يذكر اسم القاضي واختصاصه الإقليمي والنوعي)، مع ما اعتمده أمير المؤمنين وانتحاه وقصده وتوخاه؛ ومن اقتنائه لآثاره وانتهائه إلى إيثاره، في كل عليّة للدولة ينشرها ويحييها، ودية من أهل القبلة يدرها ويعفيها، وما التوفيق إلا بالله ولي أمير المؤمنين، عليه توكله في الخيرة له ولسائر المسلمين فيما قلده إياه من أمورهم وولاه.

(١) التنوخي - المختار من حسن المحاضرة في أخبار مصر والقاهرة، اختيار محمد محمود صبح، ص ١٨٤.

أمره أن يتقي الله عز وجل حق التقوى، في السر والنجوى، ويعتصم بالثبات واليقين والنهي، وينفصم من الشبهات والشكوك والهوى، فإن تقوى الله تبارك وتعالى موئل لمن وئل إليها، حصين؛ ومعل لمن اقتفاها، أمين ومعمول لمن عول عليها، مكين، ووصية الله التي أشاد بفضلها، وزاد في سناها بما عهد أنه من أهلها، فقال تبارك وتعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ﴾.

وأمره ألا ينزل ما ولاه أمير المؤمنين إياه من الأحكام في الدماء والأشعار والأبشار والفروج والأموال، عن منزلته العظمى من حقوق الله المحرمة، وحرماته المعظمة، وبيناته المبينة في آياته المحكمة، وأن يجعل كتاب الله عز وجلّ وسنة جدنا محمد خاتم الأنبياء والمأثور عن أبينا عليّ سيد الأوصياء وآبائنا الأئمة النجباء صلى الله على رسوله وعليهم، قبلة لوجهه إليها يتوجه، وعليها يكون المتجه، فيحكم بالحق، ويقضي بالقسط ولا يحكم الهوى على العقل ولا القسط على العدل، إثارةً لأمر الله عز وجلّ حيث يقول: ﴿فَاخُذْ بَيْنَ النَّاسِ بِالْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ الْهَوَى فَيُضِلَّكَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ إِنَّ الَّذِينَ يَضِلُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ بِمَا نَسُوا يَوْمَ الْحِسَابِ﴾ ﴿وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَا نُ قَوْمِ عَلَى أَنْ لَا تَعْدِلُوا أَعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾.

وأمره أن يقابل ما رسمه أمير المؤمنين وحده . . . . والقصر من عنان كل متطاول على الحكم والقبض من شكائمه، بالحق المفترض لله عز وجلّ ولأمير المؤمنين عليه، من ترك المجاملة فيه، والمحابة لذي رحم وقربى، وولي للدولة أو مولى، فالحكم لله ولخليفته في أرضه، والمستكين له لحكم الله وحكم وليه يستكين، والمتطاول عليه، والمباين للإجابة إليه، حقيق بالإذالة والنهوض فليتق الله أن يستحي من أحد في حق له ﴿والله لا يستحي من الحق﴾.

وأمره أن يجعل جلوسه للحكم في المواضع الضاحية للمتحاكمين، ويرفع عنهم حجابهم، ويفتح لهم أبوابه، ويحسن لهم انتصابه، ويقسم بينهم لحظه ولفظه، قسمة لا يحابي فيها قوياً لقوته ولا يردي فيها ضعيفاً لضعفه، بل يميل مع الحق ويجنح إلى جهته، ولا يكون إلا مع الحق وفي كفته، ويذكر



بموقف الخصوم ومحاباتهم بين يديه موقفه ومحاباته بين يدي الحكم العدل  
الديان: ﴿يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُّحْضَرًا، وَمَا عَمِلَتْ مِنْ سُوءٍ تَوَدُّ  
لَوْ أَنَّ بَيْنَهَا وَبَيْنَهُ أَمَدًا بَعِيدًا، وَيُحَذِّرُكُمُ اللَّهُ نَفْسَهُ﴾ .

وأمره أن ينعم النظر في الشهود الذين إليهم يرجع وبهم يقطع في منافع  
القضايا ومقاطع الأحكام، ويستشف أحوالهم استشفافاً شافياً، ويتعرف دخالهم  
تعرفاً كافياً، ويسأل عن مذاهبهم وتقلبهم في سرهم وجهرهم، والجلبي والخفي  
من أمورهم، فمن وجده منهم في العدالة والأمانة والنزاهة والصيانة وتحري  
الصدق والشهادة بالحق، على الشيمة الحسنی والطريقة المثلى أبقاه وإلا كان  
بالاسقاط للشهادة أولى، وأن يُطالع حضرة أمير المؤمنين بما يبدو له فيمن  
يعدله أو يردّ شهادته ولا يقبله، ليكون في الأمرين على ما يحدّ له ويمثله،  
ويأمن فيما هذه سبيله كل خلل يدخله، إذا كانت الشهادة أسس الأحكام وإليها  
يرجع الحكام، والنظر فيمن يؤهل لها أحق شيء بالأحكام، قال الله تقدست  
أسماؤه: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ بِالْقِسْطِ شُهَدَاءَ لِلَّهِ وَلَوْ عَلَىٰ أَنفُسِكُمْ  
أَوِ الْوَالِدِينَ وَالْأَقْرَبِينَ﴾ وقال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ لَا يَشْهَدُونَ الزُّورَ وَإِذَا مَرُّوا بِاللَّغْوِ  
مَرُّوا كِرَامًا﴾ .

وأمره أن يعمل بأمثلة أمير المؤمنين له فيمن يلي أموال الأيتام والوصايا  
وأولي الخلل في عقولهم والعجز عن القيام بأموالهم، حتى يحوز أمرها على ما  
يرضي الله ووليّه من حياتها وصيانتها من الأمانة عليها، وحفظهم لها، ولفظهم  
لما يحرم ولا يحلّ أكله منها؛ فيتبواً عند الله بعداً ومقتاً أكل الحرام والموكل له  
سُحتاً، قال الله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ الْيَتَامَىٰ ظُلْمًا إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِي  
بُطُونِهِمْ نَارًا وَسَيَصْلُونَ سَعِيرًا﴾ .

وأمره أن يشارف أئمة المساجد والقومة عليها، والخطباء بها والمؤذنين  
فيها، وسائر المتصرفين في مصالحها، مشاركة لا يدخل معها خلل في شيء  
يلزم مثله، من تطهير ساحتها وأفنيتها، والاستبدال بما تبذل من حصرها في  
أحيانها، وعمارتها بالمصايح في أوقاتها، والإنذار بالصلوات في ساعاتها  
وإفائها لأوقاتها، وتوفيتها حق ركوعها وسجودها مع المحافظة على رسومها

وحدودها، من غير اختراعٍ ولا اختلاعٍ لشيءٍ منها: ﴿إِنَّ الصَّلَاةَ كَانَتْ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ كِتَابًا مَوْقُوتًا﴾ .

وأمره أن يرعى دار الضرب و عيار الذهب والفضة بثقات يحتاطون عليها من كل لبس، ولا يمكنون المتصرفين فيها من سبب يدخل على المعاملين بهما شيئاً من الوكس، إذ كان بالعين والورق تتناول الرباع والضياع والمتاع وبيتاع الرقيق، وتنعقد المناكح وتتقاضى الحقوق فدخل الغش والدخل فيما هذه سبيله جرحه للدين، وضرر على المسلمين يتبرأ إلى الله منهما أمير المؤمنين، وأمره أن يستعين على أعمال الأمصار التي لا يمكنه أن يشاهدها بأفضل وأعلم وأرشد وأعمد من تمكنه الاستعانة به على ما طوقه أمير المؤمنين في أستعماله، قال الله عز وجل: ﴿إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَنْ يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الْإِنْسَانُ إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا﴾ .

أمرها لك فاعمل بها وحاسب نفسك قبل حسابها، ولا تدع من عاجل النظر لها أن تنظر لمآبها: ﴿يَوْمَ تَأْتِي كُلُّ نَفْسٍ تُجَادِلُ عَنْ نَفْسِهَا وَتُوْفَى كُلُّ نَفْسٍ بِمَا عَمِلَتْ وَهِيَ لَا يُظْلَمُونَ﴾ .

كتب في . . . . (وهنا يذكر اليوم والشهر والسنة)<sup>(١)</sup> .

كتاب تعيين قاض:

من عبد الله ووليه عبد الله أبي محمد العاضد لدين الله أمير المؤمنين، إلى القاضي المؤتمن الأمين، علم الدين، خالصة أمير المؤمنين؛ وفقه الله لما يرضيه، وسدده فيما يذره ويأتيه، وأعانه على ما عُدق به ووليه .

سلام عليك فإن أمير المؤمنين يحمد إليك الله الذي لا إله إلا هو، ويسأله أن يصلي على جده سيد ولد آدم، وعالم كل عالم؛ ومُبقي كلمة المتقين على اليقين، ومُعلي منار الموحّدين على المُلحدّين؛ صلى الله عليه وعلى آله الطاهرين، وعلى أمراء المؤمنين، صلاةً تتصل في كل بُكرة وأصيل، ويُعدّها أهل الفضل وأهل التحصيل؛ ووالى وجدّد، وعظّم ومجدّد، وكرّر وردّد .

(١) القلقشندي - صبح الأعشى ج/١٠، ص ٣٨٥ .

وإن أمير المؤمنين لما آتاه الله إياه من نفاذ حُكْمه ومضاء حكمته، وفوضه إليه من إمامة أُمَّته؛ وأفاضه عليه من أنوار كشفت غمامة كل غُمَّة، وشردت بعدله من بسطة ظلم ووسطوة ظلمة؛ وأظهره له من حقّ نصب للنصر علمه وللهداية علمه؛ وأيده به من كل عزمة فتكت بكل أزمة، ووكل به هممه من إتمام نعمة وأبتداء نعمة؛ وأطلق به يده من معروف روض الآمال صوب مدراره، وبدت على الأحوال آثار إثارة؛ وأخذ به الخصب من المحل ثاره وأستقال به الرخاء من وهديات عثاره؛ وعضد به أفعاله من أمور التوفيق آتباعاً واقتضاباً؛ وألهمه من موالاة الآلاء التي لا تذهب عهود عهادها أنقضاءً ولا أنتضاباً؛ ويسر له عزيمة من الآراء التي لا تكسب إلا حمداً أو ثواباً - يختص بإحسانه من ينص الاختبار على أنه أهل للاختيار؛ وتفيض الأحوال من حوالي أوصافه ما يُديم المطار في الأوطار؛ ويُنعم على النعمة بإهدائها إلى ذوي الاستيجاب، ويصطنع الصنعة بإقرارها في مغارس الاستطابة والاستنجاب؛ ويرشح لخدمه من عُرف ذكره بأنه فائح، وعُرف عُرفه ناصع ناصح؛ ويؤوى جنان إنعامه من أحسن عملاً، وأستحقت منزلته من الكفاية أن تكون له بدلاً، ولم تبغ تصرُّفاته في كل الأحوال عنها حولاً؛ ودرجته خصائصه العلية فاقتعد صهوات الدرجات العلى، وأستحق بفضل تفضيله أن يُولى الجميل جملاً؛ وعُرضت خلاله على تعيين الانتقاد فاقتضاها ولا يتضاها، وزُويت مسالك الغناء بصدرة فضاها فضاها.

ولما كنتَ أيها القاضي المشتمل على هذه الخلال اشتمال الروض على الأزاهر، والأفق على الثُجوم الزواهر؛ والعقود على فاخر الجواهر، والخواطر على خطراتها الخواطر، والنواظر على ما تُصافح من الأنوار وتُبأشر؛ المُثري من كل وصف حسن، المتبوع الأثر بما فرض من المحاسن وسنن؛ الكالىء ما تُستحفظ بعين كفاية لا يُصافح أجفانها وسنن؛ الأمين الذي تُريه أمانته متاع الدنيا قليلاً، وتُصحبه ناظراً عن نضارتها قليلاً؛ المؤثر دينه على دنياه؛ المطيع الذي لا يسلو العصبه عن هواه، المخلص النية في الولاء و«لكلُّ أمرىء ما نواه» الناصح الذي يُنزّه ما يُلابسه عن لباس الرّيب، البعيد عن مظانّ الظنون فلا تتطلع

الأوهام منه على غيب؛ النقيّ الساحة أن يغرس بها وضمه، التقويّ الذي لا تُخدع يده عن التمسك ما أستطاع بحبل عصمه؛ المحتوم الحقوق بأن يُستودع دهر الوفاء، المتوسّل بموات تُوجب له الإيفاء على الأكفاء؛ المستقيم على مثل الظهيرة كهلاً ويافعاً، الشافع بنفسه لنفسه وكفى بالاستحقاق شافعاً؛ وحسبك أنك حملت الأمانة وهي حفظ الكتاب، وأطلق الله به لسانك فشفيت القلوب من الأوصاب، ووصل به سبيك إلى رحمته يوم تنقطع الأسباب؛ وأصبح محلّك في الدارين أهلاً أثيراً؛ وكنت ممن قال الله فيه: ﴿وَمَنْ يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا﴾.

وقد خالطت في مواكب أمير المؤمنين المعقّبات التي من بين يديه ومن خلفه، وقربت من مجالسه المشتملة منه على عنوان عناية الله بالبرية ولطفه، ونوره الذي كلّت العيون عن كشفه والحيل عن كسفه؛ وتقدمت بخدمة الخلفاء الراشدين، أمراء المؤمنين، إلى سوابق سبقت بها في كل مضمار، وجمعت في المخالصة فيها بين الإعلان والإضمار؛ وسبر التجريب حالتيك بصحائف خبرة، واستمرت بك الحال في القرب منهم وفي تقلّب الأحوال عبرة؛ وتدرجت في حُجُب القصور، وبدت لك الغايات فما كنت عنها ذا قصور؛ فكانت التقدمة لك مظنونة وبك مضمونة، وسريرتك على الأسرار المصونة مأمونة؛ وما أعوجت معالم إلا وكان تقويمها بتقويمك، ولا أستيقظت حيلة فخاف الحقّ سبيل غيها بتهويمك؛ وإنّ كل قائل لا يملك من إصغاء أمير المؤمنين ما تملك بتلاوة الذكر الحكيم، ولا يسلك من قلبه ما تسلك بمُعجز جدّه العظيم؛ فأنت تخدم أمير المؤمنين بقلبك موالياً، وبلسانك تالياً؛ وبنظرك مؤتمناً، وبيدك مُختزناً؛ لا جرم أنك حصدت ما زرعت طيباً، وسقاك ما استمطرت صيباً، وزفّت لك الأيادي بكرةً وثيباً، وحللت يفاع المنازل مستأنساً إذا حلّ غيرك وهداتها متهبياً.

فأما حرمتك التي بوأتك من الاختصاص حرماً، وجعلتك بين الخواص علماً؛ وتوالي يدك بلمس ما حظي من الملابس بصحبة جسده الطاهر، واشتمل على زهر الثُّضار وزهر الجواهر، فذلك جار مجرى السكة والدعوة في أنهما أمانة تعمّ العباد والبلاد، وهذه أمانة تخصّ النفوس والأجساد؛ ولك مما في

خزائنه وكالة التخيير والتعيير، وعن أغراضه الشريفة سفارة الإفراج والتغيير؛ وهذه مواتٌ تجعل سماء السماح لك دائمة الديم، وتُسكن آمالك في حرم الكرم؛ وتعقد بينك وبين السعادة أوكد الذم، وتتقاضى لك جدود الجد بخدم الخدم.

وحضر بحضرة أمير المؤمنين فتاه، الذي زُهي الزمان به فتاه؛ ووزيره، الذي عزَّ به منبره وسريره، السيد الأجل أفضل الملوك قدراً، وأكثرهم قدرة، وأعظمهم صبراً؛ وأدربهم نُصرة، وأفيضهم جوداً غمراً، وأكشفهم لغمرة، وأمضاهم على الهول صدراً، وأردهم لكثرة، وأثبتهم جاشاً وصليل السيوف، يخطب والمقاتل تسمع، وأوضحهم في استحقاق المجد حجة شرعتها الرماح الشُّرع؛ وأركبهم في طاعة أمير المؤمنين لمشقة، وأشدهم وطأة على من جحد نوره وعقَّ حقه؛ فالدنيا مبتسمة به عن ثغور السرور، والملك بكفالتة بين وليّ منصور وعدو محصور؛ فأسفرت سفارته عن أنك من أمثلٍ ودائع الصنائع وأكفاء الاستكفاء، وأعيان من يحقّق اختيارهم وفضلهم العيان، وأفاضل من هو أهل لإسداء الفواضل؛ وأن الصنيعة ثوب عرك(?) داره، وجار قد عقد بين شركك وبينه جواره؛ وقرّر لك تقدمة في الحضرة لأنك فارسهم أسماً وفعلاً، وأولهم حين تتلو وحين تتلى؛ والنظر على المؤذنين بالقصور الزاهرة، والمساجد الجامعة؛ وبالمشاهد الشريفة: لأن الأذان مقدمة بين يدي القرآن، وأمانة على معالم الإيمان؛ والنظر في تقويم ما يرد إلى الخزانة العالية الخاصة والعامّة من الملابس على اختلاف أصنافها، والأمتعة على ائتلاف أوصافها؛ ومشاركة خزانة الفُروش ليكمل لك النظر في الكسوات التي تصان للملبوس، والكسوات التي تُبتذل للجلوس؛ وخزن بيت المال الخاص ليكمل لك النظر في الذهب مصوغاً ومرقوماً، وخزناً وتقويماً؛ واستصوب أمير المؤمنين ما رآه، وأمضى ما أمضاه؛ وخرج أمره إلى ديوان الإنشاء أن يكتب هذا السجل لك بذلك.

فاعرف قدر ما عُدق بك من أمور دين ودنيا، وخدم لا تقوى عليها إلا بلباس التقوى؛ وأنك قد أصبحت لجنات أنعم أمير المؤمنين رضواناً، ويدك للفظ أحسانه لساناً؛ وباشر ذلك مستشعراً خشية الله في سرّك وجهرك، متحققاً

أنه غالب على أمرك؛ مدخراً من الأعمال الصالحة ما يبقى عند فناء ذخرك، مستديماً للنعمة بما يقيدها من شكرك، وما يصونها أن تُبتذل من شرك؛ عالماً أن التقية حلية الإيمان، وضمن الأمان، وزاد أهل الجنان إلى الجنان، بقول الله سبحانه في كتابه العزيز: ﴿وَتَزَوَّدُوا فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَى﴾ .

وأخلص نيّتك في خدمة أمير المؤمنين فمع الإخلاص الخلاص، وأدّ له الأمانة فإن أداءها أطيّب القصص يوم القصاص؛ وقم في خدمته المقام المحمود، واستدم بها صعود ركاب السُعود؛ فقد عرفك الله بركة النصيحة وعوائدها، وأنجزت لك الآمال المنسطة مواعدها؛ وأستشرف أحوال القراء فهم أحقّ قوم بالتهذيب، ولزوم أساليب التأديب؛ فمن كان للآيات مرتلاً، وللدراسة متبتلاً؛ وبأثواب الصلاح متقمصاً، وبخصائص الدين متخصّصاً؛ ولما في صدره بقلبه لا بلسانه حافظاً، وعلى آداب ما حفظ مُحافظاً؛ فذلك الذي تُشافه تلاوته القلوب، وتروض بأنواء المدامع جُذوب الذُنوب؛ ومن كان دائم الإطالة في سفر البطالة، ساتراً لأنوار المعرفة بظلم الجهالة؛ فحقّ عليك أن تصرفه وتبعده، وتجعل التوبة للعود موعده؛ وكذلك المؤذنون فهم أمناء الأوقات، ومتفاضون دُيون الصلوات؛ ولا يصلح للتأذين إلا من كانت أوصاف عدالته، وأمنت أوصام جهالته .

وأما الأمانة في الأموال التي وُكلت إلى خزنك وختمك، والأمتعة التي وُكلت إلى تقويمك وحُكمك؛ فإن تؤدى بسلوك أخلاقك وهي الأمانة، وأتباع طباعك وهي الإباء للخيانة؛ وأن تستمر على وتيرتك، ومشكور سيرتك؛ ومشهور سريرتك، ومُنير بصيرتك؛ وأن لا تُؤتى من هوى تتبعه، ولا حيف تتدعه، ولا قويّ تنخدع له، ولا ضعيف تخدعه؛ ولا من محاباة وإن أحببت، ولا من مُداجاة كيفما تقلبت؛ وأذكر ما يُتلى من آيات الله في مثلها: ﴿إِنَّ اللَّهَ بِأَمْرِكُمْ أَنْ تُوَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَىٰ أَهْلِهَا﴾ والله يتولى توفيقك وتوقيفك، ويُديم [على] ما يحبُّ تصريفك؛ إن شاء الله تعالى<sup>(١)</sup> .

\*\*\*

(١) القلقشندي - صبح الأعشى ج/١٠، ص ٣٤٤ .

إلى جانب الوزراء والقضاة يقف المحتسب .

ووظيفة الحسبة، في الإسلام، من الوظائف الدينية الهامة لأن قوامها الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وغرضها الإصلاح بين الناس، الذي هو فرض على القائم بأمر المسلمين .

وكان يراعى في اختيار المحتسب التقوى والصلاح والورع وحسن الإيمان بالله والعلم بأحكام الشريعة .

وكان يقرأ سجله بمصر (الفسطاط) وبالقاهرة . ويخلع عليه في المسجد الجامع على المنبر .

ويد المحتسب مطلقة في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ويساعده والي المظالم عند الحاجة، وتقوم الشرطة بتنفيذ أحكامه . وكان ديوان المحتسب متصلاً بديوان القاضي، ويجلس به جماعي عمرو والأزهر .

ولما كانت الحسبة من قواعد الأمور الدينية، فقد تولاها، في العصر الفاطمي، بعض الأئمة بأنفسهم كالحاكم بأمر الله<sup>(١)</sup>، كما تولاها أيضاً الوزير يعقوب بن كلس سنة ٣٦٣هـ<sup>(٢)</sup> وأسندت أعمال الحسبة أحياناً إلى متولي الشرطة بمصر والقاهرة<sup>(٣)</sup> .

وكان المحتسب يتخذ لكل أهل صنعة عريفاً ممن اشتهر بالتقوى والصلاح، خبيراً بصنائعهم، بصيراً بغشهم وتدليسهم، مشهوراً بالثقة والأمانة ليخبره عن سلعهم وبضائعهم ومبلغ جودتها وردائها وأسعار أثمانها ليقف على كل صغيرة وكبيرة منها .

وكان المحتسب يطوف المدينة ليلاً أو نهاراً راكباً وماشياً وحوله الأعوان والنواب والعرفاء والغلمان ينتقل من دكان إلى دكان ومن حانوت إلى آخر، يمر على الكتاتيب وينظر المساجد ويتفقد الطرق ويدخل دكاكين الأطباء والعشابين

(١) الدكتور عطية مصطفى مشرفة - نظم الحكم بمصر في عصر الفاطميين ص ٢٧٣ .  
 (٢) القلقشندي - صبح الأعشى ج/٥، ص ٤٥٢ .  
 (٣) المقرئزي - إغاثة الأمة، ص ١٨ .

وكانت اختصاصات المحتسب تشمل:

\* في البيع والشراء: مراقبة الموازين والمكاييل وضبط نشاط الدالين والسماسة.

\* في الآداب العامة: مراعاة الآداب العامة في الطرقات والأسواق وعدم التعرض للنساء أو التحرش بالفتيات.

\* في الطعام: مراقبة الحبوبيين والدقائين والعلافين والطحانيين والخبازين وصناع الزلابية والجزارين والقصابين والشوائين والرواسين وقلاة السمك والحلوانيين والسمانين وغيرهم.

\* في الكساء: مراقبة البزازين (باعة القماش) والحاكة والخياطين والقطنيين والكتانيين والحرييين والصباعين والرفائين والقصارين والأساكفة.

\* في الصحة العامة: مراقبة الصيادلة والعطارين والشماعين والشرايين والحمامات وقومتها والفصادين والحجامين والأطباء والكحليين والمجبرين.

\* في الصناعة: مراقبة النحاسين والحدادين والسروجيين وغيرهم فضلاً عن مراقبة أعمال الصيرفة والصياغة وسك العملة ومؤدبي الصبيان، ويشرف على حرية أهل الذمة الدينية والمدنية وفق الأمان المعطى لهم.

كما شملت صلاحياته الحيوانات والدواب فكان يطلب إلى أصحابها ألا يتركوها سائبة دون طعام أو شراب حتى إن استغنى عنها صاحبها، بل ألزم صاحب كل دابة بتقديم الطعام والماء لها في أوقاته وسير أحداً من أعوانه يتفقد الدابة في مواعيد إطعامها وإروائها، فإن لم يعرف صاحبها، جمعت الدواب الضالة، وأفرد لها متسعاً من الأرض المسورة، وعين من يقوم بخدمتها حتى يقضي أجلها.

وكان له أيضاً حمل المماطلين على دفع ديونهم لدائنيهم، وأمر العامة بالصلوات الخمس في مواعيدها ويعاقب من لم يصل بالضرب والحبس<sup>(١)</sup>.

(١) الدكتور عطية مصطفى مشرفة - نظم الحكم بمصر في عصر الفاطميين ص ٢٨٣.



وفيما يلي صورة كتاب بولاية الحسبة:

من سُكِرَتْ خِلائِقُهُ، وَتَهَدَّبَتْ طَرَائِقُهُ، وَأُمِنْتَ فِيهَا يَتَوَلَاهُ بَوَائِقُهُ؛ وَنِيَطَتْ بِعُرَى الصَّوَابِ عِلَائِقُهُ، وَفُرِجَتْ بِسَدَادِهِ مَسَالِكُ الْإِشْكَالِ وَمُضَائِقُهُ؛ وَاسْتَحْوَى مِنَ الْأَمَانَةِ قَرِيناً فِي التَّصَرُّفَاتِ يِرَافِقُهُ وَلَا يَفَارِقُهُ، وَنَهَضَ إِلَى الْإِسْتِحْقَاقِ وَلَمْ تَعْقَهُ دُونَهُ عَوَائِقُهُ، وَأَثْنَى عَلَيْهِ لِسَانَ الْإِخْتِبَارِ وَهُوَ صَحِيحُ الْقَوْلِ صَادِقُهُ - اسْتَوْجِبَ أَنْ يُخَصَّصَ مِنْ كُلِّ قَوْلٍ بِأَجْمَلِهِ، وَأَنْ يُعَانَ عَلَى نَيْلِ رَجَائِهِ وَبَلُوغِ أَمَلِهِ؛ وَأَنْ يُقْتَدِحَ زَنْدَ نَيْتِهِ لِيُرَى نُورَ عَمَلِهِ، وَتُسَيَّرَ إِلَى النِّجَاحِ مَتَوَعَّرَاتِ طَرُقِهِ وَمَشْكَلاتِ سُبُلِهِ؛ وَأَنْ يُقَابَلَ جَرِيَانُهُ فِي الْوِلَايَةِ قَبْلَهُ فَيُظْهِرُ عَلَيْهِ أَثَرَ الْإِحْسَانِ فَيَكُونُ الشُّكْرُ مِنْ قَبْلِ الْإِحْسَانِ لَا مِنْ قَبْلِهِ؛ وَيُورَدُ مِنْ مَوَارِدِ النِّجَاحِ مَا يَتَكَفَّلُ لَهُ بِالرِّيِّ مِنْ غُلْلِهِ، وَيُوسَمُ مِنْ مِيَاسِمِ الْأَصْطِنَاعِ مَا يَكُونُ حَلِيَّةً أَوْصَالَهُ وَيَشْفَعُ سَدَادَ خِلَالِهِ فِي سَدِّ خَلْلِهِ.

ولما كنت أيها الشيخ المشتمل على ما تقدم ذكره، المستكمل من الوصف ما يجب شكره؛ الأوي إلى حرز من الصيانة حرز، المستغني بغنائه عن الاستظهار بعزوة العزيز؛ المستوجب إلى أن يُعَدَّ مِنْ أَهْلِ التَّمْيِيزِ لِأَنَّهُ مِنْ أَهْلِ التَّمْيِيزِ، الْمَسْتَوْعَبِ مِنَ الْخِلَالِ الْجَمِيلَةِ مَا لَا يَقْتَضِيهِ الْقَوْلُ الْوَجِيزُ؛ الْمَخْرُجِ مِنْ قَضَايَا الدُّنَايَا فَمَا يَسْتَبِيحُ مُحَرَّمَهَا وَلَا يَسْتَجِيزُ، الْمَمْدُوحِ فِي خَدْمِ كُلِّهَا أَخْلَصْتَهُ خِلَاصَ الذَّهَبِ الْإِبْرِيْزِ؛ وَكَانَتْ لَهُ مِضْمَاراً تُشْهَدُ لَهُ أَعْمَالُهُ [فِيهَا] بِالسُّبْقِ وَالتَّبْرِيْزِ، الْمَتَوَسِّلِ بِأَمَانَةٍ عَزَّ بِهَا جَنَابُهُ عَنِ الشُّبُهَةِ وَوَجْدَانِهَا فِي النَّاسِ عَزِيزٍ - تَقْدِمُ فَتَى مَوْلَانَا السَّيِّدِ الْأَجَلِ بِاسْتِخْدَامِكَ عَلَى الْحِسْبَةِ بِمَدِينَةِ كَذَا: فَبَاشَرَ أَمْرَهَا مَبَاشَرَةً مِنْ يَبْدُلِ فِي التَّقْوَى جُهْداً، فَلَا يَرَى غَيْرَهَا عَلَى ظَمَأٍ وَرِدْءٍ؛ وَلَا يَرَاهُ اللَّهُ حَيْثُ نَهَا، وَلَا يَأْمُرُهُ أَبْداً وَيُنْهَاهُ إِلَّا نُهَاهُ، وَلَا يَرَى مَا كَشَفْتَهُ إِلَّا وَهُوَ عَالِمٌ أَنَّ اللَّهَ يَرَاهُ؛ وَأَنْتَ فِيهَا إِلَى مَا يَنْتَهَى إِلَيْهِ مِنْ بَدَلِ غَايَةِ وَسْعِهِ، وَمَنْ لَا يَرْتَدُّ عَنْ جَرْرِكِيهِ مِنْ عَمُومِ نَفْعِهِ؛ وَمَنْ يَدُلُّ بِتَهْذِيبِ طَبَاعِ النَّاسِ عَلَى طَهَارَةِ طَبْعِهِ، وَمَنْ يَسْتَجِزِلُ حَسْنَ صَنِيعِ اللَّهِ لَدَيْهِ بِحُسْنِ صَنْعِهِ، وَمَنْ يَسْتَدْعِي مِنْهُ بِذَلِكَ فَضْلَهُ بِحِظْرٍ مَا أَمَرَ بِحِظْرِهِ وَمَنْعَهُ. وَأَسْلَكَ فِيهَا تَسْتَعْمَلُهُ مِنْ أَمْرِهَا الْمَذْهَبِ الْقَصْدِ وَالْمَنْهَجِ الْأَقْوَمِ، وَأَجْتَهَدَ فِيهَا أَجْتِهَادَ مَعْتَصِمٍ بِحَبْلِ التَّقْوَى الْمُتَمِينِ وَسَبِيحِهَا

المُبرم. وأمنع أن يخلو رجل بامرأة ليست بذات محرم. واستوضح أحوال المطاعم والمشارب، وقوم كل من يخرج في شيء منها عن السنن الواجب. وعيّر المكابيل والموازين فهي آلات معاملات الناس، واجتهد في سلامتك من الآثام بسلامتها من الإلباس والأدناس؛ وحذّر أن تحمّل دابة ما لا تطيق حملة، وأدب من يجري إلى ذلك يتوخى فعله؛ وأوعز بتنظيف الجوامع والمساجد لتثبير بالنظافة مسالكها، كما تنير بالإضاءة حوالكها؛ ففي ذلك إظهار لبهجتها وجمالها، وإيثار لصيانتها عن إخلاق نضرتها وأبتذالها؛ ولا تمكّن أحداً أن يحضرها إلا لصلاة أو ذكر، قاطعاً للسان الخصام وموقظاً لعين الفكر؛ فأما من يجعلها سوقاً للتجارة، فقد حصل بهذه الجسارة على الخسارة؛ فهي ميادين الضمّر، وموازين الرُّجح في الظاهر من أعمالهم والمُضمّر؛ وما أحقّ ليالها أن تقوم بها الهجد لا الشّمّر، وهل أذن الله أن تُرفع لغير اسمه أو تعمر؛ وأحظر أن يحضر الطرقات ما يمنع السلوك أو يوعره، وافعل في هذا الأمر ما يردع العابث ويزجره. وخذ النصارى واليهود والمخالفين بلبس الغيار وشدّ الزنار، ففي ذلك إظهار لما في الإسلام من العزّة وفي المخالفة من الصّغار؛ وإبانة بالشّد للتأهب للمسير إلى النار، وتفريق بين المؤمنين والكفار؛ وأدّب من يكيل مطلقاً، أو يزن متحيفاً، أدباً يكون لمعاملته مزيفاً، وله من معاودة على فعله زاجراً ومخوفاً؛ فاعلم هذا وأعمل به، إن شاء الله تعالى<sup>(١)</sup>.

وكانت الادارة الرئيسية للدولة تدار بواسطة دواوين مضبوطة أحسن ضبط. لكل ديوان منها موظفون يقومون بأعماله والإشراف عليه.

كانت دواوين الدولة عندما قدم المعز إلى مصر، في دار الإمارة بجوار الجامع الطولوني. فلما تولى الوزارة يعقوب بن كلس سنة ٣٦٨هـ/ ٩٧٨م نقل الدواوين إلى داره، وبقيت فيها إلى أن توفي سنة ٣٨٠هـ/ ٩٩٠م، فنقلها العزيز بالله إلى القصر. ثم لما استأثر الأفضل بن بدر الجمالي بالسلطة إثر مقتل أبيه سنة ٤٤٨هـ/ عمّر دار الملك، ونقل إليها الدواوين. فلما قتل الأفضل

(١) القلقشندي - صبح الأعشى ج/١٠، ص ٤٦٠.

سنة ٥١٥هـ / ١١٢١م، عادت الدواوين الى القصر من جديد<sup>(١)</sup>.

وكان من أهم دواوين الدولة:

\* ديوان أسفل الأرض، أو الوجه البحري أو الدلتا ويعنى بالنظر في أقاليم الوجه البحري الإدارية.

\* ديوان أعلى الأرض، أو ديوان الصعيد. وكان يعنى بالنظر في أقاليم الصعيد الأعلى والصعيد الأدنى.

\* ديوان الإنشاء والمكاتبات، وكان أهم ديوان في الدولة. يتولاه أجلّ كتاب البلاغة ويخاطب بالشيخ الأجل، ويقال له كاتب الدست الشريف ويسلم الرسائل التي ترد من الولاة ويتولى النظر في الوارد منها والصادر ويعرضها على الخليفة.

كان يعاون صاحب ديوان الإنشاء عدداً من أكابر الكتاب وأرباب الأقلام منهم صاحب التوقيع بالقلم الدقيق على المظالم وصاحب التوقيع بالقلم الجليل.

\* البريد: كان الإشراف على البريد من اختصاص صاحب ديوان الإنشاء. وكانت الدولة الفاطمية تضم شبكة من الخطوط البريدية الواسعة جداً، أهمها:

- الخط من القاهرة إلى قوص ويمر بالجيزة وزاية أم حسين وونا وبيباو ودهروط وقلوحنا ومنية ابن خصيب والأشمونيين ودرده سربام ومنفلوط وأسبوط وطما والمراعة وبلصفورة وجرجا والبلينا والكوم الأحمر وندر و قوص.

- الخط من قوص الى بلاد النوبة ماراً بأسوان.

- الخط من قوص الى سواكن ماراً بكيمان فقط ولقيطه وعيذاب وبني عامر وحميثة.

(١) المقرئزي - المواعظ والاعتبار ج/١، ص ٣٩٧.

- الخط من القاهرة الى الاسكندرية عن طريق ووردان ماراً بالجيزة وجزيرة القط ووردان وطرانه ودمنهوور ولقينه والاسكندرية .

- الخط من القاهرة إلى الاسكندرية عن طريق قليوب ماراً بقليوب ومنوف والمحلة والتحريرية .

- الخط من القاهرة إلى دمياط ماراً بسرياقوس وبلبيس والسعديين والبيضا وأشمون .

- الخط من دمياط الى غزة ماراً بأشمون والصالحية وقاطبه والعريش والخروبة ورفع .

\* ديوان الجيش والجهاد: كان من أهم الدواوين في الدولة الفاطمية، ويضم أيضاً ديوان الرواتب . ومهمته معرفة أحوال الجند .  
 كان الجيش الفاطمي منظماً تنظيمًا دقيقاً . وكان ينقسم إلى خمسة أقسام: مقدمة وقلب وميمنة وميسرة وساقة الجيش<sup>(١)</sup> .

ويتألف من الفرسان والرجالة . على كل عشرة عريف، وعلى كل عشرة عرفاء نقيب، وعلى كل عشرة نقباء قائد، وعلى كل عشرة قواد أمير سلاحه السيف .

وكانت أسلحة الجيش السيوف بأنواعها والأقواس والسهام والرمح والحراب والخناجر والدروع والغفارات والتجايف والمجانيق والدبابات .

وقد أكثر الفاطميون من استعمال الخيول في الجيش، كما استعملوا العجلات لنقل الذخائر<sup>(٢)</sup> .

وقد امتاز الجيش الفاطمي بسرعة الحركة والنشاط والصبر على المكاره والاستهانة بالموت .

وكان أفراد الجيش مدربين تدريباً عالياً على مختلف أنواع الرياضات

(١) الدكتور عطية مصطفى مشرفة - نظم الحكم بمصر في عصر الفاطميين ص ١٥٠ .

(٢) المرجع السابق .

وفنون القتال كالمشي والجري والوثب والقفز لعدة أمتار ولعب التتابع والوثب العالي والوثب الطويل ورمي الجلة ورمي القرص ورمي الرمح وكرة القدم والملاكمة والمبارزة والشيش والمصارعة والتجديف والسباحة وركوب الخيل وطرق إنقاذ الغرقى وإطفاء الحرائق والإنقاذ منه والإسعافات الأولية وطرق حمل المصابين إلى معسكراتهم<sup>(١)</sup>.

وكان الخليفة يقوم من وقت إلى آخر بتفقد حالة الجيش وأسلحته، ويشرف على تدريب عناصره.

وكان يرافق الجيش في حملاته كاتباً وترجماناً وقاضياً وعمالاً مهمتهم تمهيد الطريق أمام الجيش والمساعدة في تركيب آلات الحرب، وأطباء مجهزين بما يلزم المرضى من أدوات وأدوية وأشرية لمعالجة الجند عند القتال وإسعافهم.

ويلحق بديوان الجيش، ديوان الجهاد أو ديوان العمائر يختص بالنظر في أمر الأساطيل المدنية والحربية وإنشائها وتسييرها والإنفاق عليها وعلى رجال البحر. ولهذا الديوان إيرادات خاصة للإنفاق منها على رؤساء المراكب ورجالها.

وقد اهتم الفاطميون بدور صناعة السفن. وكانت صناعة السفن الحربية تتم بالجزيرة وفي سنة ٥١٦هـ / ١١٢٢م، نقل الوزير المأمون البطائحي عمارة المراكب الحربية إلى الصناعة القديمة بساحل الفسطاط<sup>(٢)</sup>.

وكان الأسطول الفاطمي يضم عدداً كبيراً من السفن المتنوعة وهي:

الشواني: وهي أهم القطع في الأسطول الفاطمي، وهي سفينة حربية كبيرة تتخذ لها الأبراج العظيمة والقلاع وتزود بالعدد والآلات الحربية وتجهز بالأسلحة النفطية لتستعمل في الهجوم على الأعداء والدفاع عن نفسها.

(١) المرجع السابق.

(٢) السيوطي - المختار من كتاب حسن المحاضرة في أخبار مصر والقاهرة، اختيار محمد محمود صبح، ص: ٢٢٨.



الحراريق (الحراقات): وهي مراكب حربية كبيرة تجهز بالأسلحة النارية كالنار الاغريقية وأنايب النفط.

الطرادات: وهي سفن صغيرة الحجم سريعة السير تستخدم في حمل الخيول تحمل نحو ثمانين فرساً.

الأغربة: وهي نوع من الشواني رأسها رأس الغراب، لذلك سميت بالأغربة.

القرابير: وهي سفن ضخمة تستعمل في تموين الأسطول بالزاد والمتاع وأنواع السلاح ومن أنواعها أيضاً الفلانك والقوارب والحمالات.

العشاريات: وهي مراكب نهريّة تجرب في النيل وتستعمل في البحر مع الأسطول.

الشلنديات: وهي سفن مسطحة تحمل السلاح والمقاتلة، وعددها عشر مسطحات.

كان للأسطول قائد يسمى أمير البحر أو أمير الماء، ويختار لهذا المنصب من يتمتع بالكفاءة العالية، والعلم بمهاب الرياح ومسالك البحار والمقاذيف. وكان التخاطب بين قطع الأسطول بعضها مع بعض بالرايات والإشارات.

## الحياة الاقتصادية في عصر الفاطميين

كان العصر الفاطمي، بشها المؤرخين والدارسين، نقطة تحول بالغة الأهمية في تاريخ مصر الاقتصادي<sup>(١)</sup>.

وكانت السياسة الاقتصادية التي اتبعتها الفاطميون تتسم بالتنظيم والتخطيط الدقيق. وتقوم على العناية بالصناعة والتجارة وتوفير السبل اللازمة للنهوض بها كالاهتمام بطرق القوافل التجارية، وحفر الآبار لتأمين مياه الشرب، وتشيد الرباطات والأسواق والفنادق والوكالات، ورفع المنارات في الموانئ والثغور، وإقامة الجسور والقناطر على الأنهار وتعمير الطرق وصيانتها وتقسيمها إلى مراحل ووضع الإشارات الخاصة عليها للدلالة، وتخصيص النفقات الباهظة لحراسة الطرق وخفارتها، إلى غير ذلك من الإجراءات التي من شأنها توفير الجو الملائم لنمو التجارة والصناعة وازدهارها.

وكان على رأس اهتمام الحكومة الفاطمية، مكافحة الأزمات الاقتصادية، ومحاربة الاحتكار، وحماية المنتج والمستهلك، والعامل والفلاح، من جشع التجار.

وقد احترم الخلفاء الفاطميون الملكية الخاصة، وتركوا الأراضي في أيدي أصحابها، وعاملوا الفلاحين معاملة حسنة جداً، تتسم بالتسامح واللين والرعاية. فكان الفلاح المصري يستطيع أن يتصرف في الأرض، ويغير موطن إقامته كيفما شاء<sup>(٢)</sup>.

(١) الدكتور راشد البراوي - حالة مصر الاقتصادية في عهد الفاطميين ص ٣٦٩.

(٢) المرجع السابق.

ونظروا إلى الضرائب التي تفرض على المزارعين وغيرهم نظرة واقعية، فحددوا فئاتها، وكانوا يراجعونها من وقت لآخر<sup>(١)</sup>.

وفي سبيل النهوض بالزراعة، اهتموا بعمارة الجسور وتطهير الترغ من الطمي وتأمين الزراع، واستحدثوا إدارة خاصة تشرف على أمور الزراعة في البلاد ومنعوا ذبح الأبقار السليمة التي تصلح للحراثة.

وعنوا عناية فائقة بغرس الغابات. وكان غرسها يتم تحت إشراف إدارة خاصة مرتبطة بديوان بيت المال. وعينوا للغابات حراساً مخصوصين مهمتهم حماية الحراج<sup>(٢)</sup>.

ولمنع التجار من استغلال المواطنين، واحتكار السلع أجبرتهم الدولة على تسعير الأقوات والسلع الضرورية، وألزمهم ببيعها في أوقات الأزمات بمكان معين تحت إشراف المحتسب.

وكثيراً ما لجأت الحكومة إلى مصادرة الغلال لمنع احتكار التجار لها، وضبط أسعارها.

وفي مجال الصناعة، اتخذت الحكومة أنجع الوسائل للنهوض بها. وشجعت الصناع الأجانب واستخدمت المهرة منهم واستقدمتهم من بلادهم، واجتذبتهم بالرواتب المغرية والمعاملة السمحة. كما توسعت في الصناعة توسعاً كبيراً.

وأهم الصناعات التي راجت في العصر الفاطمي:

## أولاً: الصناعات النسيجية

عني الفاطميون بصناعة النسيج لأنهم كانوا في حاجة ماسة إلى كميات كبيرة من المنسوجات لأنفسهم، ولرجال البلاط، وللكسوة الشريفة، وللخلع

(١) المرجع السابق.

(٢) الدكتور راشد البراوي - حالة مصر الاقتصادية في عهد الفاطميين ص ١٢٦.



على الأمراء والوزراء والقضاة ورجال الدولة في كل مناسبة من المناسبات (١).

ولتأمين حاجات الدولة من النسيج أنشأ الخليفة المعز دار الكسوة، يفصل فيها أنواع الثياب من بز وغيره ويكسو بها الناس كسوة الشتاء وكسوة الصيف. وكانت الحكومة تدير لحسابها عدداً من المصانع وتشرف على إدارتها إشرافاً منظماً دقيقاً يكفل لها إنتاج الأنواع الفاخرة (٢).

وكانت مصانع النسيج، في العهد الفاطمي، تنتج أنواعاً من المنسوجات الفاخرة كالخسرواني الأحمر المذهب، والمخمل المذهب، والديبقي المذهب، والقرقوبي وغيره. وبلغت صناعة النسيج حداً من الرقة والرهافة بحيث كان بمقدور المرء أن يسحب عباءة أو ثوباً كاملاً من حلقة خاتم (٣).

وكان يزين القماش شريط عريض يتضمن زخارف هندسية أو حيوانية، وتحف به من الجانبين كتابة بالخط الكوفي المشجر، وهو نوع من الكتابة تنتهي بعض حروفه بتفريعات من المراوح النخيلية (٤).

وكانت أسماء الخلفاء تنسج في الأقمشة الثمينة بلحمة من الذهب أو الفضة، أو الخطوط المتعددة الألوان، تمجيداً لهم، وإشادة بذكرهم.

ومن العبارات التي كانت مكتوبة على الأقمشة الفاطمية. الملك لله، نصر من الله، العز من الله، بسم الله الرحمن الرحيم، الملك الحق، ما شاء الله كان، العز الدائم...

أهم المنسوجات التي كانت تصنع في مصر، في العهد الفاطمي، القطن والحريير والصوف والتيل والكتان. وكان نسيج الكتان ناعماً جداً حتى ليظن أنه من الحرير.

من المدن التي اشتهرت بصناعة النسيج تنيس ودمياط وتونه وأعمالها.

(١) المرجع السابق، ص ١٢٦.

(٢) المرجع السابق.

(٣) م. س. ديماندا - الفنون الإسلامية، ص ٢٥٣.

(٤) م. س. ديماندا - الفنون الإسلامية، ص ٢٥٣.

كان بتنيس دار الطراز، وكان يصنع في هذه المدينة القصب الملون من عمامات ووقايات ومما يلبس النساء، وقماش البوقلمون وهو نوع من القماش يتغير لونه بتغير ساعات النهار. ولا يوجد في أية مدينة من مدن العالم<sup>(١)</sup>.

وكان بتنيس أيضاً صناعات مختصون بنسيج ملابس السلطان. أما في دمياط فكان ينسج القصب الأبيض.

اشتهر من المنسوجات أربعة أنواع:

**النوع الأول:** قوام زخارفة أشرطة من الكتابة متوازية ضمنها جامات سداسية أو بيضوية الشكل أو معينات قد تتداخل في بعضها، فيها رسم حيوان أو طائر أو رسم حيوانين أو طائرين متقابلين أو متدايرين.

**النوع الثاني:** يمتاز بألوانه الزاهية، ويسود فيه لون ذهبي، وتزينه أشرطة وجامات متداخلة قد يكثر عددها، ضمنها رسوم حيوانات أو طيور أو بشر<sup>(٢)</sup>.

**النوع الثالث:** في هذا النوع تطورت الزخرفة فنشاهد إلى جانب العناصر القديمة، عناصر جديدة. يقل فيها استخدام الجامات في الزخرفة ويحل محلها شبكات من الأشرطة تتداخل في بعضها البعض وتزينها معينات صغيرة تتمازج ألوانها وتوزع بحيث يخيل للناظر إليها أن فيها شيئاً من البروز.

**النوع الرابع:** يسوده اللون الأزرق الغامق، وتبدأ فيه الحروف الكوفية بالاستدارة لتصبح حروفاً نسخية. كما تظهر في الزخارف الفروع النباتية، وما يسمى بالأرابيسك والحروف المستديرة التي يصعب قراءتها، لأن الغاية منها كانت زخرفية بحتة<sup>(٣)</sup>.

وفي موازاة صناعة النسيج تقف صناعة السجاد. وقد أشار المقريزي إلى شهرة مدينة أسيوط في إنتاج السجاد الذي يشبه السجاجيد الأرمنية<sup>(٤)</sup>.

(١) ناصر خسرو - سفرنامه، ص: ٣٨.

(٢) المرجع السابق.

(٣) الدكتور زكي محمد حسن - فنون الاسلام ص ٣٥٠.

(٤) الدكتور زكي محمد حسن - كنوز الفاطميين ص ١٢١.

## ثانياً: صناعة الزجاج والخزف والبلور الصخري

من الصناعات التي ازدهرت بمصر، في العهد الفاطمي، صناعة الزجاج بكافة أنواعه.

وكان أرقى المصنوعات الزجاجية، وأكبرها قيمة فنية، الزجاج المذهب والمزين بزخارف ذات بريق معدني. منه نوع أحمر عليه زخارف من رسوم طيور بالبريق المعدني، وهناك نوع آخر يميل لونه إلى الخضرة وزخارفه المعدنية بدون لمعان البريق المعدني المعهود. وقوام هذه الزخارف أشكال نجمية وهندسية متداخلة، في بعضها وريادات متعددة الفصوص أو خطوط لولبية الشكل.

وقد مارس صناع الزجاج في العصر الفاطمي، الرسم بالذهب الخالص. من أهم مراكز صناعة الزجاج الفسطاط ومدينة الفيوم والاشمونين والشيخ عبادة<sup>(١)</sup>.

وإلى جانب صناعة الزجاج، ازدهرت، أيضاً، صناعة الخزف ووصلت إلى درجة عالية من الجودة والاتقان.

وكان المصريون يصنعون الفخار من كل نوع. وكان لطيفاً وشفافاً بحيث إذا وضعت يدك عليه من الخارج ظهرت من الداخل. وتصنع منه الكؤوس والأقداح والأطباق وغيرها. وكانوا يلونونها بحيث تشبه قماش البوقلمون فتظهر بلون مختلف في كل جهة تكون بها<sup>(٢)</sup>.

ونظراً لازدهار صناعة الخزف، كان التجار من بقالين وعطارين وبائعي خردوات يستخدمون الأواني الخزفية، كما يستخدم التجار اليوم أكياس الورق، فيضعون فيها ما يبيعونه للناس ويأخذها المشترون بالمجان<sup>(٣)</sup>.

(١) م. س. ديمانند - الفنون الإسلامية، ص ٢٣٤.

(٢) ناصر خسرو - سفرنامه، ص ٦٠.

(٣) المرجع السابق.

وكان الخزف المصنوع على نوعين:

النوع الأول: يحتوي على رسوم منقوشة تحت طلاء من لون واحد، أخضر أو أزرق أو بني محمر أو أرجواني.

النوع الثاني: يحتوي على زخارف بالبريق المعدني تختلف في رقة جدارها، وكانت تغطي بطلاء أبيض يرسم عليه ببريق معدني وضاء باللون الذهبي أو البني، وتتكون زخارفها المزدحمة من موضوعات بشرية ورسوم طيور وحيوانات على أرضية من زخارف نباتية أو تفرجات من المراوح النخيلية<sup>(١)</sup>.

وكانت الأواني ذات البريق المعدني تدهن بطلاء أبيض أو أبيض مائل إلى الزرقة أو الخضرة وتعلو هذا الدهان الرسوم ذات البريق المعدني الذي كان في معظم الأحيان ذهبي اللون، وكان أحياناً أخرى أحمر أو بني اللون، أما الزخارف فكانت من الحيوانات والطيور والفروع النباتية.

وقد اشتهر في صناعة الخزف ذي البريق المعدني، مسلم وسعد وطبيب علي وإبراهيم المصري وساجي وأبي الفتوح وابن نظيف والدهان ويوسف ولطفي والحسيني برز منهم، بصورة خاصة، مسلم وسعد وكان لكل منهما طابعه الخاص وأسلوبه المميز.

نجد في مصنوعات سعد الرقة والرشاقة والتناسق والتلاؤم. والأواني التي يصنعها نادراً ما تكون مغطاة بالطلاء، ونرى ارتفاع ستمتيرين أو ثلاثة من أسفلها لا دهان عليه. والميناء التي يستخدمها سعد تكون إما بيضاء نقية وغنية بما فيها من قصدير، وإما زرقاء مائلة إلى الخضرة بما فيها من نحاس، وإما حمراء وردية بما فيها من منغنيز. والبريق المعدني الذي يُشاهد على منتجات سعد ذهبي اللون أو زيتوني مائل إلى الاصفرار، وزخارفها متنوعة وغنية ومعظمها عبارة عن رسوم حيوانات وطيور تحيط بها فروع نباتية ومراوح نخيلية وجدائل<sup>(٢)</sup>.

أما أواني مسلم فكانت مدهونة كلها بالطلاء حتى تكاد تختفي طينتها.

(١) م. س. ديماندا - الفنون الإسلامية، ص ٢١٦.

(٢) الدكتور زكي محمد حسن - فنون الإسلام ص ٣١٠.

وكان حرف قاعدتها منخفضاً جداً، وتكسوه المينا، والبريق المعدني ذو لون واحد في أغلب الأحيان وهو اللون الذهبي، لكننا نجد في بعض القطع بريقاً أحمر نحاسي اللون.

وقد استخدم مسلم الزخارف الحيوانية والادمية والنباتية، فضلاً عن الحروف الكوفية<sup>(١)</sup>.

وأروع ما وصلت إليه الصناعة الفنية، بحق هي الأشياء المقتطعة من البلور الصخري كالأوراق والصحاف والأوعية الصغيرة وقطع الشطرنج<sup>(٢)</sup> وقد وصفت بأنها من عجائب الاجتهاد الفني في الشرق<sup>(٣)</sup>.

من التحف المصنوعة من البلور الصخري، وصلنا إبريق على شكل كمثرى، مقطوع، فيه زخارف قوامها رسم أسدين بينهما شجرة الخلد، وعلى المقبض حروف صغيرة. وبين رقبة الإبريق وبدنه شريط من الكتابة الكوفية نصها: بركة من الله للإمام العزيز بالله.

ومنها أيضاً حلقة من بلور على شكل هلال عليها بالخط الكوفي العبارة التالية: «الله الدين كله الظاهر لإعزاز دين الله أمير المؤمنين».

ومنها أيضاً إبريق من البلور الصخري، رقبته مفقودة، على بدنه زخرفة من طائرين متواجهين بينهما فروع نباتية غاية في الدقة. وفوق ذلك شريط من الكتابة الكوفية نصه: «بالسيد الملك المنصور».

وكانت صناعة البلور الصخري لفتت نظر ناصر خسرو عند زيارته للقاهرة وإقامته فيها خلال السنوات ٤٣٩ - ٤٤٢هـ / ١٠٤٧ - ١٠٥٠م فقال: «ورأيت كذلك معلمين مهرة ينحتون بلوراً غاية في الجمال، وهم يحضرونه من المغرب»<sup>(٤)</sup>.

(١) المرجع السابق.

(٢) أرنست كونل - الفن الإسلامي، ص ٥٣.

(٣) المرجع السابق.

(٤) ناصر خسرو - سفرنامه، ص ٥٩.

## ثالثاً: الحفر على الخشب

برع الصناع المصريون في العصر الفاطمي في صناعة الأخشاب. وكانوا يستوردون الأخشاب الفاخرة من كرواتيا ودلماسيا والشام ولبنان والسودان وغيرها... كما استخدموا أيضاً أخشاب الأشجار التي تنبت في مصر واستعملوا الأخشاب في صناعة السفن والأثاث المنزلي وعمل السقوف والأبواب والمنابر والمحاريب و...

وأدى استعمال الخشب في الصناعة إلى ازدهار فن الحفر على الخشب. وكان شائعاً في الحفر على الخشب، التفرجات النباتية ورؤوس الخيل التي تخرج من أفواهها مراوح وأنصاف مراوح نخيلية<sup>(١)</sup>.

وأكثر ما يلفت النظر في الزخرفة على الخشب، شدة العناية بالتفاصيل في رسم المراوح النخيلية والأشرطة ذات الحبيبات الكروية ولجم الخيل<sup>(٢)</sup>.

وأهم المناظر المنقوشة في الأخشاب:

- رسم الأمير جالساً على أريكة، وفي يده اليمنى كأس، وفي اليسرى زهرة، وعلى رأسه عمامة ضخمة وإلى يساره الساقى يصب له الشراب في كأس، وإلى يمينه خادم يقدم إليه صينية ذات غطاء.

- رسوم مطربين ومطربات من عازفين أو عازفات على القيثارة أو العود أو القانون أو الناي أو المزمار أو النقارة.

- مناظر رقص.

- رسوم رجال يمشون بصورة منفردة أو إلى جانب إبل عليها هودج، أو أحمال من البضائع ومعهم رجال يلبسون خوذات وفي يد كل منهم رمح وعلى ظهره دراقة مستديرة.

(١) م. س. ديمانند - الفنون الإسلامية، ص ٢٣٤.

(٢) المرجع السابق.

- رسوم صيد.

- رسوم طيور جارحة ومعها فرائسها، ورسوم حيوانات خرافية أهمها أبو الهول وله جسم أسد وجناحان ورأس امرأة.

- رسوم حيوانات وطيور مختلفة كالباز والتميس والطاووس والأرنب.

وصلنا من أعمال الحفر على الخشب أكثر من تحفة، منها باب الجامع الأزهر الذي صنع بأمر الخليفة الحاكم بأمر الله. وهو باب ذو مصراعين من خشب شوح تركي. في كل مصراع من المصراعين سبع حشوات مستطيلة. الأولى والثالثة والأخيرة موضوعة بصورة أفقية. وبين الأولى والثالثة حشوتان متجاورتان، وموضوعتان بصورة عمودية. وبين الثالثة والأخيرة، الحشوتان الباقيتان وهما موضوعتان بصورة عمودية أيضاً. وعلى الحشوة العليا في كلا المصراعين كتابة بالخط الكوفي هي:

(الحشوة اليسرى)	(الحشوة اليمنى)
مولانا أمير المؤمنين	الإمام الحاكم بأمر الله
صلوات الله على	آبائه الطاهرين وأبنائه

ومن التحف الخشبية أيضاً، المحاريب الثلاثة الخشبية لجامع الأزهر، وجامع السيدة نفيسة، ومشهد السيدة رقية<sup>(١)</sup>.

## رابعاً: صناعة العاج والمعادن والفسيفساء

ازدهرت صناعة العاج في العصر الفاطمي. وكانت الحشوات الكاملة تصنع من العاج. وصلنا من هذه الحشوات رسم سيدة في هودج، وجندي يمسك بإحدى يديه رمحاً وفي الأخرى ترس. وصائد بالباز على ظهر جواده. وفي بعض الحشوات نجد رسوم طيور وحيوانات كالأرانب والطواويس<sup>(٢)</sup>.

(١) الدكتور زكي محمد حسن - فنون الإسلام ص ٤٥٨.

(٢) الدكتور زكي محمد حسن - فنون الإسلام ص ٤٩٨.

كما وصلنا، أيضاً، من المصنوعات العاجية، أجزاء من صناديق مطعمة بالعاج تتضمن رسوم موسيقيين وراقصين وصيادين وعقبان موزعة بين تفرجات العنب، حفرت بعناية واتقان حفرأ مفرغأ به كثير من التفاصيل وخاصة فيما يتعلق برسوم الملابس<sup>(١)</sup>.

أما بالنسبة إلى التحف المعدنية، التي وصلتنا من العصر الفاطمي، فكانت عبارة عن مجوهرات وعدد صغير من الحيوانات المصنوعة من البرونز، منها زوج من الأقراط، ودلاية على شكل هلال زخارفها مفرغة كالدانتيل، تعطي أسلاكها الذهبية الممتدة والمجدولة، أشكالاً هندسية متنوعة، مطعمة بأحجار الفيروز يزينها رسم طائرین بالميثا المتعددة الألوان<sup>(٢)</sup>.

ومن أجمل وأشهر التحف التي وصلتنا عقاب من البرونز عليه نقوش في غاية الدقة والإبداع. وحلية من البرونز عليها صورة نسر ينقض على غزال<sup>(٣)</sup>. وأسد ذنبه مجدول ينتهي على هيئة رأس حيوان وفمه مفتوح، وتمثال ظبي تكسو بدنه رسوم نباتية، وأيل مجوف من البرونز محفور على بدنه زخارف نباتية من سيقان ووريقات دقيقة ومتشابكة، وعلى بطنه من الجهتين كتابة بالخط الكوفي<sup>(٤)</sup> وهاون عليه شريطان من كتابة بالخط الكوفي بينهما زخارف نباتية وطيور محفورة بدقة وإتقان، وصينية من برونز يتألف محيطها من دوائر صغيرة تفصلها أطراف مدببة مثل سن الرمح، ضمن بعض هذه الدوائر رسوم طيور وفي بعضها الآخر في وسط الصينية رسوم هندسية متشابكة<sup>(٥)</sup>.

تمتاز التحف المعدنية التي وصلتنا من العصر الفاطمي، بالخطوط المحددة لرسوم الحيوانات ورشاققتها<sup>(٦)</sup>.

(١) م. س. ديماندا - الفنون الإسلامية، ص ١٣٢.

(٢) المرجع السابق.

(٣) المرجع السابق.

(٤) الدكتور زكي محمد حسين - فنون الاسلام ص ٥١٢.

(٥) المرجع السابق.

(٦) م. س. ديماندا - الفنون الإسلامية، ص ١١٨.



## خامساً: صناعة الورق والتجليد

ازدهرت بمصر صناعة الورق ازدهاراً لا مثيل له . وكانت الفسطاط من أهم مراكز صناعة الورق الأبيض .

وبانتشار صناعة الورق انتشر فن التجليد . واستعملت جلود العجول والحريير والديباج والأطلس في تجليد المصاحف ، وكتب الأحاديث والعلوم الشرعية . وبفضل صناعة الورق والتجليد، تقدمت صناعة الخطاطين .

من الصناعات الجلدية التي برع بها الصناع المصريون، في مرحلة الحكم الفاطمي، السروج ومقاعد الكراسي والأرائك والخرائط والنعال . وكانت القاهرة من أشهر مراكز صناعة الأدوات الجلدية<sup>(١)</sup> .

## سادساً: صناعة السفن

سعى الفاطميون إلى أن يكون لهم أسطول قوي يرهبون به أعداءهم ويمنع الفرنج من مهاجمة الثغور المصرية ومدن ساحل الشام .

ومن باب الاهتمام بتقوية الأسطول الفاطمي أنشأ المعز داراً لصناعة السفن بالمقس . وكانوا يجلبون إليها الأخشاب من غابات لبنان، ومن بلدان أوروبا الجنوبية . كما استخدموا، في صناعة السفن، أشجار الأثل والجميز والسنت والنبق والسرو المتوافرة بكثرة في مدن مصر كبهنا وسفت والاشمونين وأسيوط وإخميم وقوص وغيرها . . .

وكانت صناعة السفن تابعة لديوان العمائر . ولهذا الديوان إيراداته الخاصة .

وكانت مصر والاسكندرية ودمياط، من أهم مراكز بناء السفن، تبنى فيها السفن الحربية والتجارية من مختلف الأنواع والأحجام .

(١) الدكتور عطية مصطفى مشرقة - نظم الحكم بمصر في عصر الفاطميين ص / ٢٩٩ .

## سابعاً: صناعات أخرى

ومن الصناعات التي كانت رائجة في العصر الفاطمي، صناعة السكر. وصناعة الشمع الذي كان يصنع بأحجام مختلفة، ويستعمل في إنارة البيوت والحوانيت والاحتفالات القومية. وكذلك صناعة الصابون والزيتون كزيت الزيتون وزيت السمسم وغيرها...

\*\*\*

ولتنظيم الصناعة، وضع الفاطميون لكل مهنة عريفاً يتولى أمرهم. وكان عريف كل مهنة يتفق على الأجر الذي يدفع لأهل مهنته قبل البدء في العمل. وكان هذا العريف يعمل على حل الخلافات التي تنشأ بين أفراد المهنة الواحدة. وجعلوا لكل صناعة من الصناعات المعروفة، نقابة خاصة بها. وكان للنقابات رأيها في تحديد الأجور التي تدفع لأهل كل صناعة، وللصانع<sup>(١)</sup>.

وظائف النقابات هي:

- (أ) تدريب الصبيان على تعلم أسرار المهنة، وتحديد العلاقة بين المعلم والمتدرب، أو تنظيمها.
- (ب) مراقبة المشتغلين بالصناعة الواحدة من الناحيتين الفنية والاقتصادية.
- (ج) حماية المستهلك من الربح الفاحش والغش وسوء الصناعة.
- (د) الاشتراك في تحديد الأسعار والأجور.
- (هـ) حل المنازعات التي تنشأ بين أفراد المهنة الواحدة بطريق التحكيم الودي.
- (و) القيام ببعض الخدمات الاجتماعية للأعضاء<sup>(٢)</sup>.

وكان بمصر عدد كبير من التجار الأجانب. وكانت لهم فنادقهم الخاصة التي يحتفظون فيها ببضائعهم، كما كان يوجد عدد كبير من الوكالات التجارية والخانات والقياسر للتجارة.

(١) الدكتور راشد البراوي - حالة مصر الاقتصادية في عهد الفاطميين ص ١٨٧.

(٢) المرجع السابق.

وكانت مالية الدولة منظمة تنظيمياً دقيقاً بالدواوين التي أنشأتها الدولة ووضعت لها أدق الأنظمة. وكان كل ديوان من هذه الدواوين يختص بنوع من الإيرادات والمصروفات<sup>(١)</sup>.

ومن جهة أخرى، عدلت الدولة من نظام النقد وسعت إلى القضاء على سيادة النقد الذهبي في التعامل.

بالجملة، أحدث العصر الفاطمي تعديلاً خطيراً في حياة البلاد الاقتصادية. فالتجارة نمت في الداخل والخارج.

وزادت العلاقات التجارية مع العالم. وكانت أهم علاقات الفاطميين التجارية مع أمالقي وجنوا وبيزا والبندقية والدولة البيزنطية وغيرها من البلاد.

وبالرغم من ازدهار الزراعة والصناعة والتجارة في العهد الفاطمي، لا يستطيع أحد أن يدعي أن السياسة الاقتصادية للفاطميين كانت مثالية، وخالية من العيوب. والمآخذ التي سجلت على الفاطميين أنهم لم يفرقوا بين أموال الدولة وأموالهم الخاصة. كما أنهم لم يحاولوا إلغاء نظام الالتزام في جباية الضرائب.

---

(١) الدكتور راشد البراوي - حالة مصر الاقتصادية في عهد الفاطميين ص ٣٦٦.

## الحياة الفكرية في العصر الفاطمي

ازدهرت الحياة الفكرية والأدبية في العصر الفاطمي ازدهاراً لا مثيل له حتى أن مصر لم تشهد في تاريخها عصراً تضافرت فيه عوامل النهضة الأدبية مثل العهد الفاطمي. ولم يجتمع فيها من علماء الأقطار العربية وأدبائها مثل ما اجتمع في هذا العصر. ويرجع الفضل في ذلك إلى حب الفاطميين للعلم والعلماء، وما بذلوه لهم من عطاء. واهتمامهم بدار العلم التي أسسوها لتكون بمثابة مكتبة عامة للباحثين والعلماء، وجامعة علمية للبحث والمناظرة<sup>(١)</sup>.

وفي خطوة لا سابق لها جعلوا للعلماء رواتب شهرية سخية حتى يتفرغوا لأبحاثهم العلمية ويقبل عليها من لا مال له. وتشجيعاً لمحبي العلم، اتخذوا من القصر قاعة للمحاضرات. كما جعلوا دار العلم والجامع الأزهر قاعات لإلقاء مجالس الحكمة<sup>(٢)</sup>.

ذكر المقدسي الذي زار القاهرة في أواخر القرن الرابع للهجرة، أنه رأى في المسجد الجامع مائة مجلس وعشرة<sup>(٣)</sup>.

وذكر ناصر خسرو: أن من رآهم في مسجد الفسطاط لا يقلون في أي وقت عن خمسة آلاف من طلاب العلم والغرباء والكتّاب الذين يحررون الصكوك والعقود<sup>(٤)</sup>.

(١) مجموعة من الأساتذة - الأدب العربي في آثار الدارسين ص ٢٣٩.

(٢) المرجع السابق.

(٣) المقدسي - احسن التقاسيم (طبع أوروبا) ص ٢٠٥.

(٤) ناصر خسرو - سفرنامه ص ٥٩.

وإذا تتبعنا كتب التراجم، وكتب الطبقات، وعددنا ما فيها من أسماء علماء العهد الفاطمي، دهشنا لكثرتهم، وكثرة ما أنتجوه من مؤلفات. هذه النهضة الواسعة، كان يواكبها نهضة أدبية واسعة، شملت فني الأدب المعروفين الشعر والنثر.

## أولاً: الشعر

اهتم الفاطميون اهتماماً كبيراً بالشعر، واتخذوه سلاحاً يدافعون به خصومهم ويرفعون به شأنهم، وشأن عقيدتهم<sup>(١)</sup>.

وتقديراً للشعر والشعراء، بنى الخليفة الأمر بأحكام الله (٤٩٥ - ٥٢٥هـ) في بركة الحبش منظرية من خشب مدهون، فيها صور الشعراء، بجوار كل صورة قطعة من الشعر في المدح، ورق لطيف مذهب. ولما دخل البركة وقرأ الأشعار، طلب أن توضع على كل رف صرة محتومة فيها خمسون ديناراً. وأن يدخل كل شاعر فيأخذ صرته بيده<sup>(٢)</sup>.

وكان الشعراء في العهد الفاطمي، من أرباب الوظائف يتقاضون من الحكومة رواتب شهرية تكفل لهم العيش الهني. هذا الاهتمام الكبير بالشعراء أدى إلى ظهور أعداد كبيرة منهم. ويكفي أن نذكر أنه عندما توفي الوزير يعقوب ابن كلس سنة ٣٨٠هـ / ٩٩٠م بلغ عدد من رثاه من الشعراء مائة شاعر<sup>(٣)</sup>.

وقد وجدنا من بين الشعراء من مارس الكتابة النثرية، وبرع فيها براعته في الشعر.

من أشهر شعراء العهد الفاطمي: محمد بن هانيء، الأمير تميم بن المعز لدين الله، ابن وكيع التنيسي، أبو الرقعق، الشريف علي بن حيدرة العقيلي،

(١) مجموعة من الأساتذة - الأدب العربي في آثار الدارسين ص ٢٣٩.  
(٢) المقرئ - المواعظ والاعتبار ج/١، ص ٤٨٦.  
(٣) مجموعة من الأساتذة - الأدب العربي في آثار الدارسين ص ٢٤٠.

المؤيد داعي الدعاة، ابن الضيف، الشريف ابن الأخفش، ظافر الحداد، طلائع ابن رزيك، ابن الكيزاني، القاضي المهذب (المهذب بن الزبير) وأخوه الرشيد ابن الزبير (القاضي الرشيد)، ابن قلاقس، شلعلع، عمارة اليمني، ابن نوبخت، الشريف ابن هبة الله العلوي، ابن مكنسة، أبو الفرج الموفقي، الموفق بن الخلال، القاضي الجليس، الداعي علي الصليحي، أبو بكر محمد العيدي، جعفر بن منصور اليمن، مزيد الحلبي، السلطان الخطاب و... .

وإذا نظرنا إلى المواضيع التي تناولها الشعراء في شعرهم، وجدناها تشمل كل غرض من الأغراض: المدح، الرثاء، الهجاء، الوصف، المجون والخمر، الزهد، الظرف والفكاهة والدعابة، الغزل و... . و... .

ويحسن بنا في هذا المقام أن نشير إلى الملاحظات التالية:

أولاً: أكثر قصائد المدح قيلت في الخلفاء الفاطميين. وقد بالغ الشعراء في هذا المديح إلى درجة رفعوهم فيها إلى مرتبة الإلهية. مثال ذلك ما قاله أبو الحسن الأخفش في الحافظ<sup>(١)</sup>.

صرف جريال يرى تحريمها	من يرى الحافظ فرداً صمداً
بشرفي العين إلا أنه	من طريق العقل نور وهدى
جل أن تدركه أعيننا	وتعالى أن تراه جسداً
تدرك الأفكار فيه نبأ	كاد من إجلاله أن يعبداً

ومن ذلك أيضاً قول الأمير تميم بن المعز في أخيه العزيز بالله:

ما أنت دون ملوك العالمين سوى	روح من القدس في جسم من البشر
نور لطيف تناهى منك جوهره	تناهياً جاز حد الشمس والقمر
معنى من العلة الأولى التي سبقت	خلق الهيولى وبسط الأرض والمدر

ثانياً: وصف الشعراء كل ما وقعت عليه أعينهم من جبال وأنهار وآثار وغدران وثمار ونبات وجماد وحيوان وغير ذلك.

(١) العماد الأصبهاني - خريدة القصر وجريدة العصر - قسم شعراء مصر ج/١، ص ٢٤١.

قال محمد علي النيلي يصف باب زويلة، أكبر وأشهر أبواب القاهرة:

يا صاح لو أبصرت باب زويلة  
 باب تآزر بالمجرة وارتد  
 لو أن فرعوناً رآه لم يرد  
 وقال ظافر الحداد يصف أبا الهول:

تأمل بنية الهرمين وانظر  
 كعماريتين على رحيل  
 وماء النيل تحتها دموع  
 وبينهما أبو الهول العجيب  
 لمحبووين بينهما رقيب  
 وصوت الريح عندهما نحيب

ثالثاً: من حيث الشكل عني الشعراء بالمحسنات، وضروب الصنعة. من ذلك ما قاله ابن سعيد المغربي مجانساً بين القرط الذي ترعاه الدواب والقرط الذي يكون في الأذن:

سقى الله أرضاً كلما زرت روضها  
 تجلت عروساً والمياه عقودها  
 كساها وحلاًها بزينتة القرط  
 وفي كل قطر من جوانبها قرط

وقد جمع القاضي الجليس ثماني تشبيهات في بيت واحد. قال:

بدا وأرنا منظرأ جامعاً لما  
 أقاحاً وراحاً تحت ورد و نرجس  
 تفرق من حسن على الخلق موقنا  
 وليلاً وصباحاً فوق غصن على نقا

رابعاً: احتل الشعر الديني حيزاً كبيراً عند شعراء العهد الفاطمي. والشعراء الاسماعيليين.

وقد تضمن الشعر الديني خلاصة المصطلحات، والتأويلات الدينية، والنظريات الفلسفية التي قامت عليها عقائد الاسماعيليين كنظرية المثل والممثول والأكوار والأدوار وغيرها. وقد وصلنا هذا الشعر بإحدى صورتين:

الصورة الأولى: الحديث عن العقائد لم يكن مقصوداً بذاته، وإنما جاء من خلال الحديث عن موضوع معين هو عادة مدح الأئمة الفاطميين. من أبرز الأمثلة على ذلك ديوان المؤيد في الدين داعي الدعاة.

الصورة الثانية: جاء الحديث عن عقائد الاسماعيليين مقصوداً بذاته، مستقلاً عن أي موضوع آخر، ومن أشهر الأمثلة على ذلك تائيه عامر بن عامر البصري.

وهناك شبه كبير بين الشعر الديني عند الاسماعيليين والشعر الديني عند العلويين ومرد ذلك هو تفرع الفرقتين من أصل واحد، الشيعة الإمامية. ولكي لا نطيل الحديث عن هذه الناحية، نكتفي بعرض ما قاله المنتجب العاني، وهو من أبرز الشعراء العلويين، وما قاله عامر بن عامر البصري الاسماعيلي في تائيته.

يقول البصري:

وما هو وادي النمل والنملة التي	تخاطبهم رمزاً بلطف إشارة
تقول ادخلوا يا أيها النمل تسلموا	مساكنكم من حطم جند بدوسة
وما هو ذاك الهدهد الطائر الذي	يجيء سليماناً بسر سريرة
وبلقيس إذ جاؤوا إليها بعرشها	وقد نكروه بعد نقش بنقشة
.....	.....
وما ذلك العفريت والقائل الذي	له بكتاب الله علم دراية
وقال المنتجب العاني:	

ونملة قالت لمن وعاهها	من آمنت لتدخلن سكناها
وتتق الجد السلیمانیا	
ما الجند ما الحطم وكيف المأمن	ما النمل ما الدخول ما المساكن
وما العفاريت وما الفراعن	وما الطواغيت لها بواطن
تزري على من كان ظاهرياً	
وما سجود عنه إبليس أبى	ما عرش بلقيس وما أرض سبا
ما هدهد جاء يقيناً بنبا	ما حجر موسى له قد ضربا
.....	.....

خامساً: الظاهرة التي تجذب الانتباه هي تجاهل الباحثين والدارسين



للأدباء الاسماعيليين في اليمن باستثناء عمارة اليمني الذي تركزت عليه الأضواء دون غيره، مع أن اليمن عرفت شعراء إسماعيليين كان لهم شأن في مجال الشعر، منهم على سبيل المثال، لا الحصر، الداعي علي الصليحي. وربما ساهمت قلة المراجع في هذا التجاهل.

سادساً: أهم الدواوين الشعرية التي وصلتنا من العهد الفاطمي، ومن الشعراء الاسماعيليين، التي جرى نشرها:

ديوان ابن هانئ، ديوان الأمير تميم بن المعز، ديوان ناصر خسرو، ديوان ابن وكيع التنيسي، ديوان ابن الكيزاني، ديوان طلائع بن رزيك، ديوان داعي الدعاة المؤيد في الدين، ديوان ابن قلاقس، ديوان عمارة اليمني، ديوان السلطان الخطاب...

أما الدواوين غير المنشورة فهي كثيرة ضاع معظمها، وربما كلها بعد زوال الدولة الفاطمية بفعل التعصب المذهبي الذي ساد العهد الأيوبي.

من المفيد للبحث أن نقف وقفة قصيرة عند أهم رموز وأعلام الشعر في العهد الفاطمي.

### ابن هانئ الاندلسي

(ت: ٣٦٢/هـ - ٩٧٢/م)

هو ابو القاسم محمد بن هانئ الازدي الاندلسي. أشعر المتقدمين والمتأخرين من المغاربة أديب شاعر مغلقت. أكثر شعره في مدح المعز. تحدث عنه المعري في [رسالة الغفران] قال: «وفي الناس من يتظاهر بالمذهب ولا يعتقده، يتوصل به إلى الدنيا الفانية وهي أغدر من الورهاء الزانية. وكان لهم في المغرب رجل يعرف بابن هانئ وكان من شعرائهم المجيدين، فكان يغلو في مدح المعز غلواً كبيراً، حتى قال فيه، وقد نزل بموضع يقال له رقادة:

حل برقادة المسيح حل بها آدم ونوح



حل بها الله ذو المعالي وكل شيء في سواه ريح

من شعره نختر هاتين القصيدتين:

ما كان أحسنه لو كان يُلتقطُ  
قعاقعُ وطبى، في الجو، تُخترط  
فما يدوم رضى منه، ولا سخط  
كما تنفس، عن كافوره، السَّفط  
جعدٌ، تحدر منها وابل سِيط  
مدٌّ من البحر، يعلو ثم ينهب  
قاضي، من المزن، في أحكامه شطط  
جبلان: مُنقبض عنا ومنبسط  
كما تنشر، في حافاتهما، البسط  
مثل العبير، بماء الورد يختلط  
لا شبهة للندی فيها، ولا غلط  
ما مرَّبؤسٌ على الدنيا، ولا قنط  
عن دولة، ما بها وهنٌ ولا سقط  
زينت بدولته الأملاك والسُّلط  
لم يدن منها، ولم يُقرن بها الخِطط  
كما قضا في الإمام العدل، واشترطوا  
كالعقد، عن طرْفِيه، يفضلُ الوسط  
ولا يبيتُ بدُنْيَا، وهو معتبط  
وفوق ما ينتهي غال ومُنبسط  
بنان راحته المُعلولب، الخمط  
عرقٌ، بمحض صريح المجد، مرتبط  
لا يهتدي نحوها جور، ولا شطط  
سيف له، ييمين النصر مخترط  
كما يخيب برأس الأقرع المشط

ألؤلؤ دمع هذا الغيث أم نُقط؟  
بين السحاب وبين الريح ملحمة،  
كأنه ساخط يرضى على عجل،  
أهدى الريح إلينا روضةً أنفأ،  
غمائم، في نواحي الجو، عاكفة،  
كأن تهتانها، في كل ناحية،  
والبرق يظهر في لألاء غرته،  
وللجديدين، من طولٍ ومن قصر،  
والأرض تبسط في خدّ الثرى ورقاً،  
والريح تبعثُ أنفاساً معطرة،  
كأنما هي أنفاس المُعزسرت،  
تالله! لو كانت الأنواء تشبهه،  
شقّ الزمان لنا عن نور غرته،  
حتى تسلط منه، في الورى، ملك،  
يختطُّ، فوق النجوم الزهر، منزلة،  
إمام عدلٍ وفى في كل ناحية،  
قد بانَ بالفضلِ عن ماضٍ ومؤتفٍ،  
لا يغتدي فرحاً بالمال يجمعه،  
لكنه ضدُّ ما ظنّ الحسود به،  
يُزري بفيض بحار الأرض، لو جمعت،  
وجهٌ، بجوهر ماء العرش، متصل؛  
شمس من الحق، مملوءٌ مطالعها  
يروّع الأسد منه، في مكانها،  
خابت أمة منه بالذي طلبت،

وحاولوا من حضيض الأرض، إذ غضبوا، كواكباً، عن مرامي شأوها شحطوا  
هذا، وقد فرّق الفرقان بينكما، بحيث يفترق الرضوان والسخط  
الناس غيركم، العرقوب في شرف، وأنتم، حيث حلّ التاج والقرط  
ولست أشكو لنفسي في مودتكم، لأنكم، في فؤادي، جيرة خلط  
يا أفضل الناس، من غرب، ومن عجم، وآل أحمد، إن شئوا، وإن شمطوا  
ليهنك الفتح، لا أتي سمعت به؛ ولا على الله، فيما شاء، أشترط  
لكن تفاءلت، والأقدار غالبية، والله ييسط آمالاً، فتنبسط  
ولست أسأل إلا حاجة بلغت، سؤل الإمام بها، الركاضة النشط  
من فوق أدهم، لا يجتاز غايته، نجم، من الأفق الشمسي، منخرط  
يحتثه راكب، ضاقت مذاهبه، بادي التشعب، في عثونه شمت  
إن الملوك، إذا قيسوا إليك معاً، فانت، من كثرة، بحر، وهم نقط

### خرزات در

وليل بث أسقاها سلافاً، معتقة، كلون الجلنار  
كأن حبابها خرزات دُرّ، علت ذهباً بأقداح النضار  
بكف مقرطق يُزهى برذف، يضيّق بحمله وُسع الإزار  
أقمت لشربها عبثاً، وعندى بنات اللهو تعبت بالعُقار  
ونجم الليل يركض في الدياجي، كأن الصبح يطلبه بشار

### الأمير تميم بن المعز لدين الله

(ت: ٣٧٤هـ / ٩٨٤م)

كان، كما وصفه ابن خلكان، شاعراً ماهراً لطيفاً ظريفاً<sup>(١)</sup> عاش في مصر  
بعد قيام الدولة الفاطمية، واشتهر بأشعاره الرقيقة، ونلمح فيها أول خصائص

(١) ابن خلكان - وفيات الأعيان ج/١، ص ٣٠١.

فنية للشعر المصري. يعتبر ديوانه أقدم ديوان من الشعر المصري وصل إلى عصرنا<sup>(١)</sup>.

من شعره نختار المقطوعات التالية:

### حلو ومر

إذا حذرت زماناً لم تسر به  
فأقبل من الدهر ما آتاك مختلطاً  
خذها إليك - ودع لومي - مشعشة  
في كل معقد حسن منه معترض  
فكحل عينيه ممنوع بخنجره  
لا تترك القدح المملوء في يده  
وصنه عن سقينا إنني أغار به  
وانظر إلى الليل كالزنجي منهزماً  
والبدر منتصب ما بين أنجمه  
كم قد أتى سهل دهر بعد أصعبه  
لعل مرّك يحلوف في قلبه  
من كف أقمى أسيل الخد مذهبه  
يحميه دونك من أن تستبد به  
وورد خديده محمي بعقربه  
إنني أخاف عليها من تلهبه  
وسقه واسقني من فضل مشربه  
والصبح في إثره يعدو بأشبهه  
كأنه ملك في وسط موكبه

### نزّهة

تنزّه وجهي في محاسن وجهه  
فلما رأى لحظي يدل على الهوى  
ثنى خده عني وقال تمثلاً  
(إذا أنت داويت المحب فما له  
تنزّه مشتاق إليه كئيب  
وصفرة لوني بعده وشحوبي  
ولم يخش من واش به ورقيب  
دواء يواتيه كثر حبيب)  
وذكر له الثعالبي في [يتيمة الدهر]<sup>(٢)</sup> مقطوعات في غاية الرقة منها هذه  
المقطوعة:

(١) مجلة أخبار الأدب، العدد ١١٠، تاريخ ٢٠ أغسطس (آب) ١٩٩٥.

(٢) الثعالبي - يتيمة الدهر ج/١، ص ٣٩٣.

صرفاً كأن سناها ضوء مقياس  
وكيف تسعى حدود الناس للناس  
فاستبطا قهوة حمراء في الكاس  
دمي وطابخها في الكأس أنفاسي  
فسقنيها على العينين والراس  
وباتت الشمس فيها بعض جلاسي  
وبالخدود عن التفاح والآس

ناولتها شبه خديها مشعشة  
فقبلتها وقالت وهي ضاحكة  
أليس خدائي ذابا إذ لمستهما  
قلت اشربي إنها دمعي وحمرتها  
قالت إذا كنت من حبي بكيت دماً  
باليلة بات فيها البدر معتنقي  
وبت مستغنياً بالثغر عن قدحي  
وهذه مقطوعة أخرى :

بيلقعة بيداء ظمآن صاديا  
مولهة حيرى تجوب الفيافيا  
لغلتها من بارد الماء شافيا  
فألفته ملهوفاً إلى الجوع ظاميا  
ونادى منادي الحي أن لا تلاقيا

وما أم خشف ظل يوماً وليلة  
تهيم فلا تدري إلى أين تنتهي  
أضرب بها حر الهجير فلم تجد  
إذا بعدت عن خشفها انعطفت له  
بأوجع مني يوم شدوا رحالهم  
ومن جميل شعره قوله :

في حالتك وما أقلك منصفاً  
وعلى اللبيب الحر سيفاً مرهفاً  
وإذا وفيت نقضت أسباب الوفا  
أدرى بأنك لا تدوم على الصفا  
وإذا استقام بدا له فتحرفاً  
أولى بنا ما قل منك وما كفى

يا دهر ما أقساك من متلون  
أتروح للنكس الجهول ممهداً  
فإذا صفوت كدرت شيمة باخل  
لا أرتضيك وإن صفوت لأنني  
زمن إذا أعطى استرد عطاءه  
ما قام خيرك يا زمان بشره

### ابن وكيع التنيسي

(ت: ٣٩٣هـ / ١٠٠٢م)

اسمه بالكامل: الحسن بن علي بن أحمد بن محمد بن خلف بن حيان بن

صدقة بن زياد الضبي المعروف بابن وكيع الثنيسي (١) .  
شاعر بارع، وعالم جامع . برع على أهل زمانه فلم يتقدمه أحد في أوانه،  
وله كل بديعة تسحر الأوهام وتستعبد الأفهام (٢) .

له ديون شعر جيد . وكتاب بعنوان [المنصف] بيّن فيه سرقات المتنبي .  
اشتهر بوصف الطبيعة . من الأشياء التي وصفها: غدير، نخيل البلح،  
الزيتون، المشمش، نور الكتان، الجلنار، الطلع، الأذريون، الخشخاش،  
الرازيانج، الآس، الحماحم، زهر الباقلاء، روض، المطر والرعد والبرق،  
السماء ليلاً، فحم مشتعل .

من شعره نختار المقطوعات التالية :

### غدير

غدير يجعل أمواجه هبوب الرياح ومر الصبا  
إذا الشمس من فوقه أشرقت توهمته جوشناً مذهبا

### نخيل البلح

أما ترى النخل طارحاً بلحاً جاء بشيراً بدولة الرطب  
كأنه والعيون تنظره إذا بدا زهره على القصب  
مكاحل من زمرد خرطت مقمعات الرؤوس بالذهب

### زيتون

انظر إلى زيتوننا فيه شفاء المهج  
بدا لنا كأعين شهيل وذات دعج  
مخضرة زبرجد مسودة من سبج

(١) ابن خلكان - وفيات الأعيان ج/٢، ص ١٠٤ .

(٢) المرجع السابق عن الثعالي في يتيمة الدهر .

## المؤيد في الدين داعي الدعوة

(ت: ٤٧٠هـ / ١٠٧٧م)

هو أبو النصر هبة الله بن موسى بن عمران وقيل ابن داود الشيرازي . عاش حياته متنقلاً بين شيراز والأهواز قبل أن يستقر في مصر .

وتقديراً لجهوده في نشر العقيدة الفاطمية في فارس والعراق والشام كافأه الخليفة المستنصر بتعيينه في منصب داعي الدعوة . كما ولي دار الإنشاء .

كان للمؤيد تصانيف جمّة في الحجج والسير والأخبار وله أدعية ومناجاة في الأوراد<sup>(١)</sup> .

أهم مؤلفاته : المجالس المؤيدية ، المجالس المستنصرية ، ديوان المؤيد ، سيرة المؤيد في الدين ، شرح المعاد ، الإيضاح والتبصير في فضل يوم الغدير ، الابتداء والانتها ، جامع الحقائق في تحريم اللحوم والألبان ، قصيدة الاسكندرية (ذات الدوحة) ، تأويل الأرواح ، نهج العبادة ، المسألة والجواب ، أساس التأويل<sup>(٢)</sup> .

من شعره نختار القصائد التالية :

### القصيدة السابعة

بالله ، مولانا الإمام الأطهر  
بسناه أغساق الظلام الأكر  
في «الظاهر» الغصن الرطيب الأخضر  
غضُّ الشباب بنور وجه أقر  
ومن النبي الأبطحي وحيدر  
والخلق قطر منه في المثلج

الله ينصُر راية المستنصر  
ويُتمُّ نور أبي تميم حاليًا  
ويديم دولته ويجبر كسرنا  
السيد المولى الموارى في الثرى  
غصنٌ من القلم الممدِّ وصنوه  
غصنٌ أصول المجد في أوراقه

(١) محمد كامل حسين - ديوان المؤيد في الدين نقلًا عن عيون المعارف ص ٥٨ .

(٢) Ivanow: A Guide to Ismaili Literature P. 43.

عاف الحصار الضيق الحرج الذي  
 وسما إلى العليا من الأفق الذي  
 قد كان محمولاً فأصبح حاملاً  
 لكن تحرقت القلوب لفقده  
 وتصاعدت نحو الجفون دماؤنا  
 صلى الإله على مقدس روحه  
 وأعاش مولانا معداً خالداً  
 أهلاً بطيب زمان مولانا الذي  
 زمنٌ يبشرنا بخير مُقبل  
 أمعدُّ عُدَّةَ عبده وعماده  
 أشبهت عيسى في الذي أوتيته  
 إن أثمر الجذع اليبس بفضلته  
 فكمثلته الدنيا تُليك مُلكها  
 لله شأن فيك جدُّ مُعظَّم  
 أن ينجز الرحمن صادق وعده  
 أنت الذي يعنو الزمان لبأسه  
 فتجد دابر كل غرٍّ كاشح  
 وتخوض أودية الدماء خيوله  
 وتؤم ما بين الدُّجُل ودجلة  
 حتى توشح أرضه من نحره  
 وتريح من ذكر اللعين ورجسه  
 وتزيل لبس الشافعي ومالك  
 وقياس قِيَّاس غدا متبرجاً  
 يا بن النبي المصطفى ووصيه  
 إن الذي بك أرفج الأرجاف عن  
 هو أبتَرُ حقاً كنى عنه بذا

زحل يلكي تَدبِيرُهُ والمشتري  
 هو نجلها وشبهِها في الجوهرِ  
 ومؤثراً في جرم كل مؤثِر  
 وتخرقت شجواً ثياب تصبُّري  
 فهمت بفرط تنزُّلٍ وتحذُر  
 أبداً وجسم في ثراه مطهَّر  
 حتى يورث عمر كل مُعمَّر  
 وافى بوجهه بالسعادة مُسفر  
 تترى وشرّاً لا محالة مُدبر  
 وعتاده والمرتجى للمحشر  
 طفلاً من التُّعَمَا ولَمَّا تُقصر  
 رُطباً فأحرى به المسيح وأجدِر  
 ثمرأ فلا تعجل فديتُك واصبر  
 قامت به الأعلام للمتدبر  
 بك للنبي أيبك خير مُبشر  
 صغراً فتلبسه لباس مُسحَّر  
 بمهند ماضي الغرار وأسمِر  
 بجيادها من أدهم أو أشقر  
 للفتك بالدجال ذاك الأعور  
 وبنى الزناء معاً بثوب أحمر  
 محراب مسجدنا وعود المنبر  
 ببيان زين العابدين وجعفر  
 بالاعتزال وترهات المُجبر  
 وبتوله وابن الصفا والمشعر  
 كفر وعن إملاء صدر موغر  
 ربُّ العلى سُحقاً لشأن الأبتَر





هو أبتَرُ حقاً وإنك كوثر  
برهان علمك فوق برهان العصا  
ومفجر ماء الحياة ولم يكن  
وعيان عقلي لا حديث خرافة  
لو كانت الأشجار أقلاماً وفي  
والبحر في مدحي غلاك يمدّه  
فاقت ممدحُه مدحي كله  
صلى عليك الله ما كشف الدُّجى  
إني ابن موسى عبدك القنُّ الذي  
العلم سيفي، والرشاد مطيّي  
أنا آدمي في الرُّواء حقيقتي  
جسمي حمولٌ للنوائب كلها  
ما راعني من صائل صولٌ ولا  
يعمي عُداة بني عليّ منظري  
فلقد تطيّر بي التواصب كلهم  
فتخالنني إما مررت بمعشر  
قد طاب لي في الله أن أودى وأن

نسلاً وأشرف نسل ساقى الكوثر  
في كل حين غالب لمسخر  
من وقعها الحيوان بالمتفجّر  
يُروى وليس مشاهد كالمخبر  
إحدى بناني فضل كل مُسَطّر  
من بعد هذا البحر سبعة أبحر  
فوقفت وقفة قاصرٍ ومقصرٍ  
عن وجهه ضوء الصباح الأزهر  
بك في الأنام أجرٌ ذيل تبختر  
والستر درعي، والأمانة مغفري  
ملكٌ تعيّن ذاك للمستبصر  
لكن لي في الجسم قلب غضنفر  
ضعفت قوى جلدي لبأس مُسيطر  
ويصمهم في كل صُقع مخبري  
أنى أقمت وسرت أيّ تطير  
من بغضهم لي، حتف ذاك المعشر  
أجفى فما أنا بالأذى بمفكّر

### القصيدة السابعة والأربعون

يا صاحب الكيد كذ ما شئت مجتهداً  
أعقدة حلّها الباري بقدرته  
أم الزروع التي الرحمن زارعها  
مهلاً فذا البيت ممنوع الحمى أبداً  
بيت بنو المصطفى الهادي له عُمْدُ  
إن كنت تبغي له هدماً فكم أمم  
والله أركس منهم أمس طائفة

فالله يُطفىء ناراً أنت توقدها  
من حيث لم تحسب قد جئت تعقدها  
تظن أنك يا مغرور تحصدها  
يحمي مبانیه ربُّ يُشيدها  
فهل سوى الله معروف معمدها  
بغت عليه سبيل الرشد يرشدها  
وهاكم غدها دانٍ ومعدها

فأبسط لها خطة قد عز مصدرها جداً وشقاً، ولكن هان موردها

### القصيدة الخمسون

لقد راحوا بقلبي يوم راحوا      فبعدهم حمى دمعي مباحٌ  
فيا للبين ليتك لم تقدر      وسابق يومك القدر المتاح  
فما روعٌ كروعك في فؤادي      ولا كجراح سيفك بي جراح  
غدا بهج الشباب الغض مني      هشيم الزرع تذرؤه الريح

### الشريف العقيلي

هو الشريف أبو الحسن علي بن حيدرة من ولد عقيل بن أبي طالب . من أهم شعراء مصر وأبدعهم في القرنين الرابع والخامس .

قال الصفدي في [الوافي بالوفيات]: ما رأيت أحداً من شعراء المتقدمين أجاد الاستعارة مثله ولا أكثر من استعاراته اللائقة الصحيحة التخيل<sup>(١)</sup> .

من شعره:

وقائل ما الملك يا من له      أجوبة يشفى بها قلبي  
فقلت إن كان على مذهبي      فالملك عندي راحة القلب

وله:

اسمع - جعلت فداك -      نصحي، وجانب هواك  
ألست في كل يوم      ترى مناك مناكاً

وله:

وفتيان بنوا لهم فخاراً      رفيع السمك في خطط المعالي  
إذا ما المرء صار لهم خليطاً      تفكه في الجميل وفي الجمال

وله في زامر:

(١) العماد الأصبهاني - خريدة القصر قسم شعراء مصر ج/٢، ص ٦٢ .



وزامر يكذب فيه عائبه تكثر في صنعته عجائبه  
يحجب صبر المرء عن حاجبه ويسكر الشارب منه شاربته

كأنما ناياته ذوائبه

ومما يذكر له صاحب [يتيمة الدهر]، قوله :

لنا أخ يحسن أن يحسنا  
قد عرفت روضة معروفه  
إذا تبدي وجهه إحسانه  
جناه للجانيين عذب الجنى  
بأنها تنبت زهر الغنى  
تنزهت فيه عيون المنى  
وقوله :

إن كنت تعلم أن لي  
فاعمل بحسب وصيتي  
ودع الصغير مكانه  
ما بين ورد كالخدو  
وعليك بالذهب الذي  
ما زال يسبك بالذي  
حتى صفا فكأنه  
علماً بأسرار السرور  
لك في ملازمة البكور  
واعدل إلى جهة الكبير  
د وأقحوان كالثغور  
أجراه روباس العصير  
قد شب من نار الهجير  
دمع الطليق على الأسير  
وقوله :

نحن أناس نوالنا خضل  
كل فتى ليس في مودته  
لو أبصر البحر فيض أنملنا  
فسق أموالنا مؤملنا  
تسمح قبل السؤال أنفسنا  
يرتع فينا الرجاء والأمل  
مذق ولا في خلاله خلل  
فاض على وجه فيضه الخجل  
لا يعترينا مطل ولا بخل  
بخلاً على ماء وجه من يسئل

## ناصر خسرو

(ت: ٤٨١/هـ - ١٠٨٨ م)

هو الحكيم ناصر خسرو بن حارث القبادياني، الشاعر المتفلسف. كان من أعظم شعراء الفرس وأغزرهم مادة، ومن أبرز رجال الدعوة الفاطمية في خراسان. اشتغل بتحصيل العلوم، والبحث في الأديان والعقائد والاطلاع على شعر الفرس والعرب.

قام برحلات كثيرة في البلاد العربية والإسلامية.

ترك العديد من المؤلفات هي: سفرنامه \* كتاب زاد المسافرين \* وجه الدين \* خوان الإخوان \* دليل المتحيرين \* روشنائي نامه أي كتاب الوضوء \* سعادة نامه أي رسالة السعادة \* جامع الحكمتين \* ديوان شعر. من شعره نختار القصائد التالية: (١):

### ثمرة المعرفة

لا تَلْمُ قِبَةَ الْفَلَكِ الزَّرْقَاءِ  
وَانْتَزِعْ مِنْ رَأْسِكَ رِيحَ الْغُرُورِ  
وَاعْلَمْ أَنَّ الْفَلَكِ السَّمَاوِيِّ بَرِيءٌ مِنَ الْإِدَانَةِ  
وَمَنْ الْعِلْمُ أَنَّهُ لَا يَنْبَغِي أَنْ تُدِينَ بَرِيئاً  
فَطَالَمَا اتَّخَذَ الْعَالَمُ الْجَفَاءَ دَيْدَنَهُ  
فَاتَّخِذِي أَنْتِ الْمَصَابِرَةَ حِيَالَهُ عَادَةً  
وَإِذَا صَيَّرْتَ أَنْتِ نَجْمَكَ نَحْساً  
فَلَا تَأْمَلِي مِنَ الْفَلَكِ نَجْمَ سَعْدٍ

(١) أخذنا هذه القصائد من كتاب الدكتور محمد غنيمي هلال مختارات من الشعر الفارسي ص/١١٣.



كيف تستطيع أن تكون ذا طلعة ملائكية؟!  
ولكن بجمال الفعال كن ملكاً  
ألا ترى في الربيع الخُزامى النضرة  
وقد صارت في السهل شبيهة العيوق؟  
فإذا صارت الخزامى حافلةً بالنور، كالنجمة  
فإنها لم تستمد إلا من ذاتها صورتها  
إنما أنت من طيبي المحضر بالعقل والرأي  
فكيف لا تتسم بطيب المحضر؟  
فإن لم تول وجهك عن العلم  
فإن رأسك سيتوج بالمجد  
الشجر الذي لا ثمر له جزاؤه الحريق  
كذلك جزاؤك حين لا ثمرة لك  
فإذا حملت شجرتك ثمرة المعرفة  
فإنك تنزل قبة الفلك الزرقاء دون قدميك!  
إياك أن تعد - أيها الأخ - كلامي جزافاً  
فتحسب أن العلم من نصيب الكاتب أو الشاعر  
فهاتان المهنتان محبوبتان لدى الناس  
ولكنني قد أرحت منهما رأسي  
نعم كلاهما تعبيرٌ ولكن  
ليس منهما ما يشبه سحر النبوة  
فإذا اتخذت لنفسك الشعر مهنة  
فإن سواك من الناس قد اتخذ الموسيقى  
وتعجز أنت حيث يجلس المطرب  
فينبغي أن تجتث منك اللسان الجريء على الصدق!  
حتام أنت تسرف في الحديث عن السرو والخزامى  
وتصف الخد بالقمر والذوائب بالعنبر

وتصف بالعلم وبخلوص الجوهر  
من رأس ماله الجهل وفساد الطوية  
وتدخل في النظم الأكاذيب والجشع؟  
وإنما الكذب رأس مال الكافر  
أ يكون محموداً من «عنصري» أن يمدح  
«محموداً» بزهد «عمار» و «أبي ذر»؟  
لست أنا الذي يريق على أقدام الخنازير  
القيم الثمينة من در كلم اللغة الدرية

### الكتاب

هو لي صديق حين أجلس وحيداً  
نجيي، وأنيسي وموطن سري  
لا يزال يتحدث ولا يسمعُ أبدأ نفسه  
ليس به من هم، ولكنه يزيل الهموم  
له ظهر واحد ومائة وجه  
كل منها جميل كالريبع  
أربت على ظهره كلما علمت  
أن قد استقر الغبار على وجهه  
يقول الكلام دون صوت  
ولكن لا يتحدث حتى يصادف واعياً  
فلا تسمع له من قول ولا تبصر  
على حين لم ير امرؤ مثله ذكياً فطناً  
أرى كل لحظة من كلام الحكماء  
على وجهه أثراً وتذكراً  
ولا يتحدث طالما لا أنظر في وجهه  
ليس مثل الثرثارين الثقلاء



ولا يحدثك أبداً في الظلام  
كأنما هو أمير فارس محتشم

### العُقاب

حوم عقاب من رأس صخرة  
ونشر جناحيه طلباً للصيد  
وفي طريقه نظر حوله وقال:  
اليوم كل وجه الأرض تحت جناحي!  
حين أحلق في الأوج بنظري الحاد  
أرى حتى الذرة في قاع المحيط!  
ولو تحركت بعوضة على كومة  
فإن حركتها تبدو عياناً أمام نظراتي  
واغتر اغتراراً ولم يرهب قدراً  
فانظر ما حدث له من الفلك القهار!  
فجأة انطلق من قوس محكم  
سهم مصوب نحوه من القضاء المسيطر،  
فأصابه السهم المصمى في جناحه  
فهوى به من السحاب إلى الأرض  
فخر على الثرى يسبح في دمه كسمكة  
وبسط آنذاك جناحيه عن يمين وشمال،  
وقال: عجباً: كيف تأتي للخشب والحديد  
هذه الحدة والقوة والطيران؟  
وألقى نظرة صوب السهم  
فراه قد وضع به بعض ريش العقاب  
فقال: لماذا أجار بالشكوى  
وما حدث لي إنما كان مني أنا!؟

## السلطان الخطاب

(ت: ٥٣٣/هـ - ١١٣٨ م)

اسمه الكامل: السلطان الخطاب بن الحسن بن أبي الحفاظ الحجوري .  
صاحب مدينة الجريب .

كان شاعراً مطبوعاً، من الشعراء المعروفين الجيدين في اليمن . زاهداً  
ورعاً متضلعاً متبحراً في علوم الدعوة الفاطمية ومعارفها . ومن كبار رجال  
الدعوة المشعلية (الطبية) في اليمن .

وكان الداعي إبراهيم بن الحسين الحامدي من تلاميذه .

من مؤلفاته: منيرة البصائر \* رسالة النفس<sup>(١)</sup> \* غاية الأجسام \* غاية  
المواليد \* رسالة في بيان إعجاز القرآن \* رسالة النعيم \* ديوان شعر<sup>(٢)</sup> .

من شعره نختار هذه القصيدة:

من الكلام الفاسد الفاضح	إن صح ما قالوا وما شنعوا
ما هو بئس الكدح للكداح	عن معشر في الدين قد حللوا
أوروا زناد الكفر للامح	واستوطأوا مركب فسق به
باعوا الفرات العذب بالمالح	لشهوة حسيّة عندها
عالين منها مركب الجامح	وللطبيعيات فيها غدوا
تبرأ الناجي من الطالح	فنحن منهم أبرياء كما
ناواه من غاد ومن رائح	ولعنة الله على كل من
عقيرة المعلي به البائح	قد قلت ما قلت به رافعاً
يصد عن نهج الهدى الواضح	ديني لعن الباطني الذي
أحلّ جاري دمه السافح	وكل من دان بما دانه

(١) ذكر عبد الواسع اليماني في تاريخ اليمن اسم الكتاب [شرح رسالة النفس].

(٢) حققه ونشره إسماعيل قربان حسين وصدر عن دار المعارف بمصر .



وصيروها هزؤ المازح  
في الدين غير العمل الصالح  
كالأم أو كالبنيت للناكح  
والفسق للداني وللنازح  
قدرسبوا في جهله الطافح  
حتى غدوا كالنعم السارح  
يسمو إليها نظر الطامح  
بما اقتضاه مزح المازح  
مما تسموا صفقة الرباح  
أنفسهم من عمل فاضح  
حتى أوارى بيد الضارح  
قد عدلت عن سنن الناصح  
تمسكوا بالمتجر الرباح  
ديناً وللمستخلص المانح  
قد سبح الناس مع السابح  
إليه لكن مدح المادح  
عليهم في القدح للقداح  
على الدنيا كلب النابح  
من تارك ذاك ولا طارح  
عيافة السانح والبارح  
من شر ذي شر ولا فادح  
في الدهر من ماس ومن صابح  
يقوم قصد العاند الجانح  
على خفي لهم لائح  
من كل ضد حاسد كاشح  
من تحت ستر لهم سانح

قوم فروض الشرع قد عطّلوا  
وكذبوا بالبعث واستصوبوا  
وأوجبوا من كان ذا محرم  
وحلّلوا الخمر معاً والزنا  
تأولاً دانوا به فاسداً  
حلوا عقود الشرع من دينهم  
هيئات ما في الدين من رخصة  
ما استعبد الله تعالى الورى  
من مبلغ عني قوماً نسوا  
يرون أن الدين ما سولت  
براءتي منهم ولعني لهم  
لا قدس الله لهم أنفسهم  
وحيذا قوم هم ما هم  
وأخلصوا الله مولاهم  
لم يسبحوا في بحر لهوبه  
ولا دعوا خزيماً إلى ما دعوا  
ولا أتوا فاحشة أطلققت  
بل جانبوا الدنيا وما استكلبوا  
واتبعوا الشرع فما فيهم  
واستعملوا الدين فلم يزجروا  
ما سرهم خير ولا ساءهم  
قد شغلوا بالدرس أوقاتهم  
حتى غدوا أعلام علم به  
وأطلعوا من سر أسراره  
وعاهدوا الله على ستره  
فهم يدينون لمولاهم

أولئك إخواني لم ينأ بي  
تفترق الأشباح منا وما ال  
فقل لمن يزري على مذهبي  
هذا اعتقادي فاقف أو فاعتزل  
ومن يناضلني عليه يجد  
أدمغ بالحق أباطيله  
ها أنذا أعرض نفسي فمن  
ولاء أهل البيت ديني الذي  
هم شفعاي يوم بعثي إذا  
يا قادحاً زند ملامي على  
سمحت من قبل موالاتهم  
صافحتهم بالعهد في حين أن  
فكيف أن ترجو نكثي به  
هيهات! حبي لهم حب من  
عساي أن أبعث في محشري  
وجهت وجهي لهم طائعاً  
رضى حمامي فيهم بالذي  
والله لولا ما غدا شارحاً  
في طاعة الله وطاعاتهم  
ما شك ذا رحمي بي شائك  
بل في رضاء الله، لما اغتدى  
وارتكب الفحشاء من محرم  
جشمت نفسي خطئةً صعبةً  
غسلت عن عرضي وعن عرضه

عن سوحهم مندوحة النادح  
أرواح من ذلك بالبارح  
زرى الثمودي على صالح  
طرت فلازم صفة الرازح  
من حججي موهية الناطح  
دمغ النوى عن حجر الراضح  
شاء فذا بابي للفتاح  
به مسحت الكف للماسح  
ما جمعتنا صيحة الصائح  
حبهم قبحت من قادح  
بما به لم أضح بالسامح  
صفحت عنهم أخدع الصافح  
بعد اصطفاي نظر الناقح  
ينجو بهم من لهب لافح  
صاحب ميزان بهاراجح  
ولا أبالي رمح الرامح  
أناله من عتب الجارح  
له الذي قدس من شارح  
على الولي العابد السائح  
ولا اغتدى ذا ودج فاتح  
يتمح في الفسق مع الماتح  
باشر منه أتما جائح  
فيه أتته بردي تائح  
بها مقال القائل القابح

## طاهر شاه الحسيني

(توفي بعد عام ٩٤٢هـ / ١١٣٧م)

ينحدر من سلالة أئمة آلوت، الذين ينتسبون إلى أئمة مصر الفاطميين كان موسوعياً وعارفاً في كافة العلوم السائدة في عصره، وطيباً بارعاً، ضليعاً بالفلسفة الإسماعيلية، وكان يولي القضايا الجعفرية اهتماماً خاصاً.

من مؤلفاته: ديوان شعر \* مجموعات مقالات \* رسالة في شرح الجعفرية \* رسالة في الفقه الشيعي \* حاشية في تفسير البيضاوي \* شروح وهوامش لمقالات شتى \* إشارات ومحاکمات \* المجسطي \* الشقاء والطول \* تحفة شاهي \* قلشداني راز \* رسالة بلاكي \* شرح في التهذيب \* دار المعاد...

## ظافر الحداد

(ت: ٥٢٩هـ / ١١٣٤م)

هو ظافر بن القاسم بن منصور بن عبد الله بن خلف بن عبد الغني الجذامي الحداد.

كان من الشعراء المجيدين. وله ديوان شعر أكثره جيد، روى عنه الحافظ السلفي وغيره من الأعيان.

ذكر له العماد الأصفهاني الكاتب في [خريدة القصر وجريدة العصر]<sup>(١)</sup> العديد من المقطوعات الشعرية نختار منها ما يلي:

بمنازل الفسطاط حل فؤادي      فاربع على عرصاتهم وناد  
يا مصر هل عرضت لغصن فوقه      قمر بربعك إربة لمعادي

(١) قسم شعراء مصر ج/٢، ص ١.

بقوام خطوط الباناة المياد  
 فعذبن منه مياه ذاك الوادي  
 يروي وذاك يزيد كرب الصادي  
 أوطان أحبابي، وأهل ودادي  
 وأودها شفقاً، ولسن بلادي  
 سوداء ترفل في ثياب خداد  
 وأبيت من أملي على ميعاد  
 حديق الأطباء الغيد قيد الغادي  
 شملي، وصحت به بداد بداد  
 ما بين منى توأم وأحاد  
 فوق الخدود عصارة الفرصاد

تترف يميله الصبا ميل الصبا  
 أتري أنال الليل بعض رضابه  
 فأفاد منه الطعم لكن شرب ذا  
 وهاً على تلك الديار فإنها  
 ولقد أحن لها ولسن منازلني  
 دمن لبست بها الشباب ولمتي  
 والعيش أخضر، والديار قريبة  
 والقلب حيث القلب رهن والظبا  
 شتت شمل الدمع لما شتتوا  
 فالآن تخترق الجفون عبابه  
 قاني المسيل كأن فيض غروبه

وقال:

هل غير وقتك للدموع أو ان  
 تدعوه من سنن الهوى بهتان  
 عدل فماذا ينفع الكتمان؟  
 فالآن قد وقع الفراق وبانوا  
 سفر وبين جفونه طوفان

هذا الفراق وهذه الأظعان  
 إن لم تفضها كالعقيق فكل ما  
 هذا الغرام على ضميرك شاهد  
 إن كنت تدخر الدموع ليينهم  
 غدر المتيم إن يكون بقلبه

ومن شعره:

وسنان أو فقريب العهد بالرمد  
 على كتيب كموج الرمل مطرد

في لحظها مرض للتيه تحسبه  
 تريك ليلاً على صبح على غصن

وله مما يغني به:

واين ملامك من مسمعي  
 غراماً تمكن من أضلعي  
 وأنت تقدر أن جناني معي

عتبت ولكنني لم أع  
 وما قدر عتبك حتى يزيل  
 وما دام لومك إلا



مضى كي يودع سكانه غداة الفراق فلم يرجع  
فؤادي في غير ما أنت فيه فخذ في ملاحقه أو دع  
وله :

أرى الشر طبع نفوس الانام يصرفها بين عار وذام  
فإن كان لا بد من قربهم فزرهم على حذر واتهام  
وما ذاك إلا كأكل المريض شهوته من أضر الطعام  
وقد ينتهي شر من لا تخاف إلى غاية في الأذى لا ترام  
كما يقتل النمل وهو الضعيف شبل الهزبر البعيد المرام  
وما للرماح على طولها - مع البعد - فعل قصار السهام

### طلّاع بن رزيك

(ت : ٥٥٦هـ / ١١٦٠م)

أرمني الأصل .

ملك مصر واستقل بالأمور في عهد الخليفة الفائز . ولما مات الفائز  
وبويح العاضد استمر ابن رزيك وزيره ، وزوجه ابنته ، وكان صغيراً ، فاستبد  
بالأمر دونه ، وقطع أرزاق الخاصة فدبرت له مؤامرة لقتله فقتل سنة ٥٥٦هـ .

كان فاضلاً سمحاً في العطاء ، سهلاً في اللقاء ، محباً لأهل الفضائل ، جيد  
الشعر . له ديوان شعر في جزأين<sup>(١)</sup> . وأكثر أشعاره في مدح آل البيت .

قيل إنه كان يرى القدر وصنف كتاباً سماه [الاجتهاد في الرد على أهل  
العناد] . ذكر له العماد الكاتب الأصفهاني مقطوعات شعرية كثيرة اخترنا منها ما  
يلي<sup>(٢)</sup> :

ومهفهف ثمل القوام سرت إلى أعطافه النشوات من عينيه

(١) ابن خلكان - وفيات الأعيان ج ٢ ، ص ٣١١ .

(٢) خريدة القصر وجريدة العصر قسم شعراء مصر ج ١ ، ص ١٧٣ .



سيفاً غداة الروع من جفنيه  
فيهم وقلبي الآن طوع يديه  
ويجور سلطان الغرام عليه  
في ورده ألقى فيه لا لاميته  
أصداغه نفضت على خديه  
مستقبح لفررت منه إليه

ماضي اللحاظ كأنما سلت يدي  
الناس طوع يدي وأمري نافذ  
فاعجب لسلطان يعم بعدله  
قد قلت إذ كتب العذار بخده  
ما الشعر للاح بعارضيه وإنما  
والله لولا اسم الفرار وأنه

وقال :

ورد جني حمته أسهم المقل  
عين الرقيب وكلت ألسن العذل  
فعاد يخلف ما قد من بالخجل  
يمل إليّ أجده غاية الأمل  
ورحت من لحظات الظبي في وجل  
بحد سيفي وضافت في الهوى حيلي

وفاتر الطرف في الخد الأسيل له  
نهبتة بقمي لثماً وقد غفلت  
وخاف أن يفظن الواشي بنا وبه  
إن مال عني فقد مال النعيم وإن  
هابت سطاي ليوث الغاب غادية  
فرجت ضنك الوغى في كل معركة

وقال :

وحل الباز في وكر الغراب  
وما ناب النوائب عنك ناب  
وقد أنفقت منه بلا حساب

مشييك قد نضا صبغ الشباب  
تنام ومقلة الحدثان يقظى  
وكيف بقاء عمرك وهو كنز

وذكر زين الدولة الحسين ابن الوزير أبي الكرام، أن الصالح بن رزيك  
كتب إلى والده بعد عوده من مصر إلى الشام سنة إحدى وخمسين :

فإنكم في صميم القلب سكان  
صدورنا عوض الأوطان أوطان  
دار وأنتم لنا بالسود جيران  
عنا وشخصكم للعين إنسان

أحباب قلبي إن شط المزار بكم  
وإن رجعتم إلى الأوطان إن لكم  
جاورتهم غيرنا لمانات بكم  
وكيف نساكم يوماً لبعدكم

ومن شعره :

أترك تطلب عندنا إحنا

يا دهر حسبك ما فعلت بنا



كم ننتيك بكل سابغة  
ما تنفع الدرع الحصينة من  
عما قليل يلبس الكفنا  
كلا ولا الأيام تقبل عن  
أرواحنا رشواً ولا ثمننا  
لوبالثر يا حل معتصم  
منها لكان له الثرى وطنا  
ولقد يهون ما أصابكم  
فقد الحسين الطهر والحسنا  
أيدي زمانهم هنا وهنا  
وبنيهم إذ طوحت بهم  
في فعله بهم فكيف أنا  
وأرى الأئمة جار دهرهم  
أصبحت في الأجدات مرتها  
لي أسوة بهم الغداة إذا

### ابن الكيزاني

(ت: ٥٦٠ هـ وقيل ٥٦١ / ١١٦٤ م)

هو الفقيه أبو عبد الله محمد بن إبراهيم بن ثابت بن إبراهيم بن فرح الكناني، المعروف بابن الكيزاني. أهم شاعر صوفي ظهر بمصر قبل ابن الفارض.

كان زاهداً ورعاً. أحدث طريقة خاصة اعتنقها كثيرون. له ديوان شعر كبير أكثره في الزهد.

وصفه العماد الأصفهاني بقوله: فقيه واعظ مذكر حسن العبارة، مليح الإشارة لكلامه رقة وطلاوة، ولنظمه عذوبة وحلاوة<sup>(١)</sup>.

من المقطوعات التي ذكرها العماد الأصفهاني في [خريدة القصر] نختار ما يلي:

سواء أن تلوما أو تريحنا  
رأيت القلب لا يهوى نصيحا  
أمالو ذقتما صرف الليالي  
إذن لعذرتما القلب القريحا  
وكانت فرقة الأحباب ظناً  
فأصبح بينهم خيراً صريحا

(١) العماد الأصفهاني - خريدة القصر قسم شعراء مصر ج/٢، ص ١٨.

لما استنشقت للسلامات ريحا  
 غناء من حمائمها فصيحاً  
 وكنت بدمعها أبداً شحيحاً  
 وصنت مع النأي وداً صحيحاً  
 وقد ترك الهوى صدراً قريحاً

ولو لم ينزلوا سلامات نجد  
 ولا أهديت للأسماع يوماً  
 وها أنا قد سمحت بدمع عيني  
 وأمكنت المحبة من قيادي  
 وقد سكن الجوى قلباً صحيحاً

وقوله :

ننوح على الطلل المدارس  
 يترجم عن حرق البائس  
 لدى ملعب بالدمى آنس  
 يفوق على الغصن المائس

بربكما عرجا ساعة  
 فيض الدموع على رسمه  
 وعهدي بغزلانه رتعاً  
 ولي فيهم شادن أهيف

وقال :

مسالمة ما بيننا وجميل  
 فما بال ميعاد الوصال يطول  
 وأنتم على نقض العهود نزول  
 بعيشكم ماذا هناك يقول  
 شهيد لنا إذ ليس عنه نزول  
 فيطمع واش أو يلج عذول  
 وما عاشق منا بذاك بخيل  
 وإن كان فيكم هاجر وملول  
 وهذا محب في هواه ذليل  
 وهجر وسقم دائم ونحول  
 وإن جار بين أو جفاك خليل  
 وما حضرتنا للوداع عقول  
 تداركهم بعد الرحيل رحيل

أسكان هذا الحي من آل مالك  
 ألم تعدونا أن تزوروا تكرماً  
 وحلتم عن الوعد الجميل ملالة  
 إذا قيل من تهوونه صار خائناً  
 وإننا لنستقي المودة والهوى  
 ولا تحسبوا العتبي عليكم توجعاً  
 رضينا رضينا أن تبيح نفوسنا  
 وما منكم بد على كل حالة  
 كذاك الهوى : هذا حبيب معزز  
 ووجد وشوق وارتياح ولوعة  
 دواعي الهوى محتومة فاصطبر لها  
 علمنا بوشك البين أول حالة  
 إذا ما طمعنا أن تقرر ديارهم



## المهذب بن الزبير (ت: ٥٦١هـ / ١١٦٥م)

ويعرف أيضاً باسم القاضي المهذب.

اسمه الكامل أبو محمد الحسن بن علي بن الزبير. اختص بطلائع بن رزيك. له كتاب [الأنساب] وهو كتاب كبير أكثر من عشرين مجلداً. وهو غاية في معناه. وله تفسير في خمسين مجلدة.

لم يكن في زمانه أشعر منه، وشعره محكم كالبناء المشيد<sup>(١)</sup>.

من شعره: قال يمدح آل رزيك:

أَوْ لَا فَخَذَ لِي أَمَانًا مِنْ يَدِ الْمُقَلِّ  
أَلْحَاطُهُ «رُبَّ رَامٍ مِنْ بَنِي تُعَلِّ»  
فَرُبَّمَا صَحَّتِ الْأَجْسَامُ بِالْعِلَلِ  
نَظِيرٌ مَا فِي جَفَوْنَ الْبَيْضِ وَالخِلَلِ  
إِلَّا كَمَا اشْتَبَهَا فِي الْفِعْلِ وَالْعَمَلِ  
جَسْمِي الَّذِي بَعْدَ بُعْدِ الطَّاعِنِينَ بُلِي  
عَجِبْتَ مِنْ طَلَلِ بِيكِي عَلَى طَلَلِ  
قَمِيصِ يَوْسُفَ يَوْمًا قَدَّ مِنْ قُبُلِ  
لِحُسْنِهَا فَلَهَا حَلِيٌّ مِنَ الْعَطَلِ  
لَهَا عَلَى الْخَدِّ آثَارٌ مِنَ الْقُبُلِ  
مِنْ عَزْمِهِ مَا بِهِ مِنْ حَمْرَةِ الْخَجَلِ  
زَهْوًا فَيَفْتِكُ بِالْأَسْيَافِ وَالِدَوْلِ  
غَمْدِ الدَّمَاءِ عَلَيْهِ هَامَةُ الْبَطْلِ  
رَأَيْتُ كَيْفَ اقْتَرَانِ الرِّزْقِ بِالْأَجْلِ

أَقْصَرُ - فِدَيْتُكَ - عَنْ لُومِي وَعَنْ عَذْلِي  
مِنْ كُلِّ طَرْفٍ مَرِيضِ الْجَفْنِ تَنْشِدُنَا  
إِنْ كَانَ فِيهِ لَنَا وَهُوَ السَّقِيمُ شَفَا  
إِنَّ الَّذِي فِي جَفَوْنَ الْبَيْضِ إِذْ نَظَرْتُ  
كَذَاكَ لَمْ يَشْتَبِهْ فِي الْقَوْلِ لَفْظُهُمَا  
وَقَدْ وَقَفْتُ عَلَى الْأَطْلَالِ أَحْسَبُهَا  
أَبْكِي عَلَى الرَّسْمِ فِي رَسْمِ الدِّيَارِ فَهَلْ  
وَكُلِّ بِيضَاءٍ لَوْ مَسَّتْ أَنْسَامُهَا  
يُغْنِي عَنِ الدَّرِّ وَالْيَاقُوتِ مَبْسُمُهَا  
بِالْخَدِّ مَنِّي آثَارِ الدَّمُوعِ كَمَا  
كَأَنَّ فِي سَيْفِ سَيْفِ الدِّينِ مِنْ خَجَلِ  
هُوَ الْحَسَامُ الَّذِي يَسْمُو بِحَامِلِهِ  
إِذَا بَدَا عَارِيًّا مِنْ غَمْدِهِ خَلَعْتَ  
وَإِنْ تَقَلَّدَ بَحْرًا مِنْ أَنْسَامِهِ

(١) العماد الأصفهاني - خريدة القصر قسم شعراء مصر ج/١، ص ٢٠٤.



في أنمُلٍ هي سَحْبُ العارضِ الهطلِ  
بآيةٍ لم تكن في الأعصرِ الأولِ  
شُهْبُ القنا في سماءِ النقعِ لم تفلِ  
قُ البيضِ خلفِ سجوفِ النقعِ في الكللِ  
لاحت لهم بتلظي تلك كالتَّشْعِلِ  
حتى لقوا التَّجَلُّلِ عند العرضِ بالتَّجُلِّ  
وطاعن العُربِ أعرابٌ من الأسلِ  
ل البيضِ ما هزَّ أعطافِ القنا الخِطَلِ  
أصواتِ مُعَبِّدِ في الأهزاجِ والرَّمَلِ  
أفعالهم، فهي تمشي مِشِيَةَ الثَّمَلِ  
إلى الطَّعانِ جريحِ الصدرِ والكفَلِ  
لكنها لو بغتها الريحِ لم تُنَلِ  
عداك غيرِ صليلِ البيضِ في القُلَلِ  
أنصارِ لولاك لم ينطق ولم يُقَلِ  
فضاق منها عليه أوسعِ السُّبُلِ  
يُرْجِي الجليلِ لدفعِ الحادثِ الجَلَلِ  
جلَّت ولي من بني رزِيك كلُّ ولي  
نابت، بنهضةٍ ماضي العزمِ مُرتَجَلِ؟  
ل الحرِّ بالعزِّ وخذ الأينقِ الدُّلَلِ  
بالعجزِ خوفِ الردى نفسٌ فلم تُبَلِ  
فما أبيت على يأسٍ ولا أملِ  
مني طروقِ الليالي عودِ مُكْتَهَلِ  
قدماً وما جاوزت بي سنَّ مُقْتَبَلِ  
وأين ضوءِ الضحى من ظلمةِ الأُصَلِ  
تعاظم لينالِ المجدِ بالجِئَلِ  
ظناً ويصغر في الأفهامِ عن زُحَلِ

من السيوف التي لاحت بوارقها  
فجاءنا لبني رزِيك معجزُها  
تبدو شمساً هم أقمارها وترى  
قد غايرت فيهم السمرِ الرقاقِ رقا  
إن عانقوا هذه في يومِ معركةٍ  
وقد لقوا كل من غاروا بمُشَبِّهِ  
وضارب الرومِ رومٌ من سيوفهم  
وهزَّهم لصهيلِ الخيلِ تحتِ صهيدِ  
فالدُمِ خمراً وأصواتِ الجيادِ لهم  
والخيلِ قد أطربتها - مثلما طربوا -  
من كل أجردِ مختالِ بفارسه  
وكل سلَهَبَةٍ للريحِ نُسَبَّتُها  
أفارسِ المسلمين أسمع فلا سمعتِ  
مقالِ ناءِ غريبِ الدارِ قد عدمِ ال  
يشكو مصائبِ أيامِ قد اتسعتِ  
يرجوك في دفعها بعد الإلهِ وقد  
وكيف ألقى من الأيامِ مزرزئةً  
لولاهم كنت أفري الحادثاتِ، إذا  
وكيف أخلع ثوبِ الذلِّ حيث كَفِي  
فما تخافِ الردى نفسِي وكم رضيتِ  
إني امرؤٌ قد قتلتِ الدهرِ معرفةً  
إن يروِ ماءِ الصِّبا عودي فقد عجمتِ  
تجاوزت بي مدى الأشياخِ تجربتي  
وأولِ العمرِ خيرِ من أواخره  
دونِي الذي ظنَّ أني دونه فله  
والبدرِ تعظم في الأبصارِ صورتهُ

ما ضرَّ شعريّ أني ما سبقت إلى (أجاب دمعي وما الداعي سوى طلل)  
 فإن مدحي لسيف الدين تاه به زهواً على مدح سيف الدولة البطل  
 وقال:

كأن قدودهم أنبتت  
 حججنا بها كعبة للسرور  
 فطوراً أعانق أغصانها  
 على عاتقٍ إن خبت شمسنا  
 وإن ظهرت لك محجوبة  
 كميئت من الراح لكنما  
 إذا وجدت، حلبة للسرور  
 يطوف بها بابليّ الجفون  
 إذا ما ادّعت سقماً مقلته  
 بكأس إذا ما علاها المزاج  
 كأنّ الحباب وقد قلّدت  
 ومُسمِعة مثل شمس الضحى  
 وراقصة رقصها للضحون  
 ولما طوى الليل ثوب النهار  
 جلونا عرائس مثل اللّجين  
 وصاغت مدامها حليلة  
 رماحاً من الشمع تفري الدجى  
 بها ما بأفئدة العاشقين  
 وقد أشبهت رُقباء الحبيب  
 وفيها دليل بأن النفوس

ومن شعره ما أورده أخوه في (الجنان) وهو قوله:

لم تنل بالسيوف في الحرب إلا مثلما نلت باللواحظ منّا

وعيون الظُّبَا ظُباً وبهذا سُمِّي الجفن للتشابه جَفْنَا  
وقوله:

وقد أنكروا قتلي بسيف لحاظه  
وقالوا دع الدعوى فما صحَّ شاهدُ  
ولو كان حقاً ما تقول وتدعي  
وما علموا أن الحسام بسفِكِه  
ولو أنصفوني ما استطاعوا له جحدا  
عليها ولسنا نقبل الكفّ والخدا  
على مقلتيه عاد نرجسها وردا  
دم القِرْن يوماً عُدَّ أمضى الظُّبَا حدًا

### الجليس بن الحباب

(ت: ٥٦١هـ / ١١٦٥م)

يعرف باسم القاضي الجليس. من ذرية بني الأغلب سلاطين إفريقية.  
تولى ديوان الإنشاء مع الموفق بن الخلال في عهد الوزير طلائع بن رزيك.  
«كان أوحده عصره في مصر نظماً ونثراً، وترسلاً وشعراً».

من شعره ما قاله على سبيل المداعبة في طيب يقال له ابن السديد:

وأصل بليتي من قد عزاني  
طيب طبه كغراب بين  
أتى الحمى وقد شاخت وباحت  
ودبرها بتدبير لطيف  
وكانت نوبة في كل يوم  
ومن أبياته في الغزل:

مرهفات جفونهن الجفون  
وعيون قد فاض منها عيون  
رب بيض سللن باللحظ بيضا  
وخدود للدمع فيها خدود

ومن شعره في العتاب والاستبطاء والشكوى قوله:

فكري فما أحسنت قط ثوابها  
أسماع إلا فتحت أبوابها  
كم من غريبة حكمة زارتك من  
جاءتك ما طرقت وفود جمالها ال

فتتك إعجاباً فحين هممت أن تحبو سويداء الفؤاد صوابها  
وأفتك من حسد وساوس حكمة جعلت لعينك كالمشيب شبابها  
فثنيت طرفك خاشعاً لا زاهداً ورددها تشكو إليّ مآبها  
وأراك كالعينين هم بكاعب بكر وأعجزه النكاح فعابها  
وقال يرثي أباه، ومات غريقاً في البحر لريح عصفت:

وكنت أهدي مع الريح السلام له ما هبت الريح في صبح وإمساء  
إحدى ثقتاي عليه كنت أحسبها ولم أخل أنها من بعض أعدائي

### الرشيد بن الزبير

(ت: ٥٦٣هـ / ١١٦٧م)

هو أبو الحسين أحمد ابن القاضي الرشيد أبي الحسن علي ابن القاضي الرشيد أبي إسحاق ابراهيم بن محمد بن الحسن بن الزبير الغساني الأسواني، المعروف باسم القاضي الرشيد شقيق القاضي المذهب.

«كان ذا علم غزير، وفضل كبير. كاتباً شاعراً فقيهاً نحوياً لغوياً ناشئاً عروضياً مؤرخاً منطقياً مهندساً عارفاً بالطب والموسيقى والنجوم متفنناً»<sup>(١)</sup>.

ولد بأسوان وهاجر منها الى مصر فاتصل بملوكها ومدح وزراءها وتقدم عندهم. أنفذه الخليفة الحافظ الى اليمن داعياً له سنة ٥٣٩هـ / ١١٤٤م. ولي النظر بشعر الاسكندرية في الدواوين السلطانية سنة ٥٥٩هـ / ١١٦٣م. قتله الوزير شاور سنة ٥٦٣هـ / لميله إلى أسد الدين شيركوه.

ترك الرشيد عدداً من المصنفات منها: كتاب منية الالمعي وبلغة المدعي، كتاب المقامات، كتاب جنان الجنان ورياض الأذهان، كتاب الهدايا والطرف<sup>(٢)</sup>، كتاب شفاء الغلة في سمت القبلة، كتاب رسائله، ديوان شعره.

(١) ابن خلكان - وفيات الأعيان ج/١، ص ١٦٠.

(٢) نشرت وزارة الاعلام الكويتية كتاباً للرشيد بن الزبير بعنوان الذخائر والتحف.



من شعر الرشيد، قوله يجيب أخاه المهذب عن قصيدته التي أولها:

يَا رَبُّعُ، أَيْنَ تَرَى الْأَحَبَّةَ يَمَّمُوا رَحَلُوا، فَلَا خَلَّتِ الْمَنَازِلَ مِنْهُمْ  
وَيُرَوَّى: وَنَاوَأُ فَلَا سَلَّتِ الْجَوَانِحَ عَنْهُمْ

وضياء نور الشمس ما لا يُكْتَمُ  
رَوَّتْ جفوني أيّ أرضٍ يَمَّمُوا  
نزلُوا، وفي قلب المُتَيَّمِ خِيَمُوا  
نار الغرام، وسَلَمُوا من أسَلَمُوا  
أو أَيْمَنُوا، أو أنجدوا، أو أتهموا  
بُعْدَ المزار فصفو عيشي معهم  
عندي، ولكنَّ التفرُّقَ أعظمُ  
جفني، ولكنَّ سَحَّ بعدكمُ الدَّمُ  
هيهات، لا لُقِّيْتُمْ ما قُلْتُمْ  
قلتُ: الذين هم الذين هم هم  
وسط السَّويدا، والسَّواد الأكرمُ  
أني حفظت العهد، لَمَّا خُنْتُمْ  
أَجْرْتُمْ، وسهدت، لَمَّا نِمْتُمْ  
رفقاً، ففيه نار شوقٍ تُضرمُ  
لا تنظفي إلا بقربٍ منكمُ  
دمعي، إذا ضنَّ الغمامُ المُرزمُ  
وعُهودكم محفوظةً، مُذْ غِبْتُمْ  
حَكْمَتَهُمْ في مهجتي فتحكَّمُوا  
فلطالما حفظ الوداد المُسلمُ  
عن بعض ما يلقي الفؤادُ المُغرَّمُ  
جرمٌ ولا سبب لمن تنظلمُ؟  
ونأيتم، وقطعتُم، وهجرتُم  
يسلو عن البيت الحرام المُحرَّمُ؟

وسرُوا، وقد كتموا الغداة مسيرهم  
وتبدَّلوا أرض العقيق عن الحمى  
نزلُوا العذيب، وإنما في مهجتي  
ما ضرَّهم، لو ودَّعُوا من أودعوا  
هم في الحشا إن أعرقوا أو أشأموا  
وهم مجال الفكر من قلبي وإن  
أحبابنا، ما كان أعظم هجركمُ  
غِبْتُمْ، فلا والله ما طرق الكرى  
وزعمتُم أنني صبور بعدكمُ  
وإذا سئلتُ بمن أهيمُ صبايةً  
التَّازِلين بمهجتي وبمقلتي  
لا ذنب لي في البعد أعرفه سوى  
فأقمت، حين ظعنتم، وعدلتُ، لم  
يا مُحرقاً قلبي بنارِ صُدرهمُ  
أسعرتُم فيه لهيب صبايةٍ  
يا ساكني أرض العذيب سُقيتُمُ  
بعُدتُ منازلكمُ وشطَّ مزاركمُ  
لا لوم لأحبابٍ فيما قد جنوا  
أحباب قلبي أعمروه بذكركمُ  
وأستخبروا ريح الصبا تُخبركمُ  
كم تظلمونا قادرين، وما لنا  
ورحلتُم، وبعُدتُم، وظلمتُمُ  
هيهات لا أسلوكمُ أبداً، وهل

وأنا الذي واصلتُ، حين قطعتمُ  
 جار الزمان عليّ، لمّا جرتمُ  
 وغدوتُ بعد فراقكم، وكأني  
 ونزلت مقهوراً الفؤاد ببلدة  
 في معشر خلّفوا شُحُوص بهائم  
 إن كورموا لم يُكرموا، أو علّموا  
 لا تنفق الآدابُ عندهم ولا الـ  
 صمٌّ عن المعروف حتى يسمعوا  
 فالله يُغني عنهم، ويزيد في  
 وحفظتُ أسباب الهوى، إذ خنتمُ  
 ظلماً، ومال الدهر، لمّا ملتمُ  
 هدف يمرُّ بجانيه الأسهمُ  
 قلّ الصديق بها وقلّ الدرهمُ  
 يصدى بها فكر اللّيب ويهمُ  
 لم يعلموا، أو خوطبوا لم يفهموا  
 إحسان يُعرف في كثيرٍ منهمُ  
 هُجر الكلام فيقدّموا ويقدموا  
 زُهدي لهم، ويفكُّ أسري منهمُ

### ابن قلاقس

(ت: ٥٦٧هـ / ١١٧١م)

نصر الله بن عبد الله بن علي الأزهري، الأعز أبو الفتوح، المعروف بابن قلاقس.

شاعر اسكندري، رحل إلى صقلية وبقي بها نحو عامين ثم رجع إلى مصر وتركها إلى اليمن ومات بعيداب بعد رجوعه منها.

ويعتبر ديوانه الذي نشرته مطبعة الجوائب سنة ١٩٠٥م بتحقيق شاعر القطرين المرحوم خليل مطران، أول ديوان شعر كامل وصلنا عن العصر الفاطمي<sup>(١)</sup> له كتاب بعنوان [الزهر الباسم من أوصاف أبي القاسم].

من شعره القصيدة السيارة التي مطلعها:

ألق بنفسج فجري وردتي شققي  
 قد عطل الحسن من أسمار أنجمه  
 قم هات جامك شمساً عند مصطبج  
 كافورة الصبح فتت مسكة الغسق  
 فاعقد بخرمك فينا حليلة الأفق  
 وخل كأسك نجماً عند مغتبق

(١) مجموعة من الأساتذة - الأدب العربي في آثار الدارسين ص ٢٤٢.



فإن للزند حلياً ليس للعنق  
في نكهة من نسيم الروضة العبق  
فخضرة الورق في مخضرة الورق  
فالخمر من عسجد والماء من ورق  
فتحت بالمنزج ما تعلوه من حدق  
لم يبق في ولا فيها سوء الرمق  
ثلاثة كلها من لؤلؤ نسق  
ما يأخذ النوم من أجفان ذي أرق  
إني سلمت - ولم أشعر - من الغرق  
أطفأت في برده مشبوبة الحرق  
من ساكني الجزع مع ما فيه من قلق  
وإنما اعجب لبعض الجسم كيف بقي  
فماله صار مقطوعاً على السرق

واقسم لكل زمان ما يليق به  
هبّ النسيم وهبّ الريم فاشتركا  
واسترقصتني كاسترقاص حاملها  
وبت بالكأس أغنى الناس كلهم  
كم وردت وجنات الصرف في قدح  
يسعى بهارشأ عيناه قدرمقت  
حبابها وأحاديثي ومبسمه  
حتى إذا أخذت مني بسورتها  
ركبت فيه بحاراً، من عجائبها  
ولم أزل في ارتشافي منه ريق فم  
يا ساكني القلب عما قد رحبت به  
لا تعجبين لكل الجسم كيف مضى  
لم أسترق بمنامي وصل طيفهم

ومن قصيدة الوردية الثانية كلمة مطلعها:

فاشق به إن شئت أو فانعم  
خفق لواء البطل المعلم  
سقطه جلّ الفرس الأدهم  
أغضى على مدمعه المثجم  
من قلعة سافحة بالدم  
عن ذلك الدينار والدرهم  
بين فرادى منه أو توأم  
تعبق رياه وممن منسم  
إلى حياء وحياء ينتمي  
وبين خيريّ إلى حيرم  
يفتك فيه الطبي بالضيغم  
مجرداً من شملة المحتمي

نعم هو البرق على الأنعم  
لاح بأعلى هضبة خافقاً  
وزل عن صهوة طرف الدجى  
حتى إذا قابل وادي الغضا  
واستقبل السطح وكم فوقه  
فحينما شق كنوز الربى  
قام نساء الحي يجنينه  
فأشكل النوران من مبسم  
واشتبه الروضان في نضرة  
ما بين جنات إلى أعين  
ومعرك بينهم لم يزل  
بين حمى بات كليب به



وهو مباح ليد أو فم  
غلطتم في كبد المغرم  
خفف عنكم ثقل المغرم  
كأنه ملتقط العندم  
معدودة من جملة الأسهم  
يسأل فيها معشري عن دمي  
كأسر بالدهية الصيلم  
بضربة مثل دم الأهم  
تأبط الضيغم بالأرقم  
شقت على الحافر والمنسم  
عنه بلا أجر ولا مغنم  
شنشنة تعرف من أخزم  
مجد أبي القاسم لم أقسم  
تستجلب الحمد من المرزم  
مدائح في المجمال المنعم  
تحل ما يحرم للمحرم  
بيابه مجتمع الموسم  
أضعاف ما للماء من زمزم  
فيزدري بالزاهر الخضرم  
هدى جهول وغنى معدم

يمنع ضيف العين منه القري  
يا عاقري النيب لضيفانهم  
أتلقتم قلبي فماذا الذي  
كم من دم بات به حيكم  
وكم عيون أصبحت عندكم  
لا طرقت ربكم غارة  
ولا سرت نحوكم أسرة  
من كل من تصدر أسيفه  
يقول إن جرّ كعوب القنا  
لولم تكن من فتكات الهوى  
ما هذه أول ما ردّني  
فحل عن عتبك لي إنها  
أقسمت بالله ولولا علا  
إن ابن حمود له راحة  
المجمال المنعم إن حيرت  
والكعبة الغراء لكنّها  
في كل يوم لسوفود الندى  
للمال من راحته عندهم  
يفيض بحر الجود من كفه  
سائله أو سله تجد عنده

ومنها:

ما احتاج ساريه إلى الأنجم  
تنطق بالشكر فم الأبكّم  
يقول راجيه له تمّم  
سالمه وارجع دونه تسلّم  
فكيف من كان بلا سلم

ولو أعار الليل آراءه  
فضائل كادت لإفراطها  
ما بدأ الإحسان فاحتاج أن  
يا من يجاريه إلى غاية  
لا يرتقي للنجم ذو سلم

ياسيداً أفعاله غرة فوق جبين الزمن الأدهم  
صم وافر الأجر و صم حاسداً يشجوه قولي لك صم أو صم  
وابق وزد واعل وسد واصطنع واردف وجد وابدأ وعد واسلم

## عمارة اليمني

(ت: ٥٦٩هـ / ١١٧٣م)

هو أبو محمد بن أبي الحسن علي بن زيدان بن أحمد الحدقي الحكمي .  
تفنن في علم الأدب وصار من أعيان زمانه فيه . صاحب الملوك آل زريع مدة ثم  
استقر بمصر واتصل بالخلفاء الفاطميين ومدحهم .

من مؤلفاته: [مفيد عمارة] وهو كتاب يتضمن أخبار جزيرة اليمن<sup>(١)</sup> .  
ذكره آخرون باسم أخبار اليمن، [النكت العصرية] في أخبار وزراء الدولة  
المصرية<sup>(٢)</sup> . وله ديوان شعر جيد يتضمن قصائد في مدح الخلفاء الفاطميين  
كالفائز والعاقد، وأعيان دولتهم كشاور وبني رزيك والقاضي الرشيد وأشعار  
يمدح بها الزريعيين ملوك اليمن وخواص دولتهم كالأديب أبي بكر العيادي  
وبلال المحمدي وولده ياسر وبعض آل أبي عقامة . وديوانه مشهور وشعره رائق  
مؤنق .

قتله صلاح الدين الأيوبي بسبب حبه للفاطميين . وخبر ذلك أنه لما قضى  
صلاح الدين على الدولة الفاطمية أخذ عمارة يكثر ذكرهم والتأسف عليهم  
والدعاء على من كان سبباً لهلاكهم وقال فيهم:

لما رأيت عِراضَ الحيِّ خاليةً عن الأنيس وما في الرِّبعِ سادات  
أيقنتُ أنهم عن ربعمهم رحلوا وخلفوني وفي قلبي حرارات  
سألت أبلهَ قلبي في السُّلُوِّ وقد يقال للبله في الدنيا إصاباتُ  
فقال رأبي ضعيف لا يطاوعني كيف السُّلُوُّ وأهل الفضل قد ماتوا

(١) أبي مخرمة - تاريخ ثغر عدن ص ١٦٥ ، وذكره آخرون باسم أخبار اليمن .

(٢) المرجع السابق، ص ١٦٦ .

ياربَّ إن كان لي في قربهم طمعٌ عَجَّلْ بذلك فلتسويف آفاتُ

ولما وصلت هذه الأبيات إلى مسامع صلاح الدين أمر بشنقه فشنق بخزانة  
البنود في ١٢ رمضان من سنة ٥٦٩هـ / ١١٧٣م .

من شعره . قال يمدح الخليفة الفائز :

حمداً يقوم بما أولت من النعم  
تمنّت اللّجُم فيها رتبة الخُطمِ  
حتى رأيت إمام العصر من أممِ  
وفداً إلى كعبة المعروف والكرمِ  
ما سرت من حرم إلا إلى حرمِ  
بين التّقيّضين من عفوّ ومن نقمِ  
تجلو البغيّضين من ظلمِ ومن ظلمِ  
على الحقيقيّين من حكمِ ومن حكمِ  
مدح الجزيلين من بأسِ ومن كرمِ  
على الحميدين من فعلِ ومن شيمِ  
يد الرفيعين من مجدِ ومن هممِ  
فوز النجاة وأجر البرّ في القسمِ  
وزيره الصالح الفرج للغمِ  
عجز الملوّك وبعض الحظ والقسمِ  
إلا يد الضّيعتين السيف والقلمِ  
على العقاب وبعض العفو كالنّقمِ  
تُغير أنف البرايا عزة الشّمِ  
عقود شهب فما أرضى لها كلمي  
عند الخلافة نصحاً غير متهمِ  
قراية من جميل الرأي لا الرّجِمِ  
ظلاً على مفرق الإسلام والأُممِ

الحمد للعيس بعد العزم والهمم  
لا أجحد الحقّ عندي للركاب يدُ  
قرّبن بُعد مزار العزّ من نظري  
ورُحن من كعبة البطحاء والحرم  
فهل درى البيتُ أتى بعد فرقتهِ  
حيث الخلافة مضروب سُرادقها  
وللإمامة أنوار مقدسة  
وللثبوة آيات تدل لنا  
وللمكارم أعلام تُعلمنا  
وللعلی السُنُّ نُثني محامدها  
وراية الشرف البذاخ تحملها  
أقسمتُ بالفائز المعصوم معتقداً  
لقد حمى الدين والدنيا وأهلها  
الجامع الحسنات البيض برّقاها  
واللابس الفخر لم تنسج غلائله  
والمُوسّع الناس عفواً وهو مقتدرُ  
قد ملكته اللّيالي زقّ مملكة  
ليت الكواكب تدنولي فأنظّمها  
تري الوزارة فيه وهي باذلة  
عواطفُ أعلمتنا أن بينهما  
خليفةٌ ووزير مُدّ عدلُهما

وقال يمدح العاضد:

ووارث علم التحل والنمل والحجر  
تُشاهد أنوار الهدى وهي لا تدري  
غدا باسماً عن غرة العاضد الطهر  
كمالاً وما أربى سنيناً على العشر  
فيا غيرة الشعري عليه من الشعر  
مدحناه بالقرآن في التّظم والتّشر  
تُطرق للإحسان بين يدي شعري  
على وجهه نور الطّلاقة والبشر  
على طلعة أبهى من الشمس والبدر  
تزورك من صوم شريف ومن فطر  
بعام إلى عام وشهر إلى شهر  
فأنوارها تسري وأنهارها تجري  
وقد عدّه فرعون قاصية الفخر

سُجوداً فهذا صاحب الرُّكن والحجر  
وهمساً لأصوات وغمضاً لأعين  
ألا جذا دستُ الخلافة كلّماً  
إمام الهدى أربى على كل غاية  
إذا نحن شرفنا القوافي بذكره  
ولو قدرت أفعاله حقّ قدرها  
ولكن أقول المدح شكراً للنعمة  
مناقب وضّاح الأسرة لم يزل  
ألست ترى ما أحسن التاج دائراً  
تملّ أمير المؤمنين مواسماً  
يوصلها سعدٌ لجذك مقبل  
وقد خدمت سلطانك الأرض والسّما  
تنزّهت عن فخر بمصر ومُلْكها

ولما انقضت أيام بني رزيك وزراء الفاطميين واستولى شاور على الوزارة  
وجلس أول يوم في دست الوزارة وحوله جماعة من أصحاب بني رزيك وممن  
لهم عليهم إحسان فوقعوا في بني رزيك وهتكوا أعراضهم تقرباً إلى شاور وكان  
بنو رزيك قد أحسنوا إلى عمارة فلم يهن ذلك عليه فقام وأنشد بحضرة شاور:

وزال ما يشتكيه الدّهر من ألم  
والحمد والذّم فيها غير منصرم  
في صدر ذا الدست لم يقعد ولم يقم  
والسّلم قد يُنبِت الأوراق في السّلم  
بأن ذلك جمعٌ غير منهزم  
من كان مجتمعاً من ذلك الرّخم  
وإنما غرقوا في سيلك العرم  
تعظيم شأنك فأعذرني ولا تلم

صحت بدولتك الأيام من سقم  
زالت ليالي بني رزيك وأنصرمت  
كأن صالحهم يوماً وعادِلهم  
هم حرّكوها عليهم وهي ساكنة  
كنا نظنّ وبعض الظنّ مائة  
ومذ وقعت وقوع النّسر خانهم  
ولم يكونوا عدوّاً ذلّ جانبُه  
وما قصدتُ بتعظيمي عداك سوى

ولو شكرتُ لِياليها مُحافظَةً  
ولو فتحتُ فمي يوماً بدمهم  
والله يَأمرُ بِالإحسانِ عارِفَةً  
فشكر شاورِ على قولِهِ وحُسنِ وفائِهِ، ومن مدحه في شاورِ قولِهِ وذلك بعد  
عودِهِ من حصارِ بُلَيْيسِ :

أَسْمِعْ بذا الفتحِ المُبينِ وأبصِرِ  
فتحِ أضواءِ به الزمانِ كَأَنَّهُ  
فتحُ يذكُرنا وإن لم نَنسَهُ  
فتحِ تولدِ يُسرِهِ من عُسرةِ  
حملتِ به الأيامِ إلا أَنهَها  
تلقاه أولِ فارسِ إن أقبلتِ  
هانتِ عليه النفسُ حتى أَتَهُ  
ضجِرَ الحديدِ من الحديدِ وشاورِ  
حلفِ الزمانِ لِيأْتِيَنَّ بِمثلِهِ

وأقصرِ عليه خُطأَ الهناءِ وأقصرِ  
وجهُ البشيرِ وغُرةِ المستبشِرِ  
ما كان من فتحِ الوصيِّ بخيبرِ  
طالتِ وأيُّ ولادةٍ لم تعسِرِ  
وضعتِهِ تمأً عن ثلاثةِ أَشهرِ  
خيلاً وأولِ راجلِ في العسكرِ  
باعِ الحياةِ فلم يجدِ من يشتريِ  
من نصرِ دينِ محمدٍ لم يَضجِرِ  
حِثتِ يمينُكَ يا زمانِ فكفِّرِ .

ومن شعرِ عمارَةَ ويُرَوى أَنه قال قبل أن يشنق بثلاثةِ أَيامِ :

إذا قدرتِ على العلياءِ بالغَلَبِ  
ولا ترقنَّ لي قي كُرْبَةٍ عرضتِ  
وأستخبرِ الموتِ كم أنستِ مهجتهِ  
فلا تُعرجِ على سعيِّ ولا طلبِ  
فإنَّ قلبي مخلوقٌ من الكُربِ  
وكم وهبتُ له روحي ولم أهبِ .

## ثانياً: النشر

عني الفاطميون في الكتابِ عنايتهم بالشعرِ، وذلك لاتساعِ حاجتهم الى  
الدواوينِ المختلفةِ .

وكان فن الكتابةِ بمصرِ في زمنِ الفاطميينِ، كما ذكر القاضِي الفاضل  
«غضاً طرياً، وكان لا يخلو ديوانِ المكاتباتِ من رأسِ يرأسُ مكاناً وبياناً، وقيم

لسلطانه بقلمه سلطاناً»<sup>(١)</sup>.

وقد صرف الفاطميون جل اهتمامهم لديوان الإنشاء وكتابه، فارتفع قدره، وشاع في الآفاق ذكره. واختاروا له بلغاء الكتاب ما بين مسلم وذمي<sup>(٢)</sup>، وممن تولى الكتابة للخلفاء الفاطميين: أبو المنصور بن جورس والقاضي أبو طاهر النهركي والقاضي ولي الدين بن خيران والشيخ أبو الحسن علي بن أبي أسامة الحلبي وولده أبو المكارم والشيخ أمين الدين تاج الرياسة أبو القاسم علي بن سليمان بن منجب المعروف بابن الصيرفي والقاضي كافي الكفاة محمود ابن القاضي الموفق أسعد بن قادوس وابن أبي الدم اليهودي والقاضي الموفق بن الخلال والقاضي جلال الدين محمود الأنصاري وغيرهم<sup>(٣)</sup>.

وكان راتب صاحب ديوان الإنشاء يفوق راتب أي موظف آخر بما في ذلك راتب قاضي القضاة. فكان راتب صاحب ديوان الإنشاء ثلاثة آلاف دينار غير رسوم يتناولها عن السجلات والعهود وكتب التقليدات، في حين كان راتب قاضي القضاة ألفي دينار فقط.

وكان الطابع العام للنثر السجع والتضمين من القرآن الكريم. ونظراً لوجود ديوان الإنشاء، واهتمام الخلفاء الفاطميين بهذا الديوان، ازدهر فن كتابة الرسائل. وبلغ هذا الفن مبلغاً عظيماً من الرقي والكمال وقد وصلنا عدد غير قليل من هذه الرسائل مجموعة في السجلات الرسمية، وأهمها السجلات المستنصرية التي تحتوي على /٦٦/ رسالة صادرة من ديوان الإنشاء من الخليفة المستنصر بالله إلى كل من علي بن محمد الصليحي وأحمد بن علي بن محمد الصليحي والملكة الحرة وإلى كافة السلاطين الصليحيين والزواحيين والمشايخ الحجازيين وطوائف المؤمنين.

تعطينا هذه الرسائل فكرة كافية عن أسلوب الكتابة النثرية في القرن الخامس الهجري، الحادي عشر الميلادي. منها الرسالة التالية، الموجهة من

(١) مجموعة من الأساتذة - الأدب العربي في آثار الدارسين ص ٢٤٠.

(٢) ابن تغري بردى - النجوم الزاهرة ج/٧، ص ٣٣٧.

(٣) المرجع السابق.

الخليفة المستنصر إلى الملكة الحرة في اليمن:

بسم الله الرحمن الرحيم، الحمد لله رب العالمين.

معلوم لك أيتها الحرة، المخلصة، المكيّنة، السديّدة، ذخيرة الدين، عمدة المؤمنين، كهف المستجيبين، وليّة أمير المؤمنين - حفظها الله تعالى وأحسن توفيقها - اصطناعنا للحرة والدة: الملك، الأوحد، المنصور، المظفر في الدين، نظام المؤمنين، عماد الملة، وغيث الأمة، شرف الإيمان ومؤيد الإسلام، عظيم العرب، سلطان أمير المؤمنين وعميد جيوشه - أدام الله تمكينه وعلوه، وكبت حسدته وعدوه - رحمها الله، وإخراجنا إياها من زمرة ربّات الحجال، إلى سياسة الدولة وتقديم الرجال، لمّا لمع لنا نور إيمانها، ونيتها وإيقانها، وأنها بالزهد معروفة، وبالتقى موصوفة، فاستحقت ما خولناها، وقامت بشكر ما أئلفناها، ورعت أحوال المؤمنين رعاية وفت على رعاية الدعاة، وسلكت في تربيتهم مسلكاً قارب مسلك الهداة، وكان المقدم لديها من تحلى بحلية الدين، وجانب أمور الضالّين، وطهر من الدرر أردانه، وأبعد من الخنا جوارحه ومن الرفث لسانه، فإذا أُطلعت على من هذه صفته، ورأت من هذا حليته، قدّمته إلى كفئتها، وأتمته على بعلمها، وتعاهدته في كل حين ببرها، ومن كان عن هذه الحالة بائناً، ولشرائط الإيمان خائناً، لم يكن له عندها مجال، ولا مجال لديها مثال، ولم تزل على هذه الحالة إلى أن لحقها الأجل المحتوم، والقضاء المؤقت المعلوم، ونحن لأفعالها شاكرون، وعليها مترحمون، ويجب عليك أيتها الحرة التدرع بمدارعها، والسلوك في أحسن مسالكها، والاقتفاء لأثرها، والعمل بمشهور أخبارها، قويّ همك وفكرك مفروغة فيما يحفظ مجد الملك الأجلّ الأوحد - أدام الله علوه - المؤمل أن يناله حرّمه، والنور الذي كسونه من تقليد أمر الدعوة، أن تتغشاه ظلمه؛ فأنت من العقل والسداد بحيث كانت تلك - رحمها الله - وأزيد، ولقد كان الأجلّ الأوحد - رضي الله عنه - بمراشدها يسترشد، وبمشاورها يستنجد، وأنت الآن محتاجة إلى الفكر الصحيح، والرأي الصريح، فيما يجري حال كفتك على السداد، ويمهدا من الاستقامة في غير المهاد، فاقدري قدر نعمة الله تعالى ووليه فيما أهلك له من



شريف المقام، وخصك بأوفى قسط من الاصطناع والإنعام، واجعلي قبلة  
 آمالك ووسيلة طلباتك لدينا المتكفل في كل وقت تفضلاً بحالك وحال  
 المتعلقين بك: السيد الأجل، أمير الجيوش، سيف الإسلام، ناصر الإمام،  
 كافل قضاة المسلمين، وهادي دعاة المؤمنين، أبا النجم بدر المستنصري -  
 عضد الله به الدين، وأمتع بطول بقائه أمير المؤمنين، وأدام قدرته، وأعلى كلمته  
 - الذي قد حنا عليكم حنو دين، وتكفل بأمركم كفالة شفيق عليكم حنين؛ وأمير  
 المؤمنين يعلمك حال قوم قد انضووا إليكم وتقمصوا قميص الدين رياءً  
 وسمعة، وتحلوا بحلية الإيمان كذباً وخدعة، يلقون لكم الأباطيل؛ ويزيتون  
 الأضاليل، فهم أبالسة ضالون: ﴿وَيَخْلِفُونَ بِاللَّهِ إِنَّهُمْ لَمِنْكُمْ وَمَا هُمْ مِنْكُمْ  
 وَلَكِنَّهُمْ قَوْمٌ يَفْرُقُونَ﴾ (٥٦/٩)؛ وهم: الرباني المعروف بعبد الله - لعنه الله -  
 وابراهيم غلام العامري المدعي نبوته - خذله الله - والحصيري وولده، وشاعر  
 كان مع صبح الخارجي هرب من سيف الحق لما طلبه، ولاذ بكم تابعاً لأباطيله  
 وكذبه، وخادم من بعض خدام القصر المعمور كان يلوذ بخدمة السيدة الشريفة  
 أخت أمير المؤمنين - وقاها الله سوء وكبت أعداءها - دخل في جملة المنافقين  
 وزور على أمير المؤمنين، وهرب إليكم واختلط بهؤلاء المفسدين، وقد  
 تقدمنا إلى الملك، الأجل، الأوحى، المنصور بقبضهم، والتضييق عليهم  
 وإنفاذهم مُصقدين إلى باب أمير المؤمنين، وإمضاء حكم السيف فيهم جزاءً  
 على فعلهم، ومقابلة لهم على عظيم جرمهم، ويجب أن تفعل في ذلك وفي  
 إتمام ما أمرنا به وإنجاز ما تدفعين به عنكم من كيدهم شراً، ومن مكرهم  
 عن كفتك ضيراً، وتسوقين إليك من إحسان أمير المؤمنين والله تعالى يجمع  
 على طاعته شملكم، ويوفق على مرضاته ومرضاة وليه جمعكم، بمتنه  
 ورحمته .

وكتب في العشر الأواخر من شوال من سنة اثنتين وسبعين وأربعمائة،  
 والسلام عليك ورحمة الله وبركاته .

والحمد لله وحده، وصلى الله على جدنا محمد رسوله، خاتم النبيين،  
 وسيد المرسلين، وعلى آله الطاهرين، الأئمة المهديين، وسلم تسليمًا، وحسبنا



وهناك طراز آخر من كتابة الرسائل مارسه عدد من الأدباء المشهورين منهم الحسن بن محمد بن عبد الصمد بن أبي الشخباء الملقب بالمجيد ذي الفضيلتين صاحب الرسائل المشهورة، ومنها هذه الرسالة التي كتبها إلى بعض اخوانه:

أغبَّ كتاب مولاي حتى أضرم ناراً في الفؤاد، وحالف بين جفني والشهاد:

ثم وافى بلفظه الرائق العذُّ ب وأغنى عن الرُّلال البرودِ  
 وقوله أيضاً:

وقرأته مُتَنَزِّهاً في روضه وغديره  
 جمعَ البلاغة كلَّها تختال بين سطوره  
 فالذُّرُّ في منظومه والسَّحر في مثوره

وعرفت ذكر الشوق الذي هيَّج أحزاناً، ونكأ قرحاً لا يندمل زماناً، وإنَّ عندي بشهادة الله ما يضرم ناره، ويشبُّ أواره، والله تعالى يُسهِّل من ألطافه الخفية ما يجمع الشمل، ويصل الجبل، ويقرب الدار، ويُدني المزار، بمحمَّد وآله والأئمة الأطهار.

وأما حالي بعده، وارتياحي إلى ما عنده، وتأسُّفي على الفاتت من أخلاقه التي هي من الحُسن أدقُّ، ومن الماء أصفى وأرقُّ: فحال صبِّ أخذ ما في فؤاده، وحولف بين طرفه وسُهاده، فحرم لذلك لذيد رُقاده، وأما عتبه عليَّ لتأخُّر كُتبي عنه، ويُعدها منه: فهو يعلم - حرس الله مدته - أنني إذا واصلت أو أغببت أنه سمير خاطري، وإن غاب عن ناظري، وهو نازلٌ بضمائري، وإن بان من بين مخالطي ومُعاشري:

يا غائباً عن ناظري وحاضراً في خاطري

(١) السجلات المستنصرية - تحقيق الدكتور عبد المنعم ماجد، ص ٧٧.

لا تخش مني جفوة فباطني كالظاهر

والله يعلم أنني لم أغفل كتابه صرماً وهجراً، ولا أهملت مجابته نقضاً لمودته الكريمة ولا غدراً، فإنه من العين بمكان السواد، ومن الصدر بموضع الفؤاد، وبسبب هذا الاعتقاد وما ذكرت من محض الوداد، أثبتُّ أشجاناً، وأطلعُهُ على أسراري إسراراً وإعلاناً، ثقةً بودِّه، وتمسكاً بوثيق عهده وعقده، - لو رأيته فسح الله مدته، وضاعف عليّ مودته -، لرأى صبّاً قلبه خفيق، ودمعه طليق:

قلِقَ الضمير بظبية وهنانة      فلها بقلبي هزةً وعُلوُّ  
الوجهُ طلقٌ والوشاحُ مُهفهُفٌ      والرّدْفُ دِعْصٌ والقوامُ رشيقٌ  
وتبسّمتُ عن واضحٍ فضحت به      سطح البروقِ ونمّ منه رحيقٌ

هذه الأبيات تُغني عما أردت أن أشرحه، وتنبئ عن مكنون ما سبيلي أن أثبتّه وأوضحه، والله المسؤول أن يقضي مأربي بسعادة جدّه، ويزيل عني ما أخشاه بتمام إقباله ومجده، وكتابه هو فُسحةٌ للصدر، ومُنية ما يطلب من الدهر، ولرأيه عُلوُّه في إمضائه إليّ ووفوده عليّ<sup>(١)</sup>.

ظهر خلال الحقبة الفاطمية عدد كبير جداً من الكتاب والعلماء من الاسماعيلية ومن غير الاسماعيلية خلفوا لنا تراثاً ضخماً يفوق التصور، في مختلف أنواع العلوم والمعارف كاللغة والنحو والفقه والتاريخ والمنطق والطب والموسيقى والهندسة و...

نذكر منهم على سبيل المثال لا الحصر<sup>(٢)</sup>:

\* عبد الله بن أحمد النسفي البردغي (ت: ٣٣١هـ / ٩٤٢م)

كبير الدعاة الاسماعيليين في خراسان وتركستان. ومن مؤلفاته: كتاب المحصول، كتاب كون العالم، كتاب الدعوة المنجية، كتاب أصول الشرع.

(١) ياقوت الحموي - معجم الأدباء ج/٩، ص ١٦٨.

(٢) هناك أسماء كثيرة أخرى، رفيعة المقام لم نذكرها في هذا العرض لأن قصدنا هو إعطاء القارئ فكرة عن ضخامة التراث الذي وصلنا من الدولة الفاطمية والمفكرين الاسماعيليين، وليس تعداد جميع الأسماء.

\* أبو حاتم الرازي (ت: ٣٣١هـ / ٩٤٢م)

داعي الري. من مؤلفاته: كتاب الزينة، كتاب الجامع.

\* أبو يعقوب السجستاني (ت: ٣٣١هـ / ٩٤٢م)

من كبار الدعاة الاسماعيليين. له العديد من المؤلفات منها: كشف المحجوب، الينابيع، الافتخار، تأويل الشرائع، إثبات النبوات، تحفة المستجيبين، كتاب النصر، مسلية الأحزان، أساس الدعوة، أسس البقاء، الرسالة الباهرة، المقاليد الملكوتية، القريب في معنى الإكسير، تألف الأرواح، رسالة الأمن والحيرة، البشارات، خزائن الأدلة، مؤنس القلوب، المبدأ والمعاد.

\* القاضي النعمان (ت: ٣٦٣هـ / ٩٧٣م)

من أشهر علماء الاسماعيلية في عصره. كان من أهل العلم والفقه والدين والنبيل غزير الإنتاج ترك عدداً كبيراً من المؤلفات منها: كتاب دعائم الإسلام، أساس التأويل، تأويل دعائم الإسلام، اختلاف أصول المذهب، الهمة في اتباع الأئمة، القصيدة المختارة، شرح الأخبار، الإيضاح، مفاتيح النعمة، كتاب الاقتصاد، كتاب المجالس والمسائرات، كتاب افتتاح الدعوة، القصيدة المنتجة.

\* المسبحي (ت: ٣٦٦هـ / ٩٧٦م)

كان بخدمة الحاكم ونال منه حظوة كبيرة تقلد القيس والبهنا من أعمال الصعيد ثم تولى ديوان الترتيب. ترك ما يقرب من ثلاثين مصنفاً وديوان شعر. من مؤلفاته: تاريخ مصر، كتاب التلويح والتصريح، كتاب الراح والارتياح، كتاب الغرق والشرق في ذكر من مات غرقاً وشرقاً، كتاب الطعام والادام، كتاب درك البغية في وصف الأديان والعبادات، قصص الأنبياء وأحوالهم، كتاب المفاتحة والمناكحة في أصناف الجماع، كتاب الأمثلة للدولة المقبلة، كتاب القضايا الصائبة في معاني أحكام النجوم، كتاب جونة المشاطة، كتاب الشجن والسكن في أخبار أهل الهوى وما يلقاه أربابه، كتاب السؤال والجواب، كتاب مختار الأغاني ومعانيها.

\* الحسن بن زولاق (ت: ٣٨٧هـ / ٩٩٧م)

فقيه مصر ومؤرخها الكبير. كان فاضلاً في التاريخ له فيه مصنف جيد. وكتاب في خطط مصر وكتاب أخبار قضاة مصر جعله ذيلًا على كتاب الكندي، وغيرها.

\* الشابستي (ت: ٣٩٠هـ / ٩٩٩م)

علي بن محمد الكاتب. كان أديباً فاضلاً. التحق بخدمة العزيز بن المعز فولاه أمر خزانة كتبه. من مؤلفاته: كتاب الديارات، كتاب اليسر بعد العسر، كتاب مراتب الفقهاء، كتاب التوقيف والتخويف، كتاب مراسلات.

\* ابن يونس المنجم (ت: ٣٩٩هـ / ١٠٠٨م)

علي بن أبي سعيد عبد الرحمن بن أحمد بن يونس بن عبد الأعلى الصديقي النجم المصري المشهور، صاحب الزيج الحاكمي. كان مختصاً بعلم النجوم، متصرفاً في سائر العلوم، بارعاً في الشعر، وله شعر كثير. من مؤلفاته: الزيج الحاكمي المعروف بزيج ابن يونس.

\* أحمد حميد الدين الكرمانى (ت: ٤١٠هـ / ١٠١٩م)

حجة العراقيين ومن كبار الدعاة الاسماعيليين له عدد كبير من المؤلفات منها: راحة العقل، المصاييح في إثبات الإمامة، الأقوال الذهبية، رسائل الكرمانى وهي مجموعة تضم عدة رسائل منها مباسم البشارات بالإمام الحاكم، الرسالة اللازمة في الصوم، الرسالة الرضية في الرد على من يقول بقدوم العالم، الرسالة المضيئة في الأمر والامر والمأمور، رسالة الروضة في الأزل والأزلية، الرسالة الزاهرة في جواب بعض المسائل، الرسالة الحاوية، الرسالة الواعظة في الرد على الفرغانى، الرسالة الكافية في الرد على الهارونى.

\* القزاز (ت: ٤١٢هـ / ١٠٢١م)

محمد بن جعفر التميمي النحوي المعروف بالقزاز القيرواني. كان في خدمة العزيز بن المعز. قيل فيه «فضح المتقدمين وقطع السنة المتأخرين» كان الغالب عليه علم النحو. من مؤلفاته: الجامع في اللغة، كتاب التعويض.

\* الوزير المغربي (ت: ٤١٨هـ / ١٠٢٧م)  
حسين بن علي. كان في عهد الحاكم وفر من وجهه الى حسان بن مفرج الطائي فأكرمه ثم وزر لصاحب ميفارقين. له شعر رائق وعدة تصانيف منها: مختصر إصلاح المنطق، كتاب الإيناس، كتاب أدب الخواص، كتاب المأثور في ملح الخدور.

\* الحراني (ت: ٤٢٠هـ / ١٠٢٩م)  
الأمير المختار عز الملك محمد بن عبد الله بن أحمد الحراني. كان من أقطاب الأمراء والعلماء، تولى الوزارة للحاكم بأمر الله. أخذ قسطاً من مختلف علوم عصره. ألف عدة كتب منها تاريخه الكبير المسمى أخبار مصر.

\* الحوفي القضاعي (ت: ٤٣٠هـ / ١٠٣٨م)  
علي بن ابراهيم بن سعيد بن يوسف الحوفي النحوي. كان عالماً بالعربية وتفسير القرآن. صنف في النحو مصنفات كبيرة وصنف في إعراب القرآن كتاباً في عشر مجلدات وله تصانيف كثيرة.

\* ابن خيران (ت: ٤٣١هـ / ١٠٣٩م)  
أحمد بن علي بن خيران الكاتب الملقب بولي الدولة صاحب ديوان الإنشاء. كان متولي كتب السجلات عن الظاهر.

\* ابن الشخباء (ت: ٤٣٢هـ / ١٠٤٠م)  
الحسن بن عبد الصمد بن أبي الشخباء العسقلاني. كان من فرسان النثر وله فيه اليد الطولى. قيل في وصفه «المجيد كنعته، قادر على ابتداء الكلام ونحته، له الخطب البديعة والملح الصنيعة» له رسائل مدونة مشهورة أكثرها اخوانيات.

\* محمد بن أحمد العميدي (ت: ٤٣٣هـ / ١٠٤١م)  
رئيس ديوان الإنشاء بعد ابن خيران. من مؤلفاته: كتاب الإبانة عن سرقات المتنبي، كتاب في تنقيح البلاغة، كتاب الإرشاد إلى حل المنطق، الهداية إلى نظم المنثور، انتزاعات القرآن.

\* القاضي أبو عبد القضاعي (ت: ٤٥٤هـ / ١٠٦٢م)

محمد بن سلامة بن جعفر، الفقيه، المحدث، المؤرخ. صنف عدداً من الكتب منها: الشهاب وسند الصحاب، مناقب الإمام الشافعي، أبناء الأنبياء وقصصهم، عيون المعارف، المختار في ذكر الخطط والآثار ويعرف أيضاً باسم خطط مصر.

\* ابن بابشاذ النحوي (ت: ٤٦٩هـ / ١٠٧٦م)

طاهر بن أحمد المصري الجوهري النحوي. إمام عصره في اللغة والنحو. ولي متاملاً في ديوان الإنشاء بالقاهرة يتأمل ما يصدر منه من السجلات والرسائل فيصلح ما فيها من خطأ. له من التصانيف: شرح الجمل للزجاجي، شرح النخبة، التعليق في النحو (تعليق الفرقة)، المحتسب في النحو وغير ذلك.

\* جعفر بن منصور اليمن (منتصف القرن الرابع الهجري/ العاشر الميلادي)

من أهم رجال الدعوة في مصر، وباب أبواب الخليفة المعز. غزير الإنتاج، ترك وراءه عدداً كبيراً من المؤلفات منها: كتاب الكشف، كتاب أسرار النطقاء، كتاب سرائر النطقاء، كتاب العالم والغلام، كتاب الفرائض وحدود الدين، كتاب الشواهد والبيان، كتاب تأويل سورة النساء، كتاب المراتب والمحيط، كتاب الرضاع في الباطن، كتاب تأويل الزكاة، كتاب الفترات والقرانات، كتاب الرشد والهداية، كتاب رسالة في معنى الاسم الأعظم.

\* المؤيد لدين الله هبة الله الشيرازي (ت: ٤٧٠هـ / ١٠٧٧م)

داعي دعاة المستنصر. من مؤلفاته: كنز الولد، المجالس كتاب جامع الحقائق.

\* محمد بن طاهر بن ابراهيم الحارثي (ت: ٥١٤هـ / ١١٢٠م)

من دعاة الاسماعيلية الكبار له: مجموعة التربية، الأنوار اللطيفة.

\* ابن القطاع السعدي (ت: ٥١٥هـ / ١١٢١م)

إمام وقته في علم العربية وفنون الأدب. من مؤلفاته: كتاب الأفعال، كتاب

أبنية الأسماء، كتاب الدررة (وقيل الجوهرة) الخطيرة في المختار من شعراء الجزيرة، كتاب لمح الملح، كتاب العروض والقوافي، كتاب تاريخ صقلية، كتاب فرائد الشذور وقلائد النحور.

\* محمد بن بركات النحوي (ت: ٥٢٠هـ / ١١٢٦م)

تلميذ القاضي القضاعي. كان من أئمة اللغة والنحو.

\* ابن القيم (ت: ٥٢٦هـ / ١١٣١م)

علي بن عباد الاسكندري. أحد شعراء مصر المهمين في عهد الأمر والحافظ. كان شاعر أحمد بن الأفضل بن بدر الجمالي وقتل معه.

\* الخطاب بن الحسن بن أبي الخياط، وقيل الحفاظ (ت: ٥٣٣هـ / ١١٣٨م)

من دعاة الاسماعيلية في اليمن. من مؤلفاته: شرح رسالة النفس.

\* ابن منتجب الصيرفي (ت: ٥٥٠هـ / ١١٥٥م)

الشيخ معين الدين، تابع الرئاسة، علي بن سليمان بن منتجب. صاحب كتاب قانون ديوان الرسائل. من مؤلفاته: كتاب الإشارة إلى من نال الوزارة. ويعرف أيضاً باسم أخبار وزراء مصر.

\* ابن قادوس (ت: ٥٥١هـ / ١١٥٦م)

محمود بن اسماعيل الدمياطي. كات الإنشاء بالحضرة المصرية.

\* ابراهيم بن الحسن الحامدي (ت: ٥٥٧هـ / ١١٦١م)

الداعي الطيبي الثاني في دور الستر. توفي في صنعاء. من مؤلفاته: كنز الولد، رسالة الابتداء والانتها.

\* ابن بشرون المهدوي (ت: ٥٦١هـ / ١١٦٥م)

من الأدباء المعروفين. من مؤلفاته: كتاب المختار في النظم والنثر لأفاضل أهل العصر.

\* الموفق بن الخلال (ت: ٥٦٦هـ / ١١٧٠م)

القاضي موفق الدين يوسف بن محمد المصري. «ناظر ديوان مصر وانسان ناظره، وجامع مفاخره» وآخر رؤساء ديوان الإنشاء في العهد الفاطمي. كان

إليه الإنشاء وله قوة على الترسل . يكتب كما يشاء .

\* ابن بري (ت : ٥٨٢هـ / ١١٨٦م)

عبد الله بن أبي الوحش بري بن عبد الجبار بن بري . كان علامة عصره وحافظ وقته ونادرة دهره ، عارفاً بكتاب سيبويه ، وإليه التصحيح في ديوان الإنشاء له على كتاب الصحاح للجوهري حواش . وله حواشٍ على درة الغواص في أوهام الخواص للحريري .

\* حاتم بن ابراهيم الحامدي (ت : ٥٩٦هـ / ١١٩٩م)

الداعي اليمني الثالث . من مؤلفاته : كتاب زهر بذر الحقائق ، كتاب مفاتيح الكنوز ، رسالة تحفة القلوب ، الشمس الزاهرة ، جامع الحقائق وغيرها .

\* علي بن محمد الوليد (ت : ٦١٢هـ / ١٢١٥م)

الداعي الطيبي الخامس . من مؤلفاته : كتاب الذخيرة ، رسالة جلاء العقول وزبدة المحصول ، كتاب مختصر الأصول ، كتاب دامغ الباطل ، كتاب نظام الوجود .

\* علي بن حنظلة المحفوظي الوادعي (ت : ٦٢٧هـ / ١٢٢٩م)

من كبار دعاة الاسماعيلية في اليمن . من مؤلفاته : رسالة ضياء الحلوم ومصباح العلوم ، رسالة سمط الحقائق .

\* الشيخ حسن المعدل (ت : ٦٥٩هـ / ١٢٦٠م)

من دعاة الاسماعيلية في سورية عاش متنقلاً بين قلاع الدعوة المنتشرة في جبال منطقة اللاذقية . كان أديباً شاعراً . من مؤلفاته : ألفية المعدل ، رسالة مبتدأ العوالم ودور الستر .

\* ادريس عماد الدين القرشي (ت : ٨٧٢هـ / ١٤٦٧م)

الداعي المطلق . أول مؤرخ اسماعيلي أرخ لدور الستر الأول وللعهد الفاطمي وللدعوة الاسماعيلية في اليمن . له مؤلفات كثيرة منها : كتاب زهر المعاني ، كتاب عيون الأخبار ونزه الأخبار ، كتاب روضة الأخبار وبهجة الأسمار ، رسالة البيان لما وجب في تأويل شهر رجب ، ضياء البصائر وزبد السرائر ،



كتاب أسماء نفوس المهتدين، رسالة مهديات البهتان.

\* أحمد بن ابراهيم النيسابوري (ت: ٥٠٠٠هـ / ١٠٠٠م)  
أحد دعاة الاسماعيلية. من مؤلفاته: استتار الإمام، إثبات الإمامة، سيرة  
جعفر بن الحاجب.

\* عبدان (ت: ٥٠٠٠هـ / ١٠٠٠م)  
ذكر ابن النديم في [الفهرست] أنه من رجال الاسماعيلية وذكر له الكتب  
التالية: كتاب الرحي والدولاب، كتاب الحدود والإسناد، كتاب اللوامع،  
كتاب الزاهر، كتاب الميدان، كتاب النيران، كتاب الملاحم، كتاب  
المقصد.

\* حسن بن نوح بن يوسف بن محمد بن آدم الهندي البهروجي (ت: ٥٠٠٠هـ /  
١٠٠٠م)

داعي الجزيرة اليمينية، وأمين الدولة الفاطمية. من مؤلفاته: كتاب الأزهار،  
ومجمع الأنوار الملقوطة من بساتين الأسرار مجامع الفواكه الروحانية  
والشمار.

\* الداعي عامر بن عبد الله الرياحي (ت: ٥٠٠هـ / م)  
من دعاة اليمن نظن أنه عاش في القرن الخامس الهجري. له كتاب الصور.

\* محمد بن الأزدي (ت: ٥٠٠هـ / م)  
عاش في القرن الخامس الهجري. كاتب السيدة الحرة بنت أحمد الصليحية.  
كان كاتباً أديباً منشئاً للديوان، بليغاً مجيد الألفاظ باهر الإحسان.

إلخ.....

عناوين هذه المؤلفات تدل على موضوعاتها.

وموضوعاتها تدل على طول باع المفكرين الاسماعيليين في مجال الكتابة  
والتأليف مع الإشارة إلى أن مواضيع بعض هذه المؤلفات مكررة، نصادف أكثر  
من كتاب في موضوع واحد.

## المراجع

### الكتب

- ١ - الفلقشندي: كتاب مآثر الإنافة في معالم الخلافة
- ٢ - الفلقشندي: صبح الأعشي
- ٣ - أحمد جودت باشا: تاريخ جودت
- ٤ - ابن الجوزي: المنتظم في تاريخ الملوك والأمم
- ٥ - دائرة المعارف الإسلامية: دار الشعب بالقاهرة
- ٦ - عبد الواسع يحيى الواسعي اليمني: تاريخ اليمن المسمى فرجة الهموم والحزن في حوادث وتاريخ اليمن
- ٧ - ابن كثير: البداية والنهاية
- ٨ - الدكتور محمد جواد مشكور: موسوعة الفرق الإسلامية
- ٩ - الشهرستاني: الملل والنحل
- ١٠ - ابن ميسر: أخبار مصر
- ١١ - محمد بن مالك الحمادي اليمني: كشف أسرار الباطنية وأخبار القرامطة
- ١٢ - محسن الأمين: أعيان الشيعة
- ١٣ - ابن الحنبلي: در الحبيب في تاريخ أعيان حلب
- ١٤ - البغدادي: الفرق بين الفرق
- ١٥ - النوبختي: فرق الشيعة
- ١٦ - أبو حاتم الرازي: كتاب الزينة (تحقيق الدكتور عبد الله سلوم السامرائي)
- ١٧ - تاريخ ابن خلدون: ابن خلدون

- ١٨ - رحلة ابن جبیر: ابن جبیر
- ١٩ - ابن الأثير: الكامل
- ٢٠ - ابن شداد: الأعلاق الخطيرة
- ٢١ - ابن العديم: زبدة الحلب من تاريخ حلب
- ٢٢ - ابن القلانسي: ذيل تاريخ دمشق
- ٢٣ - عبدالله بن المرتضى: الفلك الدوار في سماء الأئمة الأطهار
- ٢٤ - الدكتور مصطفى غالب: أعلام الاسماعيليه
- ٢٥ - الدكتور مصطفى غالب: تاريخ الدعوة الإسماعيلية
- ٢٦ - أحمد بن ابراهيم بن الحنبلي: شفاء القلوب في مناقب بني أيوب (تحقيق ناظم رشيد)
- ٢٧ - الدكتور عارف تامر: سنان وصلاح الدين
- ٢٨ - الدكتور عارف تامر: الإمامة في الإسلام
- ٢٩ - الشيخ طه الولي: القرامطة
- ٣٠ - محمد بن علي بن نظيف الحموي: تاريخ المنصوري
- ٣١ - ابن واصل: مفرج الكروب في أخبار بني أيوب (تحقيق الشيال)
- ٣٢ - أحمد بن علي الحريري: الإعلام والتبيين في خروج الفرنج الملاعين على ديار المسلمين (تحقيق الدكتور سهيل زكار)
- ٣٣ - علي ابراهيم حسن: تاريخ جوهر الصقلي
- ٣٤ - ابراهيم جلال: المعز لدين الله الفاطمي وتشييد مدينة القاهرة
- ٣٥ - اسطفان الدويهي: تاريخ الأزمنة
- ٣٦ - ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة
- ٣٧ - فخر الدين الرازي: اعتقادات فرق المسلمين والمشركين
- ٣٨ - رشيد الدين فضل الهمداني: جامع التواريخ
- ٣٩ - السيوطي: حسن المحاضرة
- ٤٠ - شيخ الربوة: نخب الدهر في عجائب البر والبحر
- ٤١ - هاشم عثمان: العلويون بين الأسطورة والحقيقة
- ٤٢ - هاشم عثمان: صفحات من تاريخ الشيعة في ساحل بلاد الشام الشمالي

- ٤٣ - هاشم عثمان: هل العلويون شيعة  
٤٤ - الأشعري: مقالات الإسلاميين واختلاف المصلين (تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد)  
٤٥ - الذهبي: كتاب العبر في خبر من غبر  
٤٦ - الياضي اليمني: مرآة الجنان  
٤٧ - تاريخ الطبري: الطبري  
٤٨ - المعري: رسالة الغفران (تحقيق بنت الشاطيء)  
٤٩ - ياقوت الحموي: معجم البلدان  
٥٠ - الاسفرايني: التبصير في الدين وتمييز الفرقة الناجية عن الفرق الهالكين  
٥١ - نشوان الحميري: الحور العين (تحقيق كمال مصطفى)  
٥٢ - ابن النديم: الفهرست  
٥٣ - الغزالي: فضائح الباطنية (تحقيق الدكتور عبد الرحمن بدوي)  
٥٤ - نوفل نوفل: تراجم علماء طرابلس وأدبائها  
٥٥ - رفيق التميمي ومحمد بهجت: ولاية بيروت  
٥٦ - كتاب دائرة معارف بطرس البستاني  
٥٧ - فيليب حتي: تاريخ العرب المطول  
٥٨ - الشيخ محمد أبو زهرة: المذاهب الإسلامية  
٥٩ - ابن تيمية: كتاب مجموع الفتاوى  
٦٠ - علي الطنطاوي: تعريف عام بدين الإسلام  
٦١ - محمد كرد علي: خطط الشام  
٦٢ - كامل الغزي: نهر الذهب في تاريخ حلب  
٦٣ - محمود البشبيشي: الفرق الإسلامية  
٦٤ - الدكتور علي سامي النشار: نشأة الفكر الفلسفي في الإسلام  
٦٥ - الدكتور مصطفى الشكعة: إسلام بلا مذاهب  
٦٦ - عبد النبي بن عبد الرسول الأحمد فكري: جامع العلوم الملقب بدستور العلماء  
٦٧ - الثعالبي: يتيمة الدهر

- ٦٨ - محمد عزة دروزة: العرب والعروبة  
٦٩ - الدكتور عبد الرحمن بدوي: مذاهب الإسلاميين  
٧٠ - الدكتور محمد كامل حسين: طائفة الإسماعيلية  
٧١ - الدكتور محمد كامل حسين: في أدب مصر الفاطمية  
٧٢ - حسن ابراهيم حسن وطه أحمد شرف: عبيد الله المهدي  
٧٣ - حسن ابراهيم حسن وطه أحمد شرف: المعز لدين الله  
٧٤ - محمد فريد وجدي: دائرة معارف القرن العشرين  
٧٥ - الموسوعة العربية الميسرة  
٧٦ - ملا صدرا الشيرازي (صدر المتألهين): شرح القرآن الكريم  
٧٧ - شهاب الدين أبو شامة: كتاب الروضتين في أخبار الدولتين  
٧٨ - منتخبات اسماعيلية: تحقيق الدكتور عادل العوا  
٧٩ - أربع كتب حقانية: تحقيق الدكتور عارف تامر  
٨٠ - الداعي ثقة الإمام علم الإسلام: المجالس الشعرية (تحقيق الدكتور محمد كامل حسين)  
٨١ - المؤيد في الدين: المجالس المؤيدية (تحقيق الدكتور محمد كامل حسين)  
٨٢ - محمد الغروي: الحكم والأمثال المستخرجة من كلمات الإمام علي الرضا(ع)  
٨٣ - الداعي إدريس عماد الدين القرشي: كتاب زهر المعاني (تحقيق الدكتور مصطفى غالب)  
٨٤ - أحمد حميد الدين الكرمانلي: راحة العقل (تحقيق الدكتور محمد كامل حسين والدكتور محمد مصطفى حلمي)  
٨٥ - عامر عامر البصري: التائية (تحقيق الشيخ عبد القادر المغربي)  
٨٦ - المقرئزي: كتاب السلوك لمعرفة دول الملوك  
٨٧ - المقرئزي: اتعاظ الحنفا بأخبار الأئمة الفاطميين الخلفا  
٨٨ - القاضي النعمان: كتاب افتتاح الدعوة (تحقيق فرحات الدشراوي)  
٨٩ - عبد الرحيم فودة: الدين عند الله

- ٩٠ - صبحي المحمصاني: فلسفة التشريع في الإسلام  
٩١ - سعد محمد حسن: المهدية في الإسلام  
٩٢ - سيرة الأستاذ جوذر: تحقيق الدكتور محمد كامل حسين والدكتور محمد عبد الهادي شعيرة  
٩٣ - الدكتور عطية مصطفى مشرفة: نظم الحكم في عصر الفاطميين  
٩٤ - ابن إياس: بدائع الزهور في وقائع الدهور  
٩٥ - ابن القلانسي: ذيل تاريخ دمشق  
٩٦ - أبو الفداء: المختصر في أخبار البشر  
٩٧ - ابن الوردي: تنمة المختصر  
٩٨ - اسماعيل قربان حسين: السلطان الخطاب  
٩٩ - البرت الريحاني وآخرون: الموسوعة العربية  
١٠٠ - الدكتور كامل مصطفى الشيبلي: الصلة بين التصوف والتشيع  
١٠١ - أبو مخرمة: تاريخ ثغر عدن  
١٠٢ - الدكتور محمد جمال الدين سرور: النفوذ الفاطمي في جزيرة العرب  
١٠٣ - نوفل نوفل: سوسنة سليمان في أصول العقائد والأديان  
١٠٤ - ابن العبري: تاريخ مختصر الدول  
١٠٥ - ابن مسكويه: تجارب الأمم  
١٠٦ - الدكتور محمود إسماعيل: الحركات السرية في الإسلام  
١٠٧ - جلال الدين السيوطي: حسن المحاضرة في أخبار مصر والقاهرة  
١٠٨ - محمد عبد الله عنان: تراجم إسلامية  
١٠٩ - محمد عبد الله عنان: الحاكم بأمر الله وأسرار الدعوة الفاطمية  
١١٠ - رحلات ماركو بولو: ترجمة عبد العزيز جاويد  
١١١ - أحمد الفارقي: تاريخ الفارقي  
١١٢ - محمد بن محمد الأصفهاني: تاريخ دولة آل سلجوق  
١١٣ - الملطي: التنبيه والرد على أهل الأهواء والبدع  
١١٤ - سعد محمد حسين: المهدية في الإسلام  
١١٥ - محمد الصوري: القصيدة الصورية تحقيق الدكتور عارف تامر

- ١١٦ - مهيب عزروقي : لمحة موجزة في التاريخ الإسماعيلي  
 ١١٧ - ناصر خسرو : جامع الحكمين  
 ١١٨ - محمد علي الإسماعيلي : حقيقة الدين (ترجمة عن الفارسية)  
 ١١٩ - علي بن حنظلة الوادعي : كتاب سمط الحقائق (تحقيق عباس العزاوي)  
 ١٢٠ - السجستاني : معارف النجاة (تحقيق مهدي مصطفى غالب)  
 ١٢١ - ضياء الدين اسماعيل السليماني : مزاج التسنيم (نشرة شتروطمان)  
 ١٢٢ - عبدان : شجرة اليقين (تحقيق الدكتور عارف تامر)  
 ١٢٣ - جعفر بن منصور اليمن : السرائر وأسرار النطقاء (تحقيق الدكتور مصطفى غالب)  
 ١٢٤ - جعفر بن منصور اليمن : الكشف (تحقيق الدكتور مصطفى غالب)  
 ١٢٥ - أحمد بن يعقوب : رسالة في الإمامة  
 ١٢٦ - الشيخ حبيب آل ابراهيم : المطالب المهمة  
 ١٢٧ - صدر المتألهين محمد الشيرازي : تفسير القرآن الكريم (٧ أجزاء)

### المجلات

- ١ - المنار : القاهرة المجموعة الكاملة  
 ٢ - مجلة المجمع العلمي العراقي : بغداد ١٩٥٥ و ١٩٥٦  
 ٣ - مجلة معهد المخطوطات العربية : القاهرة، المجلد ٦ /  
 ٤ - الراصد : بيروت العدد / ٦١ / ١ ك و ٢ ١٩٩٧

## الفهرس

الموضوع	الصفحة
مقدمة في رسالة للدكتور عارف تامر	٥
كلمة تمهيدية	٩

### القسم الأول

أصل التسمية	١٥
تاريخ ظهور الإسماعيلية	١٩
موطن الإسماعيلية	٢٢
فرق الإسماعيلية	٢٦
البهرة	٢٨
عقائد الإسماعيلية	٣٢
أ - عقائد الإسماعيلية عند المؤرخين القدماء	٣٣
- الخطابية	٣٤
- القرامطة	٣٧
- الباطنية	٤٣
- الاسماعيلية	٤٧
ب - عقائد الإسماعيلية عند المؤرخين المحدثين والمعاصرين	٦١
- سوسنة سليمان في أصول العقائد	٦١
- تاريخ جودت	٦٩
- ولاية بيروت	٧٠



٧٤	الأحوال الاجتماعية في الإسماعيليين
١٠٥	الإسماعيليون في دوائر المعارف العربية
١١٤	الإسماعيليون من خلال آثارهم
١٤٥	تأثية عامر البصري
١٥٦	الفلك الدوار في سماء الأئمة الأطهار
١٦٠	تاريخ الدعوة الإسماعيلي
١٦٢	لمحة موجزة في التاريخ الإسماعيلي

### القسم الثاني

١٧٩	الدولة الفاطمية
٢٣٥	الدعوة الإسماعيلية في اليمن والدولة الصليحية
٢٤٤	الدعوة الإسماعيلية في بلاد فارس
٢٦٣	الدعوة الإسماعيلية في بلاد الشام

### القسم الثالث

٢٧٧	الحياة الثقافية والاجتماعية والفكرية
٢٧٩	المآثر العمرانية
٢٧٩	١ - المدن: المهديّة، البيضاء
٢٨٥	المنصورية
٢٨٥	القاهرة
٣٠١	٢ - الجوامع: جامع الأزهر، جامع القاهرة
٣٠٦	جامع الحاكم، جامع الخطبة، جامع الأنور
٣٠٩	جامع راشدة
٣١١	جامع المقس، الجامع الأنور
٣١١	جامع القبلة، جامع الأقرم
٣١٥	جامع الظافر، الجامع الأفخر
٣١٥	جامع الفاكهي، جامع الصالحي
٣١٧	جامع القرافة، جامع الأولياء

٣١٨	.....	٣ - دار العلم / دار الحكمة
٣٢١	.....	نظام الحكم عند الفاطميين
٣٢٩	.....	١ - مراتب أرباب السيوف
٣٣٠	.....	٢ - أرباب الوظائف
٣٥٨	.....	الحياة الاقتصادية في عصر الفاطميين
٣٥٩	.....	١ - الصناعات النسيجية
٣٦٢	.....	٢ - صناعات الزجاج والخزف
٣٦٥	.....	٣ - الحفر على الخشب
٣٦٦	.....	٤ - صناعة العاج والمعادن
٣٦٨	.....	٥ - صناعة الورق والتجليد
٣٦٨	.....	٦ - صناعة السفن
٣٧١	.....	الحياة الفكرية في العصر الفاطمي
٣٧٢	.....	١ - الشعر:
٣٧٦	.....	- ابن هانيء
٣٨٧	.....	- الامير تميم بن المعز لدين الله
٣٨٠	.....	- ابن وكيع التنيسي
٣٨٢	.....	- المؤيد في الدين داعي الدعاة
٣٨٥	.....	- الشريف العقيلي
٣٨٧	.....	- ناصر خسرو
٣٩١	.....	- السلطان الخطاب
٣٩٤	.....	- طاهر شاه الحسيني
٣٩٤	.....	- ظافر الحداد
٣٩٤	.....	- طلائع بن رزيك
٣٩٨	.....	- ابن الكيزاني
٤٠٠	.....	- المهذب بن الزبير
٤٠٣	.....	- المجلس بن الحباب
٤٠٤	.....	- الرشيد بن الزبير
٤٠٦	.....	- ابن قلاقس
٤٠٩	.....	- عمارة اليمني

- ٢ - النشر ..... ٤١٢
- ٤١٧ - عبد الله بن أحمد النسفي البردغي .....
- ٤١٨ - أبو يعقوب السجستاني .....
- ٤١٨ - القاضي النعمان .....
- ٤١٨ - المسيحي .....
- ٤١٩ - الحسن بن زولاق .....
- ٤١٩ - الشابستي .....
- ٤١٩ - ابن يونس المنجم .....
- ٤١٩ - أحمد حميد الدين الكرمانى .....
- ٤١٩ - محمد بن جعفر التميمي القزاز .....
- ٤٢٠ - الوزير المغربي .....
- ٤٢٠ - الحراني، الحوفي، القضاعي، ابن خيران .....
- ٤٢٠ - ابن الشخباء، محمد بن أحمد العميدي .....
- ٤٢١ - القاضي أبو عبد القضاعي .....
- ٤٢١ - جعفر بن منصور اليمن .....
- ٤٢١ - المؤيد لدين الله هبة الله الشيرازي .....
- ٤٢٢ - ابن منتجب الصيرفي، ابن قادوس .....
- ٤٢٢ - الموفق بن خلّال .....
- ٤٢٣ - علي بن حنظلة المحفوظي الوادعي .....
- ٤٢٣ - الشيخ حسن المعدل، ادريس عماد الدين القرشي .....
- ٤٢٤ - حسن بن نوح البهروجي .....
- ٤٢٤ - عامر بن عبد الله الرياحي .....
- ٤٢٤ - محمد بن الأزدي .....
- المراجع ..... ٤٢٥



PUBLISHED BY  
AL ALAMI LIBRARY

Beirut - Lebanon  
P.o.Box 7120  
Tel Fax: 833447

مؤسسة الأعلمي للمطبوعات

بيروت - شارع المطار - قرب كلية الهندسة

ملك الأعلمي - ص.ب ٧١٢٠

الهاتف : ٨٣٣٤٥٣ - فاكس ٨٣٣٤٤٧